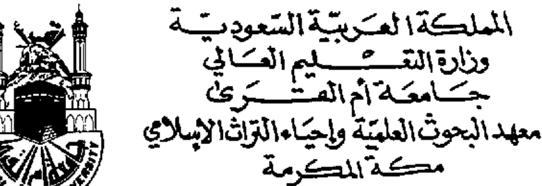


سلسلة الرسائل العلمية الموصى بطبعها

" ١٣ "



عمارة المدرسة في مصر والحجاز

(في القرن ٩ هـ / ١٥ م) دراسة ومقارنة

إعداد الدكتور

عدنان محمد فايز الحارثي

الجــزء الأول

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

ⓒ جامعة أم القرى ، ١٤١٧ هـ .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

الحارثي ، عدنان بن محمد بن فائز

عمارة المدرسة الإسلامية في مصر والحجاز في القرن التاسع الهجري .ـ مكة المكرمة .

٥٦٠ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك ٣ ـ ٢٢١ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠ (مجموعة)

١ ـ ٢٢٢ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠ (ج ١)

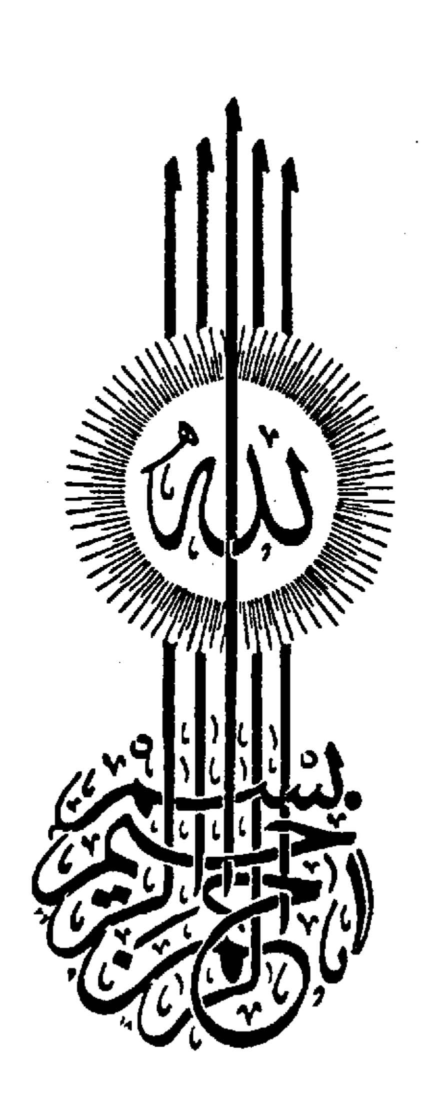
١ ـ العمارة الإسلامية ٢ ـ المدارس أ ـ العنوان

ديوي ٧٢٢ ١٧ / ٢٩٣٦

رقم الإيداع : ٢٩٣٦ / ١٧

ردمك : ٣ ـ ٢٢١ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠ (مجموعة)

١ ـ ٢٢٢ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠ (ج ١)


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا العمل رسالة دكتوراه بعنوان (عمارة المدرسة في مصر والحجاز « في القرن ٩ هـ / ١٥ م » دراسة مقارنة)

كليـة الشريـعة والدراسـات الإسلامـيـة : قسم الـدراسات العليـا التاريخية والحضاريـة .

أوصت لجنـة المناقشة بطبعها ..

وبالله التوفيق

شكر وتقدير

بعد حمد الله والثناء عليه ، لا بد من الشكر لصانع المعروف وصاحب الجميل ، لأن ذلك من شكر الله عزَّ وجلّ .

وأود هنا في البداية شكر الوالدين الكريمين ، فقد كان لتأثيرهما ، وتشجيعهما أكبر الأثر في إنجاز هذا العمل ، وكان دعائهما مفتاح الأبواب المغلقة ، ممهداً للطرق الوعرة ، أمد الله في عمرهما ، ومتعهما برضوانه ، وبالصحة والعافية .

كما أتقدم بجزيل شكري وعظيم امتناني إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور ضيف الله بن يحيى الزهراني ، الذي بذل الكثير من الجهد لإخراج هذا البحث(*) ، توجيهاً ومتابعة وقراءة ، وحرصاً أكيداً على أن يصل هذا البحث إلى أكمل صوره وأفضل مراحله .

وأود أن أشيد بسعة دربته وحنكته الأكاديمية ، والتي أسهمت في أن يتجاوز البحث الكثير من العقبات التي واجهته ، أسأل الله عز وجل أن يجزيه عني خير الجزاء .

كما أتقدم بالشكر إلى كل من تعاون في إخراج هذا البحث ، وعلى رأسهم أولئك الذين شاهدوا واستخدموا المدارس الحجازية وسمحوا بإجراء المقابلات معهم لإكمال المادة العلمية ، وهم سعادة الأستاذ محمد نور خوقير وسعادة الأستاذ مشرب أندجاني ، وسعادة الدكتور أسامة الراضي وسعادة الأستاذ عبدالرحمن دفتردار .

كما أود أن أشكر من أعانني في الوصول إلى اللوحات والخرائط الخاصة بالبحث ، بالإضافة إلى ما قدمه بعضهم من مشورة في مجال المادة العلمية ، وهم :

الدكتور سامي عنقاوي ، مدير عام مدرسة مؤسسة عمار للتراث ، والدكتور جمال عبدالرحيم ، الأستاذ المساعد بكلية الآثار بجامعة القاهرة ، والدكتور معراج مرزا ، الأستاذ بقسم الجغرافيا بجامعة أم القرى ، والدكتور سعد الدين أونال ، الباحث بمركز أبحاث الحج ، والأستاذ الشريف مساعد بن منصور آل زيد ، والأستاذ صالح حجار .

وأتقدم بالشكر أيضاً لمعالي الأستاذ الدكتور راشد الراجح ، مدير الجامعة السابق ، ومعالي الدكتور سهيل قاضي ، مدير الجامعة ، وسعادة عميد كلية الشريعة السابق الدكتور عابد السفياني ، وسعادة العميد الحالي الدكتور محمد بن صامل السلمي ، وسعادة رئيس قسم الحضارة والنظم الإسلامية بالجامعة ، وسعادة رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية . بالإضافة إلى الرسامين والطباعين والفنيين وغيرهم ممن أسهم في إنجاز هذا العمل ، والذين لا يسع المقام لذكرهم . فأشكرهم جميعاً وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزيهم عني خير الجزاء .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المقدمـــة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، أما بعد :

إن لكل دراسة أو بحث أهداف متعددة الجوانب ، مختلفة الأبعاد . وفي هذا الإطار تتدرج أهداف هذه الدراسة ، إلى أهداف عامة وخاصة .

فبالنسبة للأهداف العامة ، فيمكن حصرها في جانبين أساسيين :

أولهما : يرتبط بالتكوين الثقافي للمجتمع ، والذي يكون دائماً مرتبطاً إرتباطاً وثيقاً بالفكر التاريخي والحضاري . ففي هذا الفكر معين خصب تستزيد منه البشرية في فهم الظواهر الانسانية بأوجهها المتعددة ، ودراسة إشكاليات الحياة ، والأزمات الاجتماعية بأنواعها المختلفة .

ولذلك كان الفكر التاريخي الحضاري ، منبع وأصل معظم العلوم والدراسات الانسانية المعاصرة .

وبالتالي فإن إزدهار الفكر التاريخي الحضاري لدى أي مجتمع ، ينعكس إيجاباً على العلوم الانسانية المختلفة ؛ فينمو الفكر الاقتصادي وتتطور نظريات الاجتماع والإدارة والسياسة وغير ذلك ... بل إن هناك من الفنون التطبيقية ما تحتاج في بعض جوانبها إلى دراسة تاريخها حتى يتسنى الاستفادة من التجارب السابقة ، في دعم الاتجاهات النظرية المعاصرة .

ومن الأمثلة على ذلك أن دراسة تاريخ العمارة وفنون البناء ، أسهم في تقديم نظريات وأساليب جديدة في هذا المجال .

أما الجانب الثاني من جوانب الأهداف العامة ، فيرتبط بدراسة التاريخ الحضاري للمسلمين ، والذي له أهمية خاصة ترتكز على ربط المسلمين بماضيهم العريق ، مما يولد لديهم الانتماء لعقيدتهم وثقافتهم الاسلامية . ويزيد من تمسكهم بها والمحافظة عليها .

أما الأهداف الخاصة فيمكن حصرها في ثلاثة جوانب أساسية :

أولها : مرتبط بدراسة جانب من جوانب تاريخ العمارة الإسلامية . ومن المعروف أن أي حضارة من الحضارات تكون العمارة والفنون الصناعية فيها مرآة تعكس مدى ما وصلت إليه هذه الحضارة من تطور ورقي وازدهار .

ولقد شهدت الحضارة الاسلامية منذ بداية بزوغ فجرها المبارك نهضة معمارية عمرانية ، فحيثما حل المسلمون كانوا ينشؤون المدن ويبنون المساجد والبيوت والقلاع وغير ذلك من المنشآت العامة والخاصة .

واستمرت حركة البناء هذه تتواصل عبر الدول والعصور ، حتى بلغت ذروة تطورها في فترة الدراسة . ومن هنا فإن دراسة العمارة الاسلامية في هذه الفترة يعد محاولة للتعرف بعمق وعن كثب لما وصلت إليه الحضارة الإسلامية في هذا الجانب من تطور وازدهار .

أما ثاني هذه الجوانب ، فيرتبط بالمدرسة كمنشأة تعليمية ، تميزت بطراز معماري خاص بها .

وينبغي أن نلاحظ هنا أن المقصود بالمدرسة في الحضارة الإسلامية ، مؤسسات للتعليم العالي ، تماثل الجامعات في الوقت الحاضر . وهي بصورتها وتنظيماتها تعد من ابتكار المسلمين ، ومن إبداعات حضارتهم .

ولقد مرت هذه المؤسسات التعليمية بتطورات وظيفية بلغت بها الذروة في القرن التاسع الهجري ، مما يتطلب معه البحث في أثر ذلك على عمارتها .

وثالث هذه الجوانب ، ينحصر في جعل نطاق الدراسة ضمن إقليمين إسلاميين هما مصر والحجاز . فإن ذلك مرده أن الأول كان في تلك الفترة في قمة إزدهاره الحضاري .

وعلى الرغم من أن المدارس في مصر قد درست عمارتها ، فإن الدراسات التي تمت في هذا الشأن ترتكز بشكل أساسي على دراسة كل مدرسة كوحدة مستقلة بذاتها . ولا توجد دراسات تتطرق إلى عمارة المدارس في إطارها العام ، بحيث يتسنى من خلالها التعرف على مظاهر التنوع في عمارتها ، وهو ما قامت هذه الدراسة بالتركيز عليه ومحاولة استجلائه على أكمل وجه .

أما بالنسبة للحجاز ، فإن قلة الدراسات الخاصة بتاريخ العمارة فيه ، وانعدامها في مجال عمارة المدارس ، يعد دافعاً كافياً نحو سد الفراغ واستكمال النقص في هذا المجال . بل إن دراسة عمارة المدارس في الحجاز مكننا من التعرف على مدى التأثير المعماري لمصر على هذا الإقليم بحكم أنه كان تابعاً لها من جهة ، ومن جهة أخرى ، التعرف على مدى تأثير الخصائص الإقليمية على هذه العمارة ، وأثر ذلك في إعطاء العمارة الحجازية مدى معين من الخصوصية والذاتية .

وفي ضوء الأهداف السابقة ، وهي أهداف يمكن تحويلها إلى معطيات تشحذ الذهن وتدفع الهمم . قرر الباحث مستعيناً بالله دراسة موضوع [عمارة المدرسة في مصر والحجاز في القرن التاسع الهجري – دراسة ومقارنة] .

ومن خلال الاستقراء الواسع لجزئيات الموضوع من المصادر والمراجع المختلفة ، تم بناء البحث على أن يتكون من ثلاثة أبواب يسبقها تمهيد .

الباب الأول : نماذج لعمارة المدارس في مصر .

ويتكون هذا الباب من ثلاثة فصول ، بحيث يشمل كل منها دراسة وصفية لطراز من طرز عمارة المدارس في مصر .

ففي الفصل الأول جرى اختيار مدرسة وخانقاه فرج بن برقــوق بالصحراء . وهذه المدرسة تمثل أقدم نموذج باقي للمدارس ذات التخطيط الرواقي ، بل ومن أكثرها أهمية على الإطلاق ، نظـراً لضخامتها من جهة ، وتميزها من جهة أخرى . حيث تحتوي بالإضافة إلى الأروقة الأربعة ، على مئذنتين ومكتبي سبيل ، وملاحــق مختلفــة لا زالت معالم معظمها باقية حتى الوقــت الحاضــر .

ويتناول الفصل الثاني ، مدرسة برسباي بالأشرفية ، وهي تمثل أبرز المدارس ذات التخطيط المتعامد والصحن المكشوف ، في فترة الدراسة ، ولا زال بها بعض الملاحق باقية حتى الوقت الحاضر، بينما يمكن التعرف على بقية ملاحقها من خلال حجتها الشرعية التي لا زالت موجودة .

أما الفصل الثالث ، فيختص بمدرسة قايتباي ، وتمثل هذه المدرسة قمة ما وصلت إليه عمارة نظام القاعة في ذلك العصر ، حيث تتكون من صحن مسقوف يتوسط إيوانين متقابلين ، وسدلتين جانبيتين . وتعد هذه المدرسة بتخطيطها وعمارتها وزخارفها من أجمل ما أنتجته الحضارة الإسلامية في مجال العمارة وزخارفها .

أما الباب الثاني فعنوانه نماذج من عمارة المدارس في الحجاز.

وينبغي الإشارة هنا أن الذي تحكم في اختيار المدارس الثلاثة ، التي تتكون منها الفصول الثلاثة لهذا الباب ، ليس نوعية الطراز التي تنتمي إليه كل مدرسة ، وإنما ما توفر للبحث من معلومات عن المدارس الحجازية .

ويتناول الفصل الأول في هذا الباب ، المدرسة الباسطية بمكة المكرمة . وهي مدرسة تتسم بطراز معماري اختصت به المدارس الحجازية ، وهو نظام الحجرة . حيث جرى فيه تخصيص حجرة كقاعة للدرس بدلاً من الرواق والإيوان ، اللذان عادة ما يقومان بهذه المهمة .

أما الفصل الثاني فيتناول المدرسة الباسطية بالمدينة المنورة ، وهي مدرسة ذات إيوان واحد لا يشرف على صحنها .

وفي الفصل الثالث ، جرى وصف مدرسة قايتباي بمكة المكرمة ، وتعد هذه المدرسة من أبرز المدارس التي أنشئت في الحجاز في فترة الدراسة . ومن أهم ما يميزها أننا نرى فيها تأثيراً واضحاً للعمارة المصرية . وبذلك يمكن ـ وإلى حد بعيد ـ اكتشاف مجالات التنوع في أنظمة التخطيط المدرسي في الحجاز .

وقد توفر للبحث معلومات قيمة ومفيدة عن بعض المدارس الحجازية الأخرى وبخاصة المدرسة البنجالية وقد ساعدت هذه المعلومات في الدراسة التحليلية والمقارنة .

ويمثل الباب الثالث : الدراسة التحليلية والمقارنة .

ويجري في هذا الباب توظيف المعلومات التي في الدراسة الوصفية مع ربطها بما يتوفر من معلومات عن عمارة المدارس في مصر والحجاز بشكل عام . فيتسنى بذلك تقديم تصور متكامل عن عمارة المدارس في كلا الإقليمين ، سواء من ناحية التخطيط أو العمارة مع تأصيل كل ذلك .

ويتكون هذا الباب أيضاً من ثلاثة فصول . أولها يعنى بأنظمة التخطيط ، حيث جري فيه عرض طرز التخطيط في كل من مصر والحجاز ، ومجالات التنوع في كل طراز ، ومدى انتشاره ، وبداية ظهوره في كلا الإقليمين .

أما الفصل الثاني ، فيعالج عناصر التخطيط ، إذ أن كل مدرسة تتكون من كتل معمارية .

وقد تميزت كثير من مدارس ذلك العصر بأنها تحتوي على عدد كبير من الوحدات ، تشكل عناصر تخطيط المنشأة . وبالتالي فإن دراسة الأساليب التي اتبعها المعمار في توزيع هذه الوحدات في مصر والحجاز ، يعد أمراً بالغ الأهمية ، من حيث إثرائه لمستوى معرفتنا عن أساليب التخطيط والعمارة في ذلك العصر . مع الإشارة إلى العناصر التي ظهرت في إقليم ولم تظهر في الآخر وهكذا ...

أما الفصل الثالث ، فإنه يتناول أبرز العناصر المعمارية والزخرفية ، التي سادت في مدارس ذلك العصر ، مبيناً كيف تم توظيفها في عمائر ذلك العصر ، وما هي أصولها ، وأبرز مراحل تطورها وصولاً إلى القرن التاسع الهجري مع الإشارة إلى الفروق الإقليمية بين الحجاز ومصر في هذا الشأن .

ومما يجدر الإشارة إليه هنا ، أن الباحث ، ومن خلال رغبته الأكيدة في تقديم صورة متكاملة عن عمائر ذلك العصر ، عمل على أن يتجاوز في دراسته نطاق القرن التاسع الهجري . ولكن دون الخروج عن العصر الجركسي عموماً ، لأن الفترة الزمنية التي تسبق عصر الدراسة بقليل أو تتلوها ، تمثل مقدمات أو امتدادات لها .

كذلك حرص الباحث على عدم الاستفاضة في موضوع القباب ، بحكم أن جل استخدامها في عمائر ذلك العصر ، كان كمقابر لدفن الموتى ، وهو ما يخالف أحكام الشريعة الإسلامية . علاوة على أنها لم تخدم الغرض التعليمي للمدارس، بالإضافة إلى أنها درست دراسة موسعة من قبل عدد من الباحثين ،

مما ينفي الحاجة إلى دراستها إلا وفق ضرورات الدراسة الوصفية كما هو مبين في موضعه .

أما بالنسبة للمشكلات التي واجهت الباحث فهي كثيرة ، والحمد لله على كل حال ، حيث تميزت دراسة المدارس في مصر بوجود صعوبات ذات خصائص معينة ، بينما تميزت في الحجاز بوجود صعوبات من طابع آخر يناقض في بعض الأحيان ما هو موجود في مصر .

فبالنسبة لمصر ، فإن أول ما يصادف الباحث هو كثرة المعلومات المتعلقة بموضوع الدراسة ، فهناك ما يقارب الأربعين مدرسة لا تزال باقية حتى الوقت الحاضر ، وهناك عدد مماثل تقريباً من حجج الوقف ، بالإضافة إلى العشرات من المصادر ، وما يماثلها من المراجع ، والتي توزعت بين الكتب ، والرسائل العلمية ، والدوريات .

وبين كل ذلك نجد التعارض في الآراء ، والاختلاف في المواقف ، مما يجعل الباحث في حيرة من أمره ، وفي حاجة ماسة إلى أن يعمل التفكير تارة بعد أخرى ، حتى يجد مخرجاً ، أو يتبنى رأياً ، ويتخذ موقفاً واضحاً . وكل ذلك أخذ من الجهد والوقت الشيء الكثير .

كذلك فإن دراسةالوثائق تطلب الكثير من الجهد والوقت ، فوثيقة كافور الزمام على سبيل المثال بلغ طولها خمسة وسبعون متراً . وقراءة وثيقة كهذه يتطلب جهداً كبيراً وزمناً طويلاً ، خاصة وأن زمن الإطلاع في دار الوثائق يبلغ أربع ساعات يومياً فقط .

ويضاف إلى ذلك ، أن تعدد العمائر وفر للدراسة المقارنة ، مادة علمية واسعة ومتنوعة ، نظراً لأن كل مدرسة لا بد وأن تختلف عن الأخرى ، إن لم يكن في نظم التخطيط وطرزها ، فيكون في عناصرها وكيفية توزيعها

واستخدامها ، سواء على مستوى عناصر التخطيط ، أو على مستوى العناصر المعمارية والزخرفية . وعلى الرغم مما يكمن في ذلك من عناصر الروعة والجمال والإبداع، فإنه يكمن فيه أيضاً صعوبة تقديم ذلك ميسراً وسهلاً للقارئ . فعرض كل موضوع وما يرتبط به من عناصر للمقارنة يتطلب اختيار عدد محدود من الأمثلة من بين العشرات منها . مما يعني بدوره إختيار عدد محدود من البطاقات واللوحات من بين عشرات البطاقات واللوحات والأشكال . وتكمن الصعوبة هنا في البحث عن الأنسب والأمثل بالنسبة لكل موضوع من موضوعات المقارنة . فإذا أخذنا بعين الاعتبار أن عدد هذه الموضوعات يصل إلى المئات ، فهذا يعني ان الاختيارات تصل إلى الآلاف .

وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لمصر ، فإن الأمر على النقيض منه في الحجاز ، حيث واجه البحث قلة في المعلومات وندرتها ، بل وانعدامها في بعض الأحيان . لأن المدارس الحجازية التي تعود لفترة الدراسة إندثرت تماماً ولم يعد لها وجود في الوقت الحاضر .

ولذلك فقد انطلقت الدراسة بالنسبة لهذا الجانب على أساس أن يتم تقوية هذا النقص في المعلومات بالإعتماد على وثائق العصر الجركسي ، والتي تتميز بأنها تقدم وصفاً معمارياً تفصيلياً للعمائر الموقوفة ، سواءً أكانت مساجد أو مدارس أو غيرها ...

وبالتالي فإن من المؤكد أن للمدارس الحجازية التي أنشأها سلاطين وأمراء المماليك ، حججٌ وقفية في مصر ، كما هو الحال بالنسبة للمدارس التي أنشئت في بلاد الشام كدمشق ، وحلب وبيت المقدس وغزة ، وغير ذلك ...

وبعد أن تمكن الباحث من الحصول على تصاريح الاطلاع في جهات حفظ الوثائق بمصر ، وبعد البحث الذي استغرق فترات طويلة ، تبين أن

سلاطين وأمراء ذلك العصر لم يعنوا بتوثيق منشآتهم التي أنشأوها في الحجاز في حجج وقفية في مصر .

وإزاء هذا الوضع ، عمل الطالب على البحث عن هذه الحجج لدى الجهات المعنية بالأوقاف بمكة المكرمة والمدينة المنورة . وتبين له من بحثه هذا ، وجود سجلات تتعلق باستغلال بعض هذه المنشآت ، ولكن لا يتوفر ضمن ذلك مادة علمية تخدم أهداف الدراسة . وتبعاً لذلك ، عمل الطالب على استكمال معلوماته عن المدارس الحجازية من منابع أخرى ، تضاف إلى ما ورد في المصادر التاريخية.

وهنا اتجه الباحث نحو تصفح الصور القديمة التي التقطت للمدينتين المقدستين ، بالإضافة إلى الخرائط ، حيث تمكن من خلال ذلك من توفير مادة علمية مناسبة ، أسهمت في سد جوانب نقص كبيرة ، وقام الطالب أيضاً بالبحث عمن شاهدوا هذه العمائر واستخدموها قبل هدمها ، مما أدى إلى استكمال بقية الجوانب الناقصة في هذا المجال .

وأضحى بالإمكان إيجاد تصور واضح ودقيق عن عمارة المدارس الحجازية في فترة الدراسة .

وبطبيعة الحال فإنه لا يفوت أي قارئ إدراك مدى صعوبة الوصول إلى كل ذلك . فمن كان يتصور أن تقوم هيئة المساحة المصرية ، بعمل خرائط للمدينتين المقدستين ، ويظهر عليهما مساقط لبعض المدارس الجركسية ، ومن كان يتصور أن تقوم عدسة التصوير بعمل لوحات للعمائر في المدينتين المقدستين منذ أكثر من مئة سنة . ويظهر من خلال ذلك أجزاء من مدارس جركسية . وأين توجد هذه الصور ، وهل هي ضمن مجموعات تملكها

مؤسسات حكومية أو خاصة ، أو أفراد . إن الوصول إلى كل ذلك تطلب جهداً مضنياً استغرق عدة سنوات .

كذلك فإن التعرف على من شاهد هذه العمائر واستخدمها وموافقتهم على إجراء المقابلات معهم ، لم يكن ليمر بيسر وسهولة ، بل تطلب أيضاً الكثير من الوقت والجهد .

هذه هي قصة هذا البحث ، ومشواره الذي قد يبدو طويلاً في ظاهره ، بينما هو في الحقيقة قصير في حق طلب العلم ، والسعي وراء المعرفة .

وفي الختام ، فإن وفقت في تحقيق الأهداف المنشودة ، فإن ذلك ما كان ليحدث لولا فضل الله عز وجل وتوفيقه ورعايته . أما عن أوجه القصور التي قد تظهر هنا وهناك ، فهذا من طبيعة البشر ، لأن الكمال لله عز وجل .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الباحث / عدنان محمد فايز الحارثي

تعريف بأهم المصادر والمراجع
التي اعتمدت عليها الدراسة

لقد استفاد البحث من عدد من المصادر والمراجع التي زودته بما يحتاجه من مادة علمية ، ثم من خلالها تكوين الجزء الأساسي من بنيانه ، ومن أبرز هذه المصادر والمراجع مايلي :

كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار(١) :

وهو من تصنيف صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي ، الشهير بابن دقماق ، والمتوفى سنة « ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦م » . ووالده من أمراء دولة المماليك وأعيانها . نشأ وترعرع في مدينة القاهرة وبها تعلم الفقه والتاريخ ، الذي كان له فيه العديد من المؤلفات أبرزها كتابه هذا(٢) . والمكون من مجلدات عدة تتضمن الجغرافيا العمرانية والاقتصادية لمصر ومدنها وقراها . وقد فقد معظمها ، ولم يبق منها سوى جزءان يشتملان في الغالب على ذكر للفسطاط وخططها وأبرز عمائرها(٣) .

وعلى الرغم من قلة المعلومات التي استفاد منها البحث من هذا الكتاب إلا أنها تظهر بشكل جلي في النصوص التي أمكن من خلالها تأصيل بعض نظم التخطيط المدرسي بالإضافة إلى تعريف بعض المنشآت التي ورد ذكرها في ثنايا فصول البحث .

---

(١) قام بالعناية بنشر هذا الكتاب لجنة إحياء التراث العربي بدار الآفاق الجديدة ، بيروت .

(٢) إبن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي ، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور ، مكة المكرمة ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م ، مقدمة المحقق ، ص ٨ - ١٥ ، ابن العماد ، عبد الحي الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت ج٧/ ص ٨٠ - ٨١ . محمد عبدالله عنان ، مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م ، القاهرة ، ص ٤٨ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ٤٨ ، وانظر هامش ٣ من نفس الصفحة .

كتابا شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين[١] :

وكلاهما لمحمد بن أحمد بن علي الحسني الفاسي، المعروف بتقي الدين ، المتوفى سنة ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨م . ولد بمكة وقضى نشأته في المدينة المنورة ، وعاد في شبابه إلى مكة المكرمة حيث أخذ ينهل من علمائها ، وارتحل بعد ذلك طالباً للعلم ، وعندما عاد إلى مكة المكرمة أخذ أمره بالصعود حتى ولي عدداً من المناصب الإدارية والعلمية ، له مصنفات عدة أبرزها هذين الكتابين[٢] .

ويعد كتاب شفاء الغرام من المصنفات المميزة عن تاريخ مكة المكرمة ، حيث يحتوي على معلومات متنوعة عنها ، تشمل النواحي العمرانية والاقتصادية والدينية والاجتماعية . ولقد استفاد البحث كثيراً من هذا الكتاب لما يحتوي عليه من معلومات عن مدارس مكة حتى زمن المؤلف ، بالإضافة إلى أوصافه المستفيضة عن الحرم المكي الشريف والتي أفادت البحث في إجراء المقارنات المعمارية .

أما كتاب العقد الثمين ، والمكون من ثمانية أجزاء ، فهو في الأصل كتاب تراجم لأمراء مكة وأعيانها ، وإن كان قد بدأ فيه مؤلفه بإيراد بعض المعلومات

---

(١) قام بتحقيق الأول عبدالسلام التدمري ، وطبع طبعة ثالثة سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م في بيروت ، أما الكتاب الثاني فقد عني بنشره مجموعة من الباحثين دون أن يقوموا بتحقيقه وضبط نصوصه . ونشرت أجزائه الثمانية على فترات فيما بين سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٩م وسنة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م بالقاهرة .

(٢) الفاسي ، شفاء الغرام ، ج١ / ص ٧-٩ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ج٧ / ص ١٩٩ ، محمد الحبيب الهيلة ، التاريخ والمؤرخون بمكة « من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر »« جمع وعرض وتعريف » الطبعة الأولى ١٩٩٤م ، ص ١١٣ – ١١٥ ، بندر محمد رشيد الهمزاني ، علاقات مكة المكرمة الخارجية في عهد أسرة الهواشم ، رسالة ماجستير كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ص ١٣ .

عن مكة تتضمن فضائلها وأسمائها ، وأشــهر عمائرها[1] . ولقد اســتفاد البحث من هذا الكتاب في ترجمة بعض من وردت أسمائهم في متن الدراسة ، بالإضافة إلى بعض النصوص عن بعض المدارس التي أنشأها هؤلاء بمكة المكرمة أو المديــنة المنــورة .

كتابا المواعظ والاعتبار بذكر الخـطط والآثـار ، والسلوك لمعرفة دول الملوك[2] :

وكلاهما لتقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر المقريزي الشافعي ، والمتوفى سنة « ٨٤٥هـ/١٤٤١م »[3] . أبرز مؤرخي مصر في العصر الجركسي ، له العديد من التصانيف في علوم شتى ، أبرزها علم التاريخ[4] .

وكتاب المواعظ والاعتبار ، المشهور بالخطط المقريزية ، موسوعة متكاملة عن تاريخ مصر وجغرافيتها ، وإن كان تركيزه ينصب على جغرافية عواصم

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص١٣ – ١٤.

(٢) قام بتحقيق قسم من هذا الكتاب المستشرق الفرنسي بول كزانوفا . ولم يتسنّ لي الإطلاع على عمله هذا . ونشر الكتاب كاملاً غير محقق في القاهرة طبعة بولاق المعروفة ، وأعادت دار صادر ببيروت طبعاتها بالأوفست . أما كتاب السلوك فقد قام محمد مصطفى زيادة بتحقيق جزئيه الأولين بينما أتم سعيد عاشور تحقيق بقية الكتاب ، ونشر الكتاب على مراحل فيما بين سنتي ١٩٣٤م – ١٩٧٣م .

(٣) ابن حجر ، الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، بيروت ج ٩ / ص ١٧٠ – ١٧٢ ، الشوكاني محمد بن علي ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، بيروت ، ج١ / ص ٧٩ ، ٣٣٨ – ٣٣٩ ، محمد عبدالله عنان ، مؤرخوا مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري ، القاهرة ص ٨٥ – ١٠٤ .

(٤) المقريزي ، أحمد بن علي ، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة . تحقيق : محمد كمال الدين عز الدين علي ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م . بيروت ، مقدمة المحقق ، ج١ / ص ٣٤ – ٣٧ ، مصطفى الشكعة ، مناهج التأليف عند العلماء العرب « قسم الأدب » الطبعة الرابعة ، ١٩٨٢م ، بيروت ، ص ٧٤٦ – ٧٤٧ .

مصر الإسلامية وعمرانها[1] . وقد استفاد منه البحث ، فيما يوفره من نصوص قيمة عن مدارس القاهرة ، أمكن من خلال بعضها التعرف على أصول بعض نظم التخطيط المدرسي .

أما كتاب السلوك ، فهو كتاب يؤرخ للدول والملوك الذين تولوا حكم مصر منذ بداية العصر الأيوبي ، حتى عصر المؤلف ، مرتباً حوادثه ترتيباً سنوياً[2] .

ولقد أفاد هذا الكتاب البحث بما احتواه من معلومات قيمة عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في النصف الأول للقرن التاسع الهجري مما مكّن من فهم الظروف المختلفة التي أنشئت فيها بعض العمائر التي تطرقت إليها الدراسة الوصفية .

كتاب إتحاف الورى بأخبار أم القرى[3] :

من تصنيف محمد بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمي القرشي المكي الشهير بالنجم عمر[4] ، المتوفى سنة « ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م » . ولد بمكة المكرمة ، وبها تلقى تعليمه على يد أبرز علماء ذلك العصر ، ثم رحل لطلب العلم في أقاليم مختلفة من العالم الإسلامي[5] .

---

(١) محمد عبدالله عنان ، مصر الإسلامية ، ص ٥٤ .

(٢) المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١ / ص ٥ – ٦ .

(٣) حقق فهيم شلتوت الأجزاء الثلاثة الأولى من الكتاب بينما حقق عبدالكريم باز الجزء الرابع . وقد نشرت جامعة أم القرى هذا الكتاب فيما بين عامي ١٤٠٣هـ – ١٤٠٨هـ .

(٤) السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ؛ بيروت ، ج ٦ / ص ١٢٦ .

(٥) إبن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، مقدمة المحقق ج١ / ص ٨ – ١٤ ، محمد الحبيب الهيلة ، التاريخ والمؤرخون بمكة ، ص ١٤٧ – ١٥٨ . ناصر بن سعد الرشيد ، بنو فهد مؤرخو مكة المكرمة والتعريف بمخطوط النجم بن فهد ، إتحاف الورى باخبار أم القرى ، بحث ضمن كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م . الرياض ج٢/ص٦٩–٧٠.

وللنجم عمر مؤلفات عدة في التاريخ وعلم الحديث ، أبرزها كتابه هذا الذي رتب حوادثه بحسب السنين ، تضمنها الكثير من المعلومات عن مكة المكرمة ، وتاريخها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعمراني[١] . واستفاد البحث منه كثيراً خاصة فيما قدمه من معلومات عن العديد من المدارس التي أنشئت في العصر المملوكي .

كتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع [٢] :

للحافظ شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي الشافعي، وكنيته « أبو الخير » ، المتوفى سنة « ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦م » . ولد بالقاهرة وبها نشأ وتعلم قبل أن يرحل طالباً للعلم ، وقد برع في علوم شتى أبرزها التاريخ والحديث[٣] .

وكتاب الضوء اللامع ، يعد سفراً كبيراً ، لما يحتويه من ذكر لتراجم الأعيان في القرن التاسع الهجري ، مرتبين على حروف المعجم[٤] . وقد استفاد البحث منه كثيراً خاصة في التراجم ، وذكره لوظائف منشآت ذلك العصر ، وما يحتويه بعضها من وحدات معمارية .

---

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج١ / ص ١٧ – ١٨ ، محمد الحبيب الهيلة ، التاريخ والمؤرخون بمكة ، ص ١٤٩ ، بندر الهمزاني ، علاقات مكة الخارجية في عهد أسرة الهواشم ، ص ١٦ .

(٢) نشرت مكتبة دار الحياة ، بيروت هذا الكتاب متضمناً بعض التصحيحات والتعليقات بيد أنه لم يجر تحقيقه حتى الوقت الحاضر رغم أهميته .

(٣) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٨ / ص ١٥–١٧ ، مصطفى الشكعة ، مناهج التأليف عند العلماء العرب ، ص ٧٥١ .

(٤) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج١/ ص ٥ .

كتاب وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى [1] :

من تأليف نور الدين علي بن أحمد بن عيسى السمهودي . ولد بمصر ، وبها نشأ وتعلم ، قبل أن ينتقل إلى المدينة المنورة ، ويستقر به المقام ، حيث توفي سنة ٩١١ هـ / ١٥٠٥م[2] ، تاركاً عدة مؤلفات أبرزها كتابه هذا[3] . والذي يعد كتاباً شاملاً عن أخبار المدينة وآثارها[4] ، وبخاصة عمارة الحرم النبوي الشريف . واستفاد البحث منه في الدراسة الوصفية والتحليلية .

كتاب بلوغ القرى في الذيل على إتحاف الورى [5] :

لعبد العزيز بن النجم عمر بن فهد الهاشمي ، المتوفى سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م من بيت علم وتاريخ ، ولد بمكة وبها كانت نشأته وتعليمه ، ليرحل بعد ذلك طلباً للعلم . برع في علم الحديث بالإضافة إلى التاريخ[6] .

---

(١) قام بالتعليق عليه والعناية بنشره محمد محي الدين عبدالحميد ونشرته دار إحياء التراث العربي ببيروت وطبع عدة مرات ، آخرها الطبعة الثالثة سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، والتي اعتمد عليها البحث هنا .

(٢) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٨/ ص ٥٠ – ٥١ .

(٣) السمهودي ، وفاء الوفاء ، مقدمة المحقق ج١ / ص ٥ .

(٤) محمد هزاع الشهري ، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي ، رسالة ماجستير ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص « ع » .

(٥) لا يزال الكتاب مخطوطاً وله نسخة مصورة بمعهد البحوث بجامعة أم القرى برقم ٢٧٤٧ .

(٦) عبدالعزيز بن عمر بن فهد الهاشمي ، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م مكة المكرمة، مقدمة المحقق ٧ ـ ١٣ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٨ / ص ١٠٠ ـ ١٠٢ ، محمد الحبيب الهيلة ، التاريخ والمؤرخون بمكة ص ١٧٠ ـ ١٧٢ .

وكتابه هذا ذيل على كتاب والده السابق ذكره ، حيث سار على نفس منهجه في تدوينه[1] ، وقد استفاد منه البحث كثيراً فيما ذكره من نصوص عن مدرسة قايتباي ، أمكن من خلالها تحديد بعض معالمها المعمارية .

كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور[2] :

من تصنيف محمد بن أحمدبن اياس الحنفي المتوفى سنة ٩٢٨ هـ/ ١٥٢٢ م وهو من سلالة أمراء المماليك ، وله عدة مؤلفات في التاريخ[3] ، أبرزها كتابه هذا ، والذي يتحدث عن تاريخ مصر منذ بداية العصر الإسلامي ، وإن كان قد بدأه بموجز عن جغرافية مصر وفضائلها وشيء من تاريخها القديم[4] .

وتكمن أهمية هذا الكتاب بما تضمنه من معلومات تاريخية عن فترة الدراسة تشمل الحوادث السياسية والمظاهر الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية، مع ذكر للكثير من العمائر التي أنشئت في تلك الفترة ، ووظائفها ، وظروف إنشائها ، أفادت البحث كثيراً ، سواء في الدراسة الوصفية أو التحليلية .

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ١٧٢ .

(٢) قام بنشر هذا الكتاب وضبط نصوصه محمد مصطفى زيادة ، وطبعته جمعية المستشرقين الألمانية ، سنة ١٩٧٥م وأعادت الهيئة العامة المصرية للكتاب طبعه ثانياً سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

(٣) خير الدين الزركلي ، الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٤م ، ج ٦ / ص ٥.

(٤) ابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، مقدمة المحقق ، ج ١/ ق ١/ ص ٧.

كتاب الأعلام بأعلام بلد الله الحرام[1] :

لقطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي الشهير بالقطبي ، والمتوفى سنة [٩٩٠ هـ / ١٥٨٢ م][2] . ولد بالهند وبها نشأ ثم ارتحل بعد ذلك حتى استقر به المقام في مكة المكرمة ، حيث حظي عند أمرائها وكان له اتصال بسلاطين آل عثمان[3] .

وللنهروالي مؤلفات عده منها كتابه هذا والمتضمن وصف لمكة المكرمة وموقعها وتكوينها العمراني ، وذكر لعمارة المسجد الحرام . ومن ولي حكمها من الدول الاسلامية وصولاً إلى دولة آل عثمان بالإضافة لذكر ما بها من مباني دينية[4] .

ولقد قدم الكتاب للبحث نصوص جيدة عن عمائر مكة ، وبالأخص المدارس التي تضمنتها الدراسة الوصفية .

كتاب تاريخ عمارة المسجد الحرام « بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم وغير ذلك »[5] :

من تأليف حسين عبدالله باسلامة الحضرمي ، وفيه تتبع تاريخي دقيق لعمارة المسجد الحرام كما أن المؤلف عايش التوسعة السعودية الأولى . فتمكن من مشاهدة الحرم وما يحيط به من منشآت فأشار إليها .

---

(١) طبع هذا الكتاب أكثر من طبعة وقد اعتمد البحث على طبعة حجرية غير مؤرخة ومحفوظة بقاعة مكة المكرمة بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى .

(٢) ابن العماد ، شذرات الذهب ج ٨ / ص ٤٢٠ .

(٣) عبدالكريم القطبي ، إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام تحقيق أحمد محمد جمال ، عبدالعزيز الرفاعي، عبدالله الجبوري، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، الرياض ، مقدمة المحققين، ص ١٣ـ١٩.

(٤) محمد الحبيب الهيلة ، التاريخ والمؤرخون بمكة ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٥) طبع الكتاب طبعات ثلاث آخرها سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، في جدة .

وقرأ الكثير من النصوص التأسيسية التي على أبواب الحرم . ومنها نصوص تعود للعصر الجركسي أفادت البحث وبخاصة النص التأسيسي لمدرسة قايتباي بمكة المكرمة كما أنه أورد معلومات عن عمارة الحرم المكي في العصر الجركسي استفاد منها البحث كثيراً .

كتاب مدارس مكة[1] :

للأستاذ ناجي معروف، والذي يعد أقدم من كتبوا عن المدارس الإسلامية، وعلى الرغم من صغر هذا الكتاب فإن له الأسبقية في كتابة هذا الموضوع حيث تناول تاريخ انشاء المدارس في مكة منذ دخولها حتى العصر العثماني فكانت له فائدته في التعرف عليها والترجمة لها .

كتاب معاهد تزكية النفوس[2] :

من تصنيف دولت عبدالله، وهو في الأصل مختصر لرسالتها للدكتوراه ، وعنوانها [الخوانق في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي] .

وفي هذا الكتاب وصف معماري للكثير من المدارس الجركسية بمصر ، والتي كانت تقوم بدور الخوانق أيضاً، ومنها المدارس التي تضمنتها الدراسة .

كتاب مساجد مصر وأوليائها الصالحون[3] :

من تصنيف سعاد ماهر محمد ، وفيه ذكر للكثير من العمائر الدينية بمصر ، بما في ذلك المدارس مع وصف معماري موجز للمتبقي منها .

---

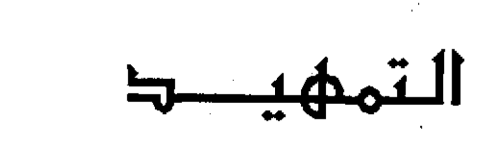
(١) طبع هذا الكتاب طبعة أولى سنة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .

(٢) طبع هذا الكتاب طبعة أولى سنة ١٩٨٠ م .

(٣) صدر هذا الكتاب في خمسة أجزاء فيما بين سنتي ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م ـ ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م .

فتضمن الكتاب بذلك عمائر الدراسة الوصفية والتحليلية فكانت له فائدة كبيرة في الجانبين .

وكذلك استفاد البحث من مراجع حديثة عربية وأجنبية ودوريات عدة ، ورسائل علمية أغلبها لم ينشر ، إضافة إلى العديد من الوثائق المتعددة والمتنوعة، والتي بدورها أضفت مزيداً من المعلومات المفيدة لهذه الدراسة .



التمهيد

أ - أهمية التعليم في الإسلام .

ب - النظريات المتعددة حول أصل التخطيط المدرسي .

أ ـ أهمية التعليم في الإسلام :

رفعت تشريعات الدين الإسلامي من قيمة العلم ، ووضعته في مكانة سامية جليلة ، فأولى آيات القرآن الكريم نزولاً ، تقرر أهمية العلم ، قال تعالى: ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ « سورة العلق ، آية ١ ـ ٥ » . فالعلم والمعرفة مستمدة من الخالق سبحانه وتعالى ، ومنه جل شأنه اكتسبها ابن آدم . بل إن الآيات الكريمة أشارت إلى « القلم » كأبرز أدوات التعليم والكتابة التي عرفها الإنسان في تاريخه الحضاري[١] . كما أن في ذلك تكريماً للإنسان الذي جاءت معارفه بفضل من الله سبحانه وتعالى[٢]. ومن ذلك جاء قوله تعالى : ﴿ الرحمن، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان ﴾ « سورة الرحمن ، آية ١ ـ ٤ » . إن هذا الإدراك المتسامي والذي يربط العلم والمعرفة بالله سبحانه وتعالى ، جعل العلم في الإسلام عبادة[٣] ، وفريضة على كل مسلم ، حيث قال الرسول عليه الصلاة والسلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم » [صحيح][٤] ، وورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : « العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، العلم حاكم والمال محكوم عليه ، والمال تنفقه النفقة ، والعلم يزكو بالإنفاق »[٥] .

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، الطبعة السابعة ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، بيروت جـ٦/ ص ٣٩٣٩ .

(٢) سليمان الخطيب ، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، القاهرة ، ص ٢٦٢ .

(٣) زيغريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة ، فاروق بيضون ، وكمال دسوقي ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٩م ، بيروت ، ص ٣٦٩ .

(٤) محمد ناصر الدين الألباني ، صحيح الجامع الصغير وزيادته « الفتح الكبير » ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، بيروت ، جـ٤/ ص ١١ .

(٥) أحمد شلبي ، التربية الاسلامية « نظمها ـ فلسفتها ـ تاريخها » ، الطبعة السادسة ١٩٧٨م ، القاهرة ص ٢٨٧ .

وإذا كان هذا هو العلم في الإسلام ، فإن حملته حازوا فيه على مكانة عالية ، فالعلماء ليسوا كغيرهم من سائر الناس ، وإنما هم أفضل وأعلى ، قال تعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ « المجادلة آية ٥٨ » ، بل إن هذا التفاضل ورد في القرآن الكريم في صيغة تساؤل يقود القاريء إلى نفس النتيجة ، قال تعالى : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ « سورة الزمر آية ٩ » . فالفارق بين الطرفين في نظر الإسلام عظيم ، ولذلك وجب على المسلمين إحترام العلماء وتقديرهم وإجلالهم ، فقد ورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال « ليس منا من لم يجل كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه » [حديث حسن][١] ، وقيل أن أربعة يسود بهم المرء وهم : العلم ، والأدب ، والصدق ، والأمانة[٢]. وقيل أيضاً : « ... العلم زين لصاحبه في الرخاء ، ومنجاة له في الشدة »[٣] .

وكما للعلماء مكانتهم ، فإن لطلبة العلم أيضاً ، مكانة مماثلة ، ويكفي في ذلك شرفاً وفخراً ، أن الله عز وجل أمر عباده أن يسألوه أن يعلمهم ، قال تعالى : ﴿ وقل ربي زدني علماً ﴾ « سورة طه ، آية ١١٤ » .

كما ورد في الحديث أن العلم سبيل إلى مرضاة الله عز وجل ودخول جنته ، حيث قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « ما خرج رجل من بيته يطلب علماً ، إلا سهل الله له طريقاً إلى الجنة » [حديث صحيح][٤] .

---

(١) الألباني ، صحيح الجامع الصغير ، جـ٥ / ص ١٠٢ .

(٢) الأبشيهي ، شهاب الدين محمد أحمد ، المستطرف في كل فن مستظرف ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، بيروت ، ص ٣٧ .

(٣) أحمد شلبي ، التربية الاسلامية ، ص ٢٨٧ .

(٤) الألباني ، صحيح الجامع الصغير ، جـ ٥ / ص ١٤٣ .

إن تلك المكانة التي يوليها الإسلام ، للعلم وأهله ، لم تكن وليدة للترف الحضاري ، وإنما نبعت من نظرة عملية ، لأهمية هذا الجانب من جوانب هذه الحياة على الأرض ، فالعلم في الإسلام طريق لمعرفة الدين الحق(١) ، بحكم أن العلماء أقدر على معرفة آلاء الله وآياته ، قال تعالى : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾« سورة العنكبوت ، آية ٤٣ » .

وهذه المعرفة التي تورث قلوب العلماء ، تتحول إلى خشية من الله عز وجل ، فيعمر الدين في القلوب ، قال تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾« سورة فاطر ، آية ٢٨ » .

ولكي تتحقق لدى الإنسان المسلم المعرفة العلمية الحقة ، فلقد وجهه الشارع إلى مجالين أساسيين ، الأول ينصب على دراسة أحكام الشريعة الإسلامية والتفقه فيها ، فحث القرآن الكريم على أن يكون هناك طائفة من المؤمنين ، على دراية بالحلال والحرام ، وفقه بأحكام الدين(٢) ، لأن الأمة الإسلامية تحتاج في كل زمان ومكان لأمثالهم ، قال تعالى : ﴿ ما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ، ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾« سورة التوبة ، آية ١٢٢ » .

أما المجال الثاني ، فهو دراسة ظواهر الحياة والكون ، والتعرف على سنن الله عز وجل في هذا الوجود ، فيتأكد الإيمان من خلال ذلك ، ويستطيع الإنسان أيضاً من خلال هذه المعارف ، عمارة الأرض ، وتحقيق مبدأ الخلافة فيها(٣) .

---

(١) زيغريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٣٦٩ .

(٢) عمر سليمان الأشقر ، تاريخ الفقه الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م ، ص ١١ .

(٣) أحمد فؤاد باشا ، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، القاهرة ، ص ٢٩ ، ٣٥ – ٣٧ .

ومن هنا وجهت آيات القرآن الكريم المسلم نحو تحقيق هذه المقاصد ، فطالبته آيات القرآن الكريم، النظر والتفكر في خلق الله، الجامد منه والحي، قال تعالى: ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ « سورة الغاشية، آية ١٧ ـ ٢٠ » ، وقال تعالى : ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ « سورة الذاريات آية ٥١ » ، وقال تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به لأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ « سورة البقرة ، آية ١٦٤ » .

ولقد ترتب عن هذه التوجيهات نتائج عميقة الأثر ، ميزت حياة المسلمين عن غيرهم ، فأضحى طلب العلم جانباً أساسياً في هذه الحياة[١]، بل إن المسلمين أخذوا ينظرون إلى العلم والعملية التعليمية ، من حيث ذاتهما وطبيعة مكوناتهما ، فأبن خلدون عندما يقدم للإنسانية ، ولأول مرة علم الاجتماع ، يناقش فيه الظاهرة العلمية كجزء من التكوين الاجتماعي للإنسان ، ويبين من خلال ذلك الأسباب التي أدت إلى نشوء هذه الظاهرة في حياة البشر[٢] ، كما بين العلاقة بين المستوى العلمي للمجتمعات الإنسانية ، ومستواها الحضاري ، مشيراً إلى أنها علاقة طردية ، تنمو في كلا الجانبين ، بنمو أحدهما[٣] .

---

(١) زيغريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٣٩٣ – ٣٩٨ .

(٢) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ، المقدمة ، بيروت ، ص ٤٢٩ – ٤٣٠ .

(٣) المصدر السابق نفسه ، ص ٤٣٤ – ٤٣٥ .

كذلك نجد في مصادر التراث الإسلامي ، مناقشات مستفيضة ، لكيفية أداء العملية التعليمية ، وما ينبغي أن يقوم به المدرسون في هذا الصدد[1] .

عـلاوة على قيام بعـض هـذه المصادر بتوضيح أسلوب التعليم وطرائقـه التي كانت متبعـة في العالم الإسلامي في ذلك العصر[2] ، كما أنها قامت بوضع تصنيفات للعلوم ، تميز بعضها عن البعض[3] ، مع تبيان خصائص كلاً منها[4] . وكيف يتم استيعاب هذه العلوم من قبل الطلبة ، وأن الأمر يتم وفق مراحل متعددة ، ينبغي أن يتدرجوا فيها قبل أن يصلوا إلى المرحلة المناسبة ، فيمكن إعتبارهم من جملة العلماء[5] .

ولم يقف المسلمون عند هذا الحد ، بل إنهم أثبتوا نضجهم العلمي ، بتناولهم أثر التراكم المعرفي في استيعاب هذه العلوم ، حيث أن كثرة التأليف ، تجعل من الصعب على الطلبة إستيعابها جميعاً ، وبالتالي لا بد من جمعها في بوتقة واحدة، وذلك بتنقيح هذه الكتب، وجمع فائدتها في عدد قليل من المؤلفات ، مع مراعاة عدم إختصارها بطريقة تخل بالمعنى[6] .

---

(١) السبكي ، تاج الدين عبدالوهاب ، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار ، أبو زيد شلبي ، محمد أبو العيون ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م ، القاهرة ، ص ١٠٥ – ١٠٦ .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٥٣٧ – ٥٤٠ . حسين عبدالله بانبيلة ، ابن خلدون وتراثه التربوي ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، بيروت ص ٦٣ – ٧٥ .

(٣) فؤاد سزكين ، محاضرات في تاريخ العلوم العربية والاسلامية ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، فرانكفورت ، ص ٢٤ – ٢٥ .

(٤) ابن خلدون ، المقدمة ص ٤٣٥ – ٥٣١ ، الكتاني ، عبد الحي الإدريسي ، التراتيب الادارية ، بيروت ، جـ ٢ / ص ١٨٨ – ١٩٩ .

(٥) السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، ص ٧٨ ، ٨٢ ؛ ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٥٣٣ .

(٦) المصدر السابق نفسه ، ص ٥٣١ – ٥٣٣ .

ب ـ النظريات المتعددة حول أصل التخطيط المدرسي :

يعد إنشاء المدارس بداية عصر جديد في تطور العمارة الإسلامية[1] ، حيث أضافت إلى أنواع العمائر التي كانت معروفة حينئذ ، نوعاً جديداً في تخطيطه ، وتكويناته المعمارية والزخرفية .

ولقد أثار هذا التطور انتباه عدد من علماء الآثار من مستشرقين وعرب ، فعملوا على محاولة تقديم تفسيرات يمكن من خلالها التعرف على الأصول التخطيطية التي كانت متبعة في عمارة المدارس .

ويعود بداية تاريخ هذه المحاولات إلى أوائل القرن ١٤هـ / أواخر القرن ١٩ م[2] . واستمرت حتى وقتنا الحاضر . الأمر الذي ترتب عنه ظهور عدد كبير من النظريات. مما دفع ببعض الباحثين إلى تقسيمها إلى عدة أقسام ، يندرج ضمن كل منها نظرية أو أكثر .

ومن هؤلاء عباس حلمي[3] الذي يرى أن هذه النظريات يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أقسام أساسية ، أولها : الذي يعتبر أن مصدر تخطيط المدارس ، هو الكنائس السورية البيزنطية ، وثانيها : يرى بأن تخطيط المدارس مشتق من نظام القاعة المصرية ، أما ثالثها : فمنبع نظرياته المباني السكنية الفارسية ، أو السورية القديمة .

---

(١) أمال العمري ، مدرسة قطلوبغا الذهبي ، مجلة دراسات أثرية إسلامية ، ١٩٨٨م ، القاهرة جـ ٣ ، ص ١٩ .

(٢) أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ، القاهرة ، جـ ٢ / ص ١٢٥ ، عباس حلمي ، المدارس الإسلامية ودور العلم وعمارتها الأثرية ، نشأتها وتاريخها وتخطيط عمائرها ، مجلة كلية الشريعة ، جامعة الملك عبدالعزيز ، السنة الثالثة ١٣٩٧هـ – ١٣٩٨هـ / العدد الثالث ، مكة المكرمة ، ص ١٣٦ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٢ .

أما حسن الباشا[1] ، فلقد قسم هذه النظريات ، على أساس الطراز الفني الذي إستمدت منه النظرية فكرتها ، بالإضافة إلى نوعية المباني التي أُسْتُمِدْت منها نظم التخطيط المدرسي .

فمن حيث الطراز الفني ، فقد اختلفت هذه النظريات في تحديدها لأصل الطراز الفني ، الذي إستمدت منه المدرسة تخطيطها ، فيما بين الفن البيزنطي ، أو الفن الساساني ، أو الفن الاسلامي ، أو الفن البوذي في الهند .

وكذلك الحال بالنسبة لنوعية المباني ، حيث اختلفت هذه النظريات.، حول نوع المبنى الذي اقتبست منه المدرسة تخطيطها . وتراوحت وجهات النظر هنا فيما بين المسجد ، والقاعة ، والدار ، والقصر ، والكنيسة ، والدير .

وبالنظر إلى ما ظهر في الآونة الأخيرة من نظريات ، تعالج نفس الموضوع فبالإمكان وضع تقسيم آخر جديد لها ، حيث يلاحظ أنها تنطلق من محورين أساسيين ، أولهما : يحاول أن يربط بين تخطيط المدرسة ، وتخطيط نوع ما من المباني ، وثانيهما : فيعتبر أن تخطيط المدرسة من ابتكارات المعمار المسلم ، وأنه إذا كان هذا التخطيط قد تأثر بطرز عمارة المباني التي كانت سائدة في ذلك العصر ، فإنه في ذات الوقت يمثل نموذجاً تخطيطياً مستقلاً بذاته ، أفرزته عبقرية المعمار حينئذ ، وهو ما يمكن أن يطلق عليها نظريات التطور المعماري .

فبالنسبة لنظريات المحور الأول ، فإن بالإمكان تقسيمها إلى عدة أقسام ، حيث أن منها ما يرى أن المدرسة استمدت تخطيطها من مباني العبادة ، وترى أخريات أنه مشتق من بيوت السكنى ، في حين أن منها ما يعتبر أن أصل تخطيط المدرسة أتى من المنشآت التجارية . وسنحاول أن نعرض فيما يلي كلاً من هذه النظريات بشيء من الإيجاز .

---

(١) حسن الباشا ، دراسة جديدة في نشأة الطراز المعماري للمدرسة المصرية ذات التخطيط المتعامد ، مجلة كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، العدد الثالث، ١٩٨٩م ، القاهرة ، ص ٤٤ .

أولاً ــ نظريات مباني العبادة :

وهي هنا تحاول أن تنسب تخطيط المدارس إلى نوع من أنواع مباني العبادة التي كانت سائدة في المنطقة، ويبرز في هذا الصدد نظريتان أساسيتان، أولاهما ، وهي أقدمهما : من حيث تاريخ الصدور ، نظرية فان برشم ، والتي تقوم على أن النظام المتعامد ـ والمكون من أربعة أواوين متقابلة يتوسطها صحن ـ والذي انتشر استخدامه في عمارة المدرسة ، استمد تخطيطه من الكنائس البيزنطية في سوريا ، ذات التخطيط المماثل تقريباً ، حيث كانت تتكون من أربعة أواوين متقابلة تحمل قبة في الوسط .

ويرى فان برشم أيضاً ، أن إستخدام المدرسة لهذا التخطيط ، نابع من صلاحية أواوينه للتدريس ، بحيث يكون لكل مذهب إيوان خاص به[١] .

وثاني هذه النظريات ؛ نظرية أحمد فكري ، حيث يتصور صاحبها أن أصل تخطيط المدرسة هو المسجد ، فقد ذكر أن المدرسة « ... هي المسجد الجامع ، الذي أقيمت في حرمه بيوت لسكنى فريق مختار من الفقهاء ، أو الطلاب ، ورتب لتدريسهم فيه مدرسون بأجر معلوم ، ووفرت للجميع فيه سبل البحث والدراسة، والمعيشة ، وأجريت عليهم الجرايات ... »[٢] .

ولكي يثبت فكري نظريته هذه فلقد أسهب في إيراد الأدلة والتي يمكن حصرها في مجالين أساسيين ، الأول : ينصب في محاولة إثبات أن المدارس ، كانت تقوم منذ فترة مبكرة من تاريخ ظهورها ، بوظيفة المسجد الجامع .

---

(١) Enyclopedie of Islam, Oct ; Architecture, Vol, I, Leyden, 1913, P. 423-429.

عباس حلمي ، المدارس الاسلامية ، ص ١٣٧ .

(٢) أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ ٢ / ص ١٩٢ .

ودليله على ذلك ، إطلاق مسمى « جامع » في اللوحات التأسيسية والمصادر التاريخية على منشآت كانت وظيفتها الأساسية هي التدريس[1] . وإطلاق مسمى مدارس ، على حلقات تعليمية كانت موجودة في بعض الجوامع الكبيرة ، مثل تلك التي ظهرت في الجامع الأموي بدمشق ، والتي أورد فكري عدداً منها[2]. بالإضافة إلى ما يرد في حجج الوقف ، من إشارات واضحة عن وجوب توفير الأئمة والخطباء والمؤذنين في العديد من المدارس الإسلامية[3] .

أما المجال الثاني من أدلة فكري ، فيقوم على أساس أن هناك شواهد معمارية ، يمكن من خلالها إثبات أن الأصل الذي استمدت منه المدرسة تخطيطها هو المسجد الجامع . حيث تبين له من خلال دراسة المدارس المتبقية من القرن الخامس حتى منتصف القرن السابع « ٥ ـ ٧ هـ / ١١ ـ ١٣ م » ، أنها تتضمن في تخطيطها صفات مشتركة تجمع بينها وبين المسجد الجامع[4] . وتصور صاحب هذه النظرية أيضاً أن المدارس في بلاد المغرب ، لم يطرأ على عمارتها تطور كبير يباعد بينها وبين الأصل الذي استمدت منه تخطيطها ، وهو المسجد الجامع ، وأنها احتفظت بجميع العناصر الرئيسة للمسجد الجامع ، باستثناء ما تم اقتطاعه من أجزاء من المجنبتين والمؤخرة لتزويد البناء بغرف للطلبة[5] .

---

(١) المرجع السابق نفسه ، جـ ٢/ ص ١٦٢ – ١٦٣ ، ١٨٩ – ١٩١ .

(٢) المرجع نفسه ، جـ٢ / ص ١٧٥ – ١٧٦ .

(٣) نفسه ، جـ ٢ / ص ١٩١ .

(٤) نفسه جـ٢/ ص ١٧٧ – ١٨٠ .

(٥) نفسه ، جـ ٢/ ص ١٨١ – ١٨٢ ، محمد عبدالستار عثمان ، نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة . رسالة دكتوراه ، جامعة أسيوط ، ١٩٧٩م ، جـ ٢ / ص ٢٣٥ .

كذلك بذل فكري جهوداً كبيرة ، لنفي وجود أية صلة بين الأواوين ـ كأنظمة بناء ـ والمدارس ، فحرص على التأكيد على أن الأواوين أدخلت على عمارة المساجد ، كتطور في عملية التسقيف ، وليس لأنها كانت موجودة في المدارس ، ثم انتقلت إلى المساجد بعد ذلك[١] . كما أنه رفض وجود علاقة بين الأواوين ، والتعليم في المدارس[٢] ، مدعياً أن الايوان كمحل للدرس لم يكن معروفاً قبل القرن الثامن « ٨ هـ / ١٤ م » ، إذ لم يرد ذكره في المصادر التي تسبق هذه الفترة[٣] ، علاوة على اعتقاده أن مدلول الايوان لم يكن واضحاً على حقيقته عند مؤرخي القرنين الثامن والتاسع ، ٨ ـ ٩ هـ / ١٤ ـ ١٥ م[٤]. وليضيف إلى ذلك ، ما يتصوره بأن الأواوين لا تصلح للتعليم ، بحكم أنها مواضع مفتوحة ، فتكون عرضة لصقيع الشتاء ، وحرارة الصيف ، وأشعة الشمس التي ستدخل بناءاً على التخطيط المتبع في عمارة المدارس معظم هذه الأواوين باستثناء الجنوبية منها ، مما يعيق العملية التعليمية فيها[٥] .

ثانياً ـ نظريات المباني السكنية :

ويندرج في هذا الإطار عدة نظريات ، حاول كل منها أن يحيل أصل التخطيط المدرسي إلى أحد طرز عمارة المساكن التي كانت سائدة في العالم الإسلامي .

---

(١) أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ٢/ ص ٨٩ - ٩١ ، محمد عبدالستار عثمان ، نظرية الوظيفية ، جـ ٢ / ص ٢٢٠ . حسن القصاص، مساجد أمراء السلطان الظاهر جقمق ، دراسة أثرية معمارية . رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ، ص ١٣٨ .

(٢) أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ ٢ / ص ١٧٧ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، جـ ٢/ ص ١٧٧ - ١٨٠ .

(٤) المرجع نفسه ، جـ ٢ / ص ١٨٠ ، هامش « ١ » .

(٥) نفسه جـ٢/ ص ١٨١ - ١٨٢ ، محمد عبدالستار عثمان ، نظرية الوظيفية ، جـ ٢ / ص ٢٣٥ .

وأقدم هذه النظريات ظهوراً ، نظرية مكس هرتز ، والتي اعتبرت التخطيط المتعامد في المدارس ، مشتق بجميع عناصره من تخطيط البيوت الفارسية[1]، وهو ما ذهب إليه ديز ، حيث قال أثناء حديثه عن طرز وعناصر العمارة الفارسية ، أن عمارة المدرسة وتكوينها الفعلي كان « ... بكل معنى الكلمة إيرانياً ... »[2] .

ويستدل أصحاب هذه النظرية في إثبات تصوراتهم ، ببعض البقايا الأثرية لمساكن، وما يعتقد بأنه مدارس مبكره ، مكتشفة في فارس وخراسان، كانت تتبع النظام المتعامد في تخطيطها[3] ، بينما يستدل بعض مؤيديها ، بما للحضارة والفن الفارسيين من تأثير على الحضارة الإسلامية ، فأدى إلى دخول الكثير من التقاليد المعمارية الفارسية إلى العمارة الإسلامية[4] ، ومن ذلك نظام التخطيط المتعامد الذي اتبع في عمارة المدارس الإسلامية[5] .

---

(١) Hers "Max", Bulletin ducomite de conser votion des Monument Arabes, le Caire, 1904, pp. 98 - 99.

(٢) Dies "Ernst", The principles and Types, Vol, B. P., 921, of Pope "Arthar Opham" Asuraey of Persian Art, Oxford 1938 - 39.

(٣) Goderd, Andre, L'orgin, de La Medrasah, dela Mosguee etdu Car auanser ail oguatree Iwans, in Arsislamica, Vol, XV-XVI, 1951, p.17.

وانظر أيضاً :

Rgomine "J"., Lamosgee lamadrasa CCM, XIII, Annee, No. 2, 1970, pp. 97 - 115.

Bope "Arthar", Argitcture in the early periods According to contemporary documments, persian Art, Vol, 3, p. 1147.

(٤) زكي حسن ، الفنون الايرانية في العصرالاسلامي ، القاهرة ، ص ١١ .

(٥) حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ، ص ١٤٩ .

ولقد أجرى باحثون مؤيدون لهذه النظرية ، بعض التعديلات عليها . فاعتبر هرتزفلد ، أن هذا التخطيط المستمد من العمارة الفارسية ، قد جرى تطويره بما يتناسب والظروف التعليمية في المدرسة ، ومن ذلك ظهرت مدارس ذات إيوان ، أو إيوانين ، وهكذا(١) ... بينما يرى كل من ريتشموند(٢)، وجاستون فيت ، وهوتكور(٣) ، أن المدارس في مصر والشام ، قد تأثرت عمارتها ، بالعمارة المحلية للمسكن ، والتي بدورها استمدت تخطيطها من عمارة المساكن الفارسية .

ومن النظريات ، التي تعيد أصل تخطيط المدارس ، إلى عمارة البيوت السكنية ، نظرية المستشرق الانجليزي كريزويل ، وهي المعروفة بنظرية « القاعة المصرية » ، لأن صاحبها يرى أن المدارس في مصر أُشتق تخطيطها من قاعات المساكن المصرية .

ومنذ البداية حرص كريزويل على التأكيد ، أن هناك فرقاً بين البحث عن أصل التخطيط المتعامد للمدرسة ، وعن أصل التخطيط المتعامد عموماً(٤) . مبيناً أن بداية ظهور التخطيط المدرسي المتعامد كان في مصر ، وليس في شرق العالم الإسلامي ، حيث كانت بداية ظهور المدارس ، والتي لم تكن تعرف النظام

---

(١) Herzfeld, Studies in Architecture in Ars Islamica, 11, Vol, X, 1993, pp. 29, 30.

(٢) نقلاً عن أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ ٢/ ص ١٣٢ ؛ عباس حلمي ، المدارس الإسلامية ، ص ١٣٩ .

(٣) Wiet "gaston", et. Haute Coeuy "Louis", les Mosguees de Caire, Paris, 1932, Vol, 1, p. 226.

(٤) K.A.C. Creswell, The Muslim, Architectur of Eguypt, New York, Vol, II, 1978, p, 104.

المتعامد[1] ، مما يدل على أن هذا النوع من التخطيط ، مشتق ومتطور من العمارة المحلية في مصر الاسلامية .

فكان تخطيط المدارس المبكرة فيها مكوناً من إيوانين متقابلين ، وبينهما صحن صغير يعرف بـ « الدرقاعة »[2] ، وهو أسلوب من البناء شاع في عمارة قاعات المساكن المصرية في العصر الفاطمي[3] ، كما يشير بذلك اكتشاف قاعة الدردير[4] .

أما عن ظهور النظام المتعامد ، فلقد تم عن طريق دمج قاعتين من الطراز السابق مع بعضهما البعض[5] .

---

(١) Creswell, op, cit, p, 107 - 120, 124 - 128.

(٢) الدرقاعه : لفظ يتكون من مقطعين ، الأول « در » ، وهو لفظ فارسي الأصل بمعنى الباب ، أما الثاني « فقاعة » وهو لفظ عربي يدل على مكان الجلوس ، والكلمة بمجملها ، تدل على المكان الذي يتوصل من خلاله إلى جميع أجزاء القاعة ، وهو الصحن الصغير الذي يتوسطها ، محمد مصطفى نجيب ، نظرة جديدة على النظام المعماري للمدارس المتعامدة وتطوره خلال العصر المملوكي الجركسي . مجلة كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، الجزء الثاني « عدد خاص » ١٩٧٨ . القاهرة ، ص ٢٤ . هامش « ٢ » .

(٣) Creswell, op, cit, Vol, 2, p, 129.

وانظر أيضاً عباس حلمي ، المدارس الاسلامية ، ص ١٣٨ ؛ فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الإسلامية ، عصر الولاة ، ١٩٧٠م . القاهرة ، جـ ١/ ص ٢٥٢ . محمد مصطفى نجيب ، نظرة جديدة ص « ٢٣ » هامش « ٣ » ؛ حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ، ص ١٣٣ .

(٤) Creswell, op, cit, Vol, 1, p, 261-263, Vol, 2, p, 129.

أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ ٢/ ص ١٣٣ ، ١٣٨ - ١٣٩ ، ١٧٣ ، وعباس حلمي ، المرجع السابق ، ص ١٣٩ .

وقاعة الدردير ، عبارة عن صحن مربع يطل عليه إيوانين متقابلين مقبيين ، ويطل على الصحن من الجانب القبلي شرفة صغيرة ، بينما يتوسطه نافورة ، ويغطيه سقف خشبي ، له شخشيخة . عباس حلمي ، تطور المسكن المصري الإسلامي من الفتح العربي حتى الفتح العثماني . رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٨ م ، ص ١١١ .

(٥) Creswell, op, cit, Vol, 2, p, 133.

ويبرر كريزويل هذا التطور بأنه جاء نتيجة تعدد التخصصات التي تدرسها المدرسة ، فأدى ذلك لتعدد إيواناتها ، بحيث يكون لكل إيوان تخصص يدرس فيه . وهو ما تثبته النصوص التاريخية ، التي تشير إلى أن هـذه الأيونات هي مواضع الدرس في المدارس ، وأن لكل تخصص يدرس فيها أيوان خـاص بـه[1] .

ولكي يثبت كريزويل صحة نظريته هذه . قدم دلائل تاريخية ، تتمثل في مساكن جرى تحويلها إلى مدارس ، فذكر خمسة عشر مثالاً ، ثمانية منها في القاهرة ، إندثرت باستثناء إثنتين منها . وستة في دمشق ، وواحدة في حلب . ومبيناً أن هناك علاقة وثيقة بين المساكن والمدارس ، سببها أن بيوت العلماء كانت منذ صدر الإسلام مراكز لنشر العلم والمعرفة ، وبالتالي فإن إتخاذ هذه الدور مدارس ، إنما هو امتداد للدور الذي كانت تقوم به منذ زمن بعيد[2] .

وتعد نظرية كريزويل توطئة لأبرز النظريات في هذا المجال . وهي نظرية عباس حلمي ، والتي تجاوز فيها صفة الاقليمية التي تميز النظرية السابقة ، حيث ركزت على المدارس في مصر . واتجه بنظريته نحو اعتبار أن المدارس الاسلامية بشكل عام تأثرت بعمارة المساكن .

ولكي يثبت حلمي نظريته لجأ إلى وسائل متعددة من الاستدلال ، أبرزها ، دراسة النظم التعليمية عند المسلمين ، والتي تبين له من خلالها أن التعليم في البيوت ، كان معروفاً عندهم منذ بداية ظهور الدعوة إلى الإسلام[3] .

---

(١) Ibid, p, 121.

(٢) Creswell, op, cit, Vol, 2, p, 130 - 131.

(٣) عباس حلمي ، المدارس الاسلامية ، ص ١٥٢ – ١٥٤ .

وكان ظهور هذا الأسلوب في البداية في الحجاز ، ثم انتشر بعد ذلك في سائر أرجاء الدولة الإسلامية ، بسبب كثرة من رحل من علماء الحجاز إلى هذه الأقطار لنشر العلم ورواية الحديث[1] . فلما أسس المسلمون المدارس ، كمؤسسات متخصصة بالتعليم ، اقتبسوا النظم التعليمية والتخطيطية ، التي كانت متبعة في الدور التي كان يدرس بها العلماء . ويؤكد ذلك أنه تم تحويل العديد من الدور إلى مدارس ، كما هو مشاهد في مصر ، وبخاصة في العصر الأيوبي ، ويشاهد أيضاً في الحجاز، الذي استمر فيه تحويل الدور إلى مدارس، منذ دخولها إليه حتى القرن الثامن ٨ هـ / ١٤ م[2] .

ولكي يضفي حلمي مزيداً من التأكيد على صحة نظريته هذه ، فلقد حرص على أن يفصل بين النظم التعليمية في المساجد، وتلك التي في المدارس ، حيث أنها في الأولى كانت غير مقيدة بمناهج أو مواد معينة ، أو من حيث عدد الطلبة . علاوة على عدم وجود معاليم « أجور » مقررة للشيوخ والطلبة[3] . بعكس ما هو موجود في المدرسة ، التي يتم صياغة نظمها بناءاً على رغبة منشئها ، فيحدد التخصصات التي تدرس بها . ويرتب لها ما يلزم من شيوخ وطلبة ، وما تحتاجه من نفقات . علاوة على احتوائها على مواضع بعينها للتدريس ، وأخرى مخصصة للسكنى والمرافق[4] .

كذلك أوضح حلمي من خلال الدراسة المعمارية المقارنة ، أن هناك تشابهاً وتقارباً واضحاً بين مخططات الدور الطولونية والفاطمية ، وبين مخططات

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ١٥٦ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٥٤ ، ١٥٨ .

(٣) نفسه ، ص ١٥٥ .

(٤) نفسه ، ص ١٥١ ، ١٥٤ – ١٥٥ .

المدارس ، التي أنشئت بعد ذلك ، فوجد من هذه الدور ما هو ذا إيوان واحد وما هو أكثر من ذلك وصولاً إلى الأربعة الأواوين المتعامدة ، كما هو الحال في تخطيط المدارس[1] .

ثالثاً ـ نظرية المباني التجارية :

وهذه النظرية ترى أن أصل تخطيط المدرسة مقتبس من تخطيط الخان[2]. ويعد جورج مقدسي من أبرز من كتبوا في هذه النظرية بتوسع مناسب . حيث يرى أن إنشاء خانات بجوار المساجد ، في مشرق العالم الاسلامي ، لكي ينزل بها الطلبة . أدى بمرور الوقت ، إلى ظهور النشاط التعليمي فيها ، فتحولت بعد ذلك إلى ما يعرف بالمدارس[3] .

ويؤيد أوقطاي أصلا نابا هذه النظرية ، منوهاً إلى أن هناك تشابهاً معمارياً بين المدارس والخانات ، وذلك باستخدامهما لأسلوب الأواوين المتعامدة في التخطيط[4] .

وهذه هي أبرز نظريات المحور الأول ، ويبقى أن نشير إلى نظريات المحور الثاني ، وهو محور التطور المعماري ، وترى نظريات هذا المحور ، أن المعمار

(١) عباس حلمي ، تطور المسكن المصري ، ص ١٧٣ ، المدارس الاسلامية ص ١٥٦-١٥٧ ، حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ص ١٣٤ .

(٢) الخان : اللفظ فارسي الأصل ، ويطلق في الأصل على أماكن مبيت المسافرين ، من التجار وغيرهم ، وكان ينشأ على طريق السفر ، ثم أنشئت منها أنواع داخل المدن كانت تقوم باستقبال التجار ، ويتم فيها البيع والشراء . وبشكل عام فلقد ارتبط النوعين بشكل أساسي ، بتجارة النقل والتوزيع . عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الاسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، بيروت ، ص ١٥٢ - ١٥٧ .

(٣) Makdisi, C, The Rise of Colleges, Institutions of Learning in Islam and the West Edinburgh, 1981, 28 - 32.

(٤) أوقطاي أصلا نابا، فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م ، استانبول ص ٢٠ .

المسلم إبتكر تخطيط المدارس رغم استفادته من طرز العمارة السائدة في عصره . وأولى هذه النظريات وأقدمها ، نظرية حسن الباشا ، والتي حرص فيها صاحبها على أن يحصرها في مصر ، ويقصر معالجتها على النظام المتعامد ، كما يشير بذلك عنوان الدراسة[١] .

وتركز هذه النظرية على دراسة نشأة التخطيط المتعامد ، من خلال ثلاثة عناصر أساسية . وهي كالآتي :

أولاً : الطراز المعماري :

فمن المعروف أن لكل عمارة طرازها المعماري الخاص بها ويميزها عن غيرها . وعليه فإن الطراز المعماري الإسلامي قد أثر بشكل أو بآخر في عمارة المدارس[٢] .

فالمنشآت المعمارية في العالم الإسلامي تأثرت ، وبشكل عام ، بعناصر تخطيط المسجد الجامع ، المكون من فناء أوسط مكشوف ، تحيط به أربعة أروقة .

فهذا الأسلوب من التخطيط كان طرازاً معمارياً سائداً تأثرت به المنشآت الدينية ، والمدنية ، على حد سواء . وكان في كلٍ منها فناء يحيط به من جميع الجهات وحدات المبنى المختلفة . وهذه الوحدات كانت تتكون من أنواع مختلفة تناسب وظيفة المبنى واحتياجاته ، ومن هنا تأثرت المدرسة بهذا الطراز فأصبحت تتكون من فناء أوسط تحيط به وحداتها المختلفة[٣] .

---

(١) حسن الباشا، دراسة جديدة في نشأة الطراز المعماري للمدرسة المصرية ذات التخطيط المتعامد ، ص ٤٢.

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٥١ .

(٣) المرجع نفسه ص ٥١ – ٥٢ .

ويرى حسن الباشا أن من أسباب انتشار هذا الطراز ، مناسبته للتقاليد الاسلامية، لأنه ينفتح إلى الداخل ، مما يحجب من بداخل المبنى عمن بخارجه ، علاوة على الفناء الذي يوفر لهم الإضاءة والتهوية والهدوء(١) .

ثانياً : الوظيفة :

كانت المدرسة تجمع في غالب الأحوال بين ثلاثة وظائف رئيسة ، وهي ؛ إقامة الصلاة والتعليم والسكن. وبناءاً على ذلك كان لا بد أن يراعى في بناء المدارس صلاحيتها لأداء هذه الوظائف .

ولتحقيق غرض إقامة الصلاة ، كان من المفضل أن يحتوي المبنى على قسم يتميز بالرحابة ، ويتجه ناحية القبلة ، ويكون مربعاً أو مستطيل الشكل . ويزود بما يحتاجه للقيام بوظيفته كالمنبر والمحراب . ولذلك زودت المدارس في ذلك العصر بإيوان قبلي واسع ، يحقق غرض الصلاة .

كذلك زودت بعض المدارس في بعض الأقاليم الاسلامية بالمآذن لتأكيد وظيفة الصلاة فيها(٢) .

أما من حيث التعليم ، وهي الوظيفة الأساسية للمدرسة ، فإن ذلك يتطلب احتواء هذه المنشآت على أماكن مناسبة لإلقاء الدروس . ومن هنا فإن هذه النظرية تعتبر أن التخطيط العام للمدارس جعل من المناسب أن تكون قاعات المدرسة مطلة على الفناء الأوسط فيها(٣) .

---

(١) حسن الباشا، دراسة جديدة في نشأة الطراز المعماري للمدرسة المصرية ذات التخطيط المتعامد ، ص ٤٣ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٥١ .

(٣) المرجع نفسه ص ٥١ – ٥٢ .

كذلك فإن تعدد قاعات الدرس فيها ، ارتبط بعدد التخصصات التي تدرس بها ، فلما تطورت وأصبح منها ما يدرس أربعة مذاهب ، أخذ النظام المتعامد بالظهور[1] .

ويبقى آخر الوظائف التي تقوم بها المدرسة ، وهي السكن ، فإنها تعتبر عند الباشا ، العنصر الرئيسي الذي يميز بين المسجد والمدرسة ، لأنهما يتشابهان في وظيفتي الصلاة والتدريس[2] .

ومن هنا فإن استخدام الايوان في معظم المدارس بدلاً من الأروقة ، فرضته الحاجة لوجود مساحات تستغل كمساكن . لأن الأواوين لا تشغل كل الجوانب المطلة على الفناء . فأصبح من الممكن بناء الوحدات السكنية ، وبقية المرافق الأخرى للمدرسة بين الأواوين ، علاوة على أن ارتفاع أسقف الأواوين أسهم إلى حد بعيد في تعدد طوابق المساكن والمباني الأخرى المجاورة لها[3] .

ثالثاً : البيئة المعمارية :

إن كل طراز معماري نشأ في بيئة معمارية معينة ، ولذلك فإن الأصل المعماري لانظمة التخطيط المدرسي يتطلب دراسة البيئة المعمارية التي نشأ فيها هذا التخطيط[4] .

وبما أن نشأة المدارس ، كانت في فارس ، فلا شك أن استخدام الايوانات في عمارتها جاء نتيجة انتشار استخدامها في عمائر هذا الإقليم ،

(١) نفسه ص ٥٣ – ٥٤ .

(٢) نفسه ص ٥٥ .

(٣) نفسه ص ٥٥ .

(٤) نفسه ص ٥٥ .

والذي انتشر فيه أيضاً ترتيب الأواوين حول الأفنية المربعة أو المستطيلة الشكل ، حيث ســاد في عمارة المـدارس أيضاً[١] .

ومن هـذا الاقليـم أخذت هـذه الأسـاليب بالانـتشـار إلـى غرب العـالـم الإسلامي حتى وصلت إلى قمة النضج والتطور في مصر في عصر المماليك[٢].

ويـلـي نظريــة الباشا ، نظريــة محمــد الكحــلاوي ، والتي أطلــق عليهــا « التخطيط للداخل » . وتنطلق فكرة هذه النظرية من تصور هندسـي بحت . إذ يرى صاحبها أنه من الصعب تحديد نموذج معماري معين يكون الأصل الذي استمدت منه المدرسة تخطيطها ، نظراً لوجود تنوع كبير في أنظمة التخطيط التي اتبعت في عمارة المدارس في مـختلف أرجاء العالم الإسلامي[٣] . وبالتالي فإن من المناسب أن يتم البحث عن أصل التخطيط المدرسـي من خلال منظور مـختلف تماماً عمّا درجت عليه الدراسات السابقة .

ومـن هـنا ذهبت النظرية نحو تأصيل أنظمة التخطيط هـذه من خلال دراسة فكرة التخطيط نفسها .

وتوصل الباحث من خـلال ذلك إلى أن الأصل المعماري لجميع أنواع مخططات المدارس تلتقي عند نمط مشترك واحد ، وهو التخطيط إلى الداخل . والذي تم فيه تزويد المدرسة بفناء تلتف حوله جميع عناصر المنشأة . لما يوفره الفناء من تعدد للواجهات المطلة عليه ، والتي بلغت أربعة واجـهات . مكنـت

---

(١) نفسه ص ٥٥ .

(٢) نفسه ص ٥٦ .

(٣) محمد محمد الكحلاوي ، المدارس المغربية « دراسة أثرية معمارية » ، بحث منشور في مجلة العصور ، المجلد السادس ، جمادى الثانية ١٤١١ هـ جـ١ / ص ٨٣ .

المعمار ، من توزيع وحدات المنشأة المختلفة عليها[1] . فإذا كانت المدرسة ذات إيوانين ، وضع كل منهما في إحدى واجهات الفناء ، وشغلت الواجهتين الاخريتين بكتلة الخلاوي . أما إذا كانت المدرسة مكونة من ثلاث إيوانات ، فإن المعمار يشغل الضلع الرابع بكتل الخلاوي . فإذا كان بها أربعة إيوانات ، فإن كتل الخلاوي توضع خلف هذه الايوانات[2] .

ومن هنا تبرز أهمية الفناء ، إذ أنه ليس مكاناً للتهوية والاضاءة فقط ، وإنما لتوزيع عناصر المنشأة . وعدم وجوده سيدفع بالمعمار نحو جعل واجهات وحدات المنشأة المختلفة تطل على الخارج .

فإذا كان للمدرسة أكثر من واجهة ، فإن المعمار سيوزع عناصرها على هذه الواجهات بحيث يكون لكل منها واجهة مستقلة ، ومدخل خاص بها ، فإذا لم يكن لها سوى واجهة واحدة ، فإنه سيقوم ببناء المدرسة بشكل رأسي « ... إذ تصبح كتلة المدرسة يعلوها المسجد ، ويعلو كل ذلك كتلة الخلاوي .. »[3] . ومن هنا تبرز أهمية التخطيط للداخل ، كأسلوب اعتمده المعمار المسلم في عمارة مدارسه .

وتعد النظرية السابقة آخر ما يمكن عرضه من النظريات الرئيسة ، التي تبحث في أصل التخطيط المدرسي .

وينبغي الإشارة هنا إلى أن معظم هذه النظريات قد وجه إليها العديد من الاعتراضات ، مما يجعل من الصعب على الباحثين

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ٨٣ – ٨٤ .

(٢) المرجع نفسه ص ٨٤ – ٨٥ .

(٣) نفسه ص ٨٤ .

قبولها كحقيقة مجردة بدون إضافة أو تعديل . أو رفض إذا اقتضى الأمر ذلك[١] .

ويمكن ضمن هذا الإطار طرح الملاحظات التالية :

أولاً : أن معظم هذه النظريات ركزت على نظام تخطيطي واحد وهو النظام المتعامد ، رغم أن أنظمة التخطيط المدرسي متعددة ومتنوعة . حيث أن هناك مدارس يرتكز تخطيطها على النظام الرواقي ، وأخرى على الحجرة . بالإضافة إلى أن النظام الايواني استعمل أساليب من التخطيط غير النظام المتعامد ، وهو مثبت في الفصل الأول من الباب الثالث من هذه الدراسة .

وبالتالي فإن بتر النظام المتعامد عن الأنظمة الأخرى ، ومحاولة التعرف على أصل تخطيطه ، دون الانظمة الأخرى سيؤدي إلى نتائج قاصرة ، لأن المدرسة بأنظمة تخطيطها المتعددة كيان واحد متكامل ومترابط ، شأنها في ذلك شأن أي منشأة معمارية أخرى .

ثانياً : أن بعض هذه النظريات توجهت وجهة اقليمية في دراساتها ، فصبت اهتمامها نحو دراسة أنظمة التخطيط المدرسي في مصر ، بحكم ما وصلت إليه عمارتها فيها من تطور وازدهار .

بيد أن ذلك سيجعل تفسيرات هذه النظريات محصور على مصر فقط ولا يمكن قبولها كتفسيرات عامة لأنظمة التخطيط المدرسي .

---

(١) عن هذه الاعتراضات ، انظر ما أورده فكري عن بعض هذه النظريات في سياق عرضه لها . أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ٢ / ص ١٢٥ - ١٤٠، ١٦٧ - ١٦٨ . انظر أيضاً الملاحظات التي أبداها عباس حلمي في هذا الصدد . عباس حلمي ، المدارس الاسلامية ص ١٣٦ - ١٣٧، ١٤٣ . كما قام حسني نويصر ، برفض هذه النظريات جميعاً . انظر حسني نويصر ، عوامل مؤثرة في تخطيط المدرسة المملوكية ، بحث منشور في مجلة التاريخ والمستقبل ، كلية الآداب ، جامعة المنيا ، العدد الأول ، المجلد الأول ١٩٩١م ، القاهرة ص ٢٣٧ - ٢٥٨ .

ثالثاً : ركزت بعض هذه النظريات على العلاقة الوثيقة بين المدرسة ونوع ما من أنواع المباني ، ونسبت نظام التخطيط المدرسي إليه ؛ بينما نجد أن المدرسة على علاقة بمعظم المباني التي أشارت إليها هذه النظريات ، كما تشير بذلك الأدلة التي استندت إليها ، وسبق ذكرها .

فهناك علاقة بين المدرسة ، وكل من المسجد والمنزل والخان . وعليه فإن نظامها التخطيطي ليس مشتقاً من أي منها ، فإذا قلنا بأن المدرسة مشتقة من المسجد ، فإنه ينفي بذلك تحويل عدد من الدور والخانات إلى مدارس ، كما ورد معنا ، كما أن القول بأن المدرسة مشتقة من الخان أو المنزل ، ينفيه قيام المدارس المبكرة بوظيفة المسجد ، واستخدام التخطيط الرواقي فيها(١) .

رابعاً : قامت بعض هذه النظريات في محاولتها لتأصيل نظام التخطيط المدرسي ، بابراز الأسباب التي دفعت بالمعمار لاتخاذ أسلوب معين من

---

(١) عرفت المدارس المبكرة وجود مساجد فيها ، كما يشير إلى ذلك وجود مسجد في المدرسة النظامية في نيسابور [أواخر القرن الخامس الهجري ٥ هـ / ١١ م] الصريفيني ، إبراهيم بن محمد بن الأزهر ، المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م . بيروت ، ص ٦٤ .

ومن الواضح أن هذا المسجد كان مبنياً وفق النظام الرواقي ، إذ أن هذا النظام اتبع في العديد من المدارس المبكرة ، والتي يمكن معرفة نظم تخطيطها ، حيث يشاهد في العراق في مدرسة الأربعين [٥ هـ / ١١ م] والمدرسة المستنصرية [٦٣١ هـ / ١٢٣٤ م] ، أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ ٢ / ص ١٠١ – ١٠٢ ، ١١٥ . وفي مدرسة دار المسناه [٧هـ / ١٣ م] ، عبدالقادر الرحاوي ، العمارة في الحضارة الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، جدة ص ١٧٩ – ١٨٠ . وفي المدرسة المرجانية [القرن ٧ هـ / ١٣ م] ، السيد ناصر النقشبندي ، المدرسة المرجانية ، مجلة سومر ، المجلد الثاني ١٩٤٦م ، ص ٣٨ .

ويشاهد هذا الطراز بكثرة في مدارس مبكرة ببلاد الشام . انظر حسن الباشا ، مدخل إلى الآثار الاسلامية ، القاهرة ، ص ١٥٨ – ١٥٩ ، فريد شافعي ، العمارة العربية الاسلامية ، ماضيها وحاضرها ، ومستقبلها ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م . الرياض ص ٨٣ ، ٩٣ . أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ ٢ / ص ١٠٣ – ١١٠ .

التخطيط دون أن تبين من أين جاء به ، وكيف تم ذلك . وهو ما يشاهد في نظرية « التخطيط للداخل » . وبالتالي فإن معالجتها لهذا الموضوع لم تسلك الطريق الصحيح ، والمطلوب في معالجة مثل هذا الموضوع .

ومن خلال العرض السابق يتضح أنه من الصعوبة بمكان قبول بعض من هذه النظريات أو إحداها ، على علاتها ، وإن كان من المرجح أن أقربها إلى الصواب نظرية حسن الباشا ، ولكن بعد إجراء التعديلات المناسبة عليها ، بحيث يمكن اعتبارها نظرية تفسر أصل التخطيط المدرسي بشكل عام .

فكما سبق أن ذكرنا ، فإن نظم التخطيط المدرسي متعددة ، ومتنوعة وليست على طراز واحد ، وهو الذي ركزت عليه هذه النظرية .

وهذا لا يمنع من أن عناصرها تنطبق عليها جميعاً ، فالطراز المعماري الذي كان سائداً في العمارة الإسلامية، والمكون من فناء أوسط تحيط به عناصر المنشأة المختلفة ، لم يكن متبعاً في التخطيط المدرسي المتعامد فقط ، وإنما استخدم في أنظمة التخطيط المدرسي الأخرى ، فيعد الفناء عنصراً أساسياً فيها جميعاً .

كذلك ، فإن التنوع في التخطيط المدرسي يعكس التنوع المعماري الذي عرفته العمارة الإسلامية بشكل عام ، والذي عرف أيضاً في شرق العالم الاسلامي ، حيث نشأت المدارس فعرف المعمار استخدام الأروقة في عمائره التي أنشأها هناك[١] . ولم يقتصر الأمر على استخدام الأواوين التي ركزت عليها النظرية .

---

(١) فريد شافعي ، العمارة العربية الإسلامية ، ص ٩٦ . عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الإسلامية ص ٣٨١ . محمد الشهري ، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي ص ١ – ١٣ .

كما أن التعدد الوظيفي الذي عرفته المدارس لم يؤثر في المدرسة ذات التخطيط الايواني فحسب ، وإنما ظهر في المدارس ذات النظم التخطيطية الأخرى ، والتي عرفت المرافق المختلفة ، من مساكن ومواضع صلاة وغير ذلك ، وهو ما سيثبته هذا البحث في دراسته الوصفية والتحليلية .

ولذلك فإن بالإمكان القول بأن المدرسة كمشأة معمارية ، هي من ابتكار المعمار المسلم ، وأنه استفاد لتحقيق هذا الغرض من الطراز المعماري الإسلامي ، ومن البيئة المعمارية التي كانت سائدة وقت ظهور المدرسة ، مع مراعاة الاحتياجات الوظيفية لهذا النوع من المنشآت ، والتي عالجها المعمار بروح ابتكارية أدت إلى التنوع في أساليب التخطيط التي اتبعت في عمارة وحدات المدارس ، ومرافقها المختلفة(١) .

---

(١) انظر الدراسة التحليلية في الفصل الأول والثاني من الباب الأخير من هذه الرسالة .

الباب الأول

نماذج من عمارة المدارس في مصر

الفصل الأول : مدرسة فرج بن برقوق « ٨١٣ هـ/١٤١١م » .

الفصل الثاني : مدرسة الأشرف برسباي « ٨٢٨ هـ/١٤٢٥م » .

الفصل الثالث : مدرسة قايتباي « ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م » .

الفصل الأول

مدرسة فرج بن برقوق

« ٨١٣هـ/١٤١١م » .

منشيء المدرســـة :

أنشأ هذه المدرسة السلطان فرج بن برقوق ، ثاني ملوك الجراكسة ، بعد أبيه السلطان الظاهر برقوق[1] . والسادس والعشرون من الملوك الترك الذين حكموا مصر حتى ذلك العصر[2] .

ولي السلطنة في شوال من عام [٨٠١ هـ / ١٣٩٩ م]، بعهد من أبيه الذي أخذ له البيعة من الخليفة والأمراء والقضاة عندما أحس بدنو أجله[3] . وبقي بعد ذلك في السلطنة إلى أن خلع منها في أواخر المحرم من عام [٨١٥ هـ / ١٤١٢ م] ، حيث قتل بعد ذلك ببضعة أيام في مدينة دمشق[4] . وبذلك تكون فترة حكمه قد امتدت إلى ما دون الأربعة عشر عاماً بقليل[5] .

وتصف المصادر التاريخية الملك الناصر بالشجاعة والإقدام ، والكرم ؛ وتعيب عليه في نفس الوقت سفكه للدماء ، وانهماكه في المحرمات ، فكان مسرفاً على نفسه ، لا يعبأ بما يهلكها[6] .

---

(١) هو الملك الظاهر برقوق بن آنص العثماني اليلبغاوي . أول ملوك الجراكسة في مصر ، ويعد من أعظم سلاطين المماليك بعد الناصر محمد بن قلاوون ، ولي السلطنة عام « ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢م » وتوفي عام « ٨٠١ هـ / ١٣٩٩م » . انظر ابن تغري بردى ، أبو المحاسن جمال الدين يوسف ، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز ١٩٨٦م . القاهرة جـ٣/ ص ٢٨٥ - ٣٤٢ ، جـ ٧/ ص ٦ .

(٢) إبن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، جـ ١/ ق ٢ / ص ٥٣٦ .

(٣) المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ٣/ ق ٢ / ص ٥٣٦ .

(٤) إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ١ / ق ٢ / ص ٨١٩ - ٨٢٠ .

(٥) المقريزي ، السلوك جـ ٤ / ق ١ / ص ٢١٣ - ٢١٤ .

(٦) المصدر السابق نفسه ، جـ ٤ / ق ١ / ص ٢٢٧ .

ويتميز عصر هذا السلطان بكثرة الفتن والحوادث التي قام ببعضها المماليك أنفسهم(١) . علاوة على تعرض البلاد لغزو التتار عام [٨٠٣ هـ / ١٤٠٠م] . فدخلوا البلاد الشامية ، وخربوا مدنها ، وأعملوا في أهلها السيف ، حتى كادت أن تخلوا من ساكنيها(٢) .

كما عانت البلاد أيضاً من سوء الإدارة ، وغلاء المعيشة ، مما زاد الأوضاع سوءاً ، فتناقص عدد سكانها ، وتراجعت أوضاعها العمرانية(٣) ، وظهرت أزمة نقدية تمثلت في انعدام الدنانير الذهبية والدراهم الفضية ، وسيادة الفلوس النحاس كعملة رئيسة تدفع بها أثمان الحاجيات والأجور ، وغير ذلك من المعاملات النقدية(٤) .

إنشاء المدرسة :

قام الناصر فرج بإنشاء هذه المدرسة بناءاً على وصية من أبيه الظاهر برقوق ، والذي ترك مبلغاً كبيراً من المال مقداره ثمانون ألف دينار لبنائها و يبنى بما تبقى من مال عقار يوقف عليها(٥) .

---

(١) المصدر نفسه ، جـ ٤ / ق ١ / ص ٢٢٦ ، سعيد عاشور ، مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ١٩٧٢م . بيروت ص ٣٢٨ – ٣٢٩ .

(٢) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق محمد رمزي ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م ، القاهرة جـ ١٢ / ص ٢١٩ – ٢٤٦ . سعيد عاشور ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص ٣٢٨ .

(٣) المقريزي ، السلوك جـ٤/ق١/ ص ٢٢٣ – ٢٢٥ .

(٤) المصدر السابق نفسه جـ٤ / ق١ / ص ٢٢٤ .

(٥) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة جـ ١٢ / ص ١٠٢ – ١٠٤ .

وتذكر بعض المصادر أن الظاهر أوصى بأن يبنى له تربة[١] يدفن فيها بجوار بعض قبور مشايخ الصوفية[٢] ممن كان يجلهم ويحترمهم كثيراً[٣] . ولكن الناصر فرج أضاف للمبنى وحدات أخرى جعلته يقوم بدور المدرسة ، والجامع ، والخانقاه ، بالإضافة إلى التربة[٤] .

ولقد بديء في تنفيذ المشروع بعد وفاة الظاهر برقوق مباشرة في أواخر عام [٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م][٥] . أما عن تاريخ الفراغ منه ، فلقد أُخْتُلِفَ فيه ، إذ يتفق إبن تغري بردي[٦] ، وإبن إياس[٧] ، على أن ذلك تم في أوائل عام [٨١٣ هـ / ١٤١١ م] ؛ بينما يرد في لوحتين تأسيسيتين تقع أولاهما على عضادتي المدخل الثاني للمبنى ، وتطل ثاينهما على الصحن ، أن الانتهاء من المشروع تم في أواخر العام المذكور[٨] .

---

(١) يطلق اللفظ في ذلك العصر على مواضع الدفن ، والتي كان لهم بها اهتمام كبير ، حيث تزود بالقباب بالإضافة إلى مرافق أخرى ، كالأسبلة ، والكتاتيب والوحدات السكنية وغير ذلك . نظراً لأن بعضها كان يقوم بوظيفة الخوانق . محمد حمزة الحداد ، قرافة القاهرة في عصر سلاطين المماليك ، رسالة ماجستير – كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٩٨٦م ، ص ١٥٩ – ١٦٨ .

(٢) كان للتصوف تأثير كبير على المجتمع المصري في ذلك العصر حتى أصبح من السمات العامة التي تميزه ، وانخرط فيه قطاعات كبيرة منه . ولقد انقسم المتصوفة إلى عدة فرق ، ارتبط بعضها بالدروشة والهرقطة ، واتجه البعض الآخر نحو طلب العلم ، والزهد ، وإليه كان ينتمي بعض فقهاء ذلك العصر . عبداللطيف حمزة ، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول ، الطبعة الثامنة ١٩٦٨ م . القاهرة ، ص ١٢٠ – ١٤٦ . سعيد عاشور ، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م ، القاهرة ص ١٦٢ – ١٧٥ .

(٣) ابن الصيرفي ، علي بن داود ، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ أهل الزمان ، تحقيق حسن حبشي ، ١٩٧٠م . القاهرة جـ١ / ص ٤٩٦ .

(٤) أبو الحمد فرغلي ، الدليل الموجز لأهم الآثار الاسلامية والقبطية في القاهرة ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م . القاهرة ص ٢٠٠ .

(٥) المقريزي ، الخطط جـ ٢ / ص ٤٦٤ . إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ١ / ق ٢ / ص ٥٣٦ .

(٦) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ ١٣ / ص ١٠٣ .

(٧) ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ١ / ق ٢ / ص ٨٠٤ .

(٨) عن ذلك انظر ص ٧٥ ، ٨٤ .

في حين أن المقريزي[1] يؤجل الأمر إلى مطلع العام التالي [٨١٤ هـ / ١٤١٢ م] . ولا يوجد في حقيقة الأمر تعارض بين هذه التواريخ . إذ من المؤكد أن المدرسة أصبحت مؤهلة للاستخدام منذ مطلع عام [٨١٣ هـ / ١٤١١ م] ، بينما بقيت أجزاء بسيطة جرى استكمالها فيما بين نهاية العام المذكور ومطلع عام [٨١٤ هـ / ١٤١٢ م] .

ولذلك فإن افتتاح المدرسة تم منذ مطلع عام [٨١٣ هـ / ١٤١١م] حيث تذكر المصادر بأن السلطان توجه إلى المدرسة ، وجلس هو والحضور في رواق القبلة ، وعن يمينه الأمراء ، وعن يساره المشايخ والقضاة[2] .

وقرر في تلك الأثناء نظام المدرسة ، وشروط وقفها ، فقرر لها فقيهاً يتولى مشيختها[3] . يبدو أنه لم يشترط أن يكون منتمياً لمذهب معين ، إذ وليها منذ تأسيسها لفترة من الزمن فقيه حنفي المذهب ، وهو الشيخ أحمد بن محمود العجمي[4] . ثم وليها في فترة لاحقة شمس الدين محمد البسطامي[5] ، وهو من فقهاء المالكية[6] .

---

(١) المقريزي ، الخطط جـ ٢ / ص ٤٦٤ .

(٢) ابن حجر ، إنباء الغمر بأبناء العمر ، جـ ٥ / ص ٢٠٤ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ ١٣ / ص ١٠٣ – ١٠٤ .

(٣) المقريزي ، السلوك ، جـ ٤ / ق ١ / ص ١٣٥ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ ١٣/ ص ١٠٣.

(٤) المقريزي ، السلوك ، جـ ٤ / ق ١ / ص ١٣٥ ، والشيخ العجمي ، هو أحمد بن محمد بن عبدالله القيسري الحنفي ، عني به والده عناية فائقة ، فعلمه القرآن ، وأحضر له المؤدبين والمعلمين حتى نال حظاً وافراً من العلم ، ولي وظائف عدة ، منها حسبة القاهرة ، توفي سنة « ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م » . ابن تغري بردي ، الدليل الشافي على المنهل الصافي ، تحقيق فهيم شلتوت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، مكة المكرمة ، جـ ١ / ص ٨٩ . السخاوي ، الضوء اللامع جـ ٢ / ص ٢٢٣ – ٢٢٤ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، جـ ٧ / ص ٢٠٢ .

(٥) هو محمد بن أحمد بن عثمان البسطامي القاهري المالكي ، نشأ على حفظ القرآن الكريم ، وسعى حثيثاً في طلب العلم حتى برز في علوم شتى . ولي وظائف التدريس في « مدارس عدة ، منها الشيخونية ، والبرقوقية » وولي قضاء المالكية مدة طويلة ، وظل على ذلك إلى أن توفي عام « ٨٤٢ هـ/١٤٣٨ م » . السخاوي ، الضوء اللامع جـ ٧ / ص ٥–٨ .

(٦) إبن تغري بردى ، الدليل الشافي ، جـ ٢ / ص ٥٩٧ .

أما بالنسبة لبقية الفقهاء ، الذين يفترض أن يقوموا بتدريس التخصصات المقررة في المدرسة ، فلا يرد لهم ذكر على الإطلاق . وإن كان يبدو أن صالح الزواوي المغربي[1] ، قد تولى تدريس الحديث فيها ، قبل أن ينتقل إلى مدرسة وجامع المؤيد شيخ[2] ، ليدرس فيه نفس التخصص السابق[3] .

أما عن الطلبة ، فإن المصادر تذكر بأن عددهم أربعين طالباً من المتصوفة[4]. بينما لم تذكر شيئاً عن الأطفال الذين يحفظون القرآن الكريم فيها، رغم أنها زودت بكتابين لتحفيظ القرآن الكريم ، كما هو مبين في الدراسة الوصفية .

ولقد كانت هذه المدرسة تقوم بتدريس المذاهب الأربعة ، بالإضافة إلى التفسير والحديث[5] . وإن كان يلاحظ أن المصادر التاريخية لم تطلق عليها لفظ « مدرسة » ، وإنما أطلقت عليها لفظ التربة أو الخانقاه[6] . وكذلك كان الحال في

---

(١) هو صالح بن محمد بن موسى بن أحمد الزواوي ، ولد بالمغرب ، ثم نزل القاهرة وتلقى العلم فيها . وانتقل بعد ذلك إلى المدينة المنورة ، حيث جاور مدة من الزمن ، ليعود بعد ذلك إلى القاهرة ، ويستقر فيها لحين وفاته سنة ٨٣٩هـ . السخاوي ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م ، القاهرة ، جـ ٢ / ص ٢٣٥ .

(٢) جامع ومدرسة المؤيد شيخ [٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م] من إنشاء الملك المؤيد شيخ ، ويقع بالقرب من باب زويلة ، وهو مبنى يتسم بالضخامة وكان يدرس فيه المذاهب الأربعة بالاضافة إلى العقيدة والحديث وغير ذلك . فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٧٥م ،ص ١٥ – ٢٣ . صالح لمعي ، جامع ومدرسة المؤيد شيخ ، القاهرة ص ٣ – ١٥ .

(٣) السخاوي ، التحفة اللطيفة ، جـ ٢ / ص ٢٣٥ .

(٤) المقريزي ، السلوك ، جـ ٤ / ق ١ / ص ١٣٥ . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة جـ ١٣ / ص ١٠٣.

(٥) صالح لمعي ، العمارة الاسلامية في العصر المملوكي الجركسي ، « خانقاه فرج بن برقوق » ، القاهرة ص ٦ . محمود أحمد ، دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة ، ١٩٣٨م ، القاهرة ص ١٥٠ ، أبو الحمد فرغلي ، الدليل الموجز ص ٢٠٠ .

(٦) المقريزي ، السلوك ، جـ ٤د / ق١ / ص ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٣٣٩ ، ٥٢٨ . ابن الصيرفي ، نزهة النفوس والأبدان ، جـ ٢/ ص ٢٩٣ ، ٣١٢ ، ٣٣٥ . ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ١ / ق ٢ / ص ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٥٣ ، ٧٦٣ ، ٨٠٤ .

اللوحات التأسيسية التي تعلو المدرسة ، والمذكورة في الدراسة الوصفية من هذا الفصل .

وهذا يعكس تعدد التخصصات التي كانت تقوم بها المنشآت في ذلك العصر ، حيث أن المنشأة الواحدة كانت تقوم بوظيفة المسجد الجامع ، والمدرسة ، والخانقاه[١] . وهو ما كانت تقوم به هذه المنشأة[٢] .

ولكي يتمكن الشيوخ والطلبة من التفرغ للعلم ، فإن الناصر فرج أجرى عليهم الجرايات ، من معالم شهرية ، وأرزاق يومية من الخبز ولحم الضأن المطبوخ[٣] .

كما أنه استولى على أوقاف الأمير فيروز الساقي[٤] بعد وفاته ، وجعلها داره على مدرسته ، لضمان استمرار النشاط التعليمي فيها[٥] .

كذلك قام ببناء فرن وطاحونة وحمام ، وأراد أن يبني سوقاً وخاناً بجوار المنشأة[٦]، لعلها بهدف أن تكون أوقافاً عليها أيضاً ، بيد أن المشروع لم يكتمل . وهجرت المنشآت التي تم بناؤها بعد ذلك بفترة يسيرة [٧] .

---

(١) محمد عبدالستار عثمان ، نظرية الوظيفية ، ج١/ص١١٦.

(٢) سعاد ماهر ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، جـ ٤ / ص ٥٩ ، محمود أحمد ، دليل موجز لأشهر الاثار العربية ، ص ١٥٠ ، أبو الحمد فرغلي ، الدليل الموجز ص ٢٠٠ . فهمي عبدالعليم ، العمارة الاسلامية بمصر في عصر السلطان المؤيد شيخ ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص ٢٥ .

(٣) المقريزي ، السلوك ، جـ ٤/ ق ١ / ص ١٣٥ .

(٤) هو الأمير زين الدين فيروز بن عبدالله الرومي ، كان من أخصاء الملك الظاهر فرج بن برقوق ، توفي سنة « ٨١٤ هـ / ١٤١١ م » . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ ١٣/ ص ١٨٦ .

(٥) المقريزي ، السلوك، جـ ٤ / ق ١ / ص ٢٠٢. ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ ١٣ / ص ١٨٦.

(٦) المقريزي ، الخطط ، جـ ٢ / ص ٤٦٤ .

(٧) المصدر السابق نفسه ، جـ ٢ / ص ٤٦٤ .

ذلك أن النشاط الاجتماعي في المنطقة لم يكن قادراً على استيعاب هذه المنشآت ، وهو ما حاول السلطان تلافيه عن طريق زيادة النشاط الاجتماعي والاقتصادي فيها ، فقام في عام « ٨١٤ هـ / ١٤١٢ م » بنقل سوق الجمال والحمير إلى منطقة مجاورة لها . ولم يستمر السوق سوى أياماً يسيرة ، حتى عاد إلى مكانه القديم تحت القلعة[١] .

موقع المدرسة :

تقع المدرسة خارج مدينة القاهرة ، إلى الشمال من قلعة الجبل ، فيما بين سور المدينة الشرقي ، وجبل المقطم[٢]. وتعرف هذه المنطقة في المصادر المملوكية وحجج الوقف بإسم الصحراء[٣] .

ولقد كانت هذه المنطقة في أوائل العصر المملوكي ميداناً للرماية يتدرب فيه الجند وعامة الناس[٤] . ثم أخذ منذ سنة «٧٢٠هـ / ١٣٢٠م » ، بالتحول إلى مقبرة لدفن الموتى ، حيث استغلت بعض أجزائه من قبل بعض الأمراء لبناء الترب عليها . وبنوا في أجزاء أخرى منشآت دينية وتعليمية[٥] .

---

(١) المصدر نفسه ، جـ ٢ / ص ٤٦٤ .

(٢) صالح لمعي ، العمارة الاسلامية في العصر المملوكي الجركسي ، ص ٣ .

(٣) محمد حمزة ، قرافة القاهرة ، ص ١٠٣ .

(٤) المقريزي ، الخطط ، جـ ١ / ص ٣٦١ ، جـ ٢ / ص ١١١ . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، جـ ٧ / ص ١٦٥ – ١٦٦ . علي باشا مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، الطبعة الثانية ١٩٦٩ م . القاهرة جـ ١ / ص ٨٢ .

(٥) محمد حمزة الحداد ، قرافة القاهرة ، ص ٩١ – ٩٩ .

فلما جاء عصر الجراكسة تزايد الاهتمام بهذه المنطقة، فقاموا بتعميرها ، وأنشأوا فيها الترب ، والمنشآت التعليمية والخيرية المختلفة ، مما أدى إلى تزايد عمرانها ، فاعتبرها بعض المؤرخين مدينة عظيمة(١) .

ولذلك فإن إنشاء هذه المدرسة في هذه المنطقة يعد جزءًا من مشروعات تعميرها ، وهو ما يؤكده محاولة الناصر فرج نقل بعض الأنشطة الاقتصادية ، وإنشاء بعض العمائر فيها بهدف تحقيق هذه الغاية . كما سبق أن وضحنا .

---

(١) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ ٩/ ص ١٨٨ . السخاوي ، نور الدين علي بن أحمد بن عمر الحنفي ، تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات ، تحقيق محمود ربيع وحسن قاسم ، الطبعة الأولى . ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م . القاهرة ، ص ٥٢ .

الوصف المعماري للمدرسة

التخطيط : [شكل ٣٤]

وفر البناء خارج المدينة لمهندس المشروع ، مساحة كبيرة من الأرض ، لتبنى المنشأة عليها. فيذكر المقريزي[١] أن هذه المساحة بلغت عشرة آلاف ذراع، بذراع العمل[٢] . أي ما يوازي أكثر من ستة آلاف متر مربع ، - على أساس أن الذراع هنا يساوي ٦٦٫٥ م [٣] ـ وهي مساحة المبنى الحالي تقريباً ، والذي تبلغ أبعاده ٨٥ م طولاً ، و ٨٠ م عرضاً[٤] .

ولقد ساعدت هذه المساحة الكبيرة المهندس على توزيع وحدات المبنى بصورة متجانسة ، ووفرت له أربع واجهات[٥] .

ويتكون المبنى من مجمع ينقسم إلى قسمين أساسيين ، همـا :

---

(١) المقريزي ، الخطط ، جـ ٢ / ص ٤٦٤ .

(٢) الذراع ، أداة لقياس الأطوال ، وهي على أنواع عدة ، فمنها العمرية ، والشرعية ، والهاشمية ، وغير ذلك . والمقصود بذراع العمل ، الذراع الهاشمية ، لأنها هي المستخدمة في العمل والبناء ، ومقدارها ٦٦٫٥ سم . فالترهنس ، المكاييل والأوزان وما يعادلها من النظام المتري ، ترجمة كامل العيسى ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م . عمان ، ص ٨٧ - ٩٣ .

(٣) انظر الهامش السابق .

(٤) دولت عبدالله ، معاهد تزكية النفوس في مصر ، ص ١٦٥ .

(٥) حسن عبد الوهاب ، خانقاه فرج بن برقوق بصحراء المماليك ، بحث ألقي ضمن المؤتمر الدولي الثالث للآثار العربية في فاس ١٩٦١م القاهرة ص ٨٩ ، ثروت عكاشة ، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ، ١٩٨١م القاهرة ص ٢٠٠ - ٢٠١.

أولاً : المدرسة :

وتشمل قاعات الدرس والصلاة[1] ، ومكتبي سبيل ، ومساكن للشيوخ والطلبة ، وملاحق الخدمة، مثل المكتبة ، والمطبخ والميضئة ... وغير ذلك [2] .

ثانياً : التربة :

وهي عبارة عن قبتان تلتصقان بالرواق الجنوبي الشرقي [القبلي] من المبنى ، وتكتنفانه عن اليمين والشمال ، وقد استخدمتا هاتان القبتان كمدفن للأسرة الحاكمة[3] . ويتبع التربة أيضاً حوش للدفن يقع إلى الشمال الشرقي من المنشأة[4] .

وما يهمنا هنا هو دراسة المدرسة بعناصرها سالفة الذكر. حيث تتكون من صحن واسع ، تحيط به أربعة أروقة[5] غير متصلة ببعضها[6] ، بهدف توفير الخصوصية لكل قاعة ، فيتسنى إلقاء الدروس فيها . فكان لكل مذهب من المذاهب الأربعة ، رواق يدرس فيه . إذ كان الرواق القبلي مخصص لتدريس المذهب الحنفي . وخصص الرواق البحري للمذهب الشافعي ، بينما يجلس شيخ المذهب الحنبلي في الرواق الشمالي الشرقي ، وخصص الرواق الجنوبي الغربي للمذهب المالكي[7] .

---

(١) سعاد ماهر ، مساجد مصر جـ ٤ / ص ٦٢ . كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية في مصر ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٨٣م ، ص ٤٦ .

(٢) صالح لمعي ، العمارة الإسلامية في العصر المملوكي ص ٩ – ١١ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ٧ – ٩. ثروت عكاشة ، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ، ص ٢٠٠ .

(٤) خليل سعيد ، الربط الإسلامية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ١٩٧٢ م ، ص ٢٠٩ . حنان حسين أنور ، دراسة تحليلية للمباني المجمعة للعمارة المملوكية ، للاستفادة منها في العمارة المعاصرة . رسالة ماجستير ، كلية الهندسة ، جامعة القاهرة ١٩٨٧م ، ص ٧٠ .

(٥) يطلق الرواق عادة على القاعات التي تحمل أسقفها الأعمدة . وقد يدل المعنى على وحدات معمارية أخرى . انظر ص ٣١٧ ـ ٤٢٢ .

(٦) زكي حسن ، فنون الإسلام ، القاهرة ، ص ٧٧ .

(٧) صالح لمعي ، العمارة الإسلامية في العصر المملوكي ، ص ٦ .

الواجهـــات :

زودت المدرسة بأربع واجهات حجرية مهذبه ـ فص نحيت ـ ومشهرة[١] ، في بعض أجزائها ويتوجها من أعلى صف من الشرفات الحجرية ذات الورقة النباتية الثلاثية .

الواجهة الشمالية الغربية [البحرية] [لوحة ١] :

تنقسم هذه الواجهة إلى قسمين : الأول ويبلغ طوله ٢ر١٥م، ويشمل واجهة مدخل المدرسة الرئيسي [لوحة ٣] . ويرتد هذا القسم عن سمت الواجهة بأكملها ، بمقدار ٥ م تقريباً[٢] . وسنشير إلى هذا القسم بالتفصيل أثناء وصف المدخل .

أما القسم الثاني من هذه الواجهة ، فيبلغ طوله ٥ر٧٠ م . ويشمل واجهتي مكتب السبيل الجنوبي الغربي والواجهة الغربية لمكتب السبيل الشمالي الشرقي وواجهة الرواق الشمالي الغربي [البحري] ، وقاعاتان تكتنفانه من الناحية الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية [٣] . [لوحة ١ ، ٢ ، ٤] .

ويوجد في هذه الواجهة خمس دخلات رأسية متماثلة في الاتساع ، باستثناء أوسطها ، والتي تزيد في اتساعها عن بقية الدخلات . ولقد وزعت هذه

---

(١) التشهير يطلق على المداميك الحجرية ، أو التلبيسات الرخامية الملونة . ويبنى بها أوتكس جدران الواجهات من الداخل أو الخارج . ولقد اتخذت في القرن التاسع ٩ هـ / ١٥ م . في مصر والحجاز ألوان عدة . انظر ص ٤٢٩ ـ ٤٣١ .

(٢) Mostafa, S. l ; Klos terund , Mausolem , des A Farag Ibn Bargug in Kairo , 1968 , p. 95 .

(٣) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٣م ، ص ١١٢ .

الدخلات بحيث تكون الأولى والخامسة ، خاصة بالقاعتين ، بينما شغلت الثانية والثالثة والرابعة ، واجهة الرواق البحري(١) .

ويشغل كل من هذه الدخلات دوران من الشبابيك، بحيث يكون بكل دور نافذة واحدة ، ما عدا الدخلة الوسطى ، والتي زودت بثلاث شبابيك بكل مستوى . ويغطي كل من شبابيك الدور السفلي مصبعات برونزية(٢) . ويعلوه عقد مستقيم(٣)، يتكون من صنجات حجرية(٤)، مزررة ، ومشهرة « أحمر وأصفر ».. ومن فوقه يأتي النفيس (٥) ، ويعلوه عقد عاتق ، يتكون من صنجات مزررة ومشهرة أيضاً ، ويحيط بالعقد المستقيم والعاتق ، مدماك حجري « طره » أحمر اللون(٦) . أما شبابيك المستوى العلوي ، فكانت عبارة عن شمسيات [شبابيك معقودة] ، محددة عقودها بأطر حجرية ، ويستثنى من ذلك الفتحة الوسطى ، بالدخلة الوسطى . والتي كانت عبارة عن قمرية [نافذة مستديرة] ،

---

(١) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية الزخرفية على عمائر القاهرة . في العصر المملوكي الجركسي ، [دراسة فنية أثرية] ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م ، ص ١٥٠ .

(٢) المصبعات البرونزية ، عبارة عن تشبيكات تصنع من البرنز تغشى بها واجهات النوافذ المستطيلة في العمائر الجركسية ، وهي على طرز متعددة ، مايسة داود ، النوافذ وأساليب تغطيتها في عمائر المماليك بمدينة القاهرة . رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٥م ، ص ١٦٠ .

(٣) العقد المستقيم ، يطلق على نوع من العقود، التي عادة ماتوضع فوق الفتحات، كالأبواب والنوافذ المستطيلة. ويتميز بأنه لا انحناء أو إنكسار فيه. انظر ص ٤٥٠ ـ ٤٥١ .

(٤) يطلق لفظ الصنجة على المداميك المهذبة التي يتكون منها العقد ، انظر ص ٤٤٢ .

(٥) يطلق اللفظ على المنطقة الواقعة فيما بين العقد العاتق والعقد المستقيم ، وسميت بالنفيس ، لأن العقد العاتق أبعد عنها ثقل ما يعلوها من أجزاء الواجهة فعدت بذلك متنفس . محمد حمزة الحداد ، الطراز المصري لعمائر القاهرة الدينية خلال العصر العثماني ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٤١١هـ/١٩٩٠م ص ٧٣١ .

(٦) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ص ١٤٩ .

محددة بنصف جفت(١) ومغطاة بالزخارف الجصية المعشقة بالزجاج الملون . وتوجت كل من هذه الدخلات بصدر مقرنص(٢) .

ويوجد في أعلى هذا القسم من الواجهة مدماك حجري أحمر، يكتنف بحر كتابي بخط النسخ المملوكي المحفور بارزاً على الحجر ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم ، أمر بإنشاء هذه التربة الشريفة مولانا وسيدنا ومالك رقابنا السلطان المالك الملك الناصر ناصر الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محي العدل في العالمين كهف الفقراء والمساكين السلطان الملك الناصر أبو السعادات فرج بن السلطان الشهير برقوق صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية ، والأعمال الفراتية ، والثغور الساحلية ، السلطان الأعظم مالك رقاب الأمم سيد ملوك العرب والعجم أبو المعالي والهمم أدام الله أيامه ونشر في الخافقين أعلامه بمحمد وآله يا رب العالمين](٣) .

كما يوجد في أقصى الجنوب الغربي من هذا القسم من الواجهة ، واجهتي مكتب السبيل الجنوبي الغربي . وهما واجهتان جنوبية وغربية . وبكل

(١) الجفت عبارة عن نوع من الأطر الحجرية ذات الصفة الزخرفية ، وهو على أنواع . انظر ص ٤٨٩ ـ ٤٩١ .

(٢) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ٤/ص ٦٣ . والمقرنص ، عنصر معماري زخرفي ، كان يشغل مناطق الانتقال وإنكسارات الأسطح . انظر ص ٤٥٢ ـ ٤٥٧ .

(٣) عادل شريف علام ، اللوحات التأسيسية على العمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة « دراسة مقارنة في ضوء التخطيط وما جاء بالوثائق والمراجع » ، رسالة دكتوراه ، كلية آداب سوهاج ، جامعة أسيوط ، ص ٣٣١ .

Von Berchem " Max " , Corpus Inscriptionum Arabicorum, lever Portie . Equpte , Memoires Publics par les membres delamision , Archeologique Francaise au Caire , Tome , XIX , Paris 1884 , p,316.

منهما شباك تسبيل ، مغطى بالمصبعات البرونزية ، ويعلوا كلاً منهما عقد مستقيم ، مكون من صنجات مزرره ، يعلوه نفيس حجري ، ومن فوقه عقد عاتق ، يتكون من صنجات حجرية مزررة أيضاً . ويحدد العقدان السابقان مدماك حجري أحمر اللون . أما واجهتي الكتاب علو السبيل ، فإنها تطل على الناحية الغربية بثلاث عقود مدببة ، ذات صنج حجرية مشهرة ، وتستند على عمودين من الرخام ، بينما شغلت الواجهة الجنوبية بعقد واحد فقط ، يماثل العقود السابقة . وزودت هذه الواجهة بدرابزين ، بينما كان يعلوها رفرف خشبي ، وكل ذلك مصنوع من الخشب المجمع « الخرط »[1] .

ويقع في الطرف الشمالي الشرقي لهذه الواجهة ، الواجهة الغربية ، لمكتب السبيل الثاني بالمدرسة، ولا تختلف هذه الواجهة في عناصرها المعمارية ، عما يوجد في مكتب السبيل الأول فهي تماثله تماماً .

كما يتوجها من أعلى شرفات على هيئة الورقة النباتية الثلاثية .

الواجهة الشمالية [لوحة ٥] :

ويبلغ طول هذه الواجهة ٨٠ م ، وتحتوي على الواجهة الشمالية لمكتب السبيل الشمالي الشرقي ، والمدخل الثاني للمدرسة ، وواجهة بعض الحجرات السكنية الخاصة بالطلبة « خلاوي » ، الواقعة في الجانب الشمالي من المدرسة . بالإضافة إلى الواجهة الشمالية للقبة الشمالية الشرقية ، ويتميز الجزء الأوسط من هذه الواجهة بارتفاعه عن بقية أجزاء الواجهة[2] .

---

(١) خليل سعيد ، الربط الاسلامية ص ١٨٢ .

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٢ - ١١٣ .

فبالنسبة لواجهة مكتب السبيل الشمالية ، فإنها تماثل تماماً واجهته الغربية ، [لوحة ٦] . أما المدخل الثاني للمدرسة ، والذي يلي مكتب السبيل ، فيقع في دخلة إتساعها ٥ر٤ م ، وعمقها ٥ر٢ م[١] . وفتحة الباب فيه مغلقة حالياً بالبناء . ويؤدي إليه سلم جانبي حديث البناء . ويتماثل هذا المدخل في تفاصيله المعمارية مع المدخل الرئيسي للمدرسة . ويعلو مكسلتيه [مسطبتيه] طراز كتابي ، بخط النسخ المملوكي ، المحفور بارزاً ما نصه : [بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿ أدخلوها بسلام آمنين ﴾[٢] أمر بإنشاء هذه التربة المباركة من فضل الله تعالى مولانا السلطان الملك الناصر ، أبو السعادات فرج بن السلطان الشهيد برقوق تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جناته يا رب العالمين . وكان الفراغ من هذا المكان المبارك في سلخ سنة ثلاث عشر وثمانمائة][٣] .

ويعلو الجانب الأيسر من الطراز المذكور نص آخر كتب بنفس الطريقة مانصه [عمرت هذه الخانقاه بمباشرة الجناب العالي لاجين الطرنطاي[٤] غفر الله له][٥] .

ويلي المدخل ، دخلة تشبه تلك الموجودة في الواجهة الشمالية الغربية . ثم تأتي بعد ذلك نوافذ الحجرات السكنية [الخلاوي] ، المطلة على هذه الناحية ،

(١) المرجع السابق نفسه ص ١١٣ .

(٢) سورة الحجر آية ١٥ .

(٣) عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ، ص ٣٣١ – ٣٣٢ .

Van Berchem "Max", Gorpus, Ins. Criptionun, Arabcorum, p. 316.

(٤) لا يوجد فيما اطلعت عليه من مصادر ، من يحمل هذا الاسم في عصر الناصر فرج بن برقوق ، ويلاحظ أن إبن إياس يذكر بأن الشاد على عمارة هذه المدرسة هو الناصري محمد بن سنقر البجكاوي . إستدار الذخيرة ، إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ١/ ق ٢ / ص ٥٣٧ .

(٥) دولت عبدالله ، معاهد تزكية النفوس ، ص ١٦٦ .

والمكونة من ثلاث وثلاثين نافذة ، موزعة على ثلاثة أدواره وكانت هذه النوافذمغطاةبمصبعاتبرونزية[1] .

وآخر جزء من أجزاء هذه الواجهة الشمالية هي القبة ويوجد فيها دخلتان ، بكل منها دوران من النوافذ ، بكل منهما نافذة واحدة ، تماثل في تكوينها المعماري ، نوافذ الواجهة الشمالية الغربية ، ويتوج كلاً من هذه الدخلات صدر مقرنص .

ويعلو هذه الواجهة الجدارية ، منطقة انتقال القبة ، والتي شغلت بقندلية مركبة[2] . غشيت نوافذها بالزخارف الجصية المعشقة بالزجاج الملون .

الواجهة الجنوبية الشرقية [القبلية] [لوحة V] :

يبلغ طول هذه الواجهة ٧١ م . ويتوسطها واجهة الرواق القبلي للمدرسة ، ويكتنفها واجهتي القبتين . وتتميز واجهة الرواق بإرتفاعها ، عن واجهتي القبتين . ويتخللها ست دخلات ، تشبه في تكوينها المعماري ، دخلات الواجهة الشمالية الغربية[3] . كما يتوسط هذه الواجهة بروز المحراب ، ويعلوه قمريه[4] . بينما تماثلت واجهتي القبتين مع الواجهة الشمالية ، للقبة الشمالية الشرقية ، فيما عدا وجود قمريه ، توازى النوافذ العلوية تقع فيما بين دخلتي كل منهما .

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٣ .

(٢) القندلية المركبة ، عبارة عن مجموعة من النوافذ مكونة من شمسيات وقمريات ، تزيد عن ثلاثة لكل منهما . بحيث تكون هناك ثلاث شمسيات سفلية يعلوها ثلاث قمريات في شكل مثلث كما هو واضح في [اللوحة ٧] . مايسة داود ، النوافذ وأساليب تغطيتها في عمائر المماليك ، ص ١٢٧ .

(٣) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٣ .

(٤) المرجع السابق نفسه ص ١١٣ .

وتبرز فوق هذه الواجهة ثلاث قباب . ركنيتان كبيرتان ، وصغيرة تعلو المحراب ، ويحمل كل واحدة منهما منطقه إنتقال عبارة عن مدرجات تنطلق من الأركان ، لتحول المربع إلى مثمن .

ولقد زخرفت القبتان الركنيتان ، بزخارف عبارة عن خطوط منكسرة ـ دالية أو زجزاج ـ تبدأ بأشكال مستديرة ـ ميمات ـ بينما زخرفت القبة الوسطى بأشكال مفصصة ، على غرار القباب الفاطمية ، وقباب عصر المماليك البحرية[١] . ويتوجها من أعلى شرفات ثلاثية .

الواجهة الجنوبية الغربية [لوحة ٨] :

ويبلغ طول هذه الواجهة ٧١ م . وهي أقل الواجهات من حيث الأهمية ، لأنها تخلو من وجود ملحقات تطل عليها[٢] ، باستثناء الواجهة الجنوبية للقبة الجنوبية الغربية ، وهي تماثل في تكوينها المعماري ، الواجهة الشمالية للقبة الشمالية الشرقية .

المدخل الغربي [الرئيسي] [لوحة ٩] :

للمدخل واجهة جميلة ترتفع عن سمت الشارع بمقدار خمس درجات[٣]، من الحجر الجيري على شكل نصف دائري ، يليها بسطة مستطيلة الشكل بسياج حديث من الرخام ، ويتوسط حجر المدخل واجهته ، ويبلغ اتساعه ٤ م وعمقه ٥ر٠ م[٤] . وبداخله توجد فتحة باب المدرسة ، التي يكتنفها مسكلتان

(١) محمد حمزة الحداد ؛ القباب في العمارة المصرية الاسلامية ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، القاهرة ، ص ١٦٠ – ١٦٤ .

(٢) حسن عبد الوهاب ، خانقاه فرج بن برقوق ، ص ٨٩ .

(٣) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ٤ / ص ٦٣ .

(٤) Mostafa "S.T", Klostere und, Mausolem, des Farag Ibn Bargug p, 25.

[مصطبتان] من الحجـر محددتان بجفت . ويعلوهما عضادتي المدخل ، عليهما كتابـة تأسيسية بالخط النسخ البارز ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بانشاء هذه الخانقاه الشريفة السلطان الأعظم مالك رقابنا(١) سيد ملوك العرب والعجم مولانا السلطان فرج بن برقوق أدام الله أيامه](٢) .

ويعلو فتحة الباب عقد مستقيم من صنج مزررة عليها زخارف نباتية ، عبارة عن أوراق نباتية ثلاثية مقلوبة ومعدولة بالتبادل ، يلي ذلك النفيس ، ثم يعلوه عقد عاتق مكون من صنجات حجرية مزررة، ومشهرة « أحمر وأصفر » . وعلى هذه الصنج زخارف نباتية عبارة عن ورقة ثلاثية(٣) ، يلي ذلك فتحة شباك مستطيلة ، كانت مغشاة بمصبعات برونزية(٤) .

ويتوج المدخل عقد مدائني ثلاثي(٥) ، مقام على حطات من المقرنصات الدالية(٦)، يحيط به إطارحجري عبارة عن نصف جفت . يلتقي عند قمة العقد بدائرة على شكل الميمه . كما حليت كوشتي العقد برسوم نباتية بارز على

---

(١) ذكر فان برشم كلمة رقاب .

Van Berchem ; Corpus Inscriptionum , Arabicorum, XIX , p, 317.

والأصح هو كلمة رقابنا كما هو مذكور في المتن أعلاه . انظر عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ، ص ٣٣٠ .

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٤ ، عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ص ٣٣٠ ، خليل سعيد ، الربط الإسلامية ص ١٨٣ .

(٣) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٤٨ – ١٤٩ .

(٤) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤ / ص ٦٣ .

(٥) العقد المدائني الثلاثي ، هو عقد مفصص إلى ثلاثة فصوص ، شاع استعماله على المداخل في العصر الجركسي . انظر ص ٤٤٩ .

(٦) المقرنصات الدالية ، لها أطراف متدلية منها . انظر ص ٤٥٧ .

الحجر[١] ، يتوسطهما رنك كتابي[٢] خاص بالسلطان ، ورد فيه عز لمولانا السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق[٣] . ويحيط بالكوشتين إطار حجري أحمر اللون .

ولقد بينت هذه الواجهة بمداميك حجرية مشهرة « أحمر وأصفر »[٤] .

دركاه[٥] المدخل :

وهي تلي فتحة الباب ، وتبدو مربعة الشكل ، حيث تبلغ أبعادها ٦٠ر٤ م × ٤٠ر٤ م . ويعلوها سقف عبارة عن قبو مروحي[٦] . يتوسطه قبة صغيرة ، [لوحة ١٠] . وأرضية الدركاه من الحجر الجيري ، وبصدرها فتحة باب معقودة بعقد مدبب تفضي إلى دورة مياه حديثة . وكانت في الأصل ساقية المدرسة [لوحة ٣٣] . وعلى يمين الداخل إليها شباك مستطيل ، مغشى

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٤ .

(٢) الرنك كلمة فارسية تعني الشارة أو اللون وهي في العمارة المملوكية عبارة عن حليات زخرفية تحمل شعارات السلاطين والأمراء ، ولقد ظهر من العصر الجركسي رنوك تحمل عبارات دعائية اختص بها السلاطين . عبدالرحيم أحمد ، تاريخ الفن في العصور الإسلامية ، العمارة وزخارفها، الطبعة الأولى ١٩٨٩م القاهرة ، ص ٢٧٠ – ٢٨٥ . أحمد عبدالرزاق ، الرنوك على عصر السلاطين المماليك ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد ٢١ ، ١٩٧٤م ، ص ٦٧ – ١٠١ .

(٣) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ص ١٠٠ .

(٤) Mostafa "s. t", Klostere und, Mausolem, des Farag Ibn Bargug p,28.

(٥) الدركاه لفظ فارسي مركب من كلمتين ، الأولى « در » بمعنى باب . والثانية « كاه » بمعنى محل ، وتطلق الكلمة في الوثائق على المنطقة التي تلي باب الدخول في العمائر المملوكية ، محمد محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م، القاهرة ص ٤٧ .

(٦) والقبو المروحي عبارة عن قبو متقاطع أرجله هابطة قليلاً . دللي : ولفرد جوزف، العمارة العربية بمصر، « مع شرح المميزات البنائية الرئيسة للطراز العربي » ، ترجمة محمود أحمد ، الطبعة الأولى ١٣٤١هـ / ١٩٧٣م ص ١٤ – ١٥ .

بمصبعات برونزية . يقابله في الناحية الأخرى فتحة باب معقودة بعقد مدبب تؤدي إلى دهليز المدرسة[1] .

الدهليـــز [لوحة ١١] :

مستطيل الشكل طوله ٢٤ م ، وعرضه ٣٫٢٥ م . أرضيته حجرية . وقد سقف جزء منه بقبو برميلي ، بينما ترك الجزء الآخر « كشف سماوي » .

ويطل على الدهليز المزملة[2] ، وستة أبواب توزعت بالتساوي على جانبي الدهليز ، فيؤدي الأولان على يمين الداخل ، إلى الدرج الصاعد إلى الأدوار العليا والكتاب الجنوبي الغربي ، وبينهما تقع المزملة[3] . يلي ذلك باب كان يؤدي إلى دورة المياه الأصلية والمطبخ وبعض الحواصل السفلية[4] .

أما الأبواب اليسرى ، فأولها يؤدي إلى السبيل الجنوبي الغربي ، وثانيها إلى حاصل السبيل ، وثالثها إلى حجرة حبيس[5] ، يظهر أنها كانت مخصصة لبواب المدرسة .

الأروقـــة :

زودت المدرسة بأربعة أروقة ، وهي كالتالي :

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٤ ، خليل سعيد ، الربط الاسلامية ، ص ١٨٤ .

(٢) المزملة يطلق على موضع بيت الأزيار ، حيث يستسقى معه ساكنوا المدرسة ومرتادوها . انظر ص ٤٠١ ـ ٤٠٣ .

(٣) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٤ .

(٤) حنان حسين ، دراسة تحليلية للمباني المجمعة ، ص ٧٧ ، صالح لمعي ، العمارة الاسلامية في العصر المملوكي ص ١٠ .

(٥) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٤ .

أولاً : الرواق الجنوبي الشرقي (القبلي) [لوحة ١٢ ، ١٣] :

وهو أكبر الأروقة ، مستطيل الشكل أبعاده ٣٠ر٣٤ م×١٧ م[١] ، وأرضيته من الحجر الجيري ، ومسقف بعشرين قبة ضحله مبنية بالطوب ومحمولة على مثلثات كروية ويرتكز كل من هذه القباب على أربعة عقود مدببة ، ويعلو بلاطه المحراب قبة مضلعة صغيرة مقامة على حطتين من المقرنصات ، والتي تحمل فيما بينها أربع فتحات من الشبابيك المثلثة ، يلي ذلك رقبة القبة ، والتي فتح بها ثمانية شبابيك معقودة ، ومغشاة بالزجاج الملون المعشق بالجص ، ثم يلي ذلك صرة القبة حيث زخرفت بشريط من الكتابة القرآنية بالخط النسخ ، وهي من تجديدات لجنة حفظ الآثار العربية . [لوحة ١٦] .

ويحمل السقف ثلاثة بوائك موازية لجدار القبلة ، عقودها مدببة ، ودعائمها حجرية مثمنة الشكل[٢] ، بكلٍ منها سبعة عقود تحملها ستة دعامات . ويبلغ إتساع هذه العقود ٤.١ م ، ما عدا العقود الوسطى منها والمواجهة للمحراب ، حيث يبلغ اتساعها ٦٠ر٤ م[٣] .

ويتوسط جدار القبلة دخلة المحراب ، وهي نصف دائرية يتوجها عقدان مدببان ، الخارجي منهما أكبر من الداخلي ، ويحملهما أعمدة ذات تيجان ناقوسية ، والمحراب مجرد من الزخارف ، [لوحة ١٤] .

ويكتنف المحراب ، على امتداد جدار القبلة ، ست دخلات معقودة بعقود مدبية بأسفلها فتحات شبابيك بمصبعات برونزية ، سدت اثنتان منها في زمن يصعب تحديده ، فأصبحتا على شكل المحاريب . ويتوج هذه الدخلات صف من

---

(١) خليل سعيد ، الربط الاسلامية ، ص ١٨٧ .

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٥ .

(٣) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤ / ص ٦٥ .

الشرفات على شكل الورقة النباتية الثلاثية . ويعلو هذه الدخلات شمسيات معقودة ، مغشاة بالزجاج الملون تتضمن بداخلها كتابة نسخية مضمونها « الملك الظاهر » . كمـا يعلـو المحـراب نافـذة مستـديرة الشـكل « قمـرية » .

ويجاور المحراب منبر حجري زودت به المدرسة ، في عهد السلطان قايتباي ، سنة ٨٨٨ هـ / ١٤٨٤ م . كما تشير بذلك كتابة نسخية تعلوه ، وله قاعدة مستطيلة وجانبان بداخلهما زخارف هندسية عبارة عن أطباق نجمية وأخرى نباتية ، يحيط به إطار بأشكال مستديرة « ميمات » وزخارف كتابية بالخط النسـخ نصها ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾(١) [سورة الأحزاب : آية ٥٦] [لوحة ١٥] .

وفي مقدم الجهـة الشمالية الغربية للرواق دكـة خشبية بدرابزين خشب ، جددها السلطان قايتباي ، ثم أعيد تجديدها من قبل لجنة حفظ الاثار العربية(٢). [لوحة ١٨] .

ويتوسط الجدار الشمالي للرواق ، مدخل القبة الشمالية الشرقية ، وهو عبارة عن فتحة متسعة تبلغ ٢٠ر٤ م . وقد سدت بحاجز خشبي ، مزخرف بأشكال هندسية مفرغة ، ويتوسطه فتحة باب حديثة [لوحة ١٧] .

وكذلك كان الحال مع الجدار الجنوبي للرواق إذ يتوسطه فتحة تؤدي للقبة الجنوبية الغربية ، ويبلغ إتساعها ٦٠ر٤ م . وقد سدت بحاجز خشبي مماثل للسابق(٣) .

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٩ .

(٢) دولت عبدالله ، معاهد تزكية النفوس ص ١٧٠ ، صالح لمعي ، العمارة الاسلامية في العصر المملوكي ص ٧ .

(٣) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٦ .

ثانياً : الرواق الشمالي الغربي [البحري] [لوحة ١٩ ، ٢٠] :

يقع هذا الرواق في المرتبة الثانية بالنسبة لمساحة أروقة المدرسة ، وتبلغ أبعاده ٥ر٢٥ م × ١٣ م .

ويشابه في تخطيطه الرواق القبلي ، حيث يتكون من ثلاثة بوائك موازية لجدار القبلة ، بكل منها أربعة دعامات مثمنة ، تعلوها خمسة عقود مدببة ، أوسطها أكثرها إتساعاً ، إذ بلغ اتساعه ٤ر٤ م ، بينما تبلغ سعة بقية العقود ٤ر٢ م . وتحمل هذه البوائك السقف المكون من خمس عشرة قبة ضحله ، تماثل التي في رواق القبلـة .

ويتصدر الرواق خمس دخلات معقودة بعقود مدببة، بكل منها شباك مستطيل بمصبعات برونزية . تعلوها شمسيات معقودة باستثناء الوسطى فهي قمرية . وتماثل في زخارفها تلك التي في رواق القبلة(١) .

ثالثاً : الرواق الشمالي الشرقي [لوحة ٢١ ، ٢٢] :

وتبلغ أبعاده ١٥ر٢٧ م × ٦ م(٢) . وهو عبارة عن بائكة واحدة تتعامد على جدار القبلة ، وتتكون من أربعة أعمدة حجرية مثمنة ، تقوم عليها خمسة عقود مدببة ، تعلوها خمسة قباب تشبه ما في الرواقين السابقين ، ويبلغ إتساع هذه العقود ٤ م .

ويوجد في الجدار الشمالي من هذا الرواق ثمانية أبواب ، يؤدي كل منها إلى خلوه . ويلاحظ أن سقف هذا الرواق منخفض عن مستوى الرواقين السابقين(٣) .

---

(١) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤ / ص ٦٧ .

Mostafa "s. t", Klostere und, Mausolem, des Farag Ibn Bargug p, 27.

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٧ .

(٣) Mostafa "s.t", Klostere und, Mausolem, des Farag Ibn Bargugp, 44.

رابعاً : الرواق الجنوبي الغربي [لوحة ٢٣] :

تبلغ أبعاد هذا الرواق ٢٥ر٢٩ م × ٥ر٥ م ، وهو يماثل في تخطيطه وعناصره المعمارية ، الرواق السابق[١] .

ولقد كسيت أرضية الأروقة السابقة بالحجر الجيري المصقول ، بينما استعملت الحجارة المشهرة « الأحمر والأصفر » ، في بناء دعائمها وعقودها[٢] . كما أحيطت الحواف الخارجية لعقود الأروقة المطلة على الصحن . بإطار بارز من الحجر « جفت كامل » ، يلتقي عند قمة كل عقد بدائرة على شكل ميمه ، [لوحة ٢٤] ، وتوجت قمة كل من واجهتي الرواق القبلي والبحري ، المطلتان على الصحن بشرفات ذات ورقة ثلاثية[٣] .

ويتوسط الجزء العلوي من واجهة رواق القبلة المطلة على الصحن لوحة تأسيسية ، كتبت على الحجر بالخط النسخي البارز ، ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السموات وما في الأرض ، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾[٤]. أمر بإنشاء هذه التربة المباركة مولانا السلطان المالك الملك الناصر فرج بن برقوق ، أدام الله أيامه ونشر في الخافقين أعلامه وكان الفراغ في سنة ثلاث عشر وثمانمائة][٥] .

---

(١) صالح لمعي ، العمارة الإسلامية في العصر المملوكي ، ص ٦ .

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٧ .

(٣) خليل سعيد ، الربط الإسلامية ، ص ٢٢٠ .

(٤) سورة البقرة ، آية ٢٥٥ .

(٥) عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ، ص ٣٦١ .

الصحــــن : [لوحة ١٩ ، ٢٥] :

مستطيل الشكل ومكشوف ، تبلغ أبعاده ٣٩٫٢٥ م × ٣٦٫٦ م وأرضيته من الحجر الجيري ، وتتوسطه الميضأة(١) .

ويفتح على الصحن ستة أبواب ، إثنان منهما يكتنفان الرواق البحري ، فيؤدي الجنوبي منهما إلى قاعة السلطان ، والشمالي إلى قاعة شيخ المدرسة(٢) [لوحة ١٩] ، ويكتنف بابان آخران الرواق الشمالي ، فيؤدي الشرقي منهما إلى كتلة الخلاوي الشمالية . [لوحة ٢١] . بينما ينفذ الغربي إلى دهليز المدخل الثاني للمدرسة(٣) [لوحة ٢٦] .

وآخر بابين من هذه الأبواب يكتنفان الرواق الجنوبي ، فيـؤدي الشرقي منهـما إلى المكتبة ، وبورة المياه ، وما خلفها [لوحة ٢٣] . وينفذ الغربي إلى الدهليز الرئيسي للمدرسة(٤) . [لوحة ٢٧] .

وتتماثل هذه الأبواب في الشكل والزخارف ، فلكل منها حجـر غائـر ، يتوسـط أسـفله الباب ، الـذي يكتنـفه مكسـلتان من الحجر ، وعلى عضادتي الباب كتابة بارزة بالخط النسخي نصها ﴿ أدخلوها بسلام آمنين ﴾(٥) [سورة الحجر آية ١٥] .

ويعلو كل فتحة باب عقد مستقيم يتكون من صنج مزررة مشهرة « أحمر وأصفر » ، يليه نفيس ، ثم عقد عاتق يتكون من سبع صنجات مزررة ، يعلوه

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٥ .

(٢) Mostafa "s.t", Klostere und, Mausolem, des Farag Ibn Bargug p, 79-82.

(٣) Ibid , p , 56 , 91 .

(٤) Ibid, p , 71 .

(٥) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٥١ .

شباك مستطيل مغطى بمصبعات برونزية ، ويتوج الحجر عقد مدبب ، حددت حوافه الداخلية بشريط زخرفي لأشكال دالية ، ويختلف عن ذلك البابين المكتنفين للرواق الشمالي الغربي ، حيث لا يتوجهما عقد ، وإنما مساحة مسطحة بمداميك حجرية مشهرة « أحمر وأصفر » . كما حددت هيئة كل حجر بجفت يلتقي عند قمة العقد بميمة كبيرة ، ويعلو كلاً منها شرفات تشبه شرفات الواجهة[1] .

مكتبي السبيل :

زودت هذه المدرسة بمكتبي سبيل [لوحة ١] ، أحدهما يقع جنوب غربي الواجهة الشمالية الغربية ، بجوار مدخل المدرسة الرئيسي ، والثاني في الطرف الشمالي الشرقي لنفس الواجهة [شكل ٣٤] ، ويتوصل إلى السبيل الأول عن طريق فتحة باب تفتح على الدهليز الرئيسي للمدرسة .

أما السبيل الثاني فإنه يطل بفتحة باب على دهليز المدخل الثاني . أما المكتبين الذين يعلونهما ، فيتم التوصل إليهما عن طريق درج يؤديان إلى الأدوار العلوية من المدرسة ، وينفذان على الدهليزين السابقين[2] .

والمبنيان متماثلان من حيث المساحة، وتبلغ أبعاد كلاً منهما ٥ر٦م × ٦م، وسقفهما وأرضيتهما مجددتان حديثاً . ويوجد بجوار السبيل الغربي حاصل صغير خصص لحفظ أدوات السبيلين ، ومستلزماتهما[3] .

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ١٥٢ .

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٤ .

Mostafa "s.t", Klostere und, Mausolem, des Farag Ibn Bargugp, 103,108.

(٣) خليل سعيد ، الربط الاسلامية ، ص ٢٠٣ .

المزملة :

زودت المدرسة بمزملة [بيت أزيار] ، كانت تقع في الدهليز الرئيسي وهي عبارة عن إيوان معقود بعقد مدبب ، وله سقف مقبي، وتبلغ أبعاده ٥ر٢ م × ٢ر٢ م[١] .

المكتبة [شكل ٣٤] :

زودت المدرسة بمكتبة اندثرت معظم معالمها حالياً ، وكانت تقع في الجناح الجنوبي من المبنى[٢] ، وهي عبارة عن قاعة تتكون من إيوان واحد يتقدمه درقاعه ، وتبلغ أبعاد الايوان ٣ م × ٨ر٢ م . وكان له سقف خشبي . وبه ثلاث دخلات ، كانت تستخدم ككتبيات لحفظ مقتنيات المكتبة من الكتب ، وتتساوى مساحة الدرقاعه مع مساحة الايوان ، وكان لها سقف خشبي يتوسطه ملقف « باذهنج »[٣] .

ويقع إلى شمالي المكتبة حاصل صغير ، يبدو أنه كان يستخدم لحفظ أدوات المكتبة[٤] .

وحدات الإسكان :

تنوعت وحدات الإسكان في المدرسة ، ليلبي كل نوع احتياجات معينة . وعلى الرغم من فقدان حجة الوقف الخاصة بالمدرسة ، وهي التي ستمكننا من

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٤ .

(٢) صالح لمعي ، العمارة الاسلامية في العصر المملوكي ، ص ٩ .

(٣) Mostafa "s.t", Klostere und, Mausolem, des Farag Ibn Bargug p,120.

والملقف أو الباذهنج، منور خشبي يتلقف به الهواء ويكون عادة متجهاً نحو الشمال. محمد أمين ، ليلى ابراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ١٩ ، ١١٥ .

(٤) خليل سعيد ، الربط الاسلامية ، ص ١٩٠ ـ ١٩١ .

تحديد استخدامات وحدات السكن عموماً . فبالنظر إلى طبيعة بناء كل منها وموقعه ، يمكننا تحديد وظيفة هذه العناصر بقدر كبير من الوضوح .

ففي الطرف الجنوبي الغربي من المدرسة توجد قاعة مكونة من إيوان وسدله مقابلة وبينهما درقاعه [شكل ٣٤] ، اندثرت معظم أجزائها في الوقت الحاضر . والايوان مربع الشكل تبلغ أبعاده ٥ م لكل ضلع ، وعلى يمين الداخل إليه نافذتان في دورين ، تطلان على الواجهة الشمالية الغربية للمبنى . أما السدلة فتبلغ أبعادها ٥ م × ١ م .

أما أبعاد الدرقاعه فتبلغ ٢ر٥ م × ٨ر٤ م [١] . وكان جميع ذلك مغطى بسقف خشبي ، ويتوسط الدرقاعه ملقف « باذهنج »[٢] .

ولقد زودت القاعة بغرفة مبيت عبارة عن خلوه حبيس كانت تقع إلى الجنوب من الإيوان ، كما زودت ببيت خلاء يقع شرقي الدرقاعه[٣] .

ومن الواضح أن هذه القاعة ، كانت مخصصة للسلطان عند زيارته المدرسة ، حيث كان يقضي بها بعض الوقت ، ويبيت بها الليالي كما يذكر المقريزي[٤] . ويظهر أنها استخدمت في أواخر عصر المماليك لنزول بعض

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٠٣ .

Mostafa "s.t", Klostere und, Mausolem, des Farag Ibn Bargug p, 125.

(٢) صالح لمعي ، العمارة الإسلامية في العصر المملوكي ص ٩ .

(٣) خليل سعيد ، الربط الإسلامية ، ص ٢٠٤ .

Mostafa "s.t", Klostere und, Mausolem, des Farag Ibn Bargug p, 127.

(٤) المقريزي ، السلوك ، جـ ٤ / ق ١ / ص ١٩٨ .

ضيوف السلطان . وذلك عندما أنزل أمير مكة الشريف بركات[١] بالمدرسة ، أثناء زيارته مصر سنة ٩٢١ هـ / ١٥١٥م[٢] .

كذلك زودت المدرسة بقاعة أخرى مشابهة للسابقة تقريباً ، تقع شمالي الايوان البحري [شكل ٣٤] ، وهي كسابقتها ، زالت معظم مكوناتها المعمارية .

وتتكون هذه القاعة من إيوان ودرقاعه، وتبلغ أبعاد الإيوان ٢ر٤م × ٤م . وتساويه في ذلك أبعاد الدرقاعه[٣] . وللإيوان نافذتان تطلان على الواجهة الشمالية الغربية . وسقف هذه القاعة يشبه سابقتها[٤] .

ولقد زودت هذه القاعة بمبيت ، عبارة عن خلوة حبيس، تقع قبلي الإيوان ، وينفذ إليها من خلال فتحة باب تطل عليه[٥] . وكانت هذه القاعة مخصصة لشيخ المدرسة[٦] .

وتعد القاعتان السابقتان ، أكبر الوحدات السكنية في المبنى . وما بقي من وحدات ، عبارة عن خلاوي ، توزعت معظمها في الضلعين الشمالي والجنوبي من المبنى .

---

(١) هو الشريف بركات بن محمد بن بركات ، شريف مكة وأمير الحجاز ، ولي الإمارة مدة طويلة وكانت وفاته سنة ٩٣١ هـ / ١٥٢٤ م . إبن العماد ، شذرات الذهب ، جـ ٨ / ص ١٧٢ . عبدالقادر العيدروس ، النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، ص ١٥٢ .

(٢) عبد العزيز بن فهد ، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ج٣/ص ٣١٥ ابن إياس ، بدائع الزهور جـ ٤/ ص ٤٥٦ .

(٣) Mostafa "s.t", Klostere und, Mausolem, des Farag Ibn Bargug p,130.

(٤) خليل سعيد ، الربط الإسلامية ، ص ٢٠٨ .

(٥) Mostafa "s.t", Klostere und, Mausolem, des Farag Ibn Bargugp, 131.

(٦) صالح لمعي ، العمارة الإسلامية في العصر المملوكي ص ٩ .

فبالنسبة لخلاوي الضلع الشمالي [لوحة ٢٨ ، ٢٩] ، فإن ثمانية منها كانت تفتح أبوابها على الإيوان الشمالي الشرقي ، وتبلغ أبعاد كلٍ منها ٢ر٣ م × ١ر٢ م وهي بدون نوافذ حبيس[١] ، وإلى الخلف منها ، توجد أكبر كتلة خلاوي في المبنى ، وقد وزعت على أربعة طوابق[٢] . الأرضي منها يقع في مستوى أقل من مستوى أرضية المدرسة ، ويتكون من صفين متقابلين من الخلاوي ، تسعة منها على يسار الداخل ، وثمانية على اليمين .

أما الطابق الثاني ، فيحتوي على صف واحد شمالي يتكون من تسعة خلاوي ، في حين أن الخلاوي المقابلة له هي المطلة على الرواق الشمالي الشرقي وسبق الإشارة إليها . أما الطابق الثالث والرابع ، فإنهما يماثلان الطابق الأرضي .

ومما يجدر ذكره فإن الخلاوي الواقعة يسار الداخل لها نوافذ تطل على الواجهة الشمالية الشرقية للمدرسة ، وقد سبق وصفها . كما أن الخلاوي العلوية كان يتوصل إليها عبر الدرج الصاعد من الدهليز المؤدي لمدخل المدرسة الثاني عبر دهاليز تتصل به ، اندثرت حالياً . بحيث يمكن من أسفل مشاهده جميع أبواب الخلاوي العلوية . كما هو مشاهد في اللوحة السابقة . وهذه الخلاوي متقاربة في المساحة ، فتبلغ أبعاد كل منها ٣ × ٢ م[٣] .

أما بالنسبة لخلاوي الضلع الجنوبي [لوحة ٣٠] ، فإن هناك أيضاً ثمانية خلاوي تفتح أبوابها على الرواق الجنوبي الغربي ، وتبلغ أبعاد كل منها ١ر٢ × ٩ر١ م[٤] .

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٧ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ١١٧ .

(٣) Mostafa "s.t", Klostere und, Mausolem, des Farag Ibn Bargu p, 205.
خليل سعيد ، الربط الإسلامية ، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .

(٤) صالح لمعي ، العمارة الاسلامية في العصر المملوكي ، ص ١٠ .

وإلى الخلف من هذا الرواق ،توجد كتلة من الخلاوي ، عبارة عن صف واحد ملاصق للرواق يرتفع إلى ثلاثة طوابق . وأولها يقع في مستوى أقل من مستوى أرضية المدرسة . وبه أربعة خلاوي فقط . ثم يأتي الثاني والثالث ، وكلاهما يعلوان الخلاوي المطلة على الرواق ، وبكل منهما ثمانية خلاوي[(١)] . وجميعها متساوية المساحة حيث تبلغ أبعادها ١ر٢ × ٩ر١ م[(٢)] .

كذلك زودت المدرسة بمجموعات أخرى من الخلاوي ، كانت تقع بجوار مكتب السبيل ، وبجوار القاعتين الكبيرتين ، اندثرت معظم معالمها مع الوقت . لأنه لم يجر ترميمها من قبل لجنة حفظ الاثار العربية وزودت كل من مئذنتا المدرسة بخلوتين كانت مخصصة للمؤذنين[(٣)] .

ولقد كانت معظم هذه الخلاوي مخصصة لسكنى طلبة المدرسة ، علاوة على أرباب الوظائف فيها . كما جرت به العادة في مدارس ذلك العصر[(٤)]، وإن كان هذا لا يمنع من أن تكون السفلية منها مستخدمة كحواصل [مخازن] للمدرسة .

المطبخ [شكل ٣٤] :

يقع مطبخ المدرسة في الضلع الجنوبي من المدرسة ، في مواجهة الخلاوي التي هناك [شكل ٣٤] . وهو عبارة عن حجرة مقسومة إلى قسمين ، الشرقي تبلغ أبعاده ٦ م × ٥ر٥ م ، والغربي وتبلغ أبعاده ٥ر٥ م × ٤ م . ويتبع

---

(١) خليل سعيد ، الربط الاسلامية ، ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٧ .

(٣) Mostafa "s. t ", Klostere und, Mausolem, des Farag Ibn Bargug p, 927-198.

(٤) للمزيد ، انظر ص ٢٨٥ ـ ٢٩٣ .

الحجرة إلى الغرب منها حاصل صغير(١) . ويلاحظ أن الحجرة غير مسقوفة في الوقت الحاضر ، وتبدو في أعلى جدرانها معالم سقف خشبي كان يعلوها(٢) .

الحواصل :

استغل المعمار الفراغات الموجودة في بعض جوانب المبنى لينشيء فيها مجموعة حواصل المبنى ، التي تخزن فيها مقتنيات المدرسة . فمن ذلك أربعة حواصل تكتنف الرواق البحري من الشمال والجنوب(٣) .

كما تعتقد دولت عبدالله أن الخلاوي السفلية ، التي تقع في المجموعتين الشمالية والجنوبية ، كانت تستخدم كحواصل للمدرسة(٤) .

الميضأة ودورة المياه [شكل ٣٤] :

زودت المدرسة بميضأة ، كانت تقع في صحن المدرسة ، وقد اندثرت تماماً في الوقت الحاضر . ويرى صالح لمعي(٥) بأنها كانت مثمنة الشكل ، وتغطيها قبة من الخشب محمولة على ثمانية أعمدة من الرخام ، لها قواعد وتيجان ناقوسية الشكل .

أما دورة المياه ، فتقع في الناحية الجنوبية خلف الخلاوي التي هناك ، وتبلغ أبعاد المنطقة التي تشغلها ٩٫٢ م × ٦٫٨ م(٦) . ويتوسطها معالم جدار فسقية ، وبها معالم سبع مراحيض مبنية بالحجر ، وتكاد أن تزول معالمها [لوحة ٣٢] .

---

(١) Mostafa "s.t", Klostere und, Mausolem, des Farag Ibn Bargug p, 153.

دولت عبدالله ، الخوافق في مصر ، ص ١١٨ .

(٢) خليل سعيد ، الربط الإسلامية ، ص ١٨٩ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١٦٣ .

(٤) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٤ .

(٥) صالح لمعي ، العمارة الاسلامية في العصر المملوكي ، ص ٦ .

(٦) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٨ .

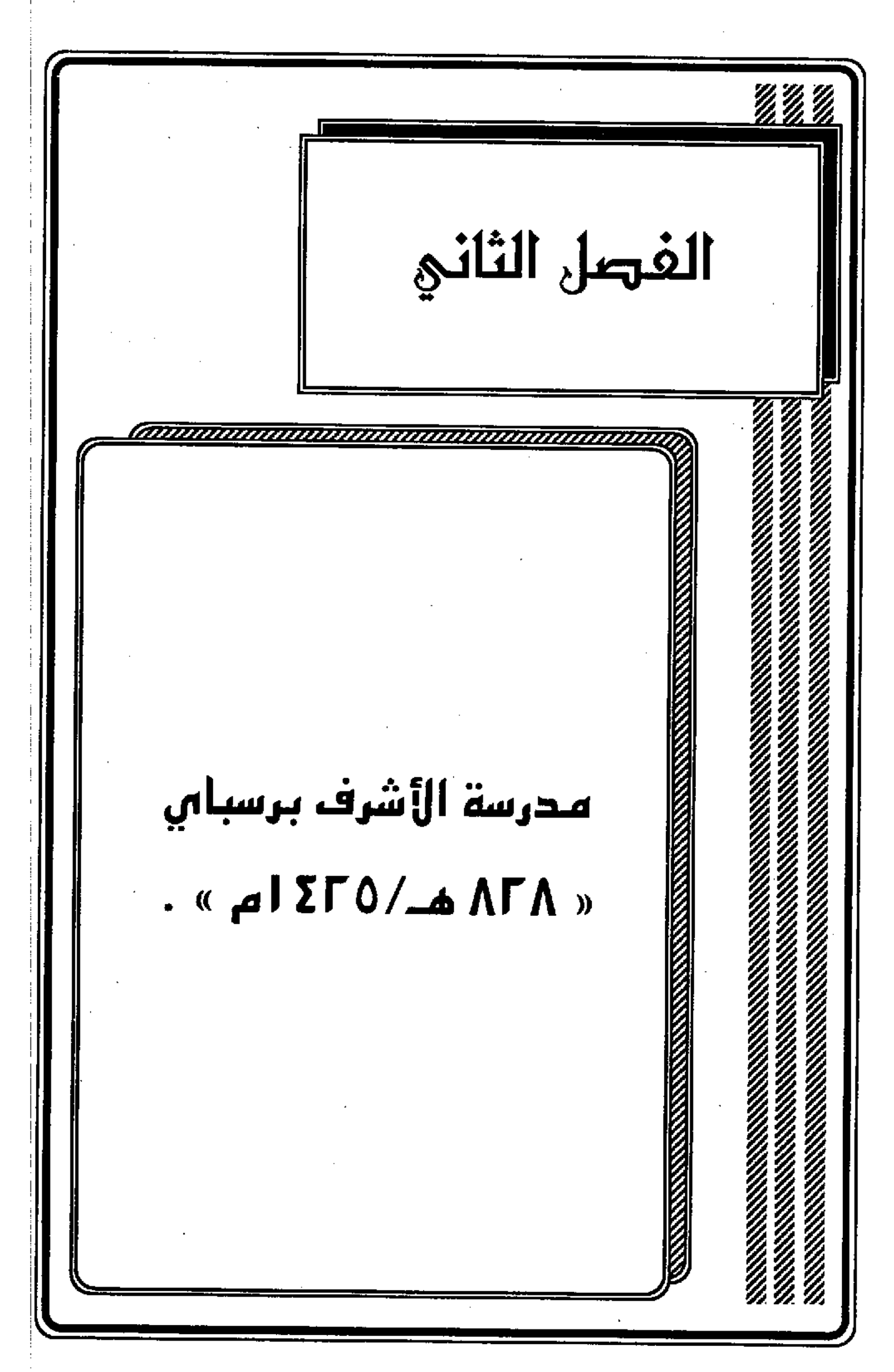
المئذنتـــان [لوحة ١٩] :

زودت المدرسة بمئذنتان متماثلتان ، متقنتا الصنع ، تعلوان الجانب الغربي منها وتتوسطانه تقريباً . وتتكون كل من هاتين المئذنتين من ثلاثة أدوار [لوحة ٣١] ، أولها مربع الشكل ، زخرفت كل واجهة من واجهاته الأربع بدخلة مستطيلة الشكل ، يتوجها زخارف مقرنصة ، وقد فتح بكل دخله نافذة صغيرة مستطيلة الشكل ، يعلوها عقد مفصص على شكل ورقة نباتية ثلاثية . ويتقدم هذه النوافذ شرفة صغيرة محمولة على صفوف من المقرنصات . وينتهي هذا الدور بشرفة مربعة محمولة على صفوف من المقرنصات . ولها درابزين مكون من شقف حجرية مفرغة ذات رؤوس رمانية .

أما الدور الثاني ، فهو مستدير الشكل ، وعليه زخارف بارزة لجفت لاعب ذو ميمات ، ويتوجه أيضاً شرفة مستديرة الشكل تعلو هذا الطابق على صفوف من المقرنصات ، ولها درابزين مكون من شقف حجرية مفرغة ذات رؤوس رمانية . وتحمل هذه الشرفة الجوسق المكون من ثمانية أعمدة رخامية ، يعلوها الدورة المقرنصة الثالثة ، الحاملة للقبة ذات شكل القلة[١] .

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢١ ، سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤ / ص ٦٨٠ ، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٥١ .



الفصل الثاني

مدرسة الأشرف برسباي

«٨٢٨ هـ/١٤٢٥م» .

منشيء المدرسة :

أنشأ هذه المدرسة السلطان الملك الأشرف برسباي ، ثامن ملوك الجراكسة ، والثاني والثلاثون من ملوك الترك بمصر[١] . من عتقاء الظاهر برقوق ، تقلب في مناصب عدة إلى أن تمكن من اعتلاء سدة الحكم . بعد خلع الملك الصالح بن ططر[٢] سنة [٨٢٥ هـ /١٤٢١م][٣] و إزاحة منافسيه على السلطة[٤] . وضل فيها إلى أن توفي سنة [٨٤١ هـ / ١٤٣٧م][٥] . ويعد برسباي من أبرز سلاطين العصر الجركسي ، بعد الظاهر برقوق ، حيث تميز عهده بالاستقرار[٦] بشكل عام . وتزايد في تلك الأثناء نفوذ الدولة وقوتها، فامتد سلطانها إلى مناطق جديدة ، حيث تم في تلك الأثناء فتح قبرص ، وأسر ملكها، وفرض الجزية السنوية عليها[٧] .

ولقد بذل هذا السلطان مجهودات كبيرة لمعالجة المشكلات الاقتصادية التي كانت تعاني منها البلاد . فقام بدعم التجارة في بلاده ، وذلك بترغيب التجار واستمالتهم ، ليمارسوا تجاراتهم في المواني الخاضعة لسلطانه[٨] ، مع

(١) إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ / ص ٨١ .

(٢) الملك الصالح محمد بن ططر ، ولي السلطنة بعهد من أبيه الظاهر ططر سنة ٨٢٤ هـ /١٤٢١م ولم يكن قد بلغ الحلم بعد. ومدبر الدولة هو برسباي، الذي خلعه، واستبد بالسلطان. توفي سنة ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م . ابن تغري بردي ، الدليل الشافي ، جـ ٢/ ص ٦٣٠. السخاوي، الضوء اللامع ، جـ ٧ / ص ٢٧٤ .

(٣) المقريزي ، السلوك ، جـ ٤ / ق ٢ / ص ٦٠٧ – ٦٠٨ .

(٤) إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ / ص ٧٦ – ٧٩ .

(٥) إبن الصيرفي ، نزهة النفوس ، جـ ٣ / ص ٤٢١ .

(٦) إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢/ ص ١٨٨ .

(٧) المقريزي، السلوك جـ ٤/ ق ٢/ ٧٢١ – ٧٢٦ . إبن إياس ، بدائع الزهور، جـ ٢ / ص ١٠٦ – ١٠٩.

(٨) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباي بمدينة القاهرة. رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧م، ص ١٥ .

الحرص على احتكار بعض التجارات المهمة والسيطرة عليها[١] ، كتجارة الفلفل والسكر والأقمشة[٢] ، بل إن الدولة تاجرت بالأجبان والخضروات واللحوم[٣] .

مما أسهم في توفير موارد جيدة للدولة ، مكنتها من سك عملات جديدة نسبت للسلطان[٤] ، تميزت بنقاوتها[٥] ، فكان للناس بها رغبة شديدة[٦] .

لكن هذه السياسة وإن كان قد حققت نتائج سريعة وآنية ، فإنها في نهاية الأمر أضعفت النشاط التجاري في البلاد[٧] . فإذا أضيف إلى ذلك تدهور الزراعة ، نتيجة لعدم العناية بالترع والجسور[٨] . فلقد ترتب عنه مزيد من التراجع الاقتصادي ، فكسد البيع والشراء في الأسواق ، وضعفت موارد الناس عموما[٩] .

أما عن شخصية هذا السلطان ، فعلى الرغم من بعض المثالب السيئة فيه[١٠] ، فلقد كان يغلب عليه التدين ، والميل لإظهار شعائر الدين ، ومحاربة المنكرات ، واحترام العلم والعلماء[١١] .

(١) سعيد عاشور ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .

(٢) المقريزي ، السلوك ، جـ ٤ / ق ٢ / ص ٦٤٧ ، ٧٩١ – ٧٩٢ ، ٨٢٣ ـ ٨٢٤ .

(٣) إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ / ص ١٨٩ .

(٤) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية ، ص ٦ ـ ١١ .

(٥) كان يتم تنقية سبائك الذهب بطرق عدة، تقوم في الأساس على وسائل كميائية، باستعمال مواد معينة . للمزيد انظر ضيف الله الزهراني ، دار السكة ، نشأتها ، أعمالها ، إدارتها ، بحث منشور في مجلة الدارة ، العدد الثاني ١٤١٥ هـ . الرياض ص ١٥ ـ ١٦ .

(٦) إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ / ص ١٨٩ .

(٧) سعيد عاشور ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص ٢٦٩ .

(٨) المقريزي ، السلوك ، جـ ٤ / ق ٢ / ص ٦٧٨ .

(٩) المصدر السابق نفسه ، جـ ٤ / ق ٢ / ص ٢٠٧ ، ٧٦٤ .

(١٠) يذكر السخاوي أن الأشرف برسباي كان شحيحاً بخيلاً ، وفيه طمع وغير ذلك من سوء الطباع . السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ ٣ / ص ٩ .

(١١) العيني ، بدر الدين ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ٨٢٤ ـ ٨٥٠ هـ ، تحقيق : عبدالرزاق القرموط ؛ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٧٩م . القاهرة ص ٥٠٣ . ابن تغري بردي ، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، جـ ٣ / ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ .

إنشاء المدرسة :

تذكر المصادر التاريخية ، بأن صدور الأمر بالشروع في بناء المدرسة ، كان في سنة [٨٢٦ هـ / ١٤٢٢ م][١] . فتم في تلك الأثناء، إزالة الحوانيت والمباني من المنطقة التي اختيرت لتنفيذ المشروع عليها[٢] .

وهناك اختلاف في تحديد تاريخ الفراغ من التنفيذ ، حيث تشير إحدى اللوحات التأسيسية في المدرسة ، أن ذلك تم في سنة ٨٢٧ هـ / ١٤٢٣ م[٣] . ويؤكد ذلك بعض المصادر التاريخية[٤] . أي أن تنفيذ مشروع كبير كهذا تم في سنة واحدة تقريباً ، وهو ما يصعب قبوله .

والراجح أن جزءاً مهماً من المدرسة قد تم تنفيذه في تلك السنة ، كما يشير المقريزي[٥] بذلك ، حيث ذكر بأنه قد تم في تلك السنة الانتهاء من بناء الإيوان القبلي . واكتملت بقية الأواوين في السنة التي تليها ، حيث يذكر ابن حجر[٦] بأنها السنة التي كملت فيها عمارة المدرسة . أما بقية الملاحق ، فلم يكتمل بنائها إلا في سنة [٨٣١هـ / ١٤٢٨ م] [٧] .

ويلاحظ أن بدء التعليم في المدرسة ، ثم منذ سنة [٨٢٧ هـ / ١٤٢٣ م]، أي بعد الانتهاء من بناء الإيوان القبلي ، فافتتح برسباي المدرسة ، وقرر فيها

(١) المقريزي ، السلوك، جـ ٤ / ق ٢ / ص ٦٣٦ . العيني ، عقد الجمان ، ص ٢٠١ ــ ٢٠٢. إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ / ص ٨٦ . محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية ، ص ٩٠ .

(٢) العيني ، عقد الجمان ، ص ٢٠٢ .

(٣) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ٩٠ .

(٤) العيني ، عقد الجمان ، ص ٢٣٣ . إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢/ ص٩٢.

(٥) المقريزي ، الخطط ، جـ ٢ / ص ٣٣١ .

(٦) ابن حجر ، إنباء الغمر ، جـ ٣ / ص ٣٤٣ .

(٧) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ . بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

تدريس المذهب الحنفي ، وعين لذلك الشيخ علاء الدين الرومي[(١)] ، والذي عين أيضاً شيخاً للمدرسة[(٢)] .

ثم زاد السلطان برسباي في سنة [٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م] عدد التخصصات التي تدرسها المدرسة ، بإدخال بقية المذاهب الأربعة فيها[(٣)] . فقرر لتدريس المذهب الشافعي . شمس الدين محمد بن علي القاياتي[(٤)] . وللمالكي ، عبادة بن علي الزرزاري[(٥)] ، والحنبلي ، زين الدين عبدالرحمن بن محمد ، المعروف بابن الزركشي[(٦)] .

وخصص لها خمسة وستون طالباً ، خمسة وعشرون منهم يدرسون المذهب الحنفي، وعشرون للمذهب الشافعي ، وعشرة لكلٍ من المذهبين الباقيين ، المالكي والحنبلي[(٧)] .

(١) هو علاء الدين علي بن موسى الرومي ، نزيل القاهرة ، رحل كثيراً في طلب العلم ، كان عالماً محققاً ، إلا أن فيه طيش ، وخفة وحدة في الطبع . توفي سنة [٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م] . السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ ٦ / ص ٤١ – ٤٢ .

(٢) ابن الصيرفي ، نزهة النفوس والأبدان ، جـ ٣ / ص ٥٣ . وولي بعده هذه الوظيفة جملة من مشايخ ذلك العصر . محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ٩١ – ٩٥ .

(٣) المقريزي السلوك ، جـ ٤/ ق ٢/ ص ٨٣٢ . ابن الصيرفي، نزهة النفوس جـ ٣/ ص ١٩٢ – ١٩٦.

(٤) هو محمد بن علي بن محمد بن يعقوب بن محمد القاياتي الشافعي. كان ماهراً في الفرائض والنحو. عاقلاً زاهداً ، ولي القضاء فترة من الزمن . توفي سنة ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م . السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ ٨ / ص ٢١٢ – ٢١٤ .

(٥) هو عبادة بن علي بن صالح بن عبدالمنعم بن سراج ، الأنصاري الخزرجي. من أعيان مذهب المالكية، عرض عليه القضاء فامتنع أشد الامتناع، كان ورعاً زاهداً على طريقة السلف. توفي سنة ٨٤٦ هـ / ١٤٤٢ م . المصدر السابق نفسه جـ ٢ / ص ١٦ – ١٨ .

(٦) هو عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن محمد المصري الحنبلي ، محدث مصر في عصره عالماً بمذهبه مع التواضع وحسن الخلق . توفي سنة [٨٤٦ هـ/ ١٤٤٢م] . المصدر نفسه جـ ٤/ ص ١٣٦ – ١٣٧ .

(٧) حجة وقف السلطان برسباي ، برقم ٨٨٠ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

كما ألحق بها ثلاثين من الأيتام يحفظون القرآن في كتابها ، وعين لهم مؤدب[1] لذلك[2] .

ولم تكن وظيفة هذه المدرسة قاصرة على التدريس فقط ، وإنما كانت تقوم بدور المسجد الجامع ، حيث كانت تقام فيها الجمع والجماعات ، وخصص لها برسباي ، إماماً وخطيباً ومؤذنين ، وغير ذلك مما تحتاجه المنشأة في هذا المجال[3] .

كما كانت تقوم بدور الخانقاه ، حيث اشترط في طلبتها أن يكون من المتصوفة المنقطعين للعلم والعبادة . وكانوا ملزمين بحضور دروس التصوف عند شيخ المدرسة[4] . بالإضافة إلى ما يتلقونه من علوم في المذاهب الأربعة[5] .

موقع المدرسة :

تقع المدرسة في قصبة القاهرة ، في موضع يعرف بالتربيعة ، فيما بين المدرسة السيوفية[6] ، وقيسارية العنبر[7] . وكان يوجد في هذا الموقع قبل

---

(١) المؤدب ، يقصد به معلم الكتّاب ، وهو يختص بتعليم الأطفال مبادىء الدين الحنيف بدءاً من عقيدة أهل السنة والجماعة . كما يحفظهم القرآن الكريم ، وهو الموضوع الأساسي مع تدريسهم بعض الأحاديث النبوية الشريفة . السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، ص ١٣٠ .

(٢) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية .

(٣) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية .

(٤) جرت العادة في ذلك الوقت بجعل شيخ المدرسة ، هو شيخاً للصوفية فيها . علاوة على قيامه بتدريس المذهب الرئيسي للمدرسة . محمد عبدالستار عثمان، نظرية الوظيفية، جـ ١ / ص ١٣٧ – ١٣٩ . وعن الشروط الواجب توفرها فيمن يقوم بهذه الوظيفة . انظر السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم، ص ١٢٤.

(٥) حجة وقف السلطان برسباي ، برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٦) هذه المدرسة من إنشاء الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ، سنة ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م ويدل على موقعها في الوقت الحاضر جامع الشيخ مطهر ، المقريزي ، الخطط ، جـ ٢ / ص ٣٦٥ ، علي باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٢ / ص ١٠٩ ، جـ ٦ / ص ٨٧ ، عبدالرحمن زكي ، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م . القاهرة ، ص ٢٧٢ .

(٧) المقريزي ، الخطط ، جـ ٢ / ص ٣٣٠ . وقيسارية العنبر عبارة عن سوق لبيع العنبر ، وهو من إنشاء الملك الظاهر بيبرس . وكان في موضعه أحد السجون التي تعود للعصر الفاطمي . المصدر السابق نفسه ، جـ٢/ ص١٣٢ ـ ١٣٣.

إنشاء المدرسة حوانيت تعلوها رباع ، ومن ورائها ساحات وقياسر ، كان بعضها وقف على إحدى مدارس القاهرة[1] .

ويذكر المقريزي[2] بأنه قد جرى استبدال هذه الأوقاف ، بأوقاف أخرى بدون إجبار للمستحقين ، فكان لهم الاختيار فيما يستبدل به وبما يرضيهم ، بينما يرى ابن حجر[3] بأن ذلك تم بوجوه من التحايل لإبطال هذه الأوقاف .

---

(١) المصدر نفسه ، جـ ٢ / ص ٣٣٠ .

(٢) المقريزي ، السلوك ، جـ ٤ / ق ٢ / ص ٦٣٦ – ٦٣٧ .

(٣) ابن حجر ، إنباء الغمر ، جـ ٣ / ص ٣٠ .

الوصف المعماري للمدرســة

التخطيط [شكل ٣٩] :

تشغل المدرسة منطقة مستطيلة الشكل تبلغ أبعادها ٥٠ م × ٤٠ م(١) . لتشكل بذلك مساحة مقدارها ٢٠٠٠ م٢(٢) . ويتكون المبنى من مجمع ينقسم إلى قسمين أساسيين ، هما :

أولاً : المدرسة :

وتتكون من قاعات الصلاة والدرس ، ومكتب سبيل . علاوة على مساكن للشيوخ والطلبة ، بالإضافة إلى ملاحق الخدمة ، مثل المكتبة والميضأة والحواصل ، وغير ذلك(٣) .

ثانياً : التربة :

وهي عبارة عن قبة كانت مخصصة للدفن ، تشغل الركن الشمالي الشرقي من المبنى(٤) .

وما يهم الدراسة هنا هو المدرسة ، والتي كانت تتكون من صحن تحيط به أربعة إيوانات متعامدة خصص كل واحد منها لمذهب من المذاهب الأربعة التي تدرس في المدرسة . فخصص الإيوان الجنوبي الشرقي [القبلي] لتدريس المذهب الحنفي ، بينما دُرِّس المذهب الشافعي في الإيوان الشمالي الغربي

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٢ .

(٢) وتشمل هذه المساحة ، كتلة مساكن الطلبة ، والتي كانت تقع في الركن الجنوبي الغربي من المبنى ، ثم أزيلت بعد ذلك ، فقلت مساحة المبنى حيث أصبحت ١٧٦٠م . محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ص ١١٤ .

(٣) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤ / ص ١١٠ ، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٥ .

(٤) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤ / ص ١١٠ .

[البحري] ، في حين شغل الإيوان الشمالي الشرقي المذهب المالكي ، والإيوان الجنوبي الغربي المذهب الحنبلي[1] .

الواجهـــات :

زودت المدرسة بثلاث واجهات ، تعد الجنوبية الشرقية أكثرها أهمية على الإطلاق .

الواجهة الجنوبية الغربية [القبلية] [لوحة ٣٤] :

يبلغ طول هذه الواجهة ٥ر٣٩م[2] . وتنقسم إلى ثلاثة أقسام . أولها عبارة عن الواجهة الشرقية لمكتب السبيل ، ثم يليها واجهة المدخل الرئيسي ، وبعد ذلك تأتي واجهة الإيوان والقبة[3] .

وتتكون واجهة مكتب السبيل الشرقية [لوحة ٣٦] من واجهة السبيل ، تعلوها واجهة الكتاب ، ويتوسط واجهة السبيل شباك التسبيل المغطى بمصبعات برونزية ، ويعلوه إزار خشبي ، يتوسطه حشوة خشبية مستطيلة بها كتابة تأسيسية بالخط النسخي البارز ما نصه [أمر بإنشاء هذا المكان المبارك إبتغاء لوجه الله تعالى وطلباً لرضوانه سيدنا ومولانا المالك الملك الأشرف أبو النصر برسباي خلد الله ملكه][4] . ويكتنف هذه الحشوة من الجانبين حشوتان صغيرتان مستطيلتا الشكل ، يتوسط كل منها عقد مفصص[5] مفرغ ، ويعلو ذلك نافذة صغيرة مربعة يتوجها عتب خشبي[6] .

---

(١) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٢) محمد عبدالستار عثمان، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١١٤ .

(٣) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤/ ص ١١١ .

(٤) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ص ١٣٧ .

(٥) العقد المفصص ، هو عقد مكون من عدد الانحناءات ، كل منها يمثل فصاً واحداً . انظر ص ٤٥٠ .

(٦) انظر المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٧ .

يلي ذلك واجهة الكتاب الخشبية ، وهي عبارة عن شرفة مرتكزة على أربعة كرادي[١] خشبية ، تحمل الدابزين الخشبي ، يعلوها أربعة أعمدة ، ترتكز عليها ثلاثة عقود مدببة ، المتصدر للواجهة هو أوسعها ، بينما الجانبيان صغيران نسبياً . ثم يلي ذلك رفرف الكتاب . ولا يتوج هذا القسم من الواجهة شرفات كبقية أقسامها الأخرى[٢] .

يلي ذلك واجهة مدخل المدرسة ، والتي ستوصف لاحقاً . ثم من بعدها واجهة الإيوان الجنوبي الشرقي والقبة [لوحة ٣٥] . ولهذا القسم من الواجهة ثلاث دخلات ، الجنوبيتان منها مخصصة لواجهة الإيوان ، وهما أكثر اتساعاً من الشمالية ، التي تشغل واجهة القبة ، ويتوجها جميعاً صدور مقرنصة[٣] .

وبكل من هذه الدخلات دورين من الشبابيك السفلية مستطيلة الشكل مغطاة بمصبعات برونزية[٤] ، يعلو كل منها عقد مستقيم مكون من صنج مزررة ومشهرة « أحمر وأصفر » . يليه من أعلى نفيس ، وعقد عاتق ، صنجة مزررة ومشهرة « أحمر وأصفر » . ولكل منها أيضاً إزار خشبي مزخرف بزخارف نباتية عبارة عن فروع وأوراق[٥] . أما النوافذ العلوية فهي تسير على نظام الشمسيات ، ويحيط بعقودها مدماك حجري[٦] .

---

(١) الكردي ، عبارة عن كابولي خشبي ، يستخدم لرفع العناصر الانشائية ، وبخاصة الخشبية كالمعابر وغيرها . صالح لمعي ، التراث المعماري الاسلامي في مصر ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م ، بيروت ، ص ٩٧. عبداللطيف ابراهيم ، وثيقة قراقجا الحسني ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد ١٨ ، العدد ٢ ، ١٩٥٦ م ، ص ٤٥٤ .

(٢) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤/ ص ١١٢ . محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٣٧ .

(٣) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٦ – ١٧٧ .

(٤) دولت عبدالله ، معاهد تزكية النفوس ، ص ١٧٧ .

(٥) محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٢٠ ، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٧ .

(٦) المرجع السابق نفسه ، ص ١٧٧ .

وتحصر دخلتي واجهة الإيوان قمرية تعلو منطقة المحراب[1] . ويوجد في أعلى هذه الواجهة بحر كتابي بالخط النسخ البارز ما نصه : [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إنا فتحنا لـك فتحاً مبيناً ليغـفر لك اللـه ما تقـدم من ذنبـك وما تأخـر ويتم نعمتـه عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عـزيزاً ﴾[2] صدق الله العظيم . أنشأ هذه المدرسة المباركـة سيدنا ومولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر برسباي خلد الله ملكه بمحمـد وآله يارب العالمين ، وذلك بنظر العبد الفقير إلى الله تعالى عبدالباسط ناظر الجيوش المنصورة غفر الله له وللمسلمين في مدة أولها شهر شعبان سنة ست وعشرين وثمانمـائة وآخـرها سلخ جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وثمانمـائة][3] .

ويتوج الواجـهة إلى حد الكتـاب شرفـات على شكل الورقة النـباتية الثلاثية[4].

ويشغل أعلى الركن الشمالي الشرقي القبة ، وتبدو مرتفعة بعض الشيء لأن منطقة الانتقال تبدأ من سطح المدرسة ، ومنطقة الانتقال هـذه عبارة عن مدرجات ، تنطلق من الأركان لتحول المربع إلى مثمن . وزينت رقبتها نوافذ عبارة عن شمسيات يعلوها شريط كتابي عليه آية الكرسـي ، بالخط النسخ البارز[5] ، وزين بدن القبة بزخارف دالية تنتهي بالميمات[6] .

---

(١) محمد عبدالستار ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٢٠ .

(٢) سورة الفتح آية ١ .

(٣) دولت عبدالله ، معاهد تزكية النفوس ، ص ١٧٧ . محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٢١ . جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٧ .

(٤) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤ / ص ١١٢ .

(٥) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٤٥.

(٦) حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، القاهرة ، جـ ١ / ص ٢٢١ ، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٧ .

وفي الركن الشمالي من هذه الواجهة ، يوجد شطف ، يشغل الجزء السفلي منها[1] .

الواجهة الشمالية الشرقية [لوحة ٣٧ ، ٣٨] :

يبلغ طول هذه الواجهة ٣٦ م . ويشغل الجانب الشرقي منها واجهة القبة الشمالية ، والتي تماثل واجهتها الشرقية[2] .

ثم يلي ذلك ، منطقة جرى تجديد معظم أجزائها ، ببناء غير مهذب ، وفي هذا الجزء توجد نافذتان مستطيلتان ، سدت إحداهما بالبناء[3] . ثم يتبع ذلك واجهة الإيوان الشمالي الشرقي ، وبها نافذتين في دورين تماثل الأسلوب المتبع في الواجهة الرئيسة[4] .

يلي ذلك الباب الجانبي للمدرسة ، وهو عبارة عن فتحة صغيرة . وكان يوجد في هذه المنطقة نوافذ لخلاوي كانت تشغل حيزاً من ركني المدرسة الشمالي والغربي، اندثرت ولم يبق سوى معالم لها ، والتي تشير إلى أنها كانت ترتفع إلى ثلاثة طوابق[5] .

ولا يعلو هذه الواجهة شرفات كما هو الحال في الواجهة الرئيسة ، ولعل ذلك راجع لعدم أهميتها ، حيث تطل على شارع فرعي. أو أنها كانت موجودة ، ولكنها اندثرت ، على الرغم من عدم وجود دلائل تشير إلى ذلك[6] .

(١) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٢٢ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ١٢٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٢٢ .

(٤) نفسه ، ص ١٢٢ .

(٥) نفسه ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٦) نفسه ، ص ١٢٣ .

الواجهة الجنوبية الغربية :

وطول هذه الواجهة ، يصعب تحديده في الوقت الحاضر . فلم يتبق منهاسوى واجهة مكتب السبيل ، والتي تماثل واجهته الشرقية ، علاوة على واجهة حجرة ملحقة خلف السبيل ، أما الجزء الباقي فتشغله مباني حديثه(١) .

المدخــــل [لوحة ٣٩] :

يرتفع مدخــل المدرسة عن سطح الأرض ، ويصعد إليه بسلم جانبي مكون من جناحين ، بكل منهما ثمان درجات ، تؤدي إلى البسطة(٢) . والتي لها سياج رخامي ، مكون من حشوات مفرغة، تربط بينها، أعمدة صغيرة مربعة الشكل، ذات رؤوس رمانية . ويليها حجر المدخل ، والذي يبلغ ارتفاعه ٣ م ، وعمقه ٢ م(٣) . ويكتنفه مكسلتان من الحجر محددتان بجفت مجرد(٤)، يعلوهما عضادتان من الرخام كتب عليهما بالخط النسخي البارز ما نصه [﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾(٥) . صدق الله العظيم أنشأ هذه المدرسة المباركة ، مولانا السلطان سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محي العدل في العالمين ، قسيم أمير المؤمنين خادم الحرمين الشريفين المالك الملك الأشرف خلد الله ملكه](٦) .

---

(١) نفسه ، ص ١٢٣ .

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٣ ، سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ٤ /ص ١١١ .

(٣) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١١٥ .

(٤) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٥ .

(٥) سورة الجن ، آية ١٨ .

(٦) حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ ١ / ص ٢٢٢ ، سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤ / ص ١١١ .

ويتوسط الحجر فتحة الباب ، يغلق عليها مصراعين من الخشب المصفح بالنحاس ، المزخرف بزخارف جميلة ، حيث يتوسطه بخارية [مدالية] كبيرة ، عليها زخارف عبارة عن أفرع نباتية متشابه ، تتفرع منها أوراق كأسية وأنصاف مراوح نخيلية محززة . ويتوسط هذه البخارية كتابة نسخية غائرة نصها [عز لمولانا السلطان المالك الملك الأشرف برسباي عز نصره] . ويوجد عند منتصف هذا الشريط من أسفله وأعلاه ، كتابة مماثلة تتخذ شكل نصف دائري تقريباً نصها [عز لمولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر برسباي عز نصره] ، ويعلو البخارية من الجانبين دقاقتان نحاسيتان . وحشيت أركان الباب الأربع بربع بخارية ، وأحيطت جميعاً بإطار نحاسي عليه زخارف هندسية ، بأركانه مثمنات بداخل كل منها بقجة ، محشوة بكتابة نسخية غائرة نصها [الملك برسباي عز نصره] . ويعلو هذا الإطار شريط نحاسي به نص كتابي مماثل نصه [عز لمولانا السلطان الملك الأشرف برسباي عز نصره] .

كما يوجد شريط مماثل أسفل الاطار ، عليه كتابة متآكلة حروفها ، ويحيط بجميع ذلك إطار خارجي عبارة عن شريط ذو زخارف هندسية مفرغة[١] .

ويعلو فتحة الباب عتب حجري ، يحيط به من الأعلى ومن الجانبين قطع [فسيفساء] رخامية متعددة الألوان[٢]، على شكل طبق نجمي[٣]، في الجانبين ، وأرباعه في الناحية العلوية[٤] . ثم يأتي بعد ذلك نفيس من الرخام عليه زخارف

---

(١) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١١٦.

(٢) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٥ .

(٣) الطبق النجمي ، هو عبارة عن تجميع للأشكال النجمية والاشكال المضلعة . ولقد طبق بكثرة في عمائر العصر الجركسي . انظر ص ٤٩١ .

(٤) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١١٦ .

نباتية بارزة ، يعلوه العقد العائق ، المكون من صنجات أوسطها من الرخام ، والباقية من الحجر الملبس بالرخام . وهي مرززة ، ومشهرة « أبيض أحمر أسود »[1] . ويعلوها زخارف نباتية محورة ، عبارة عن فروع تخرج منها أوراق كأسية ، وأنصاف مراوح نخيلية[2] .

ويكتنف هذا العقد من جانبيه رنكان ، حليات كل منهما نص كتابي نسخي ورد فيه ؛ [عز لمولانا السلطان] في الرنك الأيمن ، [المالك الملك الأشرف] في الرنك الأيسر[3] .

ثم يأتي بعد ذلك فوق العقد حنية صغيرة يتوسطها نافذة مستطيلة مغطاة بالمصبعات البرونزية . يعلوها عقد مستقيم يتكون من صنج رخامية مزررة ، إبلق « أبيض وأسود » ، ويتوج هذه الحنية صدر مقرنص .

ويلي ذلك منطقة مستطيلة ، بداخلها ثلاث معينات خالية من الزخرفة ، ويلون بني يميل إلى الحمرة[4] .

ويتوج حجر المدخل طاقية ذات عقد مدبب ، مقامة على حطات من المقرنصات الدالية ، وتمتاز هذه الطاقية بأنها مشعة ، بإشعاعات غائرة وبارزة . ويحيط بواجهة المدخل إطار من الزخرفة القالبية ، يعلوه أجزاء من النص التأسيسي الممتد على الواجهة ، وقد سبق ذكره ، ويتوج واجهة المدخل شرفات على هيئة الورقة الثلاثية[5] .

---

(١) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٥ .

(٢) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١١٦.

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١١٦ ، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٦ .

(٤) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١١٧ .

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ١١٧ .

الدركاه :

تؤدي فتحة باب المدخل إلى دركاه مربعة الشكل ، يبلغ طول كل من أضلاعها ٤ر٣ م ، مفروشة أرضيتها بالرخام الملون[١] ، وكان يعلوها سقف نقي[٢] كما تذكر وثيقة المدرسة[٣] ، وهو الآن مجدد من قبل لجنة حفظ الآثار العربية . ويتصدر الدركاه دخلة غائرة بصدرها مسطبة مكسوة بالرخام الملون على شكل أشرطة معشقه ، وعلى جانبيها خزانتين لكلٍ منها باب خشبي صغير[٤] . ويقع بكلٍ من الجدارين الشمال والجنوبي للدركاه ، فتحة باب معقودة بعقد مدبب مشهر « أحمر وأصفر » ، يؤدي الشمالي منهما إلى الدهليز، بينما يؤدي الجنوبي إلى السبيل[٥] .

الدهليز :

تبلغ أبعاد هذا الدهليز ، ٩ر١٧م × ٢ر٣ م[٦] ، وكان مسقفاً بسقف خشبي يعرف في ذلك الوقت بالسكندري[٧] . وهو مجدد في الوقت الحاضر

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٤ .

(٢) السقف النقي ، طريقة من التسقيف البسيط ، يستخدم فيها ألواح خشبية نقية تكون مستوردة عادة. عبداللطيف ابراهيم، دراسات تاريخية وأثرية في وثائق عصر الغوري، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٥٦م، مصطلح رقم ٣٢٤، محمد أمين، ليلى إبراهيم، المصطلحات المعمارية، ص ٦٤.

(٣) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٤) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٤ .

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ١٢٤ ، محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١١٨.

(٦) المرجع السابق نفسه ، ص ١١٨ .

(٧) حجة وقف السلطاني برسباي ، برقم ٨٨٠ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية و التسقيف السكندري ، تسقيف مسطح بسيط ، له كمرات طويلة ربما اشتهرت مدينة الاسكندرية بصناعته . عبداللطيف إبراهيم ، دراسات تاريخية وأثرية ، مصطلح رقم ٣٢٤ . محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ٦٤ .

من قبل لجنة حفظ الآثار العربية[1] . وفرشت أرضيته بالرخام الملون . وعلى يمين الداخل إلى هذا الدهليز ، ثلاثة أبواب تؤدي إلى بعض ملاحق المدرسة ، حيث يؤدي أولها إلى الدرج الصاعد إلى الكتاب ، وبعض الخلاوي .

أما الباب الثاني فيؤدي إلى المكتبة ، في حين أن الأخير كان باباً لخلوة بواب المدرسة ، وهو الآن يؤدي إلى دورة مياه حديثة[2] . ويقع فيما البابين الأولين بيت الأزيار [المزملة][3] .

أما عن يمين الداخل للدهليز ، فيوجد نافذة كبيرة مستطيلة مغطاة بمصبعات برونزية ، تطل على الإيوان الجنوبي الشرقي للمدرسة ، كما يوجد في نهاية الجدار من هذه الناحية فتحة باب تؤدي إلى الصحن[4] .

قاعات الدرس :

زودت المدرسة بأربعة إيوانات متعامدة ، وهي كالآتي :

الإيوان الجنوبي الشرقي [القبلي] [لوحة ٤٠ ، ٤١] :

وهو أكبر أواوين المدرسة ، مستطيل الشكل ، تبلغ أبعاده ٥ر١٦ م × ٨ر١٢ م[5] . وقد فرشت أرضيته ببلاطات من الرخام الملون على هيئة زخارف هندسية قوامها دوائر ومستطيلات[6] .

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٤ .

(٢) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١١٨-١١٩ .

(٣) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٤ – ١٢٥ ، محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ص ١١٨ .

(٤) المرجع السابق نفسه ، ص ١١٩ – ١٢٠ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ١٢٥ .

(٦) دولت عبدالله، الخوانق في مصر، ص ١٢٦، حسن عبدالوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، جـ١/ ص٢٢٣.

أما سقفه فهو عثماني الطراز ، فقد جدد في تلك الأثناء[١] . بينما تشير وثيقة المدرسة إلى هذا السقف كان من الخشب النقي المدهون بالذهب واللازورد[٢] . ويفتح هذا الإيوان على الصحن بعقد مدبب حدوة فرس[٣] . ويوجد خلفه من داخل الإيوان كريدي خشبي[٤] .

ويتوسط الجدار القبلي المحراب والذي يتوج حنيته عقدان مدببان ملبسان بالرخام المزخرف بأشكال نباتية مزهرة ، يرتكزان على عمودين من الرخام ، لهما قواعد وتيجان رمانية الشكل .

ولقد كسيت حنية المحراب بالقطع الرخامية ، مكونة ثلاثة مناطق زخرفية في ثلاثة مستويات ، السفلية منها ، عبارة عن قنوات تفصل بينها ضلوع بارزة تتصل من أعلى بعقود صغيرة مفصصة ، زخرفت كوشاتها بأفرع نباتية تنتهي بأوراق كأسية الشكل .

أما الوسطى ، فإن زخارفها عبارة عن شكل هندسي يماثل حرف Y اللاتيني، جعل في أوضاع معدولة ومقلوبة بالتبادل والتداخل ـ زخرفة الدقماق ـ ويحيط بهذه المنطقة[٥] إطار من الرخام الأبيض ، عبارة عن شريط حفرت عليه كتابة بارزة بخط النسخ ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ،

---

(١) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٧٥ .

(٢) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية .

(٣) العقد المدبب حدوة الفرس ، هو عقد مدبب في قمته ، ويتميز بطول قدميه وانتفاخ ريشتيه . انظر ص ٤٤٨.

(٤) محمد عبد الستار عثمان ، الاثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٧٥.

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ١٢٥ .

وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون * ولئن أتيت الذين أتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض ، ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين * الذين آتينهم الكتب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون * الحق من ربك فلا تكونن من المترين * ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ، أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير * ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وإنه للحق من ربك وما الله بغفل عما تعملون ﴾[1] [البقرة ، آية ١٤٤ ـ ١٤٩] .

أما المنطقة الأخيرة وهي العلوية ، وتشمل طاقية المحراب ، فإن الجزء السفلي منها شغل بثلاث مناطق على هيئة أنصاف دوائر وسطها ، ، بداخلها لفظ الجلالة « الله » . أما الجانبيتان ، فغشيتا بزخارف نباتية مورقة . وتخرج من هذه المناطق زخارف اشعاعية تملأ طاقية المحراب[2] .

ويكتنف المحراب أربع دخلات معقودة بعقود مدببة ، ملبسة بالرخام المشهر « أحمر وأبيض » . وبداخلها شبابيك الواجهة السفلية الرئيسة ، كما كسيت بقية أجزاء هذه الدخلات بالرخام الملون ، كبقية أرضية الإيوان[3] .

و كسي جدار القبلة بالرخام الملون إلى مستوى عقود الدخلات والمحراب[4] ، مشكلاً زخارف هندسية قوامها أشرطة رأسية ومستطيلات

(١) المرجع نفسه ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٦-١٢٧ .

(٣) محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص١٢٧ .

(٤) حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ ١ / ص ٢٢٣ .

ودوائر[١] . وكان عليها تذهيب ظلت آثاره باقية إلى عهد قريب[٢] . ويعلو ذلك مباشرة بحر كتابي بالخط النسخي البارز له تتمة في الإيوان الشمالي الغربي ، ويتضمن أوقاف برسباي على منشآته وذريته من بعده[٣] .

ويلي ذلك النوافذ العلوية لجدار القبلة ، وقد سبق الإشارة إليها أثناء وصف الواجهة الرئيسة . وهي مغطاة بالجص المعشق بالزجاج الملون[٤] .

ويتوسط الجدارين الجانبيين لهذا الإيوان نافذة كبيرة مستطيلة الشكل ، عليها مصبعات برونزية ، يعلو كلاً منهما شمسية مغشاة بالجص المفرغ على هيئة زخارف نباتية محوره، يعلو كلاً منهما شريط من الكتابة النسخية البارزة ، نصها على النافذة الشمالية ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه ﴾ ، وعلى النافذة الجنوبية ﴿ السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾[٥] [اقتباس من آية الكرسي ، سورة البقرة آية : ٢٥٥] .

ويجاور المحراب ، منبر المدرسة ، وهو ذو قاعدة مستطيلة ، وعليه زخارف هندسية ، قوامها أطباق نجمية ، مطعمة بالعاج[٦]. علاوة على الزخارف النباتية المحورة عن الطبيعة . والكتابات النسخية البارزة القرآنية والتأسيسية ، حيث يوجد فوق باب المنبر من الداخل حشوة كتابية نصها ﴿ إن الله يأمر بالإحسان وإيتاء الزكاة وينهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ [سورة النحل آية ٩٠] .

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٤٧ .

(٢) حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ١ / ص ٢٢٣ .

(٣) قام محمد عبدالستار عثمان بنشر هذا النص كاملاً ، ويوجد به وصف معماري للمدرسة ، وإنما شروط الوقفية وجهات الوقف . محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ٨١ - ٨٦ .

(٤) المرجع السابق نفسه ، ص ١٢٧ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ١٢٧ .

(٦) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٧ .

ويعلو باب الروضتين الشمالي كتابة نصها ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ﴾ [سورة فاطر آية : ٣٤] .

كما يعلو الباب الجنوبي كتابة أخرى نصها ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ [سورة الجن آية : ١٨] ، في حين أن الكتابة التأسيسية وضعت فوق باب المنبر من الخارج ونصها [أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة سيدنا ومولانا السلطان الملك الأشرف عز نصره][١] .

الإيوان الشمالي الغربي [البحري] [لوحة ٤٢] :

وهو مقابل الإيوان السابق تبلغ أبعاده ٢ر١١م × ٨ م يطل على الصحن بعقد مدبب[٢]، وأرضيته في الوقت الحاضر من الحجر الجيري[٣] ، بينما كانت في الأصل ، مكونة من بلاطات رخامية ملونة ، كما هو الحال في إيوان القبلة[٤] . أما السقف فهو الأصلي ، ولا يزال في أجزاء منه زخارف متبقية قوامها صرة مفصصة[٥] ، فصوصها على هيئة مثلثات ، تتجه رؤوسها نحو مركز الدائرة . ولقد حشيت هذه المناطق الزخرفية بزخارف نباتية ، عبارة عن أوراق متشابكة، ووريدات ، وأشكال هندسية مضلعة . ويقع دون السقف إزار خشبي ، عليه كتابة نسخية بارزة تتضمن البسملة وآية الكرسي[٦] .

---

(١) حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ ١ / ص ٢٢٣ .

(٢) محمد عبد الستار عثمان ، الاثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٢٨-١٢٩.

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٠.

(٤) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٥) الصرر المفصصة ، هي مناطق دائرية يجري تكوينها من عدة فصوص على أشكال هندسية مختلفة . طه عبدالقادر عمارة ، الأبواب المصفحة في عهد السلطان حسن في القاهرة ، دراسة أثرية فنية ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ٢١٦ .

(٦) ولقد قامت لجنة حفظ الآثار العربية بترميم هذه الزخارف حتى يتبين مقدار جماله. حسن عبدالوهاب، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ ١/ ص ٢٢٣ .

ويوجد بصدر هذا الإيوان دخلة غائرة معقودة بعقد مدبب ، ترتكز رجلاه على حطات مقرنصة[١] ، وكانت تستخدم كملقف للهواء [باذاهنج][٢] .

ويوجد بالإيوان أربعة أبواب ، إثنان منهما يكتنفان الدخلة ، والآخران موزعان على الجدارين الجانبيين . وهي تؤدي إلى حواصل باستثناء الواقع جنوبي الدخلة ، حيث يغلق على كتبية بها أرفف لوضع الكتب[٣] .

ويعلو كلاً من هذه الأبواب حشوة خشبية ، عليها كتابة قرآنية بالخط النسخ المملوكي البارز ، تبدأ من الحشوة الشمالية ، نصها ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، ربنا اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئتنا وتوفنا مع الأبرار * ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ﴾[٤] . صدق الله العظيم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً][٥] .

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٨ . محمد عبدالستار عثمان ، الاثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٣٠ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٠ – ١٣١ . دولت عبدالله ، الخوانق في مصر، ص ١٢٨ . سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤ / ص ١١٥ .

(٣) محمد عبد الستار ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٣١ .

(٤) سورة آل عمران آية ١٩٣ – ١٩٤ .

(٥) محمد عبدالستار عثمان، الآثار المعمارية للسلطان برسباي، ص ١٣١ . دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٨ .

الإيوان الشمالي الشرقي [لوحة ٤٣] :

وهو مستطيل الشكل وتبلغ أبعاده ٦٫٨ م × ٥ م ويطل على الصحن بعقد مدبب . وله أرضية من الحجر الجيري[١]، من المؤكد أنها كانت وقت إنشاء المدرسة من الرخام الملون ، كما هو الحال في الإيوانين السابقين[٢] ، أما سقفه فيتكون من براطيم [مربوعات] خشبية تحصر فيما بينها مساحات مربعة ومستطيلة [طبالي وتماسيح][٣] . ويوجد بصدر الإيوان دخلة غائرة يعلو واجهتها عقد ثلاثي ، بها نافذة مستطيلة تطل على الواجهة من الناحية الشمالية الشرقية[٤] . وقد سبق وصفها .

الإيوان الجنوبي الغربي [لوحة ٤٤] :

وهو يماثل الإيوان الشمالي الشرقي، في مساحته وعناصره المعمارية[٥] .

وعقود الإيوانات السابقة ، صنجاتها الحجرية مشهرة « أحمر وأصفر » وترتكز أرجلها على كوابيل مقرنصة ، ومحدد هيئة كل منها بجفت ينتهي في القمة بميمه[٦] .

---

(١) محمد عبدالستار عثمان ، الاثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٣٢ .

(٢) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٣) محمد عبدالستار عثمان ، الاثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٣٢ .

(٤) المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٣ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ١٢٤ . دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٩ . سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤ / ص ١١٦ .

(٦) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٨ .

الصحن [لوحة ٤٢ ، ٤٥] :

وهو عبارة عن مساحة متسعة مكشوفة تبلغ أبعادها ١٩ م × ١٥ م[١] . أرضيته مفروشة برخام مجدد[٢] ، بينما كانت في الأصل تماثل أرضية إيوان القبلة ، كما تشير وثيقة المدرسة بذلك[٣] .

ويطل على الصحن بالإضافة إلى الأواوين سابقة الذكر، أربعة أبواب ، تشغل المناطق الركنية بين هذه الأواوين . وهي متماثلة في تكوينها المعماري والزخرفي ، حيث يوجد كل منها في حجر غائر ، يكتنفه محددتان بجفت ، يعلوهما عضادتان عليهما كتابة انطمست حروفها ، ويعلو فتحة الباب عقد مستقيم ملبس بالرخام ، عليه زخارف قوامها أوراق نباتية مقلوبة ومعدولة بالتبادل ، يلي ذلك نفيس حجري ملبس بالرخام الأسود . ثم يأتي العقد العاتق المكون من صنج مزررة ، كسي بعضها بالرخام الأسود[٤] . ويعلوه مستويين من الشبابيك المستطيلة الشكل والمغطاة بالمضبعات البرونزية[٥] ، ويتوج الحجر صدر مقرنص يحدده من الخارج إطار لجفت حجري[٦] .

ويتوج الجدران المطلة على الصحن بحر كتابي نسخي بالحفر البارز ما نصه ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ١٢٤. سعاد ماهر، مساجد مصر، جـ ٤ /ص١١٣ .

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٥ .

(٣) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٤) جمال عبد الرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٨ .

(٥) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤ / ص ١١٣ ، دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٥ .

(٦) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٩ .

الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار * ليجيزهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب * والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده.شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب * أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب كظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور * ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير ﴾[1] . صدق الله العظيم . أنشأ هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين منصف المظلومين من الظالمين خادم الحرمين الشريفين الملك الأشرف خلد الله ملكه][2] .

مكتب السبيل [لوحة ٣٦] :

زودت المدرسة بسبيل وكتاب لتعليم الأيتام يقعان في الركن الجنوبي للمبنى[3] ، قد سبق وصف واجهتيهما .

وتبلغ أبعاد السبيل ٧ر٥ م × ٢ر٣ م . وهو مقسم إلى قسمين ، الشرقي لتسبيل الماء ، والغربي جعل بيتاً للأزيار [مزملة][4] . وكان له مقصورة من الخشب الخرط[5] .

---

(١) سورة النور آية ٣٦ – ٤٢ .

(٢) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤ / ص ١١٣ –١١٤ ، دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٧ – ١٢٦ ، محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٢٤ – ١٢٥ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٦ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ١٣٨ .

(٥) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

وأرضية السبيل مفروشة بالرخام الملون ، بأشكال هندسية ، وبها فوهة الصهريج عند الطرف الغربي للنافذة الجنوبية ، كما يوجد بالقرب من النافذة الشرقية حوض السبيل وهو سداسي الشكل ومن الرخام ، فكان يملأ بالماء ، فتملأ منه أواني الشرب التي كانت توجد في شباكي التسبيل ، وللسبيل سقف خشبي مسطح ، ومزخرف بزخارف هندسية متنوعة[١].

ويعلو السبيل ، الكُـتَّـاب الذي يماثله في الأبعاد ، وأرضيته من الحجر الجيري وسقفه من الخشب المسطح بأسفله إزار خشبي عليه كتابات تآكلت حروفها ويصعب قراءتها في الوقت الحاضر[٢] .

المزملـة [بيت الأزيار] :

وهي عبارة عن إيوان صغير مربع الشكل يبلغ طول ضلعه ٥ر٢ م . وتقع في دهليز المدرسة على يسار الداخل . ولها سقف عبارة عن قبو حجري ، بواجهة معقودة بعقد مدبب ، وأرضيتها مكسوة ببلاطات حجرية ، وبها فوهة أخرى للصهريج وحوض للماء. كما كانت مغطاة بسياج خشبي[٣] ، يتوسطه باب بمصراعين ، يعلوه حشوة من خشب ، عليها كتابة بالخط النسخي نصها ﴿ عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا * يوفون بالنذر ويخافون يوماً ﴾[٤] [سورة الإنسان آية ٦ ـ ٧ وتكملة الآية كان شره مستطيرا ﴾ .

---

(١) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٣٨ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٩ .

(٣) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٤ .

(٤) محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي، ص ١١٩.

المكتبة :

زودت المدرسة بمكتبه ، كان يتوصل إليها من الباب الثالث في الحائط الجنوبي للدهليز ، وتذكر وثيقة المدرسة إلى أنها كانت عبارة عن قاعة تتكون من إيوان ودرقاعه . وكان الإيوان مفروش أرضيته بالبلاط وله سقف خشبي نقي ، بينما فرشت أرضية الدرقاعه بالرخام ، ولها سقف عبارة عن ملقف [باذهنج] خشبي(1) .

ويصدر الإيوان توجد خزانة الكتب [الكتبية] . كما كان يتبع القاعة خلوة لطيفة لخازن الكتب بالإضافة إلى المرحاض(2) .

ولقد ضمت معظم هذه القاعة إلى مبنى حديث البناء ، واندثرت ملاحقها ، وتبلغ أبعاد الإيوان ٤ م × ٣٫٦٥ م. أما الدرقاعة فبلغت ٣٫٧٥م × ٣٫٣٥ م(3).

وحدات الإسكان :

زودت المدرسة بمساكن كانت مخصصة للشيوخ والعاملين والطلبة . ولقد حرص المعمار على استغلال الفراغات فيمابين الأواوين ، لتشغل بالوحدات السكنية .

وتشير وثيقة المدرسة إلى أنه كان يوجد في جنوبها الشرقي ، خلف مكتب السبيل ، قاعة مكونة من إيوان ودرقاعه ، ويتبعها سطح ومنافع(4). من الواضح أنها كانت مخصصة لشيخ المدرسة ، لأنها أكثر الوحدات السكنية

---

(1) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(2) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية.

(3) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٤ .

(4) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

أهمية فيها ، كما يشير بذلك تخطيطها . وقد جرت العادة في تخطيط المدارس أن تكون مثل هذه القاعات مخصصة لشيوخها[1] .

وكان يعلو المكتبة والدهليز وما جاورهما إحدى عشرة خلوة حبيس ، كانت مخصصة لسكنى الطلبة أيضاً[2]. كذلك استغل المعمـار جانبي الإيوان الشمالي الشرقي، لينشيء مجموعة خلاوي في ثلاثة طوابق اندثر معظمها ولم يبق سوى معالم تشير إلى وجود بعضها[3] . ولم تشر وثيقة المدرسة إلى هذه الخلاوي . وإن كان من المؤكد أنها كانت من ضمن مرافق السكنى في المدرسة ، كما يشير بذلك تكوينها المعماري حيث تتكون من حجرات صغيرة[4] تناسب ما كان عليه حال الخلاوي في مثل هذه المنشـآت .

بيد أن أكثر وحدات الإسكان أهمية ، من بين الوحدات السكنية الملحقة بهذه المدرسة ، تلك التي أطلقت عليها وثيقة المدرسة « تربيعة الطلبة »[5] وكانت عبارة عن مجمع سكني كبير، يشغل جانباً من الركن الجنوبي الغربي للمدرسة. ويتكون من رباط به أربعة وعشرين طبقة متجاورة ومتطابقة[6] . ويتبعها مرافق

(١) عن ذلك انظر ص ٣٨٨ .

(٢) محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١١٩ ، ١٤١ ، ١٤٦ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٦ – ١٤٧ .

(٤) المرجع نفسه ص ١٤٦ .

(٥) التربيعة ، مصطلح وثائقي يطلق في العمارة المملوكية ، على حوش مربع تحيط به وحدات مختلفة من مساكن أو حواصل أو حوانيت أو بيوت خلاء ، إحداها أو كلها أو بعضها . محمد أمين ، ليلى ابراهيم، المصطلحات المعمارية ص ٢٦٧ .

(٦) الطبقة لفظ يطلق على الخلوة الواحدة المتسعة نسبياً ، وإذا جاءت كلمة الطبقة في الوثائق ومعها كلمتي « متجاورة ومتطابقة » فهذا يدل على أن الطباق مكون من دورين . المرجع السابق نفسه ، ص ٧٤ .

وحقوق[١] . وكانت هذه الطباق مخصصة لسكنى الطلبة كما يدل على ذلك إسمها[٢] .

الميـضـــأة :

وكانت تجاور تربـعـة الطلبة الميضأة التي كانت تتكون من خمسة عشر بيت خلاء ، وبها فسقية[٣] مربعة ، ذات أعمدة من الرخام تحمل فوقها القبة[٤] .

المـئـذنـــة [لوحة ٣٤ ، ٤٦] :

تقع المئذنــة شمالي واجهة المدخل فوق سطح المدرسة . وتتكون من ثلاثة أدوار ، أولها مربع الشكل في الضلع الجنوبي منـه فتحة باب معـقودة بعقد مدبب ، يلي ذلك شرفات مفتوحة تقـع ضمن دخلات ، تتوجها عقود منكسرة[٥]، ترتكز على أعمدة مندمجة بتيجان وقواعد ناقوسية الشكل . وترتكز هذه الشرفات على حطات مقرنصة ، ولكلٍ منها سياج [درابزين] حجري عبارة عن شقف مفرغة ، ومزخرفة بأشكال نجمية ، وبأركانها عمودان صغيران برؤوس رمّانية[٦] .

---

(١) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة . ويقصد بالمرافق والحقوق ما يحيط بالمبنى وما يتبعه من دورات مياه ومطابخ ومخازن ، المرجع نفسه ، ص ١٠٣ .

(٢) محمد عبدالستار عثمان ، الاثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٤٨ . دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٩ .

(٣) والفسقية : حوض الوضوء والاغتسال ، وكان يزود بصنابير لسكب الماء . محمد أمين ، ليلى ابراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ٨٥ .

(٤) محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص١٤٨.

(٥) العقد المنكسر ، له ريشتان مستقيمتان ومائلتان تلتقي من أعلى بزاوية حادة . انظر ص ٤٤٧ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٣ . دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٣٠ . جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ص ١٧٧ .

ويعلو الدخلات ، بحر كتابي بالخط النسخي الغائر ، زالت معظم كلماته ، وإن كان يظهر من بقاياها اقتباسات قرآنية(١) .

ويعلو هذا الدور شرفة محمولة على مقرنصات دالية، وهي مربعة الشكل ، ولها سياج حجري ، يتكون من شقف حجرية مشغولة بزخارف هندسية ونباتيه مفرغة ، تربط بينها أعمدة برؤوس رمّانية(٢) .

أما الدور الثاني ، فدائري ، وعليه زخارف عبارة عن جفوت متقاطعة ، تنتهي من الأعلى والأسفل بميمات(٣) . ويعلوا هذه الزخارف شريط كتابي غائر تآكلت معظم كتاباته(٤) .

وينتهي هذا الدور بشرفة مستديرة الشكل سياجها يماثل السفلى في زخارفه . وهي محمولة أيضاً على مقرنصات دالية(٥) .

ثم يأتي بعد ذلك الجوسق ، وهو المكون من ثمانية أعمدة حجرية مستديرة(٦) . ترتبط من أعلاها بعقود ثلاثية ، يعلوها حطات من المقرنصات تحمل شرفة الخوذة ، والتي لها سياج حجري يشابه السابقة ، ويتوج المئذنة خوذة على شكل القلة ، ويعلوها هلال نحاسي(٧) .

---

(١) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٣٣ .

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٣٠ .

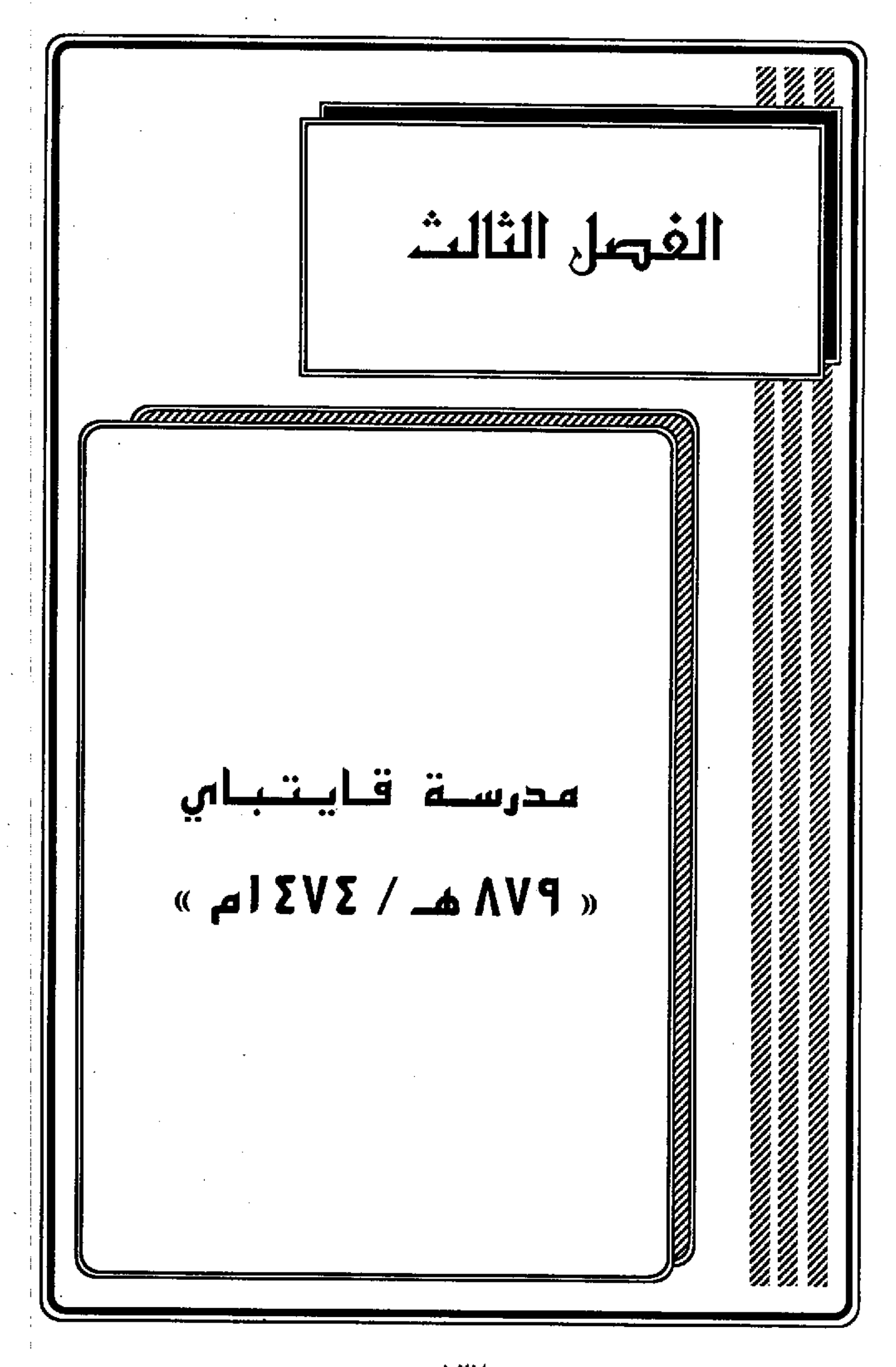
(٣) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٧ – ١٧٨ .

(٤) محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٣٤.

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٤ .

(٦) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٨ .

(٧) محمد عبدالستار عثمان ، الاثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٣٤ . دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٣٠ .



الفصل الثالث

مدرسة قايتباي

« ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤م »

منشيء المدرسة :

أنشأ هذه المدرسة السلطان أبو النصر الأشرف قايتباي[1] ، وهو الحادي والأربعون من ملوك الترك ، والخامس عشر من ملوك الجراكسة[2] . ولد سنة ٨٢٦ هـ / ١٤٢٣م ، وجلب إلى مصر ، وهو ابن ثلاثة عشر عاماً[3] . فآل إلى ملك السلطان برسباي ، وأعتق في عهد الظاهر جقمق[4] . ثم أخذ أمره بالصعود منذ ذلك الحين ، حتى ولي السلطنة ، سنة ٨٧٢ هـ / ١٤٦٨م إثر ثورة قام بها بعض طوائف المماليك ضد الظاهر تمر بغا[5] .

ويذكر إبن إياس[6] ، أن قايتباي رفض قبول السلطنة وأعرض عنها ولم يلبسها إلا مرغماً ، حتى أنه بكى على إثر ذلك . فلما ولي الأمر مارسه بجد وحزم وظل فيه حتى توفي أواخر سنة ٩٠١ هـ / ١٤٩٦م[7] .

(١) العزي ، نجم الدين محمد بن محمد بن بدر الدين محمد العامري القرشي ، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، تحقيق جبرائيل حبور ، بيروت ، جـ١/ص ٢٩٧.

(٢) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٦/ ص ٢٠١ ، إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ٣/ ص ٣، إبن العماد ، شذرات الذهب ، جـ ٨/ ص ٦ .

(٣) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية بمدينة القاهرة ، دراسة معمارية أثرية ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، ص ١٠ .

(٤) إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ / ص ٣ ، حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ ١ / ص ٢٥٠ . وجقمق هو الملك الظاهر أبو سعيد ، تولى سلطنة مصر سنة ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨م ، وكانت فترة حكمه محمودة ، عرف بالكرم والترفع عن المنكرات ، وحبه لفعل الخير وإكرام العلماء ، مع بعض طيش واندفاع . توفي سنة ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣م ، ابن تغري بردي ، الدليل الشافي ، جـ ١ / ص ٢٤٦ .

(٥) السخاوي ، الضوء اللامع، جـ ٦/ ص ٢٠١ ، وزارة الأوقاف، مساجد مصر ١٩٤٨م القاهرة ، جـ ٢ / ص ٩٩ . والظاهر تمربغا ، هو أبو سعيد تمربغا بن عبدالله العلمي . ولي السلطنة عام ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م ، ولبث بها ثمانية وخمسين يوماً ، ثم خلع إثر ثورة قامت ضده ، كان كفواً للسلطنة ، وافر العقل ، على معرفة بالفروسية وأدوات الحرب ، وإليه نسب بعضها . كما كان على دراية وإلمام بالعلوم الشرعية . توفي سنة ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤م . السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ ٣ / ص ٤٠ .

(٦) إبان إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ / ص ٤ .

(٧) إبن العماد ، شذرات الذهب ، جـ٨ / ص ٩ ، العيدروسي ، النور السافر ، ص ١٤ .

ولا تختلف ظروف عصر هذا السلطان عما كان عليه حال العصر الجركسي عموماً ، من حيث كثرة الفتن والاضطرابات ، مما اقتضى كثرة الحملات العسكرية لمواجهتها[1] . فتحملت الدولة المزيد من الأعباء المالية . وأثر بدوره على اقتصاد البلاد المتردي أصلاً . فكسدت الأسواق ، وقلت الأعمال عموماً[2] .

ولقد عمل قايتباي على معالجة هذه الظروف ، فوجه اهتماماً كبيراً نحو الزراعة وأصلح العديد من السدود والجسور والقناطر[3] . كما دعم الحركة العمرانية فأنشأ العديد من المباني ، كالمدارس ، التي أنشأ عدداً منها في القاهرة، ومكة لمكرمة ، والمدينة المنورة ، وغيرها[4] . كما أنشأ المباني الحربية كقلعتي الاسكندرية ورشيد[5] . بالإضافة إلى المباني المدنية ، والتي تتضمن منازل ورباع[6] ، ووكالات[7] وغير ذلك[8] . مما دفع بعض الباحثين إلى اعتبار

---

(١) السخاوي، الضوء اللامع، جـ٦ / ص ٢٠٥، إبن إياس ، بدائع الزهور، جـ ٣ / ص ٣٧، ٢٦٩، ٣٢٥ .

(٢) المصدر السابق نفسه ، جـ ٣ / ص ٢٢٢ ، ٢٣٧ ، ٢٤٦ .

(٣) علي باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ١ / ص ١٢٥ .

(٤) إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ / ص ٣٢٩ .

(٥) أحمد عبد المعطي الجلالي ، الأعمال المعمارية للسلطان قايتباي ، رسالة ماجستير ، كلية الهندسة ، جامعة عين شمس ، ١٩٥٨ م ، ص ١٠ – ١١ ، وزارة الأوقاف : مساجد مصر ، جـ ٢ / ص ٩٩ .

(٦) يطلق اللفظ على كل مجموعة سكنية ، لها مدخل خاص وسلم خاص ، وغالباً ما تعلو الخانات والوكالات . محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ٥٢ . صالح لمعي ، التراث المعماري ، ص ٧٠ .

(٧) الوكالة منشأة تجارية تشبه الخان ، وتطلق على الخان إذا أنشيء داخل المدينة . وسميت بذلك لأنها الموضع الذي يتم فيه توكيل التجار بعضهم لبعض لتصريف بضائعهم . وهي تشمل حوانيت ومخازن سفلية ، ومساكن علوية . محمدل عبدالستار عثمان ، المدينة الإسلامية ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، الكويت ، ص ٢٥٦ – ٢٥٧ .

(٨) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة . أحمد الجلالي ، الأعمال المعمارية للسلطان قايتباي ، ص ١١ – ٢٨.

هذا السلطان وعصره مدرسة في العمارة ، لكثره ما أنشأه من العمائر ، بقي منها ما يزيد عن السبعين أثراً ما بين تجديد وبناء[1] .

أما عن صفاته ، فإن المصادر بشكل عام تميل إلى الإشادة بها ، فتذكر بأنه كان ذا نزعة دينية فيها ميل للتصوف ، كما هو حال ذلك العصر ، وكان يعطف على الفقراء ، ويقرب العلماء ، وينفق عليهم الأموال[2] ، وهو على الرغم من ذلك كان يميل إلى مصادرة الأموال ، فتسلط على ما في أيدي التجار والأعيان ، ووصل الأمر به إلى الأوقاف الخيرية والأهلية[3] ، حتى عُدّ من المبالغين في هذا الشأن[4] . ولعل ظروف عصره ومتطلباته هي التي دفعت به إلى مثل هذه السياسة .

إنشاء المدرسة :

تُعد هذه المدرسة جزءاً من مجموعة معمارية ضخمة أنشأها السلطان قايتباي في الصحراء[5] . وأولى منشآته هناك مدرسة صغيرة ملحقاً بها عدد من الملاحق ، أبرزها مسكن وتربة[6] ، من المرجح أن تاريخ بنائها فيما بين

---

(١) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٨ .

(٢) نجم الدين العزى ، الكواكب السائرة ، جـ ١ / ص ٢٩٨ ، جـ ٢ / ص ٨٦ . إبن العماد ، شذرات الذهب ، جـ ٨ / ص ٨٠ .

(٣) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ ٦ / ص ٢٠٥ . إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ / ص ٤ ، ١٠ ، ١٣ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ٤٦ ، ٥٦ ، ٢٥٣ ، ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٤) المصدر السابق نفسه ، جـ ٣ / ص ٣٢٥ .

(٥) محمد حمزة الحداد ، قرافة القاهرة ، ص ١٣٣ .

(٦) حجة وقف السلطان قايتباي ، برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة ، وعرفت هذه المدرسة بمدرسة أبناء قايتباي لأنه دفن في تربتها عدد من أبنائه . حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢١ .

سنتي ٨٦٥ ـ ٨٧٢هـ/ ١٤٦٠ ـ ١٤٦٧م[١] . ثم تتابع بعد ذلك بناء المجموعة المعمارية ، حيث أنشئت المدرسة الكبرى بعد أن ولي قايتباي السلطنة ، إذ تذكر بعض المصادر أن الشروع في التنفيذ تم منذ ذلك الحين[٢] ، أي في سنة ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م أو في التي بعدها على أبعد تقدير ، بينما يذكر ابن إياس[٣] أن الشروع في تنفيذ المشروع كان في سنة ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م ، وهو الأرجح ، لأن الانتهاء من بناء جميع الوحدات المعمارية لم يتم إلا في سنة ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م . كما يشير بذلك لوحة تأسيسية داخل القبة[٤] ، ويؤكده ابن إياس أيضاً[٥]. فيكون تنفيذ المشروع قد استغرق خمس سنوات ، وهي مدة كافية لإنجاز مثل هذه الأعمال .

ويرى حسن عبد الوهاب[٦] أن البدء في تنفيذ المشروع تم في سنة ٨٧٧ هـ/١٤٧٢م ، نظراً لوجود نص تأسيسي على عضادتي المدخل يشير إلى أن السلطان أمر بإنشاء المدرسة في السنة المذكورة .

بيد أن هذا النص لم يكتب إلا بعد بناء هذا الجزء من المبنى ، كما يقتضيه الحال ، فيكون ذكر السنة السابقة ، لا يعبر عن حقيقة الأمر ، وإنما عما وصلت إليه أعمال الإنشاء من مراحل[٧] .

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ٦٢ – ٦٥ ، محمد حمزة الحداد ، قرافة القاهرة ص ١٣٤ – ١٣٥ .

(٢) العزى ، الكواكب السائرة جـ١ / ص ٢٩٩ ، إبن العماد ، شذرات الذهب ، جـ٨ / ص ٨ – ٩ .

(٣) ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ / ص ٤٥ .

(٤) حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ ١ / ص ٢٥٦ .

(٥) ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ / ص ١٠٠ .

(٦) حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ ١ / ص ٢٥١ .

(٧) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢١٦ .

ويصف إبن إياس يوم افتتاح المدرسة ، بأنه كان حافلاً : « .. وحضره الأمراء والقضاة الأربعة ، وأرباب الدولة قاطبة ... »[1] . وتم فيه تعيين أرباب الوظائف فيها ، وتحديد أنظمتها[2] .

فَقُرِّرَ أبو عبدالله القلجاني المغربي[3] شيخاً للمدرسة . كما عين لها إماماً وخطيباً ، وخازن للمكتبة ، ومؤذنين و ميقاتيه[4] ، وغير ذلك من أرباب الوظائف المختلفة . التي تحتاجها هذه المنشآت في ذلك العصر[5] .

أما عن عدد الطلبة فإن ابن إياس[6] يذكر بأن عددهم ثلاثين طالباً ، بينما تذكر وثيقة المدرسة أن عددهم أربعين طالباً ؛ وتذكر أيضاً أن عدد الأيتام الذين يتعلمون في الكُتَّاب ، كانوا عشرين يتيماً من أطفال المسلمين [7] .

ولقد كانت المنشأة تقوم بوظيفة المسجد الجامع ، بالإضافة إلى وظيفة الخانقاه . إذ اشترطت حجة وقفها أن يكون طلبتها من المتصوفة . وأن عليهم حضور حلقات التصوف بعد كل صلاة مكتوبة[8] .

---

(١) إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣/ ص ١٠٠ .

(٢) المصدر السابق نفسه ، جـ ٣ / ص ١٠٠ .

(٣) هو محمد بن عمر بن محمد القلجاني التونسي المغربي . ولد ونشأ في تونس وبها تعلم ، حتى ولي القضاء فيها . ثم هاجر إلى القاهرة واتصل بالسلطان قايتباي ، الذي ولاه مشيخة المدرسة . ثم عاد إلى تونس بعد أن هوجم من علماء مصر واتهم بسوء التصرف . توفي سنة ٨٩٦ هـ / ١٤٩٠م. السخاوي ، الضوء اللامع جـ ٨ / ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(٤) إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ / ص ١٠٠ .

(٥) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة . حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢٩٣ - ٣١٤ .

(٦) ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣/ ص ١٠٠ .

(٧) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٨) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

كما أنها كانت تقوم بوظيفة المدرسة ، كما تشير بذلك النصوص التأسيسية الموجودة بها والتي سنشير إليها لاحقاً . رغم أن حجة الوقف لا تشير لذلك من المؤكد أنه يسبب ما تعارف عليه ذلك العصر ، من أن على المتصوفة الدارسين في المؤسسات التعليمية ، دراسة العلوم الشرعية كالفقه والتفسيروالحديث[١] .

موقع المدرسة :

تقع المدرسة في المنطقة المعروفة بالصحراء ، وعرفت أيضاً بالقرافة ، غير بعيد عن مدرسة فرج بن برقوق التي سبق ذكرها ، مما يعكس اهتمام المماليك الجراكسية بعمارة هذه المنطقة ، كما سبق وأن أوضحنا[٢] . علاوة على أن لهذا المكان أيضاً أهمية خاصة بالنسبة للسلطان قايتباي ، إذ يوجد فيه قبر إحدى زوجاته ، وبعض بنيه . فآثر ذلك بإنشائه مجموعة المعمارية بعدما ولي السلطنة[٣] .

---

(١) عبدالغني محمود عبدالعاطي ، التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٥م ، ص ١٩٢ - ٢٠٣ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٦٦ ـ ٦٧ .

(٣) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١١٩ - ١٢٠ .

الوصف المعماري للمدرسة

التخطيط [شكل ٥٥] :

تعتبر هذه المدرسة ، درة منشآت السلطان قايتباي المعمارية ، لما تتميز به من دقة في التصميم ، وجمال في النسب ، وروعة ورشاقة في العمارة والزخارف[١] . ولذلك أثارت إعجاب الكثيرين ممن شاهدوها ؛ فيصفها السخاوي بأنها مبنية « ... بالرونق البهيج .. »[٢] . ويشيد بها النابلسي قائلاً بأنها مبني « ... عظيم مبني بالأحجار المتينة والقبة المرتفعة الرصينة ... »[٣]. وينقل فيت عن الرحالة الأوربي « بيريدنباخ » قوله أنها « .. مسجد فسيح له مآذن عالية ماهرة الزخرفة ... »[٤] .

كما أنها اعتبرت من قبل مختصين في العمارة الإسلامية ، أجمل وأدق أثر إسلامي في العالم العربي[٥] ، أو في القاهرة على أدنى تقدير[٦] .

والمدرسة جزء من مجموعة معمارية كان يحيط بها سور[٧] ، وتضم مجموعات سكنية اندثر معظمها كما سيتضح لاحقاً .

---

(١) زكي حسن ، فنون الاسلام ، ص ٧٨ . وزارة الأوقاف ، مساجد مصر ، جـ٢ / ص ٩٩ . كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية في مصر ، ص ٤٨ .

(٢) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ ٦ ، ص ٢٠٨ .

(٣) النابلسي ، عبدالغني بن إسماعيل ، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز . تحقيق أحمد هريدي ، ١٩٨٦ م . القاهرة ، ص ٢٩٣.

(٤) Wiet , C . The Mosque of Cairo , p , 29 - 30 .

(٥) كلوت بك ، « أ . ب » ، لمحة عامة إلى مصر، ترجمة محمد مسعود ، القاهرة ١٩٢٤م ، جـ ٢ / ص ٨٢٩ - ٨٣٠ ، عبدالرحمن عبدالتواب ، قايتباي المحمودي ، مجلة الاعلام ، العدد ٢٠ ، ١٩٧٨م ، القاهرة ١٨٦ .

(٦) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٣٢ .

(٧) أحمد عبد المعطي الجلالي ، الأعمال المعمارية للسلطان قايتباي ، ص ٢٥ .

وتبلغ أبعاد المبنى ٤٣ م × ٣٤ م ، وينقسم إلى قسمين رئيسيين :

أولاً : المدرسة :

وتضم قاعات الدرس والصلاة ، ومكتب السبيل ، وبعض الملاحق ، كالمكتبة ، والحواصل . أما الوحدات السكنية والميضأة فإنهما يقعان ضمن مجموعة كتل منفصلة عن المبنى سنصفها لاحقاً .

ثانياً : التربة :

وتضم القبة بالإضافة إلى مقبرة تقع في الناحية الجنوبية الغربية من المبنى .

وسنقتصر في الدراسة هنا على المدرسة، وما يتبعها من وحدات ومرافق .

ولقد اختلف الباحثون في تحديد تخطيط هذه المنشأة ، إذ يرى بعضهم أنها تنتمي إلى نظام التخطيط المتعامد ذي الأربعة إيوانات(١) ، بينما يرى آخرون أنها تنمي إلى ما يعرف بالنظام المطور(٢) ذي الإيوانين والسدلتين(٣) . وهو الرأي الصائب لأن مساحة الايوانين الجانبيين صغيرة بشكل ملحوظ(٤) .

---

(١) حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ١ / ص ٢٥٣ ، سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ٤ / ص ٢٢١ . أحمد عبدالمعطي الجلالي ، الأعمال المعمارية للسلطان قايتباي ، ص ١٦ ، أبو الحمد فرغلي ، الدليل الموجز ، ص ٢٠٢ .

(٢) النظام المطور هو طراز معماري ، ظهر أول ما ظهر في عمارة المدارس ، وأدى إلى ظهور المجمعات المعمارية متعددة الوظائف . محمد مصطفى نجيب ، نظرة جديدة على النظام المعماري للمدارس المتعامدة ، ص ٢٠ .

(٣) عبدالباقي إبراهيم ، صالح لمعي وآخرون ، أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الاسلامية المختلفة ، دراسة تحليلية على العاصمة القاهرة ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م . القاهرة ، ص ٢٠٨ . جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٣ . محمد مصطفى نجيب ، نظرة جديدة على النظام المعماري للمدارس المتعامدة ، ص ٢٧ .

والسدلة لفظ يطلق على الإيوانين الجانبيين بعد تصغير مساحتيهما . انظر ص ٣٠٠ .

(٤) كمال الدين سامح ، العمارة الاسلامية ، ص ٤٧٠ .

الــواجهـــات :

زودت المدرسة بثلاثة واجهات ، وهي كالآتي :

الواجهة الشمالية الشرقية [الرئيسة] [لوحة ٥٧ ، ٥٨] :

ويبلـغ طول هـذه الواجهة ٥ر١٢[١] . وتنقسم إلى ثلاثة أقســام :

أولها ، وهو الغربي ، فيتكون من قاعدة مصمطة للمئذنة ، وكان هذا الجزء محجوباً خلف إحدى وحدات الاسكان التي كانت تلاصق المدرسة في هذه الناحية[٢] ، والتي سنشير إليها لاحقاً . أما الثاني ، فيتمثل في واجهة مدخل المدرسة الرئيسي ، و يليه إلى الشرق منه ، ثالث هذه الأقسام ، ويشمل الواجهة الشمالية لمكتب السبيل .

وكان يوجد أسفل هذه الواجهة ، سلم مكون من درجات حجرية . يعلوها لوح رخامي ، محمول على كوابيل حجرية[٣]، مزخرفة بأشكال دالية . وكان هذا اللوح يقع عند النهاية السفلية لشباك التسبيل المغطى بمصبعات برونزية[٤] . والذي يعلوه عقد مستقيم مكون من صنج مزررة ، ومن بعده نفيس ، ثم عقد عاتق بصنج مزررة ، ومشهرة « أحمر وأصفر » ، ولقد حدد كل ذلك بجفت لاعب ذو ميمات[٥] .

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٥ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١١٨ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٦ . والكابولي الحجري ، أو الحرمدان ، مصطلح يطلق على البروزات الخارجة من الجدران لحمل عناصر معمارية أخرى ترتكز عليها . عبداللطيف إبراهيم ، الوثائق في خدمة الاثار ، ضمن كتاب دراسات في الاثار الاسلامية للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٩م ، القاهرة ، ص ٤١٠ ، دللي ، العمارة العربية ، ص ١٣ .

(٤) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٥ ، جمال عبد الرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٥ .

(٥) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٣٦، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ص ٢٤٦.

ويلي واجهة السبيل من أعلى واجهة الكتاب ، ، والمكونة من شرفة حجرية ذات عقدين مدببين ، يرتكزان في الوسط على عمود من الرخام . وللشرفة سياج يحدها من أسفل ، ورفرف يتوجها من أعلى مصنوعان من الخشب[1] . ويوجد دون الرفرف بحر كتابي بطول هذه الواجهة ، ويمتد إلى واجهة الكتاب الشرقية مكتوب بالخط النسخي البارز على الحجر ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيرا ﴾[2] ، أمر بإنشاء هذا الكتاب مولانا الملك الأشرف أبو النصر قايتباي سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين ، محي العدل في العالمين ، حامي حوزة الدين ، مولانا الإمام الأعظم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي خلد الله ملكه بمحمد وآله][3] .

ويتوج الواجهة شرفات حجرية على هيئة الورقة النباتية الثلاثية[4] .

ويقع في ركن الواجهة الشمالي الشرقي ، عمود حجري مدمج مستدير البدن ، له قاعدة عبارة عن ناقوس مقلوب ، وتاج مقرنص يعلوه زخارف نباتية بارزة[5] .

الواجهة الجنوبية الشرقية [القبلية] [لوحة ٥٩] :

وهي أطول الواجهات فيبلغ طولها ٥ر٣٥ ، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام ، أولها من الناحية الشمالية ، تتضمن الواجهة الشرقية لمكتب السبيل ، ثم بعد

---

(١) حسني نويصرة ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٣٧ .

(٢) سورة الإسراء ، آية ٨٠ .

(٣) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٤) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٧ .

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٤٧.

ذلك تأتي واجهة الإيوان الجنوبي الشرقي ، وما يليه من عناصر معمارية ، وآخر هذه الأقسام واجهة القبة ، والتي تبرز عن سمت الواجهة بمقداره ٥ر٤ م[١] .

وتتكون واجهة مكتب السبيل كسابقتها من واجهة للسبيل ، لا تختلف عن مثيلتها ، يعلوها واجهة الكتاب ، والتي تتكون من ثلاثة عقود مدببة ترتكز على عمودين من الرخام ، وهي بذلك تكون أكثر اتساعاً من الواجهة الشمالية[٢] .

يلي ذلك ثلاث دخلات ، أولاها أصغر من الأخريتان ، وبها مستويين من الشبابيك ، بكلٍ منهما شباك مستطيل الشكل ، مغطى بالمصبعات البرونزية . وكان السفلي منها مخصصاً لخلوة الخطيب ، بينما العلوي جعل لخلوة مؤدب الأيتام[٣] .

أما الدخلتان الأخريتان ، فهما لواجهة الإيوان الجنوبي الشرقي ، وبكل منهما أيضاً مستويين من الشبابيك ، بكل منهما نافذتان . السفلية مستطيلة الشكل تغشاها مصبعات برونزية ، ويعلو كل منها عقد مستقيم ، مكون من صنج مزررة ، يعلوه نفيس ، ثم عقد عاتق بصنج مزررة أيضاً . ويحدد كل ذلك مدماك حجري أصفر اللون . أما النوافذ العلوية ، فإنها تسير على نظام الشمسيات[٤] .

ويوجد فيما بين الدخلتين السابقتين ، في مستوى شبابيك الدور الثاني قمرية تعلو بروز المحراب، وكانت هي والنوافذ التي في مستواها مغشاة بالجص المعشق بالزجاج الملون[٥] .

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٥ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٤٧ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٤) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٥ ـ ١٥٦ ، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية، ص ٢٤٦ .

(٥) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٤٩ .

أما بالنسبة لواجهة القبة ، فلها جانبين ، شمالي به دخلة واحدة ، وشرقي ويه دخلتان ، وبكل منها مستويين من الشبابيك ، بكل منهما شباك واحد ، تتماثل في تكوينها المعماري ، شبابيك الدخلات سابقة الذكر .

ويتوج كل الدخلات السابقة صدر من الحطات المقرنصة ، كانت مغشاة بالذهب واللازورد[١] .

أما القبة [لوحة ٦٠، ٦١] التي تعلو هذه الواجهة ، فهي تقوم على منطقة انتقال عبارة عن انحناءات وتقعيرات [مدرجات] شغلت صدورها بقندليات مركبة ، تحيط بها رنوك سلطانية ، وجفوت لاعبة بميمات[٢] ، ثم يأتي بعد ذلك رقبة القبة ، والتي يتخللها ستة عشر نافذة صغيرة على نظام الشمسيات ، مغطاة هي ونوافذ القندليات بالجص المعشق بالزجاج الملون[٣] .

يلي ذلك كتابة نسخية بارزة على الحجر ، عبارة عن نص قرآني يتضمن آية الكرسي[٤] [البقرة آية ٢٥٥] . ثم تأتي الخوذة والتي تبدأ زخرفتها من أسفل بجفت لاعب بميمات ، يليه زخارف نباتية قوامها تقويسات، وأوراق ثلاثية، تكون طبق تجمي محدد من الخارج بإطار حجري بارز . وهذه الزخرفة أرقى ما وصل إليه الحفر على الحجر في العصر الجركسي[٥] .

وتنتهي هذه الواجهة من أعلى بشرفات ثلاثية[٦] .

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٢) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٧ .

(٣) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٦٣ .

(٤) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢٠١ .

(٥) جمال عبد الرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٧ .

(٦) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٦٣ .

الواجهة الشمالية الغربية [البحرية] [لوحة ٦٢] :

وهذه الواجهة غير منتظمة ، يبلغ طولها ٢٠ م . وتنقسم إلى قسمين :

أولهما يتكون من جزئين سفلي وعلوي . ويشغل السفلي بابان يؤديان إلى الحواصل أسفل المدرسة[١] . أما العلوي ، فهو واجهة الإيوان البحري . المكونة من دخلة واحدة بها دوران من الشبابيك بكل منهما ثلاثة شبابيك ، السفلية مستطيلة الشكل ، ومغشاة بالمصبعات البرونزية يعلو كلاً منها عقد مستقيم ، مكون من صنج حجرية مزررة ، ومن بعده النفيس ثم العقد العاتق بصنج حجرية مزررة . ويحيط العناصر السابقة في النافذة الوسطى أربع حشوات حجرية مستطيلة وبارزة ، انطمست زخارفها[٢] .

أما شبابيك المستوى العلوي ، فتتكون من قمرية وسطى يكتنفها شمسيتان[٣] كانت مغشاة بالجص المعشق بالزجاج الملون ، كمثيلاتها من النوافذ العلوية سابقة الذكر . ويأتي بعد النوافذ العلوية بحر كتابي إندثرت كتاباته[٤] . ويتوج الدخلة صدر من حطات مقرنصة ، كانت مموهة بالتذهيب واللازورد[٥] .

(١) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٣٩ .

(٢) جمال عبد الرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٧ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٤٧ .

(٤) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٤٠ .

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٠ .

أما القسم الثاني من الواجهة ، فأبرز ما يميزه وجود المدخل الجانبي للمدرسة ، والذي كان له سلم بطرفين كما تذكر وثيقة المدرسة[١] . وله باب بمصراع واحد من خشب الجوز[٢] . [لوحة ٦٤] .

ويكتنف المدخل مكسلتان محددتان بجفت حجري[٣] ، من فوقهما عضادتان عليهما نص تأسيسي انطمست كلمات الجانب الأيسر منهما، وبقي على الأيمن جزء من الكتابة ، وهي بالخط النسخي البارز ما نصه [... أمر بانشاء هـــذه المدرسة مولانــا السلطان الملك الأشرف ... قايتباي سلطان الإسلام ..][٤] .

ويعلو فتحة الباب عتب حجري مزخرف برسوم بارزة عبارة عن أوراق ثلاثية مقلوبة ومعدولة بالتبادل . ويكتنفه حشوتان مستطيلتان بشغلهما زخارف نباتية دقيقة من الحفر البارز . ويحدد هيئة كل ذلك إطار من أشرطة حجرية بارزة[٥] .

ثم يلي العتب من أعلى نفيس ، وعقد عاتق يتكون من صنج حجرية مشهرة ومزررة ، ويحيط بالعقد من جانبيه حشوتان عليهما زخارف هندسية بارزة .

---

(١) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة وله الآن سلم بأربع درجات . حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٤١ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ١٤١ .

(٣) جمال عبد الرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٥ .

(٤) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٤١ .

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ١٤١ – ١٤٢ ، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٥ .

ويأتي بعد ذلك شباك مستطيل مغطى بمصبعات برونزية يكتنفه حشوتان تماثلان السابقتين[١] .

ويتوج حجر المدخل عقد مدائني مقام على أربع حطات من المقرنصات الدالية ، ذات الزخارف النباتية الدقيقة بينما خلت كوشتيه في الوقت الحاضر من الزخارف ، وإن كان من المعتقد أنها كانت مشغولة برسوم نباتية تشبه تلك التي على كوشتي عقد المدخل الرئيسي[٢] . ويحدد هيئة المدخل إطار لجفت لاعب ينتهي في قمته بميمه على شكل وريدة بارزة[٣] .

ولقد بنيت جميع واجهات المدرسة بالحجر المهذب « الفص النحيت » المشهر « أحمر وأصفر »[٤] .

المدخل [لوحة ٦٣] :

للمدخل واجهة رائعة في غاية الجمال . ويتقدمها في الوقت الحاضر سلم ومسطبة حديثين[٥] . بينما كان له في الأصل فناء عال من الحجر الأبلق[٦] [أبيض وأسود] ، على حافته شرفات تشبه شرفات الواجهة[٧] . وفي داخل هذا الفناء سلم يتكون من إثنتي عشر درجة ، تؤدي إلى بسطه مفروشة ببلاطات من الحجر والرخام[٨] .

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٤٥ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٤٥ .

(٣) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٤٢ .

(٤) جمال عبد الرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٥ .

(٥) حسني نويصر، منشآت السلطان قايتباي، ص ١٣٢-١٣٣ . دولت عبدالله، الخوانق في مصر، ص ١٥٦.

(٦) الأبلق نوع من المداميك الملونة والمستخدمة في البناء بالتبادل . انظر ص ٤٢٩ .

(٧) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٣٣ .

(٨) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

ويلي البسطة ، حجر المدخل ، الذي يبلغ اتساعه ٢ر٣ م وعمقه ٨ر١م[١] . ويكتنفه مكسلتان حجريتان محددتان بالجفت اللاعب . ويعلوهما عضادتان عليهما نص تأسيسي بالخط النسخي البارز على الحجر ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم﴾[٢] أمر بإنشاء هذه المدرسة مولانا الملك الأشرف قايتباي سيد ملوك العرب والعجم خلد الله ملكه وثبت قواعد دولته بمحمد وآله بتاريخ سنة سبع وسبعين وثمان مائة من الهجرة][٣] ولقد كان النص مموهاً بالذهب واللازورد[٤] .

ويتوسط الحجر فتحة الباب التي لها باب خشبي بمصراع واحد ، ملبس بالنحاس المزخرف ، في وسطه بخارية [مدالية] نحاسية مخرمة ، عليها زخارف نباتية محورة عن الطبيعة ، تحصر بينها ورقة نباتية ثلاثية[٥] . ويوجد في أسفل الباب وأعلاه أشرطة نحاسية عليها كتابة دعائية بالخط النسخي البارز ، ما نصه [عز لمولانا السلطان الملك العالم العادل المجاهد المرابط المؤيد المنصور سلطان الإسلام والمسلمين الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره][٦] . كما يحيط به إطار نحاسي عبارة عن صفوف من الورقة النباتية الثلاثية [٧] .

ويعلو فتحة الباب عتب حجري خالي من الزخارف ، يحيط به إطار حجري عليه زخارف هندسية بارزة . ثم يأتي بعد ذلك نفيس من الرخام .

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ٢٤٤ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢١٥ .

(٣) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٦ .

(٤) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٣٣ .

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٣ ، دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٦ .

(٦) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢٥٣ .

(٧) المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٣ .

يليه عقد عاتق مكون من صنج حجرية ملبسة بالرخام إبلق [أبيض وأسود] ومزررة(١) . ويكتنف هذا العقد مساحتان مستطيلتان من الرخام الأبيض ، يحيط بكل منهما إطار ضيق من الرخام الأسود(٢) .

ويعلو ذلك دخلة بها فتحة شباك الدركاه ، وهي مستطيلة الشكل ومغشاة بمصبعات برونزية . ويكتنف الدخلة عمودين من الرخام(٣) . لكل منهما بدن مثمن ، وقاعدة وتاج ناقوسيين . وعليه زخارف دالية(٤) . بينما يتوجها صدر من الحطات المقرنصة(٥). وكان الشباك والعامودان مغرقين(٦) بالتذهيب. بينما غشى الصدر المقرنص بالتذهيب واللازورد(٧) .

ويكتنف الصدر المقرنص مساحتان دائريتان من الرخام الأبيض . بكل منهما رنك للسلطان قايتباي صيغته [عز لمولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره](٨) . ويحيط بهم جميعاً إطار من الرخام الأسود اللون(٩) . ويعلو ذلك نص كتابي على الرخام انطمست معالمه ، لعله كان يحتوي على نصوص قرآنية أو عبارات دعائية(١٠) .

---

(١) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٤ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٤٤ .

(٣) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٣٥ .

(٤) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٦ ، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٤ .

(٥) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٣٥ .

(٦) التغريق ، هو الترسيب في الماء . ويطلق على تغشية القطعة أو العنصر المعماري بالذهب أو الفضة أو اللازورد . أو كلاهما معاً . محمد أمين ، ليلى ابراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ١١١ .

(٧) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٨) حسني نويصر، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٣٥، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ص ٢٤٤ .

(٩) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٤٤ .

(١٠) حسنى نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٣٥ .

ويعلو هذه المنطقة شباك مستطيل عليه مصبعات برونزية كان مغرقاً بالذهب وقت إنشاء المدرسة[1] .

ولطاقية المدخل قبو مروحي ، شغلت الفراغات الواقعة بين أرجله بحطات مقرنصة، مغرقة بالذهب واللازورد ، ويتوج واجهتها عقد مدائني مشهر « أحمر وأبيض » ، زخرفت كوشيته بزخارف نباتية دقيق وبارزة على الحجر[2] . وحددت هيئة المدخل بجفت لاعب بميمات متساوية الأبعاد ، يلتقي عند القمة بميمة كبيرة[3] . كما لبس الجزء الغائر من الحجر بمداميك رخامية أبلق [أبيض وأسود] ، وحلي الجزء البارز بمداميك حجرية مشهرة « أحمر وأصفر »[4] .

الدركـــاه :

يفضي باب الدخول إلى الدركاه والتي تبلغ أبعادها ٥ر٦ م × ٢٥ر٣ م[5]. وأرضيتها مفروشة بالرخام الملون على شكل دوائر[6] . أما سقفها فهو خشبي مغشى بالذهب واللازورد . وكان يوجد أسفله نص كتابي اندثرت معالمه[7] .

ويوجد بصدر الدركاه مصطبة مكسوة بالرخام الملون [أبيض ، أسود ، رمادي ، الأحمر الداكن] . كما حليت جوانبها العلوية بحشوات رخامية بيضاء عليها زخارف هندسية بارزة[8] . وعلى جانبي المسطبة كتبيتان « خزانتان » لهما

(١) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٢) حسنى نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ص ١٣٦ . دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٦ .

(٣) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٤ .

(٤) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٤٤ .

(٥) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٥٠ .

(٦) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٧ .

(٧) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٥٢ .

(٨) المرجع السابق نفسه ، ص ١٥١ .

بابان من الخشب على كل منهما زخارف قوامها أطباق نجمية مطعمة بحشوات من العاج . ويحيط بكل من الكتبيتين إطار خشبي عليه زخارف عبارة عن أجزاء من الطبق النجمي . كما يعلو كلاً منهما حشوة خشبية عليهما كتابة بارزة بالخط النسخ ما نصه [اللهم انصر عبدك مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي خلد الله ملكه][1] وكانت هذه الكتابة مغرقة بالذهب واللازورد ، وهي الآن بلون الخشب الطبيعي[2] .

وبصدر هذه المسطبة شباك مستطيل مغشى بالمصبعات البرونزية ، يطل على الإيوان الجنوبي الشرقي، ويعلوه عقد مستقيم من صنجات مزررة ومشهرة[3] . ويوجد على جانبي الدركاه بابان معقودان بعقد ين مدببين ، يؤدي الأيمن إلى الدهليز والأيسر إلى السبيل[4] .

الدهليـــز :

ويبلغ طوله ٤ر٣ م، وأرضيته مفروشة بالرخام الملون على شكل دوائر[5] . والجزء الأمامي من السقف مكشوف ، والخلفي مسقف بقبو حجري متقاطع تتوسطه وريدة ، وزخرفت أطرافه بمعينات محشوة بزخارف نباتية دقيقة[6] ، ملونة بالتذهيب واللازورد[7] [لوحة ٦٥] . ويوجد في صدر الدهليز ، فتحة باب تؤدي إلى الدرج الصاعد إلى علو المبنى ، بينما يوجد في نهايته فتحة باب تؤدي إلى صحن المدرسة، كما كان يوجد على يمين الداخل بيت للأزيار « مزملة »[8].

(١) المرجع نفسه ، ص ١٥١ .

(٢) نفسه ، ص ١٥١ .

(٣) نفسه ، ص ١٥١ .

(٤) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٧ .

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ١٥٧ .

(٦) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٥٦ .

(٧) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٨) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٧، حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٥٥ .

قاعات الدرس :

تتكون المدرسة من إيوانين وسدلتين وبينهما صحن صغير « درقاعه » ، وهذا النظام البنائي هو الذي عرفه كريزويل[1] باسم « القاعة المصرية » .

الإيوان الجنوبي الشرقي [القبلي] [لوحة ٦٦] :

وهو أكبر أجزاء المدرسة حجماً ، تبلغ أبعاده ٦ر١١م × ٨ م[2] . وأرضيته مفروشة بالرخام الملون في شكل حشوات تعطي زخارف هندسية متنوعة تشمل الأشكال المضلعة والدوائر والمثلثات.[3] .

أما السقف فهو مكون من براطيم [مربوعات] تحصر بينها قطع عبارة عن مربعات ومستطيلات [طبالي وتماسيح] ، وله إزار خشبي يرتكز على مقرنصات زخرفية ، وجميع ذلك مجلد بالذهب ومزخرف باللازورد[4] .

وبصدر الإيوان محراب على هيئة حنية نصف دائرية[5] لها طاقية ودخلة معقودتين بعقد مدبب ، ويرتكز عقد الدخلة على عمودين مضلعين من الرخام بتيجان وقواعد ناقوسية الشكل[6] عليها زخارف نباتية دقيقة بارزة[7] يغشاها التذهيب[8] .

---

(١) Creswell; Muslim, Architecture of Egypt, Vol, 1, p, 261, Vol, 2, p,133.

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٥٧ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١٦٤ . دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٨ .

(٤) عبدالباقي إبراهيم ، صالح لمعي وآخرون ، أسس التصميم المعماري ، ص٢٠٨ .

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٠٨ .

(٦) المرجع نفسه ، ص ٢٠٨ .

(٧) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٨ .

(٨) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

وتزخرف طاقية المحراب ورقة نباتية ثلاثية بارزة(٢) ، بينما تخلو بقية أجزاء المحراب من الزخرفة في الوقت الحاضر وكان عليه فيما مضى زخارف رخامية في شكل عقود تشغل الجانب السفلي منه ، ويعلوها منطقة مستطيلة معقودة من الأعلى ، ويكتنفها إطار من الفسيفساء الرخامية [خرده] على شكل نجوم دقيقة الحجم . وحليت عضادتي المحراب أيضاً بفسيفساء رخامية تتخذ أشكال أطباق نجمية(٢) . ويوجد أسفل الطاقية ، نص قرآني بالخط النسخي البارز ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾ [سورة الحج آية ٧٦](٣).

ويعلو المحراب قمرية سبق ذكرها أثناء وصف واجهة الإيوان . ويكتنف المحراب أربعة دخلات معقودة بها الشبابيك المستطيلة لواجهة الإيوان يعلوها الشمسيات(٤) . وكل ذلك سبق وصفه أثناء وصف الواجهة الجنوبية الشرقية للمدرسة .

ويقع على جانبي الإيوان أربع دخلات ، إثنتان بكل جانب ، أولهما على يمين الداخل ، عبارة عن كتبية [خزانة] لحفظ بعض أدوات المدرسة ويغلق عليها باب خشبي بمصراعين(٥) . تليها دخلة لشباك مستطيل بمصراعين من الخشب مغشى بمصبعات برونزية ، وهو يطل على القبة ويقع أسفله جلسة رخامية ترتفع عن الأرض بمقدار ٣٠ سم(٦) .

---

(١) عبدالباقي ابراهيم ، صالح لمعي وآخرون ، أسس التصميم المعماري ، ص ٢٠٨ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٥٨ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٤١ .

(٤) عبدالباقي إبراهيم ، صالح لمعي وآخرون ، أسس التصميم المعماري ، ص ٢٠٨ .

(٥) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٩ .

(٦) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٦٠ .

أما دخلتا الجانب الأيسر ، فأولهما عبارة عن فتحة الشباك المطل على الدركاه ، ولها مصراعين من الخشب[1] ، وثانيها فتحة باب بمصراعين تؤدي إلى خلوة غير منتظمة الأبعاد ومقبية ، كانت تستخدم لحفظ المصاحف ، ولحفظ ما يلبسه خطيب المدرسة وقت الخطبة . ولهذه الخلوة نافذة تطل على الواجهة الجنوبية الشرقية سبق الإشارة إليها[2] .

ويعلو الدخلات السابقة ، أربع حشوات خشبية ، كتب عليها بالخط النسخي البارز على أرضية نباتية ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا * قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾[3] صدق الله العظيم][4] . وكان كل ذلك مذهباً وملوناً باللازورد ، وهو الآن بلون الخشب الطبيعي[5] .

ويعلو مستوى الشبابيك والأبواب على جدران الإيوان الثلاثة ، كتابة بالخط النسخي البارز ما نصه [أمر بانشاء هذا المكان المبارك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي سلطان الإسلام والمسلمين وارث الملك سيد الملوك والسلاطين بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك سراطاً مستقيماً* وينصرك الله نصراً عزيزاً * هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم . ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً ﴾[6] صدق الله العظيم

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ١٦١ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٦١ .

(٣) سورة آل عمران ، آية ٣٦ .

(٤) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢٤٠ .

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ١٦١ .

(٦) سورة الفتح ، آية ١ – ٤ .

وصدق رسوله الكريم وكان الفراغ من ذلك في شهر رجب الفرد الحرام عام سبع وسبعين وثمان ماية من الهجرة][1] . وكانت هذه الكتابة مغشاة باللازورد لإضفاء مزيد من الجمال عليها[2] .

ويطل هذا الإيوان على الصحن بعقد مدبب يتكون من صنجات حجرية أبلق [أبيض وأسود] ويرتكز على كابوليين مقرنصين ، عليهما زخارف نباتية دقيقة[3] ، ولا تزال آثار الذهب واللازورد باقية عليهما[4] .

وزود هذا الإيوان بمنبر خشبي يتكون من صدر وجوسق يعلوه رقبة خشبية ترتكز على مقرنصات زينت جوانبه بحشوات مجمعة تحتوي على أطباق نجمية مطعمة بالعاج والصدف والسن ، يفصل بينها حشوات من الخشب[5] ، وعلى جانبي المنبر آيات قرآنية ، بالخط النسخي البارز ، فعلى باب المنبر من الداخل توجد حشوة عليها كتابة نصها [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ [سورة النحل آية ٨٩] . ويوجد عليه من الخارج أيضاً حشوة أخرى نصها [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ [سورة الأحزاب آية ٥٥] . كذلك توجد كتابة تلتف بدائر قبة جوسق المنبر نصها [بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ﴾ [سورة الأحزاب آية ٤٠] . ويوجد

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٩ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢٢٢ .

(٣) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٨ . عبدالباقي ابراهيم ، صالح لمعي وآخرون ، أسس التصميم المعماري ، ص ٢٠٨ .

(٤) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢٠٨ .

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ١٦٥ – ١٦٦ . دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٨ . عبدالباقي ابراهيم ، صالح لمعي ، أسس التصميم المعماري ، ص ٢٠٨ .

أيضاً نصان على بابي روضتي المنبر ، فعلى الباب الأيمن كتابة نصها ﴿ يأأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ [سورة آل عمران آية ٢٠٠] . وعلى الباب الأيسر كتابة نصها ﴿ يأأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير ﴾[١] [سورة الحج ، اية ٧٧] .

الإيوان الشمالي الغربي [البحري] [لوحة ٦٧، ٦٨] :

وهو مقابل للإيوان السابق ، وتبلغ أبعاده ٥ر٧ م×٤ر٥ م[٢] . ويكتنفه سدلتان متماثلتان . تزيدان من مساحته اتساعاً[٣] . ويماثل سقفه وأرضيته ما في الإيوان السابق [القبلي][٤] .

وبصدر هذا الإيوان ثلاث دخلات معقودة سدت حجورها العلوية بالجص المزخرف بزخارف نباتية محورة عن الطبيعة . وبكل منها نافذة مستطيلة هي النوافذ السفلية لواجهة هذا الإيوان ، يغلق على كل منها من الداخل مصراعين من الخشب . ويعلو هذه الدخلات نوافذ المستوى الثاني من نوافذ الواجهة[٥]. ودونها توجد كتابة بالخط النسخي البارز ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم * فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾[٦] [سورة التوبة آية ١٢٨ ـ ١٢٩] .

---

(١) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢٤١ .

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٦٧ .

(٣) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٦٧ .

(٤) المرجع السابق نفسه ،ص ١٦٩ – ١٧٠ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ١٦٧–١٦٨ .

(٦) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٦٠ .

ويعلو تلك النوافذ أسفل السقف كتابة نسخية بارزة أيضاً نصها [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار * ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾(١) صدق الله العظيم](٢) وكان يوجد بهذا الإيوان دكة خشبية للمبلغ(٣) ، مستطيلة الشكل ، ولها سياج خشبي محمولة على أعمدة خشبية تستند بعوارض على الجدار الغربي للإيوان(٤) .

وللإيوان عقد مدبب يشبه عقد الإيوان السابق (٥) .

أما بالنسبة للسدلتين سابقتي الذكر [لوحة ٦٩] فإن اليمنى منهما تبلغ أبعادها ٣ر٦ × ٤ر٣ م . وتعلو أرضيتها عن مستوى أرضية الإيوان بمقدار ٣٠ سم(٦) ، وهي من الرخام بها زخارف هندسية متنوعة(٧) ، وسقفها نموذج مصغر لسقف الإيوان المطلة عليه . أسفل منه شريط كتابي على حشوات

---

(١) سورة النور ، آية ٣٥ ـ ٣٧ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .

(٣) يقصد بالمبلغ الذي يلقن التسابيح للمصلين بعد انقضاء صلاتهم . ولا زال هذا النظام معمولاً به في بعض مساجد القاهرة حتى الوقت الحاضر . ولم أعثر على تعريف له في المصادر والمراجع التي تسنى لي الاطلاع عليها .

(٤) المرجع السابق نفسه ، ص ١٧٠ .

(٥) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٨ . عبدالباقي ابراهيم ، صالح لمعي ، أسس التصميم المعماري ، ص ٢٠٨ .

(٦) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٧١ . دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٦٠ .

(٧) المرجع السابق نفسه ، ص ١٦٠ .

خشبية بالخط النسخي البارز ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾[1] [سورة فصلت آية ٣٠] .

ويوجد بصدر السدلة شباك مستطيل عليه مصبعات برونزية ، يعلوه قمرية مغشاة بالزجاج الملون ، ويقع على جانبي الداخل إليها كتبيتان ، كلٍ منهما تتكون من طابقين ، لكل طابق باب خشبي من مصراعين ، ملبس بالنحاس[2] .

وتعلو هاتين الكتبيتين حشــوات خشبية عليها كتابات دعائية وقرآنية ، تتواصل إلى السدلة اليمنى ، انطمست أكثر كلماتها[3] . وتطل هذه السدلة على الإيوان من خلال كريدي خشبي يرتكز على مقرنصات خشبية[4] .

وتقارب السدلة اليسرى في مساحتها السدلة السابقة ، فتبلغ أبعادها ٦ر٣ م ×٥٢ر٣ م[5] . بينما تماثلها في عناصرها ومكوناتها المعمارية والزخرفية[6] . بالإضافة إلى وجود كتبية [خزانة] من طابقين في صدر هذه السدلة ، يغلق على كل منهما باب خشبي من مصراعين ، ويعلو هذه الكتبية قمرية مغطاة بجص معشق بالزجاج الملون ، ويوجد أيضاً كتبية مماثلة للسابقة على يسار الداخل إلى السدلة يقابلها باب بمصراعين يؤدي إلى مكتبة المدرسة[7] .

---

(١) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٧٣ ، ٢٤٣ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ١٧٢ . دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٦٠ .

(٣) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٧٢ .

(٤) عبدالباقي إبراهـيم ، صالح لمعي وآخرون ، أسس التصميم المعماري ، ص ٢٠٩ .

(٥) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٧٤ . دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٦٠ .

(٦) عبـدالباقي ابراهيم ، صالـح لمعي وآخرون ، أسس التصميم المعماري ، ص ٢٠٩ .

(٧) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٧٤ .

ويوجد أسفل السقف ، كتابة نسخية بارزة ، ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ﴾[1] . صدق الله العظيم][2] .

الصحـن [الدرقاعـه] [لوحة ٦٧] :

ويقع في وسط المبنى فيما بين الإيوانين والسدلتين ، وبمستوى هابط عن أرضياتهم بمقدار ٣٠ سم . وهو مربع الشكل يبلغ طول كل ضلع من أضلاعه ٥ر٨ م[3] . أرضيته مفروشة ببلاطات من الرخام الملون في أشكال هندسية قوامها دوائر في الوسط ، يحيط بها في الأركان أشكال مضلعة مختلفة في مساحاتها وطريقة توزيعها[4] .

ويعلو السقف ملقف باذهنج مثمن الشكل ومزخرف بأشكال هندسية[5] . كما يطل على الصحن عقود الإيوانين والسدلتين ، ويحدد هيئة هذه العقود جفت لاعب بميمات متساوية الأبعاد ، ينتهي عند القمة بميمة كبيرة تتوسطها وريده بارزة من الحجر[6] .

---

(١) سورة البقرة ، من آية ٢٨٥ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص٢٤٣ .

(٣) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٨ .

(٤) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٧٨ . عبدالباقي ابراهيم ، صالح لمعي ، أسس التصميم المعماري ، ص ٢٠٨ .

(٥) وهذا السقف من عمل لجنة حفظ الآثار العربية ، في حين أن الأصلي كان من الخشب الخرط . كما تشير بذلك النصوص المتوفرة عنه . حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٨١ .

(٦) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٨ .

ويشغل أركان الصحن أربعة أبواب تؤدي إلى وحدات المدرسة المختلفة ، حيث يؤدي الباب الشرقي في الضلع الشمالي إلى المدخل الرئيسي للمدرسة ، ويؤدي الغربي من نفس الضلع إلى باب جانبي [لوحة ٦٠] . أما بابي الضلع الجنوبي فإن الشرقي منهما يؤدي إلى القبة ، بينما يؤدي الغربي إلى بعض ملاحق المدرسة[١] [لوحة ٦١] . ولكل من هذه الأبواب مصراع خشبي مصفح بالنحاس[٢] ، ويروز خشبي مزخرف برسوم غائرة عبارة عن دوائر ونجوم ، كما يعلو كل من هذه الأبواب حشوة خشبية عليها نص قرآني يمتد على الحشوات الأربع ، مكتوب بخط نسخي بارز ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما * وينصرك الله نصراً عزيزاً ﴾[٣]. صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم . أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي خلد الله ملكه][٤] .

ويعلو كلاً من الحشوات الخشبية نفيس حجري ، ثم عقد عاتق يتكون من صنجات مزررة ، ويحدد هيئة كل ذلك مدماك حجري أحمر . ثم يأتي بعد ذلك دخلة معقودة [لوحة ٧٢] يتوسطها فتحة شباك ، عليه مصبعات برونزية ، ويتوج الدخلة عقد منكسر يرتكز على عمودين مدمجين مستديرين من الحجر ، بقاعدة وتاج ناقوسيين ، وعلى بدنهما زخارف نباتية دقيقة[٥] ، كانت مغرقة بالذهب

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٨ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٧٨ .

(٣) سورة الفتح آية ١ – ٣ .

(٤) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢٢٦ .

(٥) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٩٩ .

واللازورد[1] . كما شغلت طاقية الدخلات بحطات من المقرنصات المشعة ، المغشاة بالذهب واللازورد أيضاً[2] .

ويعلو كلاً من الدخلات السابقة شباك آخر مستطيل عليه مصبعات برونزية[3] .

ويتوج جدران الدرقاعه الأربعة ، شريط كتابي بالخط النسخي البارز ، المغشى بالذهب واللازورد ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات والأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾[4] . أمر بانشاء هذه المدرسة المباركة سيدنا ومولانا ومالك رقابنا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي سلطان الإسلام والمسلمين ، أبو الفقراء والمساكين ناصر الدنيا والدين سيدنا ومولانا الإمام الأعظم المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره، بتاريخ شهر رمضان المعظم قدره ، سنة سبع وسبعين وثمان مائة][5] .

ويعلو النص السابق ، إطار عبارة عن جفت لاعب بميمات متساوية الأبعاد[6] .

---

(١) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٢) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٩٩ .

(٣) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٨٠ .

(٤) سورة البقرة ، آية الكرسي ، ٢٥٥ .

(٥) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٨٠ ، ٢٢٤ ، حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ ١ / ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٦) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٨٠.

السـدلتين [لوحة ٧٠ ، ٧١] :

تقعان على الجانبين الجنوبي الغربي والشمالي الشرقي للصحن[١]. وكلاهما عبارة عن مساحة صغيرة وضعتا كبديلين للإيوانين الجانبيين[٢] . وتبلغ أبعاد السدلة الشمالية الشرقية ٦ر٣ × ١ر٣ م[٣] . وأرضيتها مفروشة بالرخام الملون على شكل زخارف هندسية ، قوامها مثلثات وأشكال نجمية . ولها سقف خشبي مسطح ، زخارفه عبارة عن دوائر ومستطيلات[٤] ، وبأركانه مقرنصات خشبية[٥] .

ويوجد بصدر هذه السدلة ، باب خشبي يؤدي إلى حاصل سقفه عبارة عن قبو حجري[٦] . ويعلو باب الحاصل حشوة خشبية عليها كتابة إنطمست كلماتها . ثم يأتي النفيس الحجري ، والعقد العاتق المكون من صنج حجرية مزررة .

ثم يأتي بعد ذلك نافذتان يغشاهما مصبعات برونزية[٧] ، يعلوهما بامتداد جدران السدلة كتابة بالخط النسخي البارز ، انطمست معظم كلماتها ، تتضمن آيات قرآنية ، ونصوص دعائية[٨] .

---

(١) عبدالباقي ابراهيم ، صالح لمعي وآخرون ، أسس التصميم المعماري ، ص٢٠٨ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٣) دولت عبدالله و الخوانق في مصر ، ص ١٦١ .

(٤) المرجع السابق نفسه ، ص ١٦١ .

(٥) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٧٧ .

(٦) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٦١ .

(٧) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٧٦ .

(٨) المرجع السابق نفسه ، ص ١٧٦ ، ٢٤٣ .

ولهذه السدلة عقد مدبب مكون من صنج حجرية أبلق [أبيض وأسود] ، ترتكز قدماه على كابولين حجريين مكونان من حطات مقرنصة ، عليهما زخارف نباتية دقيقة مذهبة ومغشاة بالأزورد[١].

وتتماثل السدلة الجنوبية الغربية مع سابقتها باستثناء أنه حل محل الحاصل كتبية [خزانة] من طابقين[٢] .

وكسيت الأجزاء السفلية من الإيوانين والسدلتين بمقدار قامة الإنسان وزرات رخامية اندثرت في الوقت الحاضر ولم يبق سوى معالم تدل عليها[٣] .

مكتب السبيل [لوحة ٥٧ ، ٥٨] :

سبق القول أثناء وصف الواجهات أنه يوجد بالمدرسة مكتب سبيل يحتل الجانب الشمالي الشرقي منها . وتتكون هذه الوحدة المعمارية من سبيل يعلوه كتاب .

والسبيل عبارة عن حجرة مستطيلة الشكل ، أبعادها ١ر٦م × ٥ر٤م[٤]، وأرضيتها مفروشة ببلاطات حجرية[٥] ، بينما تذكر وثيقة المدرسة أنها كانت من الرخام الملون[٦] .

---

(١) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٩ .

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٦١ .

(٣) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٦٥ .

(٤) دولت عبدالله ، معاهد تزكية النفوس ، ص ١٥٧ .

(٥) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٥٤ .

(٦) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

والسقف خشبي مسطح ، عليه زخارف قوامها زخرفة اشعاعية وسطى ، تحيط بها أشكال هندسية متنوعة[1]. وكل ذلك كان مجلداً بالذهب ، ومطلياً بألوان متعددة[2]. ويرتكز السقف على إزار خشبي ، بأركانه مقرنصات خشبية ، وعلى الازار كتابة نسخية بارزة مذهبة ومغشاة باللازورد ، عبارة عن نص تأسيسي تاكلت معظم كتاباته[3] .

ويوجد بالضلع الجنوبي الغربي من حجرة التسبيل دخلتان الأولى منهما غائرة ولها سقف مسطح من الحجر بها فتحة الصهريج ، ومعلق في سقفها كمر حديدي مركب عليه بكر رفع المياه . أما الدخلة الثانية ، فمن المفروض أن يكون بها لوح التسبيل الرخامي ، بيد أنه غير موجود في الوقت الحاضر[4] .

ويوجد في وسط حجرة التسبيل فتحة خاصة بصهريج ثاني زودت به المدرسة[5] . ولقد نصت وثيقة المدرسة على أن يملأ الصهريجين بالماء ليسبل منهما[6] .

ويتخذ الكتّاب نفس أبعاد السبيل الذي يقع دونه ، ويصعد إليه عن طريق الدرج الذي ينفذ إليه من الدهليز[7] . وله أرضية مفروشة ببلاطات من الحجر ، وسقف خشبي كان وقت إنشائه مغرق بالذهب واللازورد، ومطلي بألوان متعددة،

---

(١) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٥٤ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ١٥٤ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٥٥ ، ٢٢١ .

(٤) نفسه ، ص ١٥٣ .

(٥) نفسه ، ص ١٥٤ .

(٦) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٧) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢٠٥ .

ويرتكز هذا السقف على إزار خشبي عليه كتابه نسخية بارزة باللون الأبيض على أرضية زرقاء عبارة عن نص تأسيسي انطمست معظم كلماته[1] .

ويوجد بالجدار الجنوبي للكتّاب دخلتان متجاورتان عبارة عن كتبيتان [خزانتان] لحفظ أدوات الكتاب[2] . ويجاورهما باب يؤدي إلى خلوة المؤدب ، وهي مفروشة ببلاطات حجرية وسقفها خشبي مسطح وملون . ويقع على يسار الداخل إليها كتبيتان يليهما النافذة المطلة على الواجهة الجنوبية الشرقية[3] . وقد سبق الإشارة إليها .

وكان يجاور الكتاب على يسار الداخل إليه بيت أزيار ومرحاض لخدمة الأطفال ومؤدبهم[4] .

المزملـــة :

تقع على يمين الداخل ، وهي عبارة عن إيوان مقبى تبلغ أبعاده ١ر٨٠ م × ٢ر١ م ويغلق عليه حجاب من الخشب الخرط له باب بمصراعين يعلوه حشوة خشبية عليها كتابه نصها « لا إله إلا اللّـه محمد رسول الله بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يسقون من رحيق مختوم * ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾[5] [سورة المطففين آية ٢٥ ـ ٢٦] .

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٠٧ ، ٢٢١ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٠٧ .

(٣) نفسه ، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ .

(٤) نفسه ، ص ٢٠٨ .

(٥) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ٢١٧ .

المكتبة :

ورد في أثناء الحديث عن سدلة الإيوان البحري اليسرى أن بها باب يؤدي إلى مكتبة المدرسة، وهي عبارة عن حجرة غير منتظمة الأبعاد ، بلاطها حديث ، وسقفها من الخشب المسطح عليه زخارف عبارة عن وريدات تحيط بها أشكال هندسية، ومطلي بألوان متعددة[١]، بأسفله إزار عليه كتابة نسخية بارزة ، باللون الأبيض على أرضية سوداء عبارة عن نص تأسيسي فقد جزء كبير منه[٢] .

وللمكتبة في جدارها الجنوبي شباكان مستطيلان أحدهما يعلو الآخر ، ومغطيان بمصبعات برونزية ، ولكل منهما مصراعين من الخشب . وعلى بقية جدرانها توزعت الدخلات ، وبها الأرفف الخشبية الخاصة بمحتويات المكتبة من مصاحف وكتب مختلفة الأنواع[٣] .

المساكن :

زودت المدرسة بوحدات سكنية لاستيعاب أرباب الوظائف فيها من شيوخ وطلبة وغيرهم .

ولا تقدم وثيقة المدرسة أو المصادر معلومات مفصلة عن الوحدات السكنية وكيفية توزيعها للمستفيدين من أرباب الوظائف المختلفة .

وبناءاً على المعلومات المتوافرة ، يمكن تقسيم هذه الوحدات إلى قسمين :

أولهما : الوحدات السكنية التي تقع ضمن كتلة مبنى المدرسة ، حيث تشير حجة الوقف إلى أنه كانت توجد طبقة[٤] عبارة عن حجرة كانت تشغل

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ١٦٠ – ١٦١ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٧٥ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١٧٥ .

(٤) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

الجانب الغربي من الكتاب حتى قاعدة المئذنة[1] . وكان درج المدرسة الرئيسي يؤدي إلى دور مسروق عبارة عن خلوة صغيرة[2] أطلقت عليها وثيقة المدرسة اسم «طبقة لطيفة » ، وتذكر بأنه كان يجاورها « بيت خلاء »[3] . من الواضح أنها كانت مخصصة لبواب المدرسة ، لقربها من المدخل الرئيسي .

وسبق أن ذكرنا بأنه يجاور الكتّاب ، خلوة خاصة بالمؤدب لتكون سكناً له أيضاً[4] . وهذه هي الوحدات السكنية الملحقة بمبنى المدرسة .

أما القسم الثاني من وحدات الإسكان فهي التي تقع خارج كتلة المبنى، موزعة ضمن السور الذي يحيط بالمجموعة المعمارية .

فكان يلاصق المدرسة من الناحية الشمالية الشرقية طباق اندثر ولم يبق منه سوى معالم بسيطة [لوحة ٧٥] ، وكان هذا الطباق موجود حتى أوائل القرن ١٣هـ /١٩ م . حيث عمل له بعض الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر في تلك الفترة ، رسومات تمثل واجهته الجنوبية الشرقية[5] [لوحة ٧٣ ، ٧٤] .

ولقد وصفت وثيقة المدرسة هذا الطباق ، فتذكر بأنه يتكون من دهليز يطل عليه أربعة أبواب ، يؤدي كل منها إلى درج يصعد من خلاله إلى الحجرات السكنية ، وأنه كان يجاور درج الطباقات الثلاثة الأخيرة حاصل لكل منها[6] .

(١) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢٠٩ – ٢١٠ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٠٢ – ٢٠٣ .

(٣) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف و ازرة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٤) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف و ازرة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٥) محمد حمزة ، قراءة القاهرة ، ص ١٣٨ ، وهذه اللوحات من عمل بسكال كوست ، وبريس دافن . انظر ثروت عكاشة ، مصر في أعين الغرباء ، من الرحالة والفنانين والأدباء ، القرن التاسع عشر، ١٩٨٤م ، القاهرة جـ ١/ ص ٢٠٤ – ٢٠٩ . ويوجد منها نسخ أصلية في مكتبة وأرشيف قسم التصوير بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة .

(٦) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف و ازرة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

ومن الواضح أن الطباق الأول يطل على الناحية الجنوبية الغربية ، لوحدة الإسكان باكملها ، لأن الوثيقة تذكر بأن هذا الطباق يطل على الرحبة الواقعة خلف المدرسة من الناحية الشمالية الغربية[١] . ولا يوجد في الوثيقة وصف لهذا الطباق وإن كان من المؤكد أنه لا يختلف عن بقية الطباقات التي تقدم الوثيقة لها وصفاً مناسباً حيث تطل هذه الطباقات على واجهة المبنى الجنوبية الشرقية [القبلية].

والأولان منهما متشابهان ، فيتكون كل منهما من حاصل سفلي يعلوه طبقة لطيفة [خلوة صغيرة] ، ومرحاض ، وبيت أزيار . أما الأخير فإنه يزيد عما هو موجود في الطباقات السابقة ، بوجود طبقة لطيفة [خلوة صغيرة] تعلو السابقة ولا يتبعها مرافق أخرى سوى خزانة فقط[٢] .

وكان يوجد في مواجهة مبنى المدرسة من الناحية الشرقية طباق آخر ذكرته وثيقة المدرسة ، وذكرت أنه يجاوره رواق[٣] لسكنى شيخ المدرسة، دون أن تقدم عن ذلك المزيد من التفاصيل[٤]، ولعله يشابه السابق . ولا يزال يوجد حتى الوقت الحاضر إلى شمال المنشأة ، مبنى عرف بربع قايتباي ، يمكن اعتباره من ضمن الوحدات السكنية التابعة للمدرسة[٥] . وللمبنى واجهة تشير إلى أنه يتكون من ثلاثة طوابق[٦] [لوحة ٧٦ ، ٧٧] ، ويتوسطها مدخل ضخم طمر

(١) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف و ازرة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٢) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف و ازرة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٣) عرف الرواق بمعاني عدة ، بيد أن المقصود به هنا نوع من القاعات التي تتكون من إيوان أو إيوانين وصحن مغطى ويستخدم للإقامة والسكنى . انظر ص ٣١٩ .

(٤) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف و ازرة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٥) محمد حمزة ، قرافة القاهرة ، ص ١٣٩ .

(٦) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٥٠ .

الجزء السفلي منه بالأتربة والمخلفات [لوحة ٧٨] . ويتكون هذا المدخل من فتحة مقوصرة بعقد مدبب ، له كوشتان ملئتا بالزخارف النباتية البارزة . وكل ذلك محدد بجفت لاعب ذو ميمات وينتهي عند القمة بميمة كبيرة بداخلها وريدة(١) .

ثم يعلو ذلك بحر كتابي بالخط النسخي البارز على الحجر ، ما نصه [أمر بانشاء هذا المكان المبارك مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي خلد الله ملكه](٢) .

يلي ذلك فتحة شباك مستطيلة الشكل ، يكتنفها رنكان كتابيان نص كل منهما [عز لمولانا السلطان الملك الأشرف قايتباي عز نصره] ، ويتوج المدخل عقد مدائني يرتكز على حنايا تشبه أطرافها أرجل القبو المروحي . ويشغل كوشتيها رنكان يماثلان السابقين(٣) .

أما بقية أجزاء الواجهة ، ففيها خمسة عشر نافذة متماثلة ، يعلو كل منها عقد مستقيم يتكون من سبع صنج حجرية مزررة ، ويحدد العقد إطار عبارة عن مدماك حجري(٤) .

أما بالنسبة لمكونات الربع من الداخل ، فإن المدخل يؤدي إلى ساحة صغيرة تتميز بامتدادها بطول المبنى حيث تطل عليها الطباقات ، التي كان إلى عهد قريب الطابق السفلي منها سليماً ، فكان يتكون من حواصل مقبية . بينما تظهر معالم بسيطة لخلاوي علوية ، من طابقين(٥) . مما يرجح بأن هذا المبنى

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٥٠ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٥٠ .

(٣) نفسه ، ص ٢٥٠ .

(٤) نفسه ، ص ٢٥٠ .

(٥) أحمد الجلالي ، الأعمال المعمارية للسلطان قايتباي ، ص ٢٣ .

كان يتكون من طباقات ، بكل منها حاصل سفلي يعلوه طبقتان لطيفتان لكل منها مرافق وحقوق .

الحواصل :

زودت المدرسة بعدد من الحواصل تحفظ فيها أدوات المدرسة المختلفة . ولقد وزع المعمار هذه الحواصل في مواقع متعددة من المبنى . فخلف السدلة الشمالية الشرقية كان يوجد حاصل سبق الإشارة إليه . بالإضافة إلى وجود حاصلين يقعان أسفل المدرسة[١] ، وآخر بجوار بابها الجانبي[٢] ، علاوة على حواصل المساكن وقد سبق الإشارة إليها .

الميضأة :

تذكر وثيقة المدرسة أنه كان يقع إلى الشرق من المدرسة بجوار الطباق الذي هناك ، معالم ورسوم ميضأة لم يكتمل بنائها وقت كتابة هذه الوثيقة[٣] . ولعل ذلك كان السبب في عدم وصفها بشكل تفصيلي . ولقد اختفت هذه الميضأة فلم يبقى منها أثر في الوقت الحاضر .

المئذنة [لوحة ٥٧ ، ٥٨ ، ٧٩] :

تعد مئذنة المدرسة من أرقى ما بُني في مصر من المآذن ، من حيث رشاقتها وجمال زخارفها[٤] . وهي مكونة من ثلاثة أدوار ، وقاعدة مربعة ، لها أركان علوية مشطوفة ، في الجانب الجنوبي الشرقي منها فتحة باب تؤدي إلى

---

(١) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٤٣ ، هامش «٤».

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٢ .

(٣) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٤) حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ١ / ص ٢٥٢ .

سطح المدرسة ، وبزواياها أعمدة حجر مندمجة ، وزخرفت منطقة الانتقال من المربع إلى المثمن ، بجفوت لاعبه بميمات متساوية الأبعاد .

يلي ذلك الدور الأول ، وهو عبارة عن بدن مثمن الشكل ، شغلت واجهاته بدخلات معقودة بعقود منكسرة يرتكز كل منها على عمودين مدمجين من الأعمدة الثلاثة التي تشغل أركان المثمن . ويوجد في أربعة من الدخلات السابقة أربع نوافذ معقودة بعقود مفصصة ويتقدمها شرفات محمولة على كوابيل من حطات مقرنصة يعلو ذلك شريط كتابي نسخي بارز ، نصه : [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾(١) [سورة الجمعة آية ٩ ــ١٠] . ولقد حليت حدودالعناصر المعمارية والزخرفية لهذا الدور بجفت لاعب بميمات .

وينتهي هذا الدور بشرفة ترتكز على حطات من المقرنصات الدالية ، ولها سياج حجري مكون من شقف صغيرة ذات زخارف هندسية مفرغة تتخللها أعمدة حجرية ذات رؤوس رمانية .

وأما الدور الثاني فهو مستدير البدن ، عليه زخارف عبارة عن أشرطة مجدولة ومتقاطعة، تعطي أشكالاً نجمية ومحاط كل ذلك بجفوت لاعبة بميمات .

وينتهي هذا الدور من أعلى بشريط كتابي نسخي نصه [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً * وسبحوه بكرة وأصيلا * هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من

(١) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٢٩ .

الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً * تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريماً ﴾(1) [سورة الأحزاب آية ٤١ - ٤٤] .

وينتهي هذا الدور بشرفة تشبه السابقة. ويعلوه الدور الثالث « الجوسق » . والمكون من ثمانية أعمدة مستديرة بقواعد وتيجان مستديرة الشكل ، تعلوها الشرفة الثالثة الشبيهة بالسابقة والتي تقوم عليها قمة المئذنة ذات شكل القلة(2).

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٠ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٢٩ ــ ١٣٠ . دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٦٤ . جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٨ .

الباب الثاني

نماذج من عمارة المدارس
في الحجــاز

ويشتمل على الفصول التالية :

الفصل الأول : المدرسة الباسطية بمكة المكرمة [٨٣٦ هـ / ١٤٣٢م] .

الفصل الثاني : المدرسة الباسطية بالمدينة المنورة [٨٤٢ هـ /١٤٣٨م] .

الفصل الثالث : مدرسة السلطان قايتباي بمكة المكرمة [٨٨٤ هـ /١٤٧٩ م] .



الفصل الأول

المدرسة الباسطية بمكة المكرمة

« ٨٣٦ هـ / ١٤٣٢م »

منشيء المدرسة :

أنشأ هذه المدرسة أحد أبرز رجال الادارة في مصر في العصر الجركسي ، وهو القاضي الزيني عبد الباسط بن خليل ابن إبراهيم ، وقيل يعقوب ، وإبراهيم هو المعتمد كما يذكر السخاوي[1] .

ولد ونشأ بدمشق ، وبها بدأ يعلو شأنه عندما التحق بالمؤيد شيخ[2] ، الذي كان نائباً في الشام[3] . فلما ولي المؤيد السلطنة قربه وحظي عنده ، فولاه نظارة الخزانة[4] والكسوة الشريفة[5] . واستمر أمره في الترقي حتى ولي نظارة

(١) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٤/ ص ٢٤ ، التحفة اللطيفة ، جـ٢/ ص ٤٤٣ ـ ٤٤٤ .

(٢) هو الملك المؤيد شيخ المحمودي ، من سلاطين العصر الجركسي البارزين ، تقلب في مناصب عدة حتى تولى نيابة الشام ، قبل أن يعلو سدة الحكم . كان فارساً ذكياً يغلب عليه التدين مع نصيب جيد من العلم . توفي سنة ٨٢١ هـ / ١٤١٨م .

العيني ، بدر الدين محمود بن أحمد ، السيف المهند في أخبار الملك المؤيد ، ١٩٦٦ ، القاهرة ص ٣٩ – ٤٧ .

الملطي، عبدالباسط بن خليل ، نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين ، تحقيق محمد كمال الدين ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م القاهرة ص ١٢٦ ـ ١٢٧ .

(٣) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٩ / ص ٢٤ . ونيابة الشام ، من أجل وظائف أرباب السيوف بالبلاد الشامية ، وأعلاها رتبة حيث يعد المتحدث فيها نائباً عن السلطان في هذه البلاد . القلقشندي ، ابن العباس أحمد بن علي. صبح الأعشى في صناعة الإنشا ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م ، القاهرة ، جـ ٤/ ص ١٨٤ ، حسن الباشا ، الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ، ١٩٦٥م ، القاهرة ، جـ ٣/ ص ٢٤٣ .

(١) ونظارة الخزانة من الوظائف الجليلة في نظم المماليك لأنها مستودع الأموال السلطانية ، وبها تحفظ الخلع والتشاريف وغير ذلك من أنواع الملابس التي يوزعها السلطان في المناسبات المختلفة .

القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٤/ ص ٣١ ، حسن الباشا ، الفنون الإسلامية والوظائف ، جـ ٣ / ص ١١٩٣ ـ ١١٩٨.

(٢) ولصاحب هذه الوظيفة النظر في كسوة الكعبة المشرفة ، وكان للمماليك اهتمام كبير بهذا الأمر . القلقشندي ، صبح الأعشى جـ٤/ ص ٩٧ .

الجيش[1] ، في عهد الملك الظاهر ططر[2] ، فظهرت هنالك همته وعلت منذ ذلك الوقت كلمته ، خاصة في عهد الملك الأشرف برسباي ، فعد « ... عظيم الدولة وصاحب حلها وعقدها ... »[3] .

وظل على ذلك إلى أن ولي الظاهر جقمق السلطنة ، فكانت بداية انحطاط أمره ، فوضع منذ سنة ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م [4] في الترسيم ، وصودرت منه مقادير كبيرة من الأموال وممتلكات أخرى[5] .

وعلى الرغم من ذلك ، فلقد كان في سجنه معززاً مكرماً حتى نفي إلى خارج مصر سنة ٨٤٣هـ/١٤٣٩م[6] . ثم أعيد إليها سنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣م[7] .

---

(١) نظر الجيش وظيفة ، يكون صاحبها معنياً بالجيوش السلطانية وما يرتبط بها من شؤون مالية ، المصدر السابق نفسه ، جـ٤/ ص ٣٠ ـ٣١ ، حسن الباشا ، الفنون الاسلامية والوظائف ، جـ٣/ ص ١١٩٣ ـ ١١٩٨ . عبد المنعم ماجد ، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩م ، القاهرة ، جـ ١ / ص ١٣٨ ـ ١٤٤ .

(٢) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٤ / ص ٢٤ ـ ٢٥ ، والظاهر ططر أحد سلاطين الجراكسة ، ولي سدة الحكم بعد خلع السلطان أحمد بن المؤيد شيخ ، لم يدم حكمه طويلاً ، إذ لم يتجاوز بضعة شهور . توفي سنة ٨٢٤ هـ / ١٤٢١م .

ابن تغري بردى ، الدليل الشافي ، جـ١/ ص ٣٦٣ ، النجوم الزاهرة ، جـ١٤/ص ١٩٨ ـ ٢١٠ . الصوفي ، محمد بن أبي الفتح ، الصفوة في وصف الديار المصرية ونظام الممالك الاسلامية ، تحقيق طلال جميل رفاعي ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، مكة المكرمة ، ص ١١٤ .

(٣) ابن الصيرفي ، نزهة النفوس والأبدان ، جـ ٣/ ص ٣٠٤ .

(٤) لا تذكر المصادر أسباب معينة دفعت بالظاهر جقمق نحو النكاية بالقاضي عبد الباسط ، وإن كان من المرجح أن محاولة إعادة سلطنة الملك العزيز بن برسباي ، والذي خلعه جقمق هي التي دفعت به نحو القضاء على رجال دولة الأشرف برسباي لأنه كان يرتاب في ولائهم له . ويخشى من ميلهم للملك العزيز . المقريزي ، السلوك ، جـ٤ / ق٢ / ص ١٠٩١ ـ ١١٠٤ .

(٥) السخاوي ، محمد بن عبدالرحمن ، التبر المسبوك في الذيل على السلوك ، القاهرة ص ٣٣٠ .

(٦) المقريزي ، السلوك ، جـ ٤ / ق ٣ / ص ١١٥٩ ، ١١٧٠ ، ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ / ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

(٧) المصدر السابق نفسه ، جـ٢ / ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

وبقي بها إلى أن توفي سنة ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م[١] .

ولقد أشادت المصادر التاريخية ، بصفات القاضي عبد الباسط وامتدحت سجاياه ، فتذكر بأنه كان سيوساً ، كريماً ، محباً للتجمل في الملبس والمركب[٢] . وله مبرات كثيرة ، من أبرزها ما أنشأه من مرافق على طريق الحج . كما أنه أنشأ المساجد والمدارس والأسبلة في أقاليم الدولة المختلفة ، منها مدرستان في الحجاز أولاهما في مكة المكرمة والثانية في المدينة المنورة[٣] .

إنشاء المدرسة :

أولى المماليك الحجاز الكثير من الرعاية والاهتمام ، وكان لهم فيه الكثير من الانشاءات والاصلاحات ، وبخاصة في الحرم المكي الشريف والمشاعر المقدسة ، علاوة على ما قاموا به من أعمال على طريق الحاج المصري[٤] .

وفي هذا الاهتمام تكمن أبرز الدوافع التي أدت بالقاضي عبدالباسط نحو إنشاء هذه المدرسة لكونه من رجالات الدولة في ذلك العصر ومن مدبري سياستها . يضاف إلى ذلك مشاعره الدينية التي لا بد وأنها ستدفعه نحو الاهتمام بالحجاز ، وبخاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة ، أقدس بقعتين لدى المسلمين . وبالتالي فإن بناء مدرسة في كل منهما يعد دليلاً كافياً على مدى هذا الاهتمام ، خاصة وأن إنشاء هذه المنشآت ، كان يعد في ذلك العصر من أبرز القربات لله تعالى[٥] .

---

(١) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ ٤ / ص ٢٥ .

(٢) المصدر السابق نفسه ج٤/ص ٢٥ ـ ٢٦، السخاوي ؛ التبر المسبوك ص ٣٢٩ ـ ٣٣٢.

(٣) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ، دراسة أثرية معمارية ، رسالة ماجستير ، جامعة أسيوط ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، ص ٩٥ .

(٤) أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٤هـ/ ١١٨٤م ، مكة المكرمة ، ص ٣٣٠ ـ ٣٣٥ .

(٥) فهمي عبد العليم ، العمارة الاسلامية في عصر المؤيد ، ص ١٨٠ .

ولقد كانت البداية في الإعداد لهذا المشروع . أثناء تأدية القاضي عبدالباسط لفريضة الحج أواخر سنة ٨٣٤ هـ/١٤٣٠ م ، حيث قام باقتناء الدار المزمع إنشاء المدرسة فيها[١] . ثم بدء في التنفيذ في أوائل السنة التالية « ٨٣٥ هـ / ١٤٣١م » ، والتي لم تكد تنتهي حتى كان بناء المدرسة قد قارب على الانتهاء واكتملت مراحلها النهائية في أوائل سنة ٨٣٦ هـ / ١٤٣٢ م[٢] .

ولا تقدم المصادر معلومات محددة عن نظام المدرسة وشروط وقفها ، وما يرد في هذا الإطار لا يتجاوز ذكر من تولوا مشيختها ، حيث يذكر ابن فهد[٣] ، المعاصر لإنشاء المدرسة ، أن أول من تولى ذلك القاضي جلال الدين ابن ظهيرة[٤] ، أحد أئمة الشافعية وقضاتها بمكة المكرمة[٥] . مما يشير معه إلى أن مشيخة المدرسة كانت للشافعية .

وهذا يناقض ما ذكره النهروالي[٦] وابن الصباغ[٧] ، من أن مشيخة هذه المدرسة كانت لأئمة المقام الحنفي ، بالحرم المكي الشريف .

(١) ابن فهد ، اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، جـ٤/ ص٥٧ ، ٥٩ .

(٢) المصدر السابق نفسه ، جـ ٤ / ص ٦٣ ، ٦٦ .

(٣) عبدالله غازي ، إفادة الأنام بأخبار بلد الله الحرام ، نسخة مخطوطة لدى د. سعد الدين أونال ، الباحث بمركز أبحاث الحج جـ٢ ، ورقة ٤٤٢ .

(٤) ابن فهد ، إتحاف الورى ، جـ ٤/ ص ٦٣ ـ ٦٤ .

(٥) هو محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن ظهيرة أبي السعادات ، ولد ونشأ بمكة المكرمة ، وبها تلقى العلم حتى برع في الفقه على وجه الخصوص . ولي وظائف عدة منها الحسبة وقضاء الشافعية بمكة المكرمة وكان يعد مفتي الحجاز ، توفي سنة ٨٦١هـ/١٤٥٦م . انظر النجم عمر بن فهد الهاشمي، الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، مخطوط مصور بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم ٣٠٣٢ ، لوحة ٥٥ ـ ٥٧ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ١٦/ ص ١٨٦ ، السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ ٩ / ص ٢١٥ .

(٦) النهروالي ، محمد بن أحمد القطبي ، الأعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ص ٩٨ .

(٧) ابن الصباغ ، محمد بن أحمد المكي ، تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام ، مخطوط مصور بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم ٢١٨ لوحة ١٥٥ .

ويتضح من خلال متابعة تاريخ من تولوا هذه المشيخة أنها كانت في باديء الأمر بيد الشافعية ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى أئمة المقام الحنفي .

حيث وليها بعد ابن ظهيرة ، عمر بن محمد بن علي الشافعي[(١)] من سنة ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨م إلى سنة ٨٥٤ هـ /١٤٥٠م[(٢)] . ثم تركها لأحد طلبة المدرسة ، وهو أحمد بن علي اليمني الشافعي[(٣)] . والذي استمر في وظيفته هذه إلى سنة ٨٥٩ هـ / ١٤٥٤م[(٤)] ، أو سنة ٨٦٠ هـ/ ١٤٥٥ م[(٥)] . فوليها من بعده أحد شيوخ الحنفية ، وهو محمد بن محمد البخاري الحنفي[(٦)] ، وكان حينئذ إمام مقام الحنفية في الحرم المكي الشريف[(٧)] ، فاستمرت بأيديهم منذ ذلك التاريخ ، حيث اعتبرتها مصادر العصر العثماني ، وقفاً على أئمة المقام الحنفي بالمسجد الحرام[(٨)] .

ويتضح من خلال العرض السابق أن هذه المدرسة كانت في الأصل مخصصة لتدريس المذهب الشافعي ، كوظيفة أساسية تقوم بها علاوة على

(١) ابن فهد النجم عمر ، معجم الشيوخ ، تحقيق محمد الزاهي ، الرياض ص ٦٨ ، وهو عمر بن علي الشيبي ، شيخ سدنة المسجد الحرام في عصره ، ولد ونشأ بعدن ، ثم رحل لطلب العلم واستقر في نهاية المطاف بمكة ، توفي سنة ٨٨١هـ/١٤٧٦م .السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ ٦/ ص ١٢١ ـ١٢٢.

(٢) المصدر السابق نفسه جـ٦/ ص ١٢٢ .

(٣) ابن فهد ، معجم الشيوخ ، ص ٦٨ . وهو أحمد بن علي الحميري اليمني . ولد باليمن بإحدى نواحي تعز . وبها نشأ وتعلم ثم رحل إلى مكة ، حيث أكمل تعليمه ، ونزل بالباسطية حتى ولي مشيختها . توفي سنة ٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م ، السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٢ / ص ٢٨ – ٢٩ .

(٤) المصدر السابق نفسه ، جـ٩/ ص ٢٢٣ .

(٥) ابن فهد ، معجم الشيوخ ، ص ٦٨ .

(٦) هو محمد بن محمد السراج الحسني، ولد ونشأ ببخارى، ثم ارتحل في طلب العلم حتى استقر به المقام بمكة المكرمة . توفي سنة ٨٩٥ هـ / ١٤٨٩م. السخاوي ، الضوء اللامع، جـ٩/ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

(٧) المصدر السابق نفسه ، جـ ٩ / ص ٢٢٣ .

(٨) النهروالي ، الأعلام ، ص ٩٨ ، ابن الصباغ ، تحصيل المرام ، لوحة ١٥٥.

قيامها بوظيفة الخانقاه[1] ، فكان على طلبتها الذين لم تحدد المصادر عددهم أن يكونوا من المتصوفة أيضا[2] . كما كان يوجد بها كتاب لتحفيظ القرآن الكريم ، كما سيتضح لاحقاً .

بيد أن هذه الوظائف لم يكتب لها الاستمرار طويلاً لضعف موارد المدرسة باندثار أوقافها بمصر[3] . مما يفسر استيلاء أئمة المقام الحنفي عليها وذلك من باب الإشراف على المبنى فقط ، الذي لم يعد يستخدم سوى كمقر للأعيان الواردين للحج[4] .

ثم آل بها الأمر في أواخر العصر العثماني أن استولى عليها بعض سكان مكة المكرمة ، كما حدث لغيرها من الأوقاف التي كانت موجودة بها في ذلك العصر[5] . فأضحت في أيدي بعض الأشراف ، واستأجرها منهم أسرة آل الراضي ، إلى أن هدمت في التوسعة السعودية للمسجد الحرام والتي ابتديء في تنفيذها في عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م[6] .

---

(١) ابن فهد ، معجم الشيوخ ، ص ٦٨ .

(٢) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ ١ / ص ٣٢٢ .

(٣) النهروالي ، الأعلام ، ص ٩٨ .

(٤) المصدر السابق نفسه ، ص ٩٨ .

(٥) أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ص ٥٣٠ .

(٦) مقابلة مع الدكتور أسامة الراضي في ٢٢ شوال سنة ١٤١٣هـ . ويعد الدكتور أسامة محمد الراضي مرجعاً أساسياً في التعرف على التكوينات المعمارية للمدرسة الباسطية ، حيث عاش فيها ما يقارب العشر سنوات . وهو أحد الكفاءات العلمية في الطب النفسي في المملكة العربية السعودية ، وحاصل على البورد الأمريكي للطب النفسي ، وله استحداثات في مجال العلاج الديني للأمراض النفسية . عمل لفترة طويلة في المجال الحكومي ، وتولى مناصب عدة منها مدير الشؤون الصحية بمدينة الطائف ، ومستشاراً للطب النفسي بوزارة الصحة . وأسس بعد ذلك مجمع لعيادات الطب النفسي ويعمل مديراً له حتى الوقت الحاضر . أجريت معه مقابلتان ، الأولى تمت في ٩ شوال من عام ١٤١٣هـ وكانت تمهيدية ، والثانية في ٢٢ شوال حيث جرى فيها تسجيل المقابلة واستيفاء وصف المبنى بشكل كامل .

موقـــع المدرســـة :

تقع المدرسة ملاصقة للحرم من الناحية الشمالية ، حيث الباب الذي يعرف بباب العجلة[1] . وعرف بعد ذلك بباب الباسطية نسبة للمدرسة التي تقع على يسار الداخل من هذا الباب[2] . [شكل ٣][3] وكانت شبابيكها السفلية تطل على أروقته من هذه الناحية[4] .

وهي بذلك تكون مثل غيرها من المدارس التي أنشئت في مكة المكرمة ، والتي اختيرت مواقعها بجوار الحرم المكي الشريف[5] .

---

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى ، جـ٤/ ص ٢٩، وباب العجلة أحد أبواب المسجد الحرام وينسب لدار بجواره ، تعرف بدار العجلة ، الفاكهي ، محمد بن إسحاق ، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تحقيق عبدالملك بن دهيش ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، مكة المكرمة جـ٢/ ص ١٦٩ ، ١٩٧ ، الأزرقي ، محمد بن عبدالله ، أخبار مكة وما جاء بها من الاثار ، تحقيق رشدي الصالح ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، مكة المكرمة جـ٢/ ص ٩٣ .

(٢) باسلامة ، حسين بن عبدالله ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ١٣٠، ناجي معروف ، مدارس مكة ، ص ٢٠ ، ابراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، جـ١ / ص ٢٣٤ .

(٣) يمثل هذا الشكل خارطة توضح توزيع المدارس حول الحرم الشريف ، ويظهر فيها موقع المدرسة الباسطية ، وهي مأخوذة من كتاب مدارس مكة لناجي معروف .

(٤) النهروالي ، الأعلام ص ٩٨ .

(٥) ناجي معروف ، مدارس مكة ، ص ٩٠ ، محمد عبداللطيف هريدي ، شئون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م ، القاهرة ص ٤٩ .

ولقد كان في الموقع الذي أنشئت فيه المدرسة ، منزلاً لبعض الأشراف ، وكانت قبل ذلك أيضاً مدرسة(١) ، أنشأها الأمير أرغون الناصري(٢) في حدود سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م(٣) .

---

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى ، جـ٤/ ص ٥٩ .

(٢) وهو أرغون شاه بن عبدالله الداودار الناصري ، نسبة للملك الناصر محمد بن قلاوون حيث كان من مماليكه الذين حضوا بكثير من عنايته ، كان له حظ وافر من العلم ، ولي نيابة مصر ، ثم نيابة حلب ، كان محباً للعلم ، راغباً في الانشاء والتعمير .

ابن حبيب ، عمر بن الحسن ، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، تحقيق محمد أمين ١٩٧٢م ، القاهرة جـ ١ / ص ٢١١ ، ابن تغري بردى ، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، جـ٢ / ص ٣٠٦ - ٣٠٨ .

(٣) القاسي ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، جـ١ / ص ١١٧ .

الوصف المعماري للمدرسة

على الرغم من تعرض مبنى المدرسة لتغيرات معمارية ترد الإشارة إليها أثناء الوصف المعماري ، فإن ذلك لم يؤد إلى طمس معالمها الأساسية ، وهو ما يؤكد عليه باسلامه حيث يذكر أثناء حديثه عنها بأنه « ... لا تزال هذه المدرسة على حكمها إلى العصرالحاضر ... »[1] مما يدل بدوره على أنها لم تفقد مكوناتها الأصلية ، سواء من ناحية العمارة أو التخطيط . ولم يطرأ عليها سوى بعض التعديلات والتي ترد الإشارة إليها أثناء وصف هذه المنشأة ، كما سبق أن ذكرنا .

التخطيط [شكل ٤٥][2] :

تتخذ المدرسة شكلاً مستطيلاً ، إذ تمتد من جوار المسجد الحرام جنوباً إلى النهاية المستقيمة لشارع باب الباسطية شمالاً[3] . وبالتالي فإن امتداد ضلعها يبلغ في هذه الحالة ٢٦ م[4] . أما بالنسبة لضلعها الملاصق لجدار المسجد الحرام والممتد من شرق المدرسة إلى غربها ، فإن حده الغربي ينتهي عند باب الباسطية . ويمكن تحديده هنا بدقة [شكل ١][5] ، وهو ما لا يتسنى تحقيقه في الحد الشرقي لهذا الضلع الذي لم يوقع على خارطة هيئة المساحة المصرية [شكل ١] بيد أنه يتضح من خلال اللوحات المتوفرة عن هذا الجانب

---

(١) باسلامة ، عمارة المسجد الحرام ، ص ١٣٠ .

(٢) هذا الشكل مستخرجة أضلاعه من خارطة هيئة المساحة المصرية ، والمنشورة سنة ١٣٧١هـ/١٩٥٢م برقم ٥٢/٢٤٧ وموضوعها المسجد الحرام والمناطق المحيطة به . وعليه وصف المبنى .

(٣) مقابلة مع الدكتور أسامة الراضي ٢٢ شوال ، ١٤١٣هـ .

(٤) وذلك وفق التوقيعات الموجودة على خارطة هيئة المساحة المصرية .

(٥) يوضح هذا الشكل تخطيط المنطقة كما هو موجود على خارطة هيئة المساحة المصرية .

[لوحة ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢][(١)] أن حد المبنى الشرقي ينتهي عند مبنى مجاور ، بعد تجاوز منطقة ارتداد بسيط في جدار المدرسة بمسافة تتراوح فيما بين ٣م إلى ٤م تقريباً[(٢)] [شكل ٤٥]. وبالتالي فإن امتداد المدرسة في هذه الناحية يصل إلى ١٨ م أو ٢٠ م تقريباً . فإذا أخذنا في الاعتبار بأن المبنى كان مستطيل الشكل[(٣)] . فإن ذلك يعني بأن المقاييس السابقة تمثل أبعاد المبنى .

---

(١) تنتمي هذه اللوحات إلى مجموعات مختلفة. فأولاها رقم ٤٨ هي من مجموعة اللواء محمد صادق باشا ، والتي تتضمن لوحات عدة أخذها هذا اللواء ، أثناء تأديته لفريضة الحج فيما بين سنتي ١٢٩٤ - ١٣٠٤هـ / ١٨٧٧ ـ ١٨٨٦م . بدر الحاج ، صور من الماضي ، المملكة العربية السعودية ، لندن ص ١٢ ـ ١٣ . وتوجد نسخة كاملة لهذه المجموعة في أرشيف مؤسسة عمار للتراث بمدينة جدة . ومنها أمكن الحصول على هذه اللوحة. أما اللوحة الثانية رقم ٤٩ ، فهي موجودة في أرشيف مكتبة السلطان عبدالحميد الثاني باستانبول ويعود تاريخها إلى سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م . وقد تكون من عمل ضابط عثمان يدعى علي بيه ، والذي كان يعمل فوطوغرافي في الجيش العثماني . وقد م إلى مكة المكرمة في السنة المذكورة لالتقاط لوحات للطريق الواصل بينها وبين المدينة المنورة . ولكلا المدينتين المقدستين . المرجع السابق نفسه ص ١٣ .

أما اللوحة الثالثة رقم ٥٠ فهي من ضمن مجموعة علي بهجت ، ويوجد منها سبعة عشر لوحة في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة. وقد كتب أسفل منها أن الذي عملها الأثري المعروف علي بهجت بك . وخلال مهمة تصويرية بالحجاز في شتاء عام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م . ولا يوجد في سجلات متحف الفن الاسلامي معلومات عن هذه المهمة وعن بقية لوحات هذه المجموعة إذ لايعقل أن يترتب عن هذه المهمة عمل سبعة عشرلوحة فقط .

واللوحة الرابعة رقم ٥١ ، وهي من ضمن مجموعة أرشيف مؤسسة بن لادن السعودية والتي قامت بأعمال توسعة الحرمين الشريفين . ويذكر رئيس قسم التصوير في هذه المؤسسة الاستاذ أحمد رضا أنه عملها في حدود سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥ م ، قبل البدء بإزالة المباني المحيطة بالحرم الشريف .

واللوحة الخامسة رقم ٥٢ ، هي إحدى لوحات مجموعة صالح حجار وعبدالرحمن دفتردار ، ولا يعرف من عملها وتاريخ ذلك ، ولعل ذلك تم من قبل أحد هواة التصوير ، ومن الواضح أن ذلك تم في العهد السعودي ، حيث يرى صورة السبيل الذي أنشأه الملك سعود بجوار بئر زمزم .

(٢) وهذا الارتداد يمكن رؤيته على خارطة هيئة المساحة المصرية [شكل ١].

(٣) لا يشير واصف هذه المدرسة د . أسامة الراضي إلى وجود ارتدادات داخل عناصر المبنى المختلفة ، مما يدل على أن أضلاعه كانت تميل إلى الاستقامة وأن المبنى يتخذ شكلاً مستطيلاً بشكل عام .

ويتكون المبنى من فناء أوسط مكشوف ، تحيط به الحجرات من جميع الجوانب .

واجهـــات المدرســـة :

للمدرسة واجهتان غربية وجنوبية ، والغربية هي الرئيسة، والجنوبية يلاصق الجزء السفلي منها جدران الحرم .

الواجهة الغربية [الرئيسة] [لوحة ٤٧][١] :

وتطل هذه الواجهة على شارع باب الباسطية [شكل ١] وهي الوحيدة المطلة على شارع من واجهتي المبنى ، ويمكن رؤية علو الجزء الجنوبي منها من خلال لوحتين ، الأولى لوحة مجموعة علي بهجت ، والثانية لوحة أرشيف مؤسسة بن لادن السعودية [لوحة ٥٠ ، ٥١] .

وحسبما يذكر الواصف[٢] ، فإن هذه الواجهة تتكون من ثلاثة طوابق ، الأرضي منها يتوسطه المدخل الرئيسي للمبنى ، وفي جانبيها يوجد فتحتي باب صغيرتين ، الشمالية منهما يمكن اعتبارها مدخل جانبي ، وهي تؤدي إلى درج يصعد منه إلى سكن شيخ المدرسة وحاصلها[٣] .

أما فتحة الباب الجنوبية ، فإنها تؤدي إلى حجرة صغيرة كانت في الأصل سبيل المدرسة[٤] ، وبالتالي فمن المؤكد أن هذا الباب مستحدث ، وكان في موقعه شباك التسبيل ، والذي كان يعلوه مصبعات معدنية ، كما كان عليه الحال في اسبله ذلك العصر[٥] . ويعلو فتحة الشباك المذكورة عتب حجري ،

---

(١) تمثل هذه اللوحة رسماً تخيلياً لما كانت عليه واجهة المدرسة الباسطية بعد إنشائها .

(٢) مقابلة مع الدكتور أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٣) عن ذلك انظر ما يلي .

(٤) عن ذلك انظر ما يلي .

(٥) عن ذلك انظر ما يلي .

أشار الواصف[١] إلى أنه يقع فـوق الباب الـذي انشـيء فـي موضـع شباك التسبيل.

وإلى الشمال من السبيل توجد نافذة صغيرة ، كان في موضعها فتحة باب تؤدي إلى الدرج الصاعد إلى الكتاب[٢] ، حيث يقع هذا الدرج في مواجهة النافذة المذكورة ، كما أنه يوجد بجوار النافذة من الداخل مسطبة جلوس[٣] . وقد جرت العادة في العمارة الاسلامية أن توضع هذه المساطب بالقرب من فتحات الأبواب[٤] . وبالتالي فإن من المؤكد أنه كانت توجد في هـذا الموضع فتحة باب كمدخل مستقل للكتاب ، إذ أن هـناك كتاتيب فـي العمائر الجركسية يكون له مدخل خاص بها[٥] . ويلي ذلك إلى الشمال مدخل المدرسة الرئيسي .

ويعلو هـذا الطابق ، الطابق الثاني ، حيث يوجد في الجزء الجنوبي منه شباكين لحجرة صغيرة تعلو السبيل[٦] ، وهـذه الحجرة كانت كتـاب المدرسة ، وهما بذلك يمثلان واجهة الكتاب الغربية ، إذا لا يشترط في العمارة الحجازية أن تكون واجهات الكتاتيب مفتوحة بشرفات ، كما هـو الحال في العمارة المصرية[٧] .

---

(١) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٢) عن ذلك انظر ما يلي .

(٣) مقابلة د . أسامة الر اضي ص ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٤) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الامير كبير قرقماس وملحقاتها ، دراسة أثرية معمارية ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار جامعة القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٥م ، الملحق الوثائقي ص ١٥٩ .

(٥) مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز الأحمدي ، دراسة أثرية معمارية ، رسالة ماجستير، كلية الآثار جامعة القاهرة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ١٦٨.

(٦) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٧) عن ذلك انظر ص ٣٧٥ ـ ٣٧٧ .

ويقع إلى الشمال من واجهة الكتاب خمسة شبابيك تتميز باتساع فتحاتها، اثنان منها كانا مخصصان لحجرة تقع شمالي الكتاب ، ثم واحدة كانت مخصصة لحجرة تجاور سابقتها ، ويبقى إثنان كانا مخصصان لحجرة ثالثة .

يلي ذلك طابق ثالث يماثل الذي دونه ، ويمكن مشاهدة النافذتان الجنوبيتان منه في لوحة مجموعة علي بهجت [لوحة٥٠](١) . وجميع هذه النوافذ تعلوها أعتاب خشبية ومغطاة بمصبعات معدنية ، ولكل منها مصراعين من الخشب(٢) .

ويتوج هذه الواجهة جدران سطح المبنى الذي يتخلله الشابورات(٣) ، حيث يمكن مشاهدة الجنوبية منها في لوحة مؤسسة بن لادن السعودية [لوحة ٥١] .

الواجهة الجنوبية [لوحة ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢] :

وهذه الواجهة ملاصقة لجدار المسجد الحرام الشمالي ، وتفتح شبابيكها السفلية على أروقته ، كما يشير بذلك النهروالي(٤) . أما الأجزاء العلوية منها فهي التي يمكن مشاهدتها من خلال اللوحات السابقة ، حيث يتضح من خلالها أن هذه الأجزاء تطل على سطح الحرم الشريف وتتكون من طابقين ، الأول له شبابيك ملاصقة لسطح الحرم الشريف يبلغ عددها سبعة شبابيك وذلك بناءً

---

(١) ويلاحظ في هذه الحال أن وصف د . أسامة الراضي يتطابق مع ما هو موجود في اللوحة من حيث وجود النافذتين .

(٢) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٣) الشابورات : عبارة عن فتحات تشبه النوافذ ، تغشى بمداميك صغيرة من الآجر ، تتخللها فتحات صغيرة يتسرب منها الهواء ، وكانت تلون واجهاتها بزخارف هندسية جميلة . مجدي حريري ، الخارجة ، حل لمشكلة اختفاء الحيز الخارجي الخاص في الاسكان الرأسي المعاصر ، بحث قيد النشر ، ص ٦ .

(٤) النهروالي : الأعلام ص ٩٨ .

على أقدم اللوحات المتوفرة ، وهي لـوحـة محمد صادق باشا [لوحة ٤٨] ولوحة أرشيف مكتبة السلطان عبدالحميد [لوحة ٤٩] ولوحة مجموعة علي بهجت [لوحة ٥٠][١] .

والشباك الغربي من هذه الشبابيك هو لكتاب المدرسة الذي يقع في هذه الناحية ، وقد سبق وصف واجهته الغربية ، وهو شباك متسع يماثله الشباك الشرقي من هذا الطابق .

أما بقية الشبابيك ، فإنها تُرى في اللوحات السابقة صغيرة نسبياً ، بينما تُرى في لوحة أرشيف مؤسسة بني لادن السعودية أكثر اتساعاً[٢] . مما يشير إلى أن هذه النوافذ قد جرى توسعتها في العصر الحديث نتيجة لتعديلات معمارية تعرضت لها الخلاوي التي تقع في هذا الجانب من المبنى[٣] .

ويعلو الطابق السابق طابق ثاني يتوسطه خارجة كبيرة[٤] يتخلل جدارها شابورات اختفت زخارفها الهندسية تحت طلاء حديث ، ويكتنف هذه الخارجة شباك لحجرة شرقية وآخران لحجرة غربية ، كما هو واضح من خلال اللوحات القديمة [لوحة ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠] ، بينما يشير الواصف[٥] إلى وجود شباك شديد الاتساع ، كان يمثل واجهة مبنى يجاور الحجرة الغربية ذات الشباكين ، وهـو ما يـؤكده لوحتان حديثتان وهـما لوحـة ارشيـف مؤسسة بـن لادن

---

(١) وهذا العدد يتوافق مع ما يذكره د . أسامة الراضي في المقابلة التي أجريت معه في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٢) لا يشير د . أسامة الراضي إلى وجود النوافذ الصغيرة ، وإنما يذكر بأن جميع النوافذ متسعة ومتشابهة في اتساعها ، مقابلة في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٣) عن ذلك انظر ما يلي .

(٤) عن ذلك انظر ما يلي .

(٥) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال / ١٤١٣ هـ .

[لوحة ٥١]، ولوحة مجموعة عبدالرحمن دفتردار وصالح حجار [لوحة ٥٢] ، والتي يظهر فيها الجانب الغربي من هذه الواجهة متضمناً الشباك المذكور آنفاً.

وبناء على ما سبق ، فإن كتلة البناء التي يتضمنها هذا الشباك ، تعتبر من الاضافات الحديثة على المبنى الأصلي . لأنها لا تظهر في اللوحات القديمة .

وجميع هذه الشبابيك تعلوها أعتاب خشبية، كما أن لها مصبعات معدنية، ويغلق على كل منها مصراعين من الخشب(١) .

ويتوج الحجرتان السابقتان ، جدران السطح التي تتخللها شابورات اختفت زخارفها تحت الطلاء الأبيض .

المدخل [لوحة ٤٧] :

يتوسط المدخل واجهة المبنى الغربية ، وله حجر ضحل نسبياً حيث لا يزيد عمقه عن ٥٠ر٠ م . كما أن ارتفاعه لا يتجاوز ارتفاع الطابق الأرضي من المبنى . وهو بذلك يماثل ما عليه الحال في البيوت الحجازية(٢) .

أما عرضه فيصل إلى المترين ، ويكتنفه مصطبتان من الحجر المشهر « أحمر وأصفر » . ويتوسط الحجر فتحة باب بمصراعين من الخشب بكل منهما خوخة صغيرة ، وقد غشي كل ذلك بالزخارف التي لم يستطع الواصف تحديد نوعيتها(٣) ، وإن كان من المرجح أنها كانت زخارف نباتية وهندسية ، كما جرت به أساليب زخرفة الأبواب في ذلك العصر(٤) .

(١) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٢) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ وتتراوح ارتفاعات مداخل هذه البيوت فيما بين ٥ر٢ م ـ ٤ م . وذلك بناءً على مقاييس الرسم التي وضعت لواجهات بعض البيوت المكية . انظر كتاب نماذج من مباني مكة التقليدية من اصدار مركز أبحاث الحج ، مكة المكرمة ، ص ٢٨، ٣٠ ، ٣٥، ٤٣ ، ٥٠ ، ٥٧ ، ٦٣ .

(٣) مقابلة مع د . أسامة الراضي ، في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٤) عن أساليب زخرفة الأبواب في ذلك العصر ، انظر طه عبدالقادر ، عمارة الأبواب المصفحة في عهد السلطان حسن في القاهرة ، ص ١٣٨ ـ ١٨٤ .

ويعلو فتحة الباب عتب حجري ، ثم نافذة صغيرة لإضائة الدهليز المؤدي إلى داخل المدرسة .

ويتوج الحجر نهاية مستقيمة[١] ليست معقودة كما كان سائداً في مداخل عمائر ذلك العصر .

الدهليــــز [شكل ٤٥] :

تؤدي فتحة الباب إلى دهليز المدرسة ، ويبلغ عرض هذا الدهليز فيما بين ٢ م ـ ٣ م ، وطوله فيما بين ٤ ـ ٥ م ، وعلى يسار الداخل توجد مسطبة .

أما على اليمين ، فتوجد فتحة باب تؤدي إلى دهليز قصير ينفذ منه إلى السبيل والدرج المؤدي إلى الكتاب . يلي ذلك منطقة تخلو من وحدات معمارية باستثناء مرحاض كبير نسبياً كان يمتد إلى درج الكتاب[٢] ، ولعله كان يوجد فيها خلوة للبواب والتي عادة ما توضع في دهليز المدرسة[٣] .

أما على الجانب الأيسر فتوجد فتحة باب تؤدي إلى مطبخ المدرسة . وهو مسقف بالكامل بسقف خشبي خالي من الزخارف .

قاعــة الدرس [شكل ٤٥] :

يوجد في الضلع الجنوبي من المبنى ثلاث حجرات ، تقابل الغربية منها ميضأة المدرسة ، وهي حجرة يرتفع سقفها بارتفاع طوابق المبنى الثلاث ، وكانت واجهتها الجنوبية العلوية تنتهي بنافذة كبيرة جداً سبق الحديث عنها أثناء وصف الواجهة الغربية للمبنى .

---

(١) مقابلة مع د . أسامة الراضي ، في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٢) مقابلة مع د . أسامة الراضي ، في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٣٩٢ .

ويعد رفع سقف هذه الحجرة ، من المظاهر التي استحدثت على المبنى في الآونة الأخيرة ، وذلك عندما جرى تحويله إلى مبنى سكني ، إذ أن الكتلة التي تضم النافذة المذكورة لا تظهر على اللوحات القديمة [لوحة ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧] كما سبق أن وضحنا ، مما يدل على أن ارتفاع سقف هذه الحجرة لم يكن كذلك في البناء الأصلي، وأنه لم يكن يتجاوز ارتفاع الطابق السفلي الذي تقع فيه الحجرة، كما هو الحال في حجرتين مجاورتين لها(١) .

ومن الواضح أن وجود الميضأة في مقابلة هذه الحجرات ، دليل على أنها كانت تقوم بوظيفة تعبدية تشمل الصلاة وطلب العلم . مما يجعل من المرجح أن أحدها كانت تستخدم للدرس وعقد حلقات التصوف ، وعلى وجه الخصوص الحجرة الغربية منها ، لأنها تقع في مقابلة الميضأة .

وهذه الحجرات متقاربة في المساحة ، حيث تبلغ أبعاد كل منها ما بين ٥ ـ ٦ م × ٤ ـ ٥ م ، وأرضيتها مفروشة ببلاطات حجرية سوداء، ومسقفة ببراطيم خشبية . ولكل منهما نافذتان في الجدار الجنوبي ، تطلان على الرواق الشمالي للحرم . وقد غطيت كل نافذة بمصبعات معدنية ، ويغلق عليها مصراعان خشبيان(٢) .

الصحن [شكل ٤٥] :

يتوسط المدرسة صحن مربع مكشوف ، يبلغ طول كل ضلع من أضلاعه ١٠ م ، وشغلت جوانبه الملاصقة لجدران المبنى بمصاطب للجلوس(٣) . من

(١) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣ هـ .

(٢) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣ هـ .

(٣) مقابلة مع د . أسامة الراضي ، في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

الواضح أنها مستحدثة ، وليست من أصل البناء ، حيث لم يعرف هذا الأسلوب في عمائر العصر الجركسي . وفرشت أرضية هذا الصحن ببلاطات حجرية سوداء .

ويطل على الصحن من الناحية الجنوبية قاعة الدرس ، وحجرة مجاورة لها ، بينما يطل عليه من الناحية الشرقية فتحة باب تؤدي إلى الدرج الرئيسي للمدرسة ، ومن الناحية الغربية فتحة الباب المؤدي إلى دهليز المدخل[١] .

مكتب السبيل [لوحة ٤٧] :

يذكر النهروالي أن القاضي عبدالباسط جعل في جانب المدرسة سبيلاً[٢] . ونظراً لأن السبيل لا بد أن يكون مطلاً على واجهة المدرسة ، حتى يتسنى للعابرين التزود من مائه ، فإن هذا السبيل سيكون في واجهة المدرسة الغربية ، لأنها الوحيدة النافذة ، كما سبق أن ذكرنا . فإذا أخذنا في الاعتبار ما ورد عن النهروالي آنفاً من أن هذا السبيل يقع في جانب المدرسة ، فإنه يكون بذلك يشغل أحد طرفي هذه الواجهة ، وهو الطرف الجنوبي لأن الشمالي يوجد به الباب الجانبي للمدرسة . كما أنه يوجد في الطرف الجنوبي من المبنى حجرة صغيرة لا تزيد أبعادها عن ٤ م × ٣ م[٣] . وكان بها مرافق للتسبيل ، حيث يوجد في جدارها الشمالي حوض كبير للماء ، بالإضافة إلى دخلة في جانبها الشرقي ، إذ يذكر الواصف[٤] بأن هذا الجزء يقل فيه اتساع الحجرة عن

---

(١) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣ هـ .

(٢) النهروالي ، الأعلام ، ص ٩٨ .

(٣) ويذكر الواصف أن هذه الحجرة كانت في وقته تستخدم كمسكن لجده ، كبير أسرة آل الراضي في ذلك الوقت . مقابلة مع د . أسامة الراضي ، في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٤) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

أجزائها الأخرى ، مما يشير إلى وجود الدخلة والتي عادة ما يوضع فيها شاذروان[1] السبيل[2] .

ولا يوجد ما يشير إلى وجود فتحة صهريج في هذا السبيل من الواضح أنه استعيض عنها بحوض الماء الكبير ، بحيث كان يعبأ بين الفينة والأخرى من صهريج المدرسة[3] .

ويوجد في الجدار الشمالي للسبيل فتحة تفضي إلى داخل المدرسة ، كما أنه يوجد في جدارها الغربي فتحة باب[4] ، كان في موضعها وقت إنشاء المدرسة شباك للتسبيل ، إذ لا بد أن يكون للسبيل شباك يطل على واجهته الوحيدة النافذة ، حيث موضع فتحة الباب ، خاصة وأن السبيل يقع هنا مجاوراً لباب الباسطية [شكل ٤٥] ، فيتسنى للداخلين والخارجين من الحرم الشريف التزود بالماء إذا ما احتاجوا إلى ذلك .

ويذكر الواصف[5] أنه كان لهذه الحجرة [السبيل] شباك آخر مطل على الحرم ، لا شك بأنه مستحدث . إذ لا يختلف في اتساعه عن شبابيك قاعة الدرس ، مما يدل على أنه لم يكن شباكاً للتسبيل[6] ، والذي يتميز باتساعه عن

---

(١) الشاذروان عبارة عن دخلة بها لوح رخامي يعرف بالسلسبيل ، يستخدم لتنقية الماء وتبريده ، ومنه يتجه في أقصاب إلى أحواض التسبيل ، عن ذلك انظر ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩ .

(٢) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ، ص ٦١٦ .

(٣) عن الصهريج انظر ما يلي .

(٤) من الواضح أن هذا الباب استحدث بعد تحويل المدرسة إلى مبنى سكني بحيث يتسنى لمن يقطن في هذا الجزء من المبنى الوصول إلى الحرم بسهول ويسر ، وقد يكون منشأ لكبير أسرة آل الراضي .

(٥) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٦) لعله استحدث لكي يتسنى لقاطن هذا المكان أن يرى أروقة الحرم ، وليوفر له المزيد من الإضاءة ، خاصة وأن شباك التسبيل تحول إلى باب مما يمنع دخول الضوء الكافي من هذه الناحية .

أنواع الشبابيك الأخرى كما هــو متبع في أسبلة ذلك العصر[1] . بالإضافة إلى أن وجود شباك للتسبيل داخل أروقة الحرم ، قد يترتب عنه انسكاب الماء على الأرضية ، فتصبح غير صالحة للعبادة والجلوس في هذه الناحـية[2] .

الـكتّـــاب :

على الرغم من أن النصوص التاريخية لا تشير إلى وجود كتاب يعلو سبيل المدرسة ، فإن تحليل معلومات الواصف[3] ، تشير إلى وجوده . حيث يذكر بأنه توجد حجرة صغيرة تقع فوق السبيل تماثله في المساحة . وهذا الأسلوب كان متبعاً في عمارة مكاتب السبيل في مدارس ذلك العصر ، فكان يبنى فوق السبيل كتاب يماثله في المساحة[4] . علاوة على أن من السائد في عمائر العصر الجركسي ذات الأسبلة أن يعلو كلاً منها كتاب لتعليم الأطفال القرآن الكريم[5] .

وكان يوجد بجوار السبيل درج يصعد منه إلى حجرة الكتاب[6] ، وتقابله مصطبة ، مما يدل معه على أنه كان يوجد لهذا الكتاب مدخل خاص به كما سبق أن وضحنا .

---

(١) عن ذلك انظر ص ٣٦٥ .

(٢) وإن كان هذا لم يمنع من إنشاء أسبلة داخل الحرم الشريف ، ولكن في مواضع معينة لا يكون لها تأثير كبير ، كما أنه من المرجح أنه قد ألحق بها مصارف للمياه ، ومن الأسبلة التي وضعت في الحرم ، السبيل الذي أنشأه الملك الناصر حسن بن قلاوون سنة ٧٦١ هـ/ ١٣٥٩م ، ويقع في جانب من الحرم ، حيث يقع في زيادة إبراهيم ، الفاسي ، شفاء الغرام ، جـ١/ ص ٣٦٤ – ٣٦٥ .

(٣) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٣٧٣ .

(٥) محمد محمد أمين ، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ، دراسة تاريخية وثائقية ٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠م القاهرة ص ٢٦٢ .

(٦) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

ويوجد بداخل حجرة الكتاب ثلاث دخلات ، اثنتان غربيتان ، وواحدة جنوبية ، وبكل منها شباك مغشى بمصبعات معدنية وعليه مصراعين من الخشب ، أما أرضيتهما فمفروشة ببلاطات حجرية سوداء ، وسقفها يتكون من براطيم خشبية خالية من الزخرفة[1] .

كذلك كان يوجد بجوار الدرج في الطابق الأرض من المبنى مرحاض من الواضح أنه كان مخصصاً للأطفال الذين يتعلمون في هذاالكتاب[2] .

وحدات الإسكان :

كانت وحدات الإسكان في المدارس تقوم باستيعاب فئات مختلفة من الأفراد الذين لهم حق الاستفادة من هذه الوحدات . ومن أبرز هؤلاء شيخ المدرسة ، والطلبة وبعض الفئات الأخرى[3] .

ويمكن القول من خلال متابعة النصوص التاريخية بأن هناك ثلاثة أنوا ع للمساكن في هذه المنشأة ؛ أولها سكن شيخ المدرسة ، حيث من الثابت أن أحد بن على اليمني ، وهو أحد شيوخها ، كان يقطن بها[4] . مما يدل على أن بها مثل هذا النوع من الوحدات ، وهو ما يتضح من خلال متابعة وصف المدرسة ، حيث يرد الإشارة إلى أنه يوجد في الطابق الثاني من الضلع الغربي وحدة للإسكان تتميز باستقلاليتها عن بقية أجزاء المبنى ، فكانت فتحة الباب التي تقع في الطرف الشمالي للواجهة الغربية ، تؤدي إلى درج يصعد منه إلى هذه الوحدة . مما يجعلها مناسبة لسكنى شيخ المدرسة[5] .

(١) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٢) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٣٨٥ ـ ٣٩٣ .

(٤) ابن فهد ، معجم الشيوخ ، ص ٦٨ ، السخاوي ، الضوء اللامع جـ ٢ / ص ٢٨ ـ ٢٩ .

(٥) كان لبعض شيوخ مدارس العصر الجركسي وحدات للإسكان تتميز باستقلالها عن بقية أجزاء المبنى ولها مدخل خاص بها ، عن ذلك انظر ص ٣٨٩ .

وتتكون هذه الوحدة من حجرتين متساويتين في الأبعاد تبلغ لكل منهما ما بين ٤ ـ ٥ م × ٣ ـ ٤ م . ويتوسطها حجرة مساحتها أقل من السابقتين ، تبلغ أبعادها ٥ر١ ـ ٢ م × ٣ م . من الواضح أنها كانت تستخدم كمطبخ لسكنى الشيخ ، الذي زود بدورة مياه تتكون من مرحاضين يقعان بالقرب من الدرج[١].

وثاني نوع من المساكن ؛ هو مساكن الطلبة التي كانت تتكون من وحدات صغيرة ، كما يشير بذلك النهروالي[٢] ، حيث ذكر بأنه يوجد في هذه المدرسة عدد من الخلاوي لسكنى طلبتها . ولفظ الخلاوي يطلق في غالب الأحوال على حجرات تتميز بصغر مساحتها[٣] .

ويتأكد هذا الأمر من خلال الأوصاف المتوفرة عن المدرسة ، حيث يلاحظ أنه يتقدم الحجرات الكبيرة في الطوابق العلوية من الضلعين الشمالي والجنوبي، حجرات صغيرة تؤدي إليها ، تستخدم كمنافذ لها[٤] ، مما يشير إلى أن هذه الأمكنة قد شهدت بعض التعديلات . نظراً لتحول المبنى إلى مسكن في العصر الحديث ، فوسعت بعض الخلاوي الصغيرة حتى التصقت بمثيلاتها التي تشاركها المكان ، فاستخدمت الأخيرة كمنافذ للأولى[٥] .

ويؤكد ذلك ، أنه يظهر من خلال اللوحات القديمة المتوفرة عن هذه المدرسة [لوحة ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠] وجود خمسة شبابيك صغيرة تتوسط الواجهة

---

(١) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٢) النهروالي ، الأعلام ، ص ٩٨ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٣٩٣ .

(٤) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٥) لم يستطع الواصف أن يحدد عدد هذه الخلاوي الصغيرة . مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

الغربية وهذه الشبابيك تصبح كبيرة الحجم في الصور الحديثة ، والتي التقطت قبل البدء في تنفيذ مشروع التوسعة السعودية للحرم الشريف [لوحة ٥١، ٥٢] . مما يدل على حدوث التعديلات المذكورة آنفاً داخل المبنى في هذا الجانب ، وعليه يكون الحال في الجانب المقابل له نتيجة لتشابههما في التكوين المعماري ، كما سبق أن شاهدنا .

إن وجود الشبابيك الخمسة الصغيرة يدل على أن هناك خمسة خلاوي على أساس أن لكل خلوة شباك خاص بها(١) .

وبطبيعة الحال كان يقابل كل خلوة من تلك أخرى مماثلة لها في نفس الضلع ، وتطل هذه الأخيرة على الصحن ، وهي الخلاوي التي كانت تنفذ إلى الحجرات الكبيرة كما يذكر الواصف . وبذلك يكون لدينا في الضلع الجنوبي عشرة خلاوي ، بينما يوجد في الضلع الشمالي من المبنى عشرون خلوة ، موزعة بالتساوي على الطابقين الثاني والثالث ، لتطابق تكوينهما المعماري مع الضلع الجنوبي(٢) .

والراجح أن هذه الخلاوي كانت متساوية في مساحتها ، فبناءً على ما شوهد منها فإن أبعاده لا تتجاوز في أبعد التقديرات ٢م × ٢م ، ومسقفة ببراطيم خشبية ، ومفروشة ببلاطات حجرية سوداء(٣) .

---

(١) هذه الخلاوي هي التي جرت توسعتها بناءاً لما ذكره الواصف .

(٢) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

ويلاحظ أن الخلاوي الشمالية من هذه المجموعة تكون بدون شبابيك « حبيس » ومع ذلك يشير الواصف إلى أن الحجرات التي حلت محلها كانت لها شبابيك تستمد الإضاءة منها دون أن يتمكن الواصف من تحديد مصدر هذه الإضاءة ومواضع الشبابيك ، لأن هذا الجزء من المبنى لم يكن يستخدم بكثرة من قبل ساكني المبنى . والراجح أنه كان يوجد فيه مناور ، إستفادت منها هذه الحجرات مع العلم أننا نشاهد في العمائر الجركسية خلاوي حبيس كانت تستخدم كوحدات للاسكان ، وهو ما نشاهده في مدرسة فرج بن برقوق بالصحراء ، عن ذلك انظر ص ٨٠ .

(٣) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

أما النوع الثالث من وحدات الاسكان في هذه المدرسة، فهي المخصصة لنزول الأعيان الواردين إلى مكة المكرمة من الأمراء وغيرهم ، إذ تذكر المصادر أنه نزل بها في سنة ٨٤٦ هـ / ١٤٤١م الأمير تمراز(١) مباشر(٢) جدة في ذلك الوقت(٣) . وكان ينزل بها أيضاً بعض أعيان الحجاج(٤) .

وبالنظر إلى الأوصاف المذكورة عن المبنى ، فقد استغلت عدة مواضع لهذه الغاية ، تتميز باتساع حجراتها ، بما يليق بنزول الأمراء والأعيان ، فكان هناك في الضلع الشرقي ست حجرات موزعة بالتساوي على الطابقين الثاني والثالث . اثنتان منها تطل على الواجهة الجنوبية بحيث تعلو إحداهما الأخرى ، ولكل منهما شباك واسع يقع ضمن دخلة تماثله في الاتساع وتبلغ أبعاد كلاً من الحجرتين في حدود ٦ م × ٤ م ، وأرضيتهما وأسقفهما مماثلة في عمارتها لما هو متبع في الخلاوي الأخرى .

وإلى الشمال من الحجرتين السابقتين ، كان يوجد في كل طابق حجرتان أخريتان أبعاد كل واحدة منها تصل إلى ٥ م × ٤ م . وزود كل طابق بدورة مياه تتكون من مرحاضين، لم يستطع الواصف أن يقدم تحديداً دقيقاً لموقعهما، باستثناء القول بأنهما يقعان في الجانب الشمالي لكل طابق ويطلان مباشرة على الدهليز المؤدي إلى هذه الأماكن(٥) .

---

(١) هو تمراز البكتمري وقيل الابوبكري المؤذى ، المعروف بتمراز المصارع ، كان من جملة الخدام ، ثم أخذ بالترقي حتى صار نائباً على مدينة القدس ، وعمل شاداً لبندر جدة أكثر من مرة ، فقام في آخر أمره بسرقة أموال المكوس منها وهرب إلى اليمن حيث قبض عليه وقتل هناك سنة ٨٥٤ هـ /١٤٥٠م . السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٣/ ص ٣٥ – ٣٦ .

(٢) يقصد بالمباشر الذي يقوم بإدارة عمل ما والاشراف على تنفيذه ، وقد يطلق اللفظ على موظفي الدواوين ، حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، جـ ٣/ ص ٩٨٢ – ٩٨٣ .

(٣) ابن فهد ، اتحاف الورى ، جـ ٤/ص ١٨٧ .

(٤) النهروالي ، الأعلام ، ص ٩٨ ، ابن الصباغ ، تحصيل المرام ، لوحة ١٥٥.

(٥) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

وكان يوجد في الطابق الثالث من الضلع الغربي أربع حجرات يظهر أنها كانت تقوم بنفس الغرض . وتبلغ أبعاد الجنوبية منها ما يقارب ٦ م × ٤ م ، ولها أربعة شبابيك بنفس الطراز المتبع في الأجزاء السابقة. اثنان منها جنوبيان، ويطلان على الحرم ، والآخران غربيان يطلان على واجهة المدرسة الرئيسة .

أما بقية الحجرات فتصل أبعاد كل منها إلى ٥ م × ٤ م ، ولكل منها شباكان يطلان على الواجهة الغربية للمبنى بنفس الطراز المتبع ، وكذلك كان الأمر بالنسبة للتسقيف والأرضيات[١] .

ويتضح من خلال العرض السابق ، أن منشيء المدرسة خصص عشر حجرات لنزول الأعيان . وهذا ما تقتضيه حاجات مثل هؤلاء ، لكثرة ما يتبعهم من أفراد وأثاث ومستلزمات أخرى مما يستوجب أن توفر لهم مساحات كافية في المبنى لاستيعابهم وكان يتوصل لجميع هذه الخلاوي عن طريق درج يتميز باتساعه كما يشير بذلك الواصف ، والذي يذكر بأن هذا الاتساع قد يصل إلى ٤ م تقريباً[٢] .

الخارجة[٣] :

زودت المدرسة بخارجة كبيرة كانت تقع في الضلع الجنوبي من المبنى ، ويمكن رؤيتها في جميع اللوحات المتوفرة عن المبنى [لوحة ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١] ، إذ يكتنفها الحجرتان اللتان تشغلان الجانب الشرقي والغربي من الطابق الثالث في هذا الضلع . وتبلغ أبعاد هذه الخارجة فيما بين

---

(١) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣ هـ .

(٢) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٣) يطلق اللفظ على مساحة تشتق من الأسطح ، كان يستخدمها سكان مكة المكرمة في ليالي الصيف ، وكان يوجد بها حجرات صغيرة تعرف بالمبيتات توضع فيها لوازم النوم ، انظر ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧ .

٨ ـ ١٢ م × ٤ م[١] . ولها شابورات عدة تطل على الحرم وسطحه ، كما كان يقع في الجانب الخلفي منها ثلاثة أو أربعة مبيتات[٢] .

وهذه هي الخارجة الوحيدة التي كانت زمن الواصف ، في حين أن من المؤكد أن المبنى كان مزوداً بأكثر من خارجة ، وذلك لتنوع ساكني المبنى . وهو ما يؤكده الشابورات التي تتخلل جدران سطح المبنى[٣] ، مما يجعله مؤهلاً للاستخدام حين النوم ، علاوة على أنه من المحتمل أنه كان يوجد به مبيتات ، أزيلت عندما تحول المبنى إلى مسكن ، لتخفيف الثقل عن الأجزاء السفلية منه . ويمكن القول بناء على ذلك أنه كان يوجد بالمبنى خارجة لمبيت شيخ المدرسة ، وآخريات لمن ينزل بالمدرسة من الأعيان ولاستخدامها في المبيت إذا ما جاء الحج في فصل الصيف . علاوة على تلك المخصصة للطلبة .

المطبـــخ [شكل ٤٥] :

زودت المدرسة بمطبخ كبير يقع على يسار دهليز المدخل ، كان يتكون في زمن الواصف من قسمين أولهما عبارة عن حجرة صغيرة لها نافذة شديدة الاتساع تطل على الفناء . ثم القسم الثاني وهو عبارة عن حجرة كبيرة، يذكر الواصف أنه كان به بقايا مواقد كبيرة الحجم ، ولم تكن هذه الحجرة مستخدمة حينئذ ، وإنما كانت الحجرة الصغيرة هي المستخدمة فقط[٤] .

---

(١) يذكر د . أسامة الراضي ، أن طولها يصل إلى ٨ م أو أقل من ذلك بقليل ، هذا مع العلم أن جزءًا منها قد اقتطع نتيجة لرفع سقف إحدى الغرف إلى مستوى الطابق الثالث كما سبق أن ذكرنا . وبالتالي فإن إضافة الامتداد الذي اقتطعته هذه الغرفة ، يجعل من الممكن أن يصل طولها إلى ١٢ م .

(٢) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

وعن معنى المبيت انظر هامش ٣ في الصفحة السابقة .

(٣) مقابلة مع د . أسامة الراضي ، في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٤) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

والراجح أن المطبخ كان وقت إنشاء المبنى يتكون من كتلة واحدة ، نظراً لأن مثل هذه الوحدات ، كانت تتطلب مقداراً كبيراً من التهوية ، وهو ما حرص المعمار على توفيره من خلال النافذة المتسعة سابقة الذكر والتي لا يوجد غيرها في هذا المكان ، وبالتالي فلا بد أن الحجرة الصغيرة لم تكن موجودة . وأن هذه النافذة كانت تطل مباشرة على حجرة المواقد حتى توفر لها ما تحتاجه من إضاءة وتهوية .

حجرة الصهريج [شكل ٤٥] :

زودت المدرسة بصهريج كبير(١) يقع أسفل الجزء الجنوبي الشرقي من المبنى(٢) . لأن استخراج الماء منه كان يتم من فتحة تقع في حجرة موجودة في هذا الجانب من المبنى . وكان يعلو هذه الفتحة البكرة وحواملها والدلوا . وكان يتم استخراج الماء عن طريقها(٣) ، ليعاد توزيعها بعد ذلك على بقية أجزاء المبنى ، ومنها كان يعبأ الحوض الكبير الذي في السبيل .

أما عن طريقة تزويد هذا الصهريج بالماء ، فكان يتم عن طريق تجميع مياه الأمطار التي تنزل على سطح الحرم في الناحية المقابلة للمدرسة ، فيتم استقبالها من خلال فتحات على السطح تشبه فتحات الميازيب ، تتصل بأقصاب مغيبة في الجدران تنتهي إلى الصهريج لتصب فيه الماء(٤) .

---

(١) يذكر الواصف أن الدلو كان يستغرق في نزوله بعض الوقت حتى يصل إلى الماء . مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٢) من المعروف أن مكة المكرمة تتكون من وادي تحيط به الجبال ، و بالنظر لموقع المدرسة شمالي الحرم ، فهي تكون بذلك واقعة على أطراف جبل قعيقعان . الأمر الذي فرض على المعمار أن يحفر الصهريج في هذا الجانب من المبنى لأنه على ما يبدو الأكثر سهولة في الحفر من الجوانب الأخرى من المبنى .

(٣) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣ هـ .

(٤) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

الميضأة [شكل ٤٥] :

زودت المدرسة بميضأة كانت تقع في الضلع الجنوبي من الطابق الأرضي [الأول] للمبنى ، قبالة قاعة الصلاة والدرس .

وإلى الخلف منها كان يوجد صحن المدرسة .

وكان يوجد بهذه الميضأة دورة مياه ، تتكون من ثلاث أو أربعة مراحيض. وإلى الشرق منها يوجد حوض مستطيل الشكل تصب فيه مجموعة بزابيز للوضوء[١] .

الحاصل [شكل ٤٥] :

ويقع في الضلع الشمالي الدور الأرضي [الأول] للمبنى ويشغل جزءاً من ضلعه الشرقي ، وهو بذلك يحتل مساحة كبيرة من الدور المذكور[٢] .

ويتضح من العرض السابق ، للمبنى أنه يخلو من العناصر المعمارية والزخرفية المميزة ، حيث روعي فيه البساطة في التنفيذ ، وهذا الأسلوب الذي كان يغلب على العمارة الحجازية إجمالاً . إذ لم تستخدم الأواوين بكثرة في عمائرها المختلفة ، كما أن استخدام الحليات المعمارية والزخرفية كان قاصراً على مساكن الأمراء والأثرياء فقط[٣] .

---

(١) مقابلة مع د. أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٢) مقابلة مع د. أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٣) مقابلة مع د. أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .



المدرسة الباسطية بالمدينة المنورة

« ٨٤١-٨٤٢هـ/ ١٤٣٧-١٤٣٨م »

منشيء المدرسة :

أنشأ هذه المدرسة القاضي عبدالباسط بن خليل[١] .

إنشاء المدرسة :

عندما يتحدث السخاوي[٢] عن الشيخ علي بن إبراهيم الحسيني العجمي[٣] ، يذكر بأن القاضي عبد الباسط لم ينشيء مدرسته التي في المدينة المنورة إلا من أجل هذا الشيخ .

بيد أن من المؤكد أن هناك أسباب أخرى ، أبرزها حرص المماليك الجراكسة على أن يكون لهم اهتمام ورعاية بمدينة الرسول عليه الصلاة والسلام ، كجزء من اهتمامهم العام بالحجاز[٤] .

فكان لهم فيها أعمال عديدة ، أبرزها عمارة وتجديد المسجد النبوي الشريف[٥] ، وإنشاء المدارس وغير ذلك من المرافق الأخرى[٦] .

بالإضافة إلى أنه درج بعض من أنشأ المدارس في الحجاز من ملوك وأمراء ، على إنشاء مدرسة في كلا المدينتين ، مثل الملك غياث الدين[٧] ، ملك

(١) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ ٥ / ص ١٥٩ ، السمهودي ، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، جـ ٢ / ص ٧٢٢ .

(٢) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ ٥ / ص ١٥٩ .

(٣) هو علي بن إبراهيم بن محمد السيد الحسيني ، ولد ونشأ في فارس ، ثم ارتحل طالباً للعلم حتى استقر به المقام في المدينة المنورة ، معلماً ومدرساً ، حتى توفي سنة ٨٦٠ هـ / ١٤٥٥ م أو سنة ٨٦٢ هـ / ١٤٥٧ م . المصدر السابق جـ ٥ / ص ١٥٨ ـ ١٥٩ .

(٤) عن ذلك انظر الفصل السابق .

(٥) صالح لمعي، المدينة المنورة ، تطورها العمراني وتراثها المعماري ، ١٩٨١م. بيروت ، ص ٨١ ـ ٨٨ . محمد الشهري ، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي ، ص ٢٨٤ ـ ٤٠٩ .

(٦) صالح لمعي ، المدينة المنورة ص ١٧ .

(٧) هو الملك غياث الدين ، أبو المظفر اسكندر شاه ، كان ملكاً جليلاً ، محباً للعلم وعمل الخير له أوقاف وصدقات بالحرمين الشريفين ، توفي سنة ٨١٤ هـ / ١٤١١ م . الفاسي ، العقد الثمين جـ ٣ / ص ٣٢٠ ـ ٣٢٢ .

البنغال ، الذي أمر في سنة ٨١٣هـ / ١٤١٠ م بإنشاء مدرستين « ... مدرسة بمكة ، ومدرسة بالمدينة ، وشراء عقار يوقف عليهما ... »[١] ، ومن هنا ، فلا بد أن القاضي عبد الباسط قد تأثر بمثل هذه الأعمال فعمل على اتباعها .

ولا تقدم المصادر معلومات وافية عن هذه المدرسة وتاريخ انشائها ، فقد أشار إليها السمهودي إشارة عارضة أثناء تحديده لبعض الدور القديمة في المدينة المنورة ، فذكر بأنه يقابلها دار أخرى هي « .. اليوم المدرسة الباسطية التي أنشأها القاضي عبدالباسط سنة بضع وأربعين وثمانمائة ... »[٢] . وهو بذلك ينص على أن المدرسة أنشئت بعد سنة ٨٤٠ هـ / ١٤٣٦م ، بينما يذكر أحد الباحثين أن المدرسة أنشئت سنة ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩ م ، دون أن يقدم ما يثبت ذلك من المصادر أو غيرها[٣] .

والراجح أنها قد أنشئت في تاريخ لا يتجاوز سنة ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨م ، وهي السنة التي عزل فيها القاضي عبد الباسط وصودر كما مرَّ معنا[٤] .

أي أن تاريخ إنشاء هذه المدرسة كان فيما بين عامي ٨٤١ ـ ٨٤٢ هـ / ٣٧ ـ ١٤٣٨م ، ولعله ابتدأ في تنفيذ المشروع سنة ٨٤١ هـ/ ١٤٣٧م وانتهى منه في السنة التي بعدها ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨ م، أي أنه استغرق سنة كاملة تقريباً، وهي فترة زمنية تقارب الفترة التي استغرقها بناء باسطية مكة المكرمة [٥] .

---

(١) المصدر السابق نفسه جـ ٣ / ص ٣٢٠ .

(٢) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٢ / ص ٧٢٢ .

(٣) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي عبد الباسط ، ص ٩٩ .

(٤) عن ذلك انظر ص ١٧٤ .

(٥) عن ذلك انظر ص ١٧٦ .

ومن المؤكد أن المدرسة كانت مخصصة لتدريس المذهب الشافعي ، إذ ولي مشيختها علماء شافعية المذهب ، مثل الشيخ علي بن إبراهيم الحسيني[١]، المذكور آنفاً . كما وليها من بعده أحد علماء الشافعية في المدينة المنورة ، وهو إبراهيم بن محمد بن عبدالرحمن المدني الشافعي[٢] .

كذلك فمن المؤكد أنها كانت تقوم بوظيفة الخانقاه ، وبها مكتب سبيل مثلما اتبع في المدرسة الباسطية في مكة المكرمة[٣] .

ولا تتوفر أي معطيات عن عدد طلبة هذه المدرسة وأوقافها ، والتي قد تكون في مصر ، كما هو الحال بالنسبة لباسطية مكة المكرمة .

ويتضح من خلال تحديد الموقع الذي تشغله المدرسة أن الأمر آل بها بعد ذلك لأن تستغل لأغراض متعددة ، كما هو موضح أثناء الوصف المعماري للمبنى .

موقع المدرسة [شكل ٦][٤] :

كانت المدرسة تقع بالقرب من الحرم النبوي الشريف[٥] بإزاء باب السلام في مواجهة مدرسة قايتباي[٦] ، حيث يذكر

(١) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ ٥ / ص ١٥٩ .

(٢) المصدرالسابق نفسه جـ ١ / ص ١٤٩ . وهو إبراهيم بن محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن صالح المدني . ولد في المدينة المنورة ، وبها نشأ وتعلم ورحل مراراً في طلب العلم ، ولي مشيخة الباسطية بالمدينة المنورة علاوة على الإمامة والخطابة في المسجد النبوي الشريف . المصدر نفسه جـ ١ / ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٣) عن ذلك انظر ص ١٧٨ .

(٤) هذا الشكل يوضح موقع المدرسة بالنسبة للمسجد النبوي الشريف . وهو مشتق من خارطة هيئة المساحة المصرية والمنشورة عام ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م تحت رقم ٥١/٤٣٣ .

(٥) من الواضح أن المدارس قد ارتكزت بشكل أساسي حول الحرم النبوي الشريف ، حيث يشير السخاوي إلى مجموعة من المدارس المنشأة في عصور مختلفة ، كانت تقع بالقرب منه ضمن النطاق العمراني المحيط به . السخاوي ، التحفة اللطيفة ، جـ١ / ص ٦٠ .

(٦) هذه المدرسة من إنشاء السلطان قايتباي وقد كملت عمارتها سنة ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢ م ، وكانت ملاصقة للحرم الشريف ، إبن إياس بدائع الزهور ، جـ٣ / ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

السمهودي[١] أن هذه المدرسة أنشئت في موضع دار تقع في مقابلة مشتريات السلطان . وهو يقصد بذلك الموقع الذي أنشئت عليه مدرسة السلطان قايتباي ، إذ كان يتضمن دوراً اشتريت لإنشاء المدرسة المذكورة في موضعها[٢] .

فإذا أخذنا في الاعتبار أنه قد أنشأ في موضع مدرسة قايتباي ، المدرسة المحمودية[٣] ، والتي تقع على يمين الخارج من باب السلام ، كما هو مثبت على خارطة هيئة المساحة المصرية [شكل ٦] ، فيكون بذلك موقع المدرسة الباسطية في المنطقة المقابلة للمدرسة السابقة . ولكن ليس في المنطقة الملاصقة للحرم على يسار الخارج من باب السلام ، نظراً لوجود ميضأة كانت تقع في هذا الموضع كما يشير بذلك السمهودي[٤] .

وبالتالي فإن المدرسة الباسطية تقع ضمن كتلة المباني التي في مقابلة المدرسة المحمودية من الناحية الجنوبية ، ويقابلها أيضاً ميضأة باب السلام من الناحية الشرقية [شكل ٦] .

وهو ما يؤكده بعض من شاهد المنطقة قبل أن تزال في مشروع التوسعة السعودية الأولى للحرم النبوي الشريف في سنة ١٣٧٣هـ /١٩٥٣م ، حيث أشاروا إلى أنه كان يوجد في الركن الغربي لتقاطع الطريق المؤدي إلى باب

(١) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٢ / ص ٧٢٢ .

(٢) ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ / ص ١٤٥ .

(٣) وهذه المدرسة من إنشاء السلطان العثماني محمود خان ، سنة ١٢٣٧هـ /١٨٢١م . وقد أنشئت في موضع مدرسة قايتباي بعد هدمها . انظر وثيقة رقم ٢٠ بتاريخ ١٣ ربيع الأول عام ١٢٣٧ هـ ، في محفظة ٨ بحر برا ووثيقة رقم ٥٠ في ٢٥ ربيع الأول ١٢٤١هـ محفظة ١٠ بحر برا بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٤) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٢ / ص ٧٢١ .

السلام مع زقاق الخياطين ، مبنى يعرف بالباسطية[1] ، من الواضح أنه يشير إلى مبنى المدرسة لأن هذا الموقع يتطابق مع التحديد المستنبط من النصوص التاريخية والمذكورة آنفاً .

(١) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار ، ٣٠ شوال ١٤١٣هـ . ولقد أكد لي ذلك أحد أبناء الشيخ محمد ولي الدين ، والذي كان يقطن في جزء من المبنى ، بيد أنه للأسف الشديد لم يتسن لي الاستفادة مما لديه من معلومات لظروف خاصة به ، رغم محاولات الطالب ولأكثر من مرة الاستفادة مما لديه من معلومات أو وثائق .

أما بالنسبة للأستاذ عبدالرحمن دفتردار ، فهو عبدالرحمن محمد محمد سعيد دفتردار ، من أسرة مدنية تولت الإمامة والخطابة بالحرم النبوي الشريف ، ولد عام ١٣٥٩هـ ، وتلقى تعليمه الأولي في المدينة المنورة ، والجامعي في جامعة الملك سعود بكلية العلوم ، تقلب في الوظائف الحكومية المرتبطة بالصناعة البتروكيميائية ، ثم ترأس بعد ذلك مؤسسة الأدلاء بالمدينة المنورة لمدة ثماني سنوات ، وهو حالياً عضو في مجلس إمارة منطقة المدينة المنورة ، له ميول أدبية وتاريخية ، وبخاصة فيما يتعلق بالمدينة المنورة .

الوصف المعماري للمدرسة

التخطيط [شكل ٤٦][1] :

يتضح من خلال تحديد الواصف للموضع الذي عرف بالباسطية في العصر الحديث ، بأنه عبارة عن حجرتين من طابقين متساويتين في الأبعاد تبلغ لكل منهما ٥ر٥م × ٥ م ، ويتبع كلا الحجرتين بعض الملاحق البسيطة ، كالمطبخ وما شابه ذلك[2] .

والكتلة السابقة صغيرة قياساً بما ينبغي أن تكون عليه مساحة المدرسة ، كما هي معروفة في العمارة الاسلامية .

ويتضح من خلال بعض اللوحات المتوفرة عن المبنى [لوحة ٥٤ ، ٥٥][3] ، إنه كان يجاوره كتلة معمارية ذات واجهة تشابه واجهات بعض المدارس المملوكية ، من حيث احتوائها على شبابيك سفلية مستطيلة وأخرى علوية معقودة « شمسيات وقمريات »[4] .

كذلك يتضح من تحليل المسقط الأفقي للمبنى والكتلة المعمارية المجاورة بأن هناك دهليز داخلي [شكل ٦] ، كان يصل بين الكتلتين ولكنه ينتهي بنهاية

(١) هذا الشكل مستنبط من الوصف المعماري للمبنى مطبقاً على خارطة هيئة المساحة المصرية .

(٢) وكانت الحجرة السفلية تستخدم كمركز للشرطة بينما استخدمت الحجرة العلوية كسكن لأحد المعلمين في المدينة المنورة ، وهو الشيخ محمد ولي الدين . ويذكر الأستاذ عبدالرحمن دفتردار أنه كان يحضر عند الشيخ في منزله هذا لتعلم النحو والصرف .

مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

(٣) هاتين اللوحتين عملتا قبل التوسعة السعودية الأولى للحرم النبوي الشريف من قبل أحد هواة التصوير ، ويدعى عبدالله كراتشي ، ثم انتقلتا إلى ملك الأستاذين صالح حجار ، وعبدالرحمن دفتردار ، وهما محفوظتان ضمن مجموعتهما الخاصة ، ولا يوجد تاريخ محدد لها .

(٤) عن ذلك انظر ما يلي .

مسدودة تفصل بينهما . من المؤكد أنها عملت في عصور حديثة بعد تقسيم المبنى لاستغلاله لأغراض مختلفة كما سبق أن ذكرنا .

ويذكر الواصف أنه كان يوجد بالقرب من تلك الكتلة المعمارية فناء يضمه مبنى يعرف بالوكالة ، واستخدم قبل إزالته كمقــهى .

ونظراً لأن مدخل الفناء يجاور الواجهة المملوكية سابقة الذكر ، فإن ذلك يدل على أنهما يقعان ضمن كتلة واحدة . وهو الانطباع الذي يعطيه النظر إلى اللوحتين السابقتين ، حيث يظهر من خلالهما أن المدخل وما يجاوره من كتلة معمارية عبارة عن واجهة لمبنى واحد [لوحة ٥٤ ، ٥٥] قسمت أجزائه تحت تأثير التغيرات الخطية التي عادة ما تحدث في المدن الإسلامية[٢] ، والتي أدت إلى أن يتحول مبنى المدرسة إلى مجموعة مباني ، لكل منها وظيفة معينة ، كما سبق أن تبين معنا .

وبالنظر إلى موقع الفناء والمدخل المؤدي إليه [شكل ٦] يلاحظ بأنهما يتوسطان كتلة المباني الممتدة من زقاق الخياطين إلى زقاق سقيفة الرصاص ، مما يدل على أن المدرسة كانت تشغل هذه المنطقة بأكملها أو معظمها على أقل تقدير ، فإذا كان الأمر كذلك فإن امتداد المدرسة في هذا الجانب يصل إلى ٢٥ م تقريباً ، وهذا هو عرض المدرسة . أما طولها فإنه من الصعب تقديم تحديد دقيق له ، وإن كان من المؤكد أنه يتجاوز الامتداد الجنوبي للفناء

---

(١) مقابلة مع عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

(٢) كثيراً ما تتعرض المباني في المدينة الاسلامية إلى التقسيم ، فيصبح بعضها كتلة معمارية مستقلة ، والبعض الآخر يضم إلى مبنى مجاور . ثم يحدث بعد ذلك أن تفصل هذا الأجزاء للضم لمبنى آخر ، أو لتتحول إلى مبنى مستقل بذاته وهكذا . وهذا ما عرف بالتغيرات الخطية في المدن الاسلامية . جميل عبدالقادر أكبر ، عمارة الأرض في الاسلام ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م ، جدة ، ص ٣٢١ - ٣٢٩ .

بمسافة بسيطة ، أي أنه قد يصل إلى ٢٨ م ، لأن امتداد المدرسة من ضلعها الشمالي إلى نهاية الفناء الجنوبية يصل إلى ٨ر٢٤ م .

وبما أنه قد جرت العادة في العمارة الاسلامية أن تكون جميع جوانب الفناء مشغولة بعناصر معمارية تتبع المنشأة نفسها، فإن ذلك يدل على أن المدرسة كانت تمتد من هذه الناحية بضعة أمتار تكفي لاستيعاب صف من الخلاوي على أقل تقدير [شكل٤٦] .

وبذلك يتضح تكوين المبنى ، بحيث يتكون من فناء مكشوف وتحيط به وحدات المدرسة المختلفة ، وإن كان يلاحظ أن قاعة الدرس لا تطل على هذا الصحن[١] .

الواجهـــــات :

إن تحديد موقع المبنى بناءًا على المعطيات السابقة يشير إلى أن المبنى له ثلاث واجهات وهي كالتالي :

أولاً : الواجهة الشمالية [الرئيسة] [لوحة ٥٣][٢] :

تطل هذه الواجهة على شارع باب السلام ، ويتوسطها مدخل المدرسة الرئيسي . ويبلغ طول هذه الواجهة ٢٥ م تقريباً . ويمكن رؤية الجانب الشمالي منها من خلال اللوحات المتوفرة عنها[٣] ، والتي يلاحظ من خلالها أن الركن

---

(١) عن ذلك انظر ما يلي .

(٢) تمثل هذه اللوحة رسم تخيلي لواجهة المدرسة وقت إنشائها .

(٣) ويتوفر للواجهة صورة كاملة ملونة . ولكنها حديثة حيث يتضح من خلالها أنه قد أجريت على المبنى تغيرات أساسية أفقدته معظم معالمه ، ولذلك لا يمكن الاعتماد عليها . وهذه اللوحة موجودة ضمن مجموعة الاستاذ أحمد مرشد ، ونشرت في كتيب معرض الفن التشكيلي والصور الفتوغرافية . والذي أصدر بمناسبة مهرجان مدرسة طيبة الثانوية الذهبي . والذي أقيم في شهر ذي القعدة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م . بالمدينة المنورة .

الشرقي من المبنى كان يتكون من طابقين بينما تزيد عن ذلك بقية أجزاء الواجهة ، التي تتعدد طوابقها مكونة بذلك ربع كان يعلو هذه الوكالة(١) . مما يشير إلى أنه بناء استحدث على المبنى عندما حول الفناء وما يحيط به إلى وكالة تجارية .

وبذلك فإن من المؤكد أن واجهة المبنى الأصلية لم تكن تزيد عن طابقين ، كما هو حال الجزء الشرقي منها والذي ظل حتى العصر الحديث يعرف بالباسطية ، معبراً عن التكوين الأساسي للمبنى .

ويتكون الطابق السفلي من هذا الجزء من دخلة ضحلة معقودة بعقد مدبب يتوسطها شباك متسع مغشى بمصبعات معدنية ، يماثل في شكله شبابيك التسبيل في العمائر الجركسية في مصر ، مثل مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق [لوحة ٦.١] ومدرسة برسباي [لوحة ٣٦] ومدرسة قايتباي بالصحراء [لوحة ٥٨ ، ٥٩] . ولكن هذه الشبابيك لم توضع ضمن دخلات ، كما هو حال شبابيك التسبيل في هذه المدرسة ، إذ أن وضع هذه الشبابيك ضمن دخلات لم يكن شائعاً في عمائر العصر الجركسي ، ولا يشاهد سوى في مثال واحد ، هو أحد شبابيك سبيل المارستان المؤيدي(٢) [٨٢١ ــ٨٢٣ هــ/١٤١٨-١٤٢٠م] [لوحة ١٢٠] . ويعد هذا الشباك أحد شباكي سبيل المدرسة(٣) . ويعلو السبيل واجهة الكتّاب(٤). والمكونة هنا من شباك متسع أيضاً غشي بمصبعات معدنية ،

---

(١) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣ هـ .

(٢) وهذا المارستان من إنشاء السلطان المؤيد شيخ . المقريزي ، الخطط جـ٢/ ص ٤٠٨ . ابن حجر العسقلاني ، أنباء الغمر جـ١/ ص ٥٢ . أحمد عيسى ، تاريخ البيمارستانات ١٩٨١ ، بيروت ص ١٧٢ .

(٣) عن هذا السبيل انظر ما يلي .

(٤) عن ذلك انظر ما يلي .

يليه رفرف خشبي ، مكون من ثلاث تقويسات على شكل الأقبية في تكوينها ، وهي موضوعة بالتبادل ، ثم يأتي بعد ذلك أربع تقويسات بارزة تشبه العقود ، يبدو أنها مصنوعة من الجص . وهي غير متجانسة في اتساعها ، إذ يقع أكبرها فوق رفرف الكتاب ويتخللها نوافذ على شكل قنديليه بسيطة ، ويكتنفها التقويسات الثلاث الباقية ، إثنتان من الشمال وواحدة من الجنوب ، مما يعطي وضعاً غير متجانس ، وهي على العموم تتخذ شكلاً نشازاً ولا يتفق مع بقية أجزاء الواجهة ، مما يدل على أنها مستحدثة على التكوين الأصلي للمبنى .

يلي ذلك شرفات على هيئة ورقة نباتية، تظهر من خلفها قبة [لوحة ٥٦][(١)] يبدو أنها تماثل القباب التي تعلو الرواق العثماني للحرم الشريف .

ومن الواضح أن الأجزاء التي تعلو رفرف الكتاب من الإضافات التي أضيفت للمبنى في العصر العثماني ، حيث تشبه شرفاته الشرفات العثمانية التي تعلو واجهة الحرم المكي الشريف [لوحة ١٦٢][(٢)] . وكذلك الحال مع قبته التي تعد عثمانية الطراز كما سبق أن ذكرنا . وبالتالي فإن ارتفاع المبنى لم يكن يبتعد في الأصل سوى بمسافة بسيطة من فوق رفرف الكتاب .

وإلى الغرب من مكتب السبيل توجد ثلاث أدوار من الفتحات [لوحة ٥٤ ، ٥٥] السفلية عبارة عن فتحتين ، كل واحدة منهما عبارة عن حانوت له باب بمصراعين خشبيين ، الشرقي منهما أكثر ارتفاعاً من الغربي ، مما يشر إلى أنهما مستحدثان على البناء ، علاوة على أن الشرقي لا يفصل بينه وبين شباك يعلوه سوى مدماك واحد[(٣)] ، وهذا تقارب غير معهود في العمارة ويدل على

(١) هذه اللوحة من ضمن مجموعة عبدالرحمن دفتردار وصالح حجار .

(٢) هذه اللوحة من ضمن مجموعة علي بهجت ، ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م .

(٣) وإذا كان هذا الشباك في صورته هذه يفتح على حجرة ، فإنه بذلك يطل مباشرة على أرضيتها ، وهذا وضع غير طبيعي في المبنى .

اضطراب في التكوين ، سببه ما أحدث من تعديلات على البناء الأصلي لهذه الواجهة .

وبناءًا على ذلك فإن الحانوتين لم يكونا وقت إنشاء المدرسة موجودين ، والراجح أن الشباكين اللذين يعلونهما ، كانا أكثر إتساعاً ، لأن الأمثل أن يكونا أكثر قرباً من أرضية الشارع . وهما شباكان مستطيلان يغشاهما مصبعات معدنية . يقع فوقهما قنديليتان بسيطتان تتكون كلاً منهما من شمسيتان تعلوهما قمرية .

ويلاحظ أن هذا التكوين المعماري يماثل ما كان متبعاً في كثير من واجهات العمائر الجركسية في مصر ، وبخاصة واجهات الأواوين والأروقة، فمن الأمثلة على ذلك واجهة مدرسة جمال الدين الاستادار(١) [٨١١ هـ/ ١٤٠٨م] [لوحة ١٠٢] ، ومسجد السلطان فرج بن برقوق(٢) [٨١١ هـ / ١٤٠٨ م] [لوحة ١٠٠] . والمدرسة الباسطية بالقاهرة [٨٢٣ هـ/١٤٢٠م](٣) [لوحة ١١٢] . مما يدل على انتماء هذه الواجهة للعصر الحركسي ، وتحديداً للمدرسة الباسطية بالمدينة المنورة ، كما يدل على أن هذا الجانب من المبنى له أهمية خاصة ، وبالتالي فمن المؤكد أن قاعة الدرس كانت تقع في هذه الناحية .

---

(١) هذه المدرسة من إنشاء الأمير جمال الدين يوسف الاستدار ، المقريزي ، الخطط جـ ٢/ ص ٤٠٢ . محمد عبدالستار عثمان ، وثيقة جمال الدين الاستدار ، دراسة تاريخية أثرية وثائقية ، ١٩٨٣م ، القاهرة ص ٧٣ ـ ٧٥ .

حجة وقف الأمير جمال الدين الاستدار برقم ١٠٦ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) وهو مسجد صغير يعرف الآن بزاوية الدهيشة ، من إنشاء السلطان الناصر فرج بن برقوق ، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص١٥٣.

(٣) هذه المدرسة من أجمل مدارس القاهرة زخرفة وجمالاً ، وهي من إنشاء القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل . المقريزي، الخطط ، جـ ٢ / ص ٣٣١. السخاوي، الضوء اللامع، جـ ٤ / ص ٢٤، سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ، ص ٩٥ .

حجة وقف القاضي عبد الباسط برقم ٨٤٠ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

ويعلو القنديليتان روشان خشبي يمثل واجهة لأحد بيوت الربع ، وهو مما استحدث على المدرسة ، ولم يكن موجوداً وقت انشائها كما سبق أن وضحنا ، فالواجهة هنا لم تكن تزيد حينئذ عن الطابقين . وإلى الغرب من واجهة قاعة الدرس ، يوجد مدخل المدرسة الذي يتوسط هذه الواجهة ، ويعلوه فتحة شباك متسعة تتبع أحد بيوت الربع[١] أيضاً .

ثم يأتي من بعد مدخل المدرسة وحتى النهاية الغربية للواجهة أربعة دكاكين[٢] ، أشارت إليها خارطة هيئة المساحة المصرية [شكل ٦] وهي من التكوين الأصلي للمبنى ، وإن كان عددها في الأصل ثلاثة ، إذ من الواضح أن أوسطها قد قسم إلى اثنين ، ولها تكوين معماري متماثل .

وكان يعلو واجهة هذه الحوانيت بمقدار ثلاث فتحات ، عقد مستقيم بصنج مزررة يعلوه نفيس ثم عقد عاتق [لوحة ٥٥][٣] .

كما أن مساحاتها متقاربة، فتبلغ من الشمال إلى الجنوب ٥ر٥ م × ٤م ، ٥ر٥ م × ٥ م ، ٥ر٥ م × ٤ م .

ويضاف إلى ذلك أن هذه المنطقة كانت تعد في ذلك الوقت من أسواق المدينة المنورة[٤] ، وعليه فإن وجود الحوانيت في المنشآت المحيطة بالحرم أمر يفرضه تكوينها العمراني .

(١) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

(٢) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

(٣) تتضح هذه العناصر المعمارية من خلال إحدى اللوحات المتوفرة حيث يرى من خلالها جانب مع الحانوت الشرقي منها . ويؤكد الواصف أن هذا الأسلوب كان موجوداً على بقية أجزاء الواجهة ، كما هو متوقع . نظراً لميل العمارة الإسلامية للتكرار في أساليبها المعمارية والزخرفية . مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

(٤) السمهودي ، وفاء الوفا ج٢/ص ٧٢٣ ، ٧٢٤ .

ويعلو هذه الحوانيت رواشين دور الربع الذي يعلو المبنى وهي مما أحدث على البناء الأصلي . ومن المؤكد أنه كان فوق الحوانيت الطابق الثاني ، والمكون من شبابيك لبعض العناصر التي تتبع المبنى ، من الراجح أنها كانت وحدات سكنية والتي عادة ما توزع على الجوانب المختلفة من المنشأة التي لا تكون مشغولة بعناصر أخرى(١) .

ولقد كان يتوج الواجهة كلها شرفات تعود لطرز تلك الفترة(٢) ، نظراً لاستخدامها في الركن الشرقي من هذه الواجهة ، كما يشير بذلك الشرفات الموجودة من العصر العثماني، والتي لا بد أنها بنيت بدلاً من المملوكية القديمة.

كذلك يتضح أن المداميك الملونة استخدمت في بناء هذه الواجهة ، كما يشير بذلك لوحتان [لوحة ٥٥ ، ٥٦] حيث تُرى في جانب منها الألوان الفاتحة والغامقة بشكل متعاقب ، بينما غطى الجانب الآخر بالطلاء الأبيض .

الواجهة الشرقيـــة :

لا تتوفر معلومات كافية عن هذه الواجهة ، وإن كان من الراجح أنها كانت تمتد بامتداد المدرسة ناحية الجنوب ، أي أنها قد تصل إلى ٢٨م . كما سبق أن أوضحنا أثناء الحديث عن أبعاد المدرسة .

وتبدأ الواجهة من الناحية الشمالية بالواجهة الشرقية لمكتب السبيل ، والتي لا تختلف في تكوينها المعماري عن الواجهة الشمالية ، وإن كان يضاف إليها أنه كان يوجد في الجانب الجنوبي منها فتحة باب تؤدي إلى السبيل والمكتـب الذي يعلوه عبر درج صاعد(٣) .

---

(١) عن ذلك انظر ص ٣٨٢ .

(٢) عن طرز الشرفات في العصر الجركسي ، انظر ص ٤٦٢ ـ ٤٦٤ .

(٣) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

يأتي بعد ذلك عشرة حوانيت امتدت بطول الواجهة أشارت إلى وجودها خارطة هيئة المساحة المصرية ، وتبلغ أبعاد كل منها من الشمال إلى الجنوب كالآتي :

[٥ر٣م × ٣م ، ٥ر٢م × ٢م ، ٥ر٢م × ٢م ، ٥ر٢م × ٢م ، ٥ر٢م × ٢م ، ٥ر٢ م × ٥ر٢ م ، ٥ر٢ م × ٥ر١ م ، ٥ر٢ م × ٥ر٢ م ، ٥ر٢ م × ٥ر٢ م ، ٤ م × ٥ر٢ م] .

وهي أبعاد تشير إلى تقاربها في المساحة ، مما يرجح إلى أنها تعود للبناء الأصلي ، علاوة على أنها تطل على شارع تجاري كان يعرف بزقاق الخياطين منذ عصر المماليك[١] ، وظل على ذلك حتى أزيل في العصر الحديث في التوسعة السعودية الأولى للحرم الشريف[٢] .

وكان لكل من هذه الحوانيت ، عقد مستقيم يعلوه نفيس ثم عقدها عاتق كما هو الحال في حوانيت الواجهة الشمالية[٣] . مما يؤكد انتمائها جميعاً لفترة زمنية واحدة وهو تاريخ إنشاء المدرسة .

ولقد استغلت الأجزاء العلوية من الحوانيت لبناء بيوت عليها[٤] . وهي مما استحدث على المبنى ، كما هو حال الربع . والراجح أنها كانت وقت إنشاء المدرسة ، مكونة من طابق واحد يتخلله نوافذ خاصةً ببعض العناصر التي تتبع المنشأة ، والتي من المرجح أن تكون من وحدات الإسكان .

---

(١) السمهودي ، وفاء الوفا جـ ٢ / ص ٧٢٤ .

(٢) مقابلة مع الأستاذ بدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال / ١٤١٣هـ وسجل هذا الزقاق أيضاً على خارطة هيئة المساحة المصرية [شكل ٦] .

(٣) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال / ١٤١٣هـ .

(٤) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

الواجهــة الغربيــة :

ستكون بطول الواجهة السابقة أيضاً بناءًا على أن هناك تساوي في أبعاد المبنى ، وقد سبق الاشارة إلى ذلك أثناء الحديث عن تخطيط المدرسة .

وتشير الأوصاف المتوفرة إلى أن الحوانيت كانت تمتد في هذا الجانب بامتداد الشارع الذي تطل عليه هذه الواجهة . وهي حوانيت في معظمها مستحدثة ، حيث لم توقع على خارطة هيئة المساحة المصرية [شكل ٦] ولا يستثنى من ذلك سوى واجهة غربية للحانوت الذي يقع في النهاية الغربية للواجهة الشمالية . بالإضافة إلى حانوت يليه تبلغ أبعاده ٥ م × ٨ر٤ م . أي أنه يماثل في مساحته حوانيت الواجهة الشمالية ، فهو بذلك ينتمي للفترة التاريخية نفسها ، وهو ما يؤكده وصف واجهته التي تماثل في تكوينها المعماري حوانيت الواجهة الشمالية(١) . يلي ذلك إلى الجنوب من الحانوتين فتحة باب كانت تستخدم للوصول إلى الربع الذي يعلو مبنى الوكالة . وقد يكون هذا هو الباب الجانبي للمدرسة ، كما هو الحال بالنسبة للمدرسة الباسطية بمكة المكرمة ، فقد كان لها باب جانبي(٢) .

ويعلو ذلك الواجهة الغربية للربع الذي سبق ذكره(٣) وبالتالي فإن هذا الجزء يكون مستحدثاً على المبنى الأصلي .

كما أن من المؤكد أن تكون بقية أجزاء الواجهة قد شغلت بنوافذ لعناصر من المبنى ، يغلب عليها أن تتكون من وحدات الإسكان .

---

(١) مقابلة مع الأستاذ عبد الرحمن دفتردار في ٣٠ شوال / ١٤١٣هـ .

(٢) عن ذلك انظر ص ١٨٣ .

(٣) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

المدخــــل [لوحة ٥٤ ، ٥٥] :

للمدرسة مدخل له حجر غائر يصل في عمقه إلى أكثر من المتر الواحد[١] ، كما أن ارتفاعه يتجاوز مستوى الطابق الأول وإن كان لا يصل إلى مستوى الطابق الثاني . أما اتساعه فيصل إلى ٥ر٢ م ، وفق توقيعات خارطة هيئة المساحة المصرية [شكل ٤٦] .

ويكتنف الحجر مصطبتان من الحجر ، كما يتوسطه فتحة باب معقودة ومتسعة تشغل حيزاً كبيراً من سطح الحجر[٢] ، يبدو أنها مستحدثة نتيجة لتحول هذا المدخل إلى وكالــة فجرى توسعتها لتستوعب دخول وخروج البضائع، بينما كانت في الأصل مثل أبواب المدارس السابقة . ويتوج الحجر طاقية معقودة بعقـد مدبب مجردة من الزخارف .

الدهليـــــز [شكل ٤٦] :

يلي فتحة باب المدخل ، دهليز المدرسة ، وتبلغ أبعاده ٥ر٩ م × ٧٥ر٢ م ، وكان مسقفاً بألواح من الخشب ، وأرضيته مفروشة ببلاطات حجرية . ويقع على يسار الداخل إلى الدهليز فتحة باب كانت تفضي إلى درقاعه تتقدم قاعة كما هو مبين أثناء الحديث عنها ، وإلى الخلف منها كان يوجد حانوت صغير يقابله على يمين الداخل آخر أكبر منه استخدمت في عصر الواصف من قبل سقاة للماء [٣] . ولقد كان الحانوت الأيسر مستقطع من الدرقاعه التي تتقدم قاعة الدرس ، كما هو مبين أثناء الحديث عنها . أما الأيمن فيظهر أنه كان

(١) مقابلة مع الأستاذ عبد الرحمن دفتردارفي ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

(٢) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن بفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

(٣) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

وقت انشاء المدرسة خلوة لبوابها ، والتي عادة ماتوضع بالقرب من دهليز المدارس في ذلك العصر[١] .

وينتهي الدهليز بفتحة باب معقودة تفضي إلى صحن المدرسة .

قاعة الدرس [شكل ٤٦] :

لا يمكن من خلال الأوصاف المتوفرة عن المبنى ، تحديد موضع قاعة الدرس .

بيد أنه بالنظر إلى اللوحات المتوفرة [لوحة ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦] ومخطط المبنى الذي في خارطة هيئة المساحة المصرية [شكل ٦] ، فإن من الواضح أن قاعة الدرس كانت تشغل المنطقة الواقعة بين مكتب السبيل ودهليز المدرسة . وذلك لكون واجهة هذا الجزء يشابه واجهات الأواوين والأروقة في المدارس الجركسية في مصر ، كما سبق أن وضحنا أثناء وصف هذا الجانب من الواجهة الشمالية .

وعليه فمن الواضح أنه يوجد في هذا المكان إيوان تتقدمه درقاعه ، نظراً لصغر المساحة والتي لاتتطلب أن يبنى فيها رواق[٢]. إذ من المؤكد أن الحانوتين اللذين أنشئا في هذا الجانب من المبنى اقتطعا الجزء السفلي من مسطح الإيوان[٣] . فتكون مساحة الإيوان هي مجموعة مساحة الحانوتين ، أي أن أبعاده تصل إلى ٦٫٥ م × ٣ م . كذلك يتضح من توقيعات خارطة هيئة

(١) عن ذلك انظر ص ٣٩٢ .

(٢) إن بناء الأروقة في المنشآت التعليمية مرتبط بتلك التي لقاعاتها مساحات كبيرة .

(٣) يتضح من خلال التغيرات الخطية في المدينة الاسلامية ان اقتطاع جزء من المبنى يتم عادة عن طريق اقتطاع وحدة معمارية باكملها كحجرة أو فناء أو ما شابه ذلك . جميل عبدالقادر أكبر ، عمارة الأرض في الإسلام ، ص ٣٢١ – ٣٢٩ .

المساحة المصرية [شكل ٦] أنه كان يتقدم الإيوان درقاعه اقتطع جزء منها كحانوت صغير سبق الإشارة إليه ، حيث يظهر على الخارطة أن حيزه مأخوذ من حيز أكبر منه يحيط به من جميع الجوانب . كما كان يوجد على يسار الداخل من دهليز المدرسة فتحة باب مغلقة[١]، تفضي إلى موقع الدرقاعه، يظهر أنها كانت مدخلاً لها. كذلك يوجد جدار يقتطع جزءًا من المنطقة الواقعة خلف الحانوتين يتوسطه جدار عرضي [شكل ٦] يقسم هذه المنطقة إلى قسمين، من المؤكد أنهما من الإضافات التي أحدثت على المبنى في عصور لاحقة . ويمكن بناءًا على التصور السابق تقدير أبعاد هذه الدرقاعه في حدود ٥ر٦ م × ٥ م .

ونظراً لأن هذا الإيوان هو الوحيد الذي يمكن أن يكون في المبنى ، فمن الراجح أنه كان يستخدم كقاعة للدرس لأن الأواوين كانت تقوم بهذه الوظيفة في مدارس ذلك العصر[٢] .

الصحـــن :

يتوسط مبنى المدرسة صحن كبير تبلغ أبعاده ١٣ م × ٩ م . وقد غطيت أطرافه بسقف خشبي شمل جميع جوانبه باستثناء المنطقة الملاصقة لمدخل دهليز المدرسة[٣] . والسقف يرتكز على أعمدة حجرية مربعة القطاع باستثناء واحد منها فإنه كان مستدير القطاع ، ويقع في الناحية الجنوبية[٤] . وبناءاً على

(١) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار ، في ٣٠ شوال ١٤١٣ هـ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ .

(٣) ويظهر مخطط هذا السقف في خارطة هيئة المساحة المصرية [شكل ٦].

(٤) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار ، في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

توقيعات خارطة هيئة المساحة المصرية ، فإن عرض هذا السقف يصل إلى ٥م. وبذلك تكون أبعاد المساحة المكشوفة من الصحن تصل إلى ١٠ م × ٤ م [شكل٦][1] .

وفرشت أرضية هذا الصحن ببلاطات حجرية سوداء ، كانت تغشي الأرضية بأكملها وهي خالية من العناصر الزخرفية .

واستناداً لتوقيعات خارطة هيئة المساحة المصرية [شكل٦]، وما يذكره الواصف[2]، فلقد كان يطل على الصحن أربعة مواضع في الضلع الشرقي ، وواحد في الجنوبي . وتبلغ أبعاد المواضع الشرقية من الشمال إلى الجنوب ، على النحو التالي [٥م × ٥ر٤م ، ٥ر٤ م × ٤م ، ٥ر٤ م × ٣م ، ٥ر٤م × ٣ م]، أما الجنوبي فتبلغ أبعاده [٥ م × ٥ر٤ م] .

وكما يذكر الواصف فإن هذه المواضع كانت تستخدم كحجرات تتبع المقهى ، في حين أن من المؤكد أنها قبل ذلك كانت تستخدم كحوانيت تتبع الوكالة ، ومن قبل ذلك كانت تستخدم كعناصر تتبع المدرسة .

وكان يوجد في الضلع الغربي فتحة باب [شكل ٦] تربط بين الصحن ، والدرج المؤدي إلى سكنى شيخ المدرسة ، والذي سنشير إليه لاحقاً .

مكتب السبيل [لوحة ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦] [شكل ٤٦] :

كما سبق أن ذكرنا أثناء وصف واجهة المدرسة الرئيسة ، بأنه يوجد في الركن الشرقي منها شباك يشابه شبابيك التسبيل. مما يدل على وجود السبيل

---

(١) كان أسلوب تغطية أطراف الصحن معروفاً في العمائر في المدينة المنورة ، حيث يمكن مشاهدته في رباط المرداني ٧٠٦ هـ / ١٣٠٦م ، وفي مدرسة ورباط مظهر الأحمدي [١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م] وفي المدرسة الرستمية [القرن ١٣ هـ / ١٩ م] . انظر عن ذلك صالح لمعي ، المدينة المنورة ، ص ٢١٥ – ٢١٨ .

(٢) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

ويعلوه كتاب كما هو الحال في المدرسة الباسطية بمكة المكرمة[١] ، ويؤكد ذلك تخطيط المبنى حيث يتكون من حجرتين إحداهما تعلو الأخرى ، ومتساويتين في الأبعاد إذ تبلغ لكل منهما ٥ر٥ م × ٥ م[٢] .

ولا تتوفر معلومات عن مبنى السبيل من الداخل ، وإن كان من المؤكد أنه كان مزوداً بما تحتاجه السبل في ذلك الوقت ، كالصهريج وحوض التسبيل وغير ذلك[٣] .

أما بالنسبة لحجرة الكتاب ، والتي يصعد إليها بدرج يقع جنوبي السبيل، فلقد كانت مسقفة بقبة ذكرنا بأنها من تجديدات العصر العثماني ، وكان بها شباكان متسعان يقعان في واجهتيها . وكلاً منهما يقع ضمن دخلة معقودة ، كما كان يتبع الكتاب خلوة مؤدب ومرحاض[٤] .

وحدات الإسكان :

لقد كان للتغيرات الكبيرة التي حدثت على المدرسة أكبر الأثر في اختفاءمعظم وحدات الإسكان التي كانت فيها .

بيد أنه بالنظر إلى كبرالمساحة التي تشغلها ، فإن ذلك يعطي إنطباعاً بتنوع هذه الوحدات ، بشكل يماثل وحدات الإسكان في باسطية مكة المكرمة ،

---

(١) عن ذلك انظر ص ١٩٢ .

(٢) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٣٦٤، ٣٦٩ ـ ٣٧٠ .

(٤) يشير الواصف إلى وجود مطبخ كان يتبع حجرة الكتاب ، وذلك عندما استخدم كمسكن لأسرة محمد ولي الدين ، وهذا المطبخ من المرجح أنه هو حجرة المؤدب ، بالإضافة إلى المرحاض . مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

حيث كانت تحتوي على سكن لشيخ المدرسة ، وخلاوي لطلبتها ، بالإضافة إلى سكن لنزول الأعيان الواردين للحج(١) .

وبالنظر إلى مخطط المبنى ، كما هو موقع من قبل خارطة هيئة المساحة المصرية [شكل ٦] ، يلاحظ أنه يوجد في الواجهة الغربية فتحة باب تؤدي إلى الربع الذي يعلو المدرسة ، من الراجح أنها كانت تستخدم كباب جانبي ينفذ منه إلى سكن شيخ المدرسة ، كما هو موجود في باسطية مكة المكرمة حيث استخدم بابها الجانبي ليتوصل منه إلى سكن شيخها . وبالتالي فإن سكن شيخ المدرسة يقع في ضلعها الغربي .

كذلك فإن وجود سكن للأعيان الواردين للحج ، أمر وارد لأن زيارة مسجد الرسول عليه السلام تعد جزءاً من رحلة الحج بالنسبة لكثير من المسلمين .

ويظهر أن هذا السكن كان يقع في الواجهة الشرقية ، لأن الواجهة الشمالية ، مشغولة بقاعة الدرس ، والمدخل بالإضافة إلى مكتب السبيل الذي يحتل جانباً منها ، وسكن مثل هؤلاء يحتاج إلى مساحة كبيرة ، يمكن أن تتحقق في الضلع الشرقي من المبنى .

أما بالنسبة لخلاوي الطلبة ، فلقد تناثرت في بقية جوانب المبنى ، وبالأخص على جانبي الصحن ، فقد تكون حوانيت الوكالة المطلة عليه ليست سوى امتداد لخلاوي الطلبة ، عندما كان المبنى يستخدم كمدرسة .

---

(١) عن ذلك انظر ص ١٩٣ ـ ١٩٧ .



الفصل الثالث

مدرسة السلطان قايتباي بمكة المكرمة

« ٨٨٤ هـ ـ ١٤٧٩ م »

منشيء المدرسة :

أنشأ هذه المدرسة السلطان الأشرف قايتباي ، وهو من أكثر سلاطين الجراكسة إهتماماً ورعاية لبلاد الحجاز[١] ، إذ بني فيه العديد من المنشآت ، بالإضافة إلى أعمال خيرية أخرى ، فمن ذلك ما قام به في الحرمين الشريفين ، حيث أمر ببعض الاصلاحات في الحرم المكي ، تتضمن إصلاح سقف رواقه الشرقي وبعض مبانيه الأخرى[٢]. وأعاد عمارة المسجد النبوي الشريف عمارة جديدة متكاملة[٣] . كذلك أولى مشاعر الحج الكثير من العناية ، فأعاد بناء بعض مساجدها وجدد الآخر[٤] ، ووفر ماء الشرب فيها ، وفي طريق الحج المصري[٥]، بعدما كان الحجاج ، وبخاصة فقرائهم ، يعانون كثيراً من جراء نقصها الشديد في بعض المواسم[٦]. ويضاف إلى ما سبق رعاية السلطان للمدينتين المقدستين ، فأنشأ فيهما المدارس والأسبلة والرباع ، وغير ذلك من منشآت الخدمات والمرافق[٧] . علاوة على بذل الأموال والصدقات لفقرائهما[٨] .

(١) ريتشارد مورتيل ، الأحوال الاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م . الرياض ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(٢) فوزية حسين مطر ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، من العصر العباسي الثاني حتى العصر العثماني ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ١٥١ - ١٥٤ .

(٣) السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج٢ / ص ٦٤١ - ٦٤٤ ، محمد الوكيل ، المسجد النبوي عبر التاريخ ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، جدة ، ص ١٤٣ - ١٤٧ ، محمد هزاع الشهري ، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي ص ٣٠٥ - ٣٨٢ .

(٤) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ / ص ٥١٣ - ٥١٥ ، السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٦ / ص ٢٠٦ .

(٥) السخاوي ، الضوء اللامع ج٦ / ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ، سعد الدين أونال ، سليمان مالكي ، دراسة لتوفير المياه في المشاعر المقدسة من وجهة نظر الحجاج لحج عام ١٤٠٨هـ « بحث ميداني تاريخي » ، ١٤١٣هـ / مكة المكرمة ص ٢١ - ٢٣ .

(٦) السمهودي ، وفاء الوفاء ج٢ / ص ٧١٧ .

(٧) العيدروسي ، تاريخ النور السافر ، ص ١٤٠ ، العصامي ، عبدالملك بن حسين ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، القاهرة ج٤ / ص٤٣ ـ ٤٤ .

(٨) الجزيري ، عبدالقادر بن محمد ، درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، القاهرة ، ص ٣٤٠ .

إنشاء المدرسة :

كان البدء في الإعداد لإنشاء هذه المدرسة مع مطلع عام ٨٨٢ هـ / ١٤٧٧م ، حيث جرى تحديد الموقع الذي ستبني عليه[١] ، وتم فيها شراء ما هو مملوك من المباني التي تقع فيه[٢] ، واستبدال ما هو موقوف منها[٣] .

وما أن أقبلت تلك السنة على نهايتها حتى بدء في تنفيذ المشروع[٤]، بحيث لم يمض معظم التي تليها ٨٨٣ هـ/ ١٤٧٨م إلا وكان البناء قد قارب على الانتهاء ، ولم يبق منه سوى أجزاء يسيرة[٥] ، أكملت في سنة ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م[٦] .

ويتضح مما سبق ، أن هناك سرعة في الانجاز ، مدفوعة على ما يظهر برغبة الأشرف قايتباي أداء فريضة الحج ، والاستفادة من ذلك بافتتاح المدرسة، إذ جاء حاجاً في سنة ٨٨٣ هـ / ١٤٧٨ م ، ونزل بالمدرسة طيلة أيام مكوثه بمكة المكرمة[٧] .

---

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ / ص ٦١٢ ، الجزيري ، درر الفوائد ، ص ٣٤٠ ، العصامي ، سمط النجوم العوالي ، ج ٤ / ص ٤٤ .

(٢) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ / ٦١٩ – ٦٢٠ .

(٣) المصدر السابق نفسه ، ج ٤ / ص ٦٢٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٤ / ص ٦٢٤ .

(٥) نفسه ، ج ٤ / ص ٦٣٤ .

(٦) السنجاري ، علي بن تاج الدين الحنفي المكي ، منائح الكرم في أخبار البيت وولاة الحرم ، مخطوط ، نسخة مصورة بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم ٥٢٠ ، لوحة ٢٠٦ .

(٧) النهروالي ، الأعلام ، ص ١٠٩ ، مؤلف مجهول ، الجامع الظريف في حجة المقام الشريف ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٨٤٥ – جغرافية ، ورقة ٦٧ .

ولقد أشرف على تنفيذ هذا المشـروع شمس الدين ابن الزمن[1] ، تاجر السلطان[2] ، ووكيله بمعاونة شاد العمائر[3] ، سنقر الجمالي[4] .

أما افتتاح المدرسة وتقرير وظائفها، فقد تم بعد فراغ السلطان من حجته، فأقيم حفل لذلك في يوم الجمعة الثالث عشر من ذي الحجة ، بالمدرسة نفسها .

فجلس السلطان بالطرف الشمالي لإيوانها ، بينما تصدر شيخها الإيوان وأمامه المصحف على الكرسي . وبحضور الباقين من أرباب وظائفها وبعض أعيان مكة ، فوزعت الربعة الشريفة عليهم ، وقرأوا حتى ختم شيخ المدرسة ، ثم مدت الأسمطة فأكلوا وشربوا[5] ، وبعد ذلك أنعم السلطان عليهم بالعطاء وانصرفوا[6] .

---

(١) هو محمد بن عمر بن محمد بن الزمن القرشي ، الخواجا ، ولد ونشأ بدمشق ، ثم رحل في طلب العلم حتى دخل القاهرة ، وجاور بمكة ، جعله السلطان قايتباي ناظراً على عمائره بالحجاز ، فعلى شأنه ، كان كثير الإحسان للفقراء . توفي سنة ٨٩٧ هـ / ١٤٩١ م . السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٨ / ص ٢٦٠ – ٢٦٢ .

(٢) تاجر السلطان هو الذي يجلب المماليك للسلطان . وقد يكلف في بعض الأحيان بمهام أخرى ، كالسفارات ، أو الإشراف على بعض أمور الدولة أو السلطان . حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، ج١ / ص ٣٢٦ – ٣٢٧ ، ٣٣٠ .

(٣) وشاد العمائر من الوظائف الجليلة . وكان يشغلها في عصر المماليك الأمراء ، ومهامها الأساسية لاشراف على العمائر السلطانية ، وكان لبعض الأمراء والأوقاف شادين للعمائر ، المرجع السابق نفسه ، ج٢ / ص ٦١٦ – ٦١٨ .

(٤) عبدالله غازي ، إفادة الأنام ، ورقة ٤٥٧ ، وسنقر الجمالي هو يوسف بن كاتب جكم الزيني أبو السعادات ، ترقى في الخدمة حتى ولي شادية العمائر بمكة والمدينة ، يعاونه في ذلك أخاه الأمير شجاع ، ولي حسبة مكة عدة سنين ، كان ممدوح الأخلاق ، محمود الأعمال . السخاوي ، الضوء اللامع ج٣ / ص ٢٧٣ ، التحفة اللطيفة ، ج٢ / ص ١٩٧ – ١٩٨ ، ٢١٢.

(٥) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ / ص ٦٤٨ .

(٦) النهروالي ، الأعلام ، ص ١٠٩ .

واشترط أن تكون هذه المدرسة مخصصة لتدريس المذاهب الأربعة[1]، وقرر لذلك قضاة مكة الأربعة[2] . فكان قاضي الشافعية البرهان بن ظهيرة[3] شيخاً لها، [4]ومدرساً لمذهبه ، وولي القاضي الحنفي شرف الدين ابن أبي البقاء[5] تدريس مذهبه . وكذلك كان الأمر بالنسبة للقاضيين المالكي نجم الدين بن يعقوب[6] ، والحنبلي محي الدين عبدالقادر[7] فكلاً منهما يتولى تدريس مذهبه .

---

(١) العصامي ، سمط النجوم العوالي ، ج٤ / ص ٤٤ ، علي بن حسين السليمان ، العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ، القاهرة ، ص ١٣٣ ، ٢٢٧.

(٢) عبدالله غازي ، إفادة الأنام ، ج٢ ، ورقة ٤٥٧ ـ ٤٥٨ .

(٣) هو برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن ظهيرة القرشي ، عالم الحجاز وقاضيها ، من بيت علم ورياسة ، أخذ من الكثير من علماء عصره ، ثم تصدر للتدريس والافتاء ، وولي وظائف عدة ، وله مصنفات كثيرة ، توفي سنة ٩٠١ هـ / ١٤٩٥م ، السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٢ / ص ٨٨ ـ ٩٩. عبدالعزيز بن فهد ، بلوغ القرى في الذيل على إتحاف الورى ، لوحة ٣٣ .

(٤) ابن فهد ، إتحاف الورى ج ٤ / ص ٦٤٨ .

(٥) هو شرف الدين محمد بن أحمد ، من بيت علم ورياسة ، ولد بمكة وبها تعلم ، ورحل في طلب العلم ، توفي سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م ، المصدرالسابق نفسه ، ج ٤ / ص ٦٥٦ ، السخاوي ، الضوء اللامع ج١١ / ص ١٣٨٥ .

(٦) وهو نجم الدين محمد بن يعقوب ، قاضي مكة المالكي ، لا تقدم المصادر معلومات وافية عنه ، كان حياً سنة ٩١٩ هـ/ ١٥١٣م ، عبدالعزيز بن فهد ، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، ج ٣ / ص ٢٣٥ .

(٧) هو محي الدين عبدالقادر بن عبداللطيف محمد بن أحمد الفاسي ، من بيت علم ورياسة ولد ونشأ بمكة ، وبها تعلم من علمائها ، ورحل في طلب العلم ، كان كثير الاطلاع ، توفي سنة ٨٩٨ هـ/ ١٤٩٢م . السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٤ / ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ .

وقرر الأشرف قايتباي شيخاً لرباط المدرسة. وهو شمس الدين المسيري[1]، ليتولى الاشراف على وظيفة التصوف التي كانت تقوم بها المدرسة أيضاً[2] .

كما قُرر للمدرسة مؤدباً للأيتام ، ومسبلاً للسبيل بها ، علاوة على ستة قراء للقرآن الكريم ، وقاريء للحديث النبوي الشريف ، وخدم وقومه وغير ذلك مما تحتاجه المدرسة من وظائف[3] .

أما بالنسبة للطلبة ، فكانوا أربعين طالباً ، لم تحدد المصادر كيفية توزيعهم على المذاهب الأربعة[4] ، وقد تكون بالتساوي فيخصص لكل مذهب عشرة طلاب .

أما عن الأطفال المخصصين للكتاب ، فلقد اختلفت المصادر في تحديد عددهم ، إذ يذكر ابن فهد[5] بأن عددهم عشرة أيتام ، بينما تكاد تجمع المصادر الأخرى على أن عددهم أربعون يتيماً[6] . وقد يكون في الأمر وهماً من ابن فهد أو خطأ نسخياً، أو أنهم كانوا عشرة ثم زيد عددهم بعد ذلك ليصبحوا أربعين طالباً ، خاصة وأن السلطان قايتباي قد امتد به العمر بعد إنشاء المدرسة

(١) هو شمس الدين محمد بن أحمد بن حسن المسيري القاهري ، ولد بمصر وبها نشأ وتعلم ثم ارتحل طالباً للعلم ، واستقر به المقام بالقاهرة ، وجاور بمكة بعد ذلك . توفي سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م ، المصدر السابق نفسه ، ج٦ / ص ٢٨٩.

(٢) عبدالله غازي ، إفادة الأنام ، ج٢ ورقة ٤٥٧ ، علي السليمان ، العلاقات الحجازية المصرية ص ٢٢٧ .

(٣) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ / ص ٦٤٨ ، السنجاري ، منائح الكرم ، لوحة ٢٠٧ .

(٤) ابن فهد ، اتحاف الورى ، ج٤ / ص ٦٤٨ ، العصامي ، سمط النجوم العوالي ج٤ / ص ٤٤ ، مؤلف مجهول ، الجامع الظريف ، ورقة ٦٨ ، عبدالله غازي ، إفادة الأنام ، ج٢ ورقة ٤٥٨ ، علي السليمان ، العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٣٣ .

(٥) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ / ص ٦٤٨ .

(٦) النهروالي ، الأعلام ، ص ١٠٤ ، العصامي ، سمط النجوم العوالي ، ج٤ / ص ٤٤ ، عبدالله غازي ، إفادة الأنام ، ج٢ ، ورقة ٤٥٩ ، علي السليمان ، العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٢٧ .

لمدة ستة عشر عاماً ، إذ توفي سنة ٩٠١ هـ /١٤٩٥ م ، بينما كان الفراغ من إنشاء المدرسة سنة ٨٨٤هـ / ١٤٧٩م ، كما سبق أن ذكرنا .

كذلك اشترط السلطان قايتباي أن لا يسكن في المدرسة ورباطها أحد من فقراء العجم ، وأن تكون مقصورة على الفقراء من العرب[١] ، وممن يقطنون مكة المكرمة[٢] ، ولم تحدد المصادر عددهم ، كما هو الحال بالنسبة للطلبة والأيتام .

ولكي يتسنى للمدرسة أن تقوم بوظائفها على أكمل وجه . فلقد أوقف عليها السلطان قايتباي عدة مستغلات تدر عليها ما يكفيها من نفقات[٣] .

وتتضمن هذه الأوقاف رباعاً ودوراً بمكة المكرمة[٤] . تدر في العام الواحد ألفي دينار ، تصرف كرواتب لأرباب الوظائف بالمدرسة ، وتشمل هذه الأوقاف

---

(١) العصامي ، سمط النجوم العوالي ، ج٤ / ص ٥٣ .

(٢) مؤلف مجهول ، الجامع الظريف ، ورقة ٦٩ .

(٣) الطبري ، محي الدين علي بن عبدالقادر، الأرج المسكي في التاريخ المكي، تحقيق ودراسة محمد بن صالح بن عبدالله الطاسان ، جزء من رسالة دكتوراه ، جامعة أدنبرة ، بريطانيا، ١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩م، ص ٧٠ .

(٤) ورد في فتوى إزالة مباني الأوقاف المحيط بالحرم الشريف ، في التوسعة السعودية الأولى . أن للسلطان قايتباي مائتين وأربعة وأربعين عقاراً ، تشمل بيوتاً وخلاوي وحوانيت . يتضح من خلال متابعة مواقعها أنها تشمل عمائر لم تكن من أعمال هذا السلطان ، مثل المدرسة الباسطية والزمامية، وغير ذلك ، مما يعطي انطباعاً بأن جميع الأوقاف السلطانية بمكة المكرمة نسبت لهذا السلطان . انظر حكم رقم ١١٤ بتاريخ ١٣٧٧/٦/١٤هـ ، والمسجل في محكمة مكة المكرمة برقم ١٣١٠٥ ، وتاريخ ١٣٧٧/١٢/٢٢ . ولعل سبب هذه النسبة لهذا السلطان، مرده فقد كافة الوثائق الخاصة بهذه المدارس ، منذ مدد طويلة قد تعود للعصر العثماني ، محمد عمر رفيع ، مكة في القرن الرابع عشر الهجري ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، مكة المكرمة ص ١٩٥ – ١٩٦ .

أيضاً عدة قرى وضياع بمصر ، تدر قمحاً ، يدفع منه مخصصات الطلاب والمتصوفة والأيتام الذين يدرسون في كتاب المدرسة[1] .

ولقد ظلت المدرسة تقوم بدورها التعليمي ، إلى أن توفي السلطان قايتباي سنة ٩٠١ هـ ، وعندها إمتدت أيدي النظار إلى أموالها ، وأهمل مدرسوها وطلبتها[2] . وقل متحصل الأوقاف حتى أضحت شبه معدومة في أوائل العصر العثماني[3] ، مما ترتب عنه أن اختفت وظيفة التعليم منها[4] ، وأصبح دورها قاصراً على سكنى بعض من أجزائها من قبل أمراء الحج وغيرهم من الأمراء الذين يأتون في أثناء السنة[5] . وسكنت أجزاء أخرى من قبل بعض فقراء مكة المكرمة[6] ، ثم آلت في أواخر العصر العثماني إلى إحدى أسر مكة المكرمة[7] .

---

(١) النهروالي ، الأعلام ص ١٠٤ ، عبدالله غازي ، إفادة الأنام ج٢ ، ورقة ٤٦٠ ، ويذكر علي السليمان أن من ضمن هذه الأوقاف حدائق في الحجاز وهو ما لم يرد ذكره في المصادر التي تحدثت عن أوقاف هذه المدرسة . انظر علي السليمان ، العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٢٧ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٣) النهروالي ، الأعلام ، ص ١٠٤ ، السنجاري ، منائح الكرم ، لوحة ٢٠٦ ، محمد لبيب البتنوني ، الرحلة الحجازية ، لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر ، القاهرة ، ص ١٥٦ .

(٤) علي السليمان ، العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٢٨ ، ويوجد ضمن سجلات دائرة الأوقاف بمكة المكرمة سجل قديم بدون رقم ، وقد إهترى غلافه تماماً . وبه أوراق مدونة يعود تاريخها إلى القرن الثالث عشر ١٣هـ / ١٩ م . من ضمنها ورقة مدون عليها أسماء بعض ورثة أرباب الوظائف في المدرسة . وكانت تصرف لهم استحقاقات قليلة ، ومن الواضح أن هذه الاستحقاقات تصرف لهم ، بحكم أنهم أنابوا رجلاً يجلس بمقر المدرسة ويقرأ القرآن نيابة عنهم ، وقد أشار إلى ذلك عبدالله غازي . انظر : عبدالله غازي ، إفادة الأنام ج٢ ورقة ٤٥٩ .

(٥) عبدالعزيز بن فهد ، غاية المرام ، ج٢ / ص ٣٣٣ - ٣٣٤ ، النهروالي ، الأعلام ص ١٠٤ ، البرق اليماني في الفتح العثماني ، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ، الرياض ، ص ٤٤٨ ، ٤٤٩ .

(٦) ابن الصباغ ، تحصيل المرام ، لوحة ١٠٩ .

(٧) إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ج١ / ص ٢٤٢ ، محمد عمر رفيع ، مكة في القرن الرابع عشر الهجري ، ص ١٩٦ - ١٩٧ . وتذكر فوزية مطر أنه جددت عمارة المدرسة سنة ١٢٣٤ هـ إستناداً لاحدى الوثائق التي تعود لتلك الفترة بيد أن قراءة هذه الوثيقة تدل على أن المقصود بذلك هو مدرسة قايتباي بالمدينة المنورة . انظر فوزية مطر ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٣٦٩ ، ٤٤٢ ، ويذكر عبدالرحمن الصالح أنه جرى في العصر العثماني إعادة التعليم في المدرسة ، عبدالرحمن صالح ، تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م . ص ٧٦ - ٧٧ ، وهو ما يتناقض مع ما ورد في المصادر المعتمدة ، والتي تشير إلى إختفاء وظيفة التعليم من المدرسة في تلك الفترة .

فحولت إلى مساكن بالأجرة ، واستمرت على ذلك حتى أزيلت في التوسعة السعودية الأولى سنة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م[١] .

موقــع المدرســة :

تذكر المصادر التاريخية أن السلطان قايتباي ، أمر أن يكون الموقع الذي تبنى عليه المدرسة مشرفاً على المسجد الحرام[٢] . فاختيرت منطقة تقع فيما بين باب السلام وباب النبي ـ ﷺ ـ . ويحدها من الناحية الشرقية المسعى[٣] . [شكل ٢][٤] .

وكان يشغل هذا الموقع قبيل إنشاء المدرسة ثلاثة مباني ، أحدها : بيت لإحدى جهات الأشراف من بني حسن تعرف بالشريفة شمسية[٥] ، والباقيان

---

(١) مقابلة مع الأستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ . وهو من الأسر المكية المعروفة والتي كانت تتعاطى الطوافة والتجارة ، ويقطن بعض أفرادها في مدرسة قايتباي ، حيث ولد محمد نور عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٥م . وظل بها حتى تاريخ هدمها ، ولذلك يعد مرجعاً أساسياً في وصف المبنى وبخاصة الأجزاء التي كان يقطن بها هو وأفراد أسرته ، وهو من حفظة القرآن الكريم .

(٢) عبدالله غازي ، افادة الأنام ، ج٢ ، ورقة ٤٥٧ .

(٣) العصامي ، سمط النجوم العوالي ، ج٤ / ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٤) هذا الشكل مستخرج من خارطة هيئة المساحة المصرية ، والمنشورة سنة ١٣٧١هـ / ١٩٥٢ م برقم ٥٢/٢٤٧ وموضوعها المسجد الحرام والمناطق المحيطة به . ويلاحظ أن هذه الخارطة قد احتوت على مخطط يوضح الشكل العام للمدرسة ، وبعض تفاصيلها . وهناك خرائط أخرى أشارت إلى وجود المبنى بشكل عام ، مثل الخارطة التي قام بعملها محمد صادق باشا [شكل ٤] نقلاً عن ك . سنوك هور خورنيه ، صفحات من تاريخ مكة في نهاية القرن الثالث عشر . ترجمة محمد السرياني ، ومعراج مرزا ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م ، مكة المكرمة ج٢ / ص ٤٥٠ . وهناك الخارطة التي قام بعملها سنوك [شكل ٥] والمنشورة في :

C.Snouck Hurgron, ie. Mekka in Latter Part of the 19th Century. Leiden, 1970.

(٥) هي الشريفة شمسية ابنة حسن بن عجلان توفيت عام ٨٨٢هـ/١٤٧٧ م ، السخاوي ، الضوء اللامع ج ١٢ / ص ٦٩ .

عبارة عن رباطين هما : رباط السدرة[١] ، ويقع ناحية باب السلام ، ورباط المراغي[٢] ، ويقع ناحية باب النبي[٣] ـ ﷺ ـ .

وتذكر آمنة جلال[٤] ، أنه أضيف للمباني السابقة ميضأة الأشرف شعبان بالمسعى وأربعة حوانيت بجانبها ، في حين أن هذه الميضأة تقع عند أميال الهرولة بالمسعى بالقرب من باب العباس[٥] ، جنوبي باب النبي ـ ﷺ ـ الذي يمثل الحد الجنوبي للمدرسة ، [شكل ٢] . علاوة على وقوعها شرقي المسعى كما تذكر الكاتبة نفسها[٦] ، بينما تقع المدرسة غربي المسعى كما سبق أن ذكرنا ، مما يؤكد تباعد الموقعين ، وأن الميضأة المذكورة وما جاورها لا تقع في المنطقة التي أنشئت عليها المدرسة ورباطها .

---

(١) يقع هذا الرباط على يسار الداخل إلى باب الحرم المعروف بباب بني شيبة [باب السلام] ولا يعرف واقفه ومتى أوقف ، بيد أنه كان موجوداً منذ سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م . الفاسي ، العقد الثمين ، ج ١ / ص ١١٨ ، شفاء الغرام ج١ / ص ٥٢٧ .

(٢) ويطلق عليه ابن فهد إسم رباط القيلاني ، ابن فهد ، إتحاف الورى ج ٤ / ص ٦١٢ ، وأطلق عليه اسم رباط المراغي في مصادر أخرى . انظر الجزيري ، درر الفوائد المنظمة ، ص ٣٣٨ ، القطبي ، عبدالكريم ، إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام ، علق عليه أحمد محمد جمال وآخرون ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، الرياض ص ٩٩ . وكلاهما علم على مكان واحد . وعرف بالقيلاني نسبة لأحد ساكنيه . أما المراغي فنسبه للشيخ محمد بن عبدالله المراغي ، وكان من الأعيان . توفي سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٣م . ويعود تاريخ وقف هذا الرباط إلى سنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩م . الفاسي ، العقد الثمين ، ج ١ / ص ٦٦ – ٦٧ ، ١١٨ . شفاء الغرام ج ١ / ص ٥٢٧ – ٥٢٨ .

(٣) باسلامه ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٢٦٢ .

(٤) آمنة حسن جلال ، طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي ٦٤٨ – ٩٢٣ هـ ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ٣٩١ .

(٥) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ / ص ٥٢٧ – ٥٢٨ .

(٦) آمنة جلال ، طرق الحج ومرافقه ، ص ٤١٥ .

ومن الواضح أن آمنة جلال[1] لم تفرق بين رباط المدرسة ، ورباط آخر أنشأه السلطان قايتباي فوق ميضأة الأشرف شعبان[2] ، فتحدثت عنهما كرباط واحد فقط ، وذلك أثناء حديثها عن الأربطة التي أنشأها هذا السلطان في مكة المكرمة .

وعلى أية حال ، فإن بعض المصادر التاريخية اعتبرت منشأة السلطان هذه مجمعاً معمارياً[3] ، تعبيراً عن ضخامة هذه المدرسة قياساً بغيرها من المدارس التي كانت موجودة بمكة المكرمة في ذلك العصر .

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ٤١٣ - ٤١٥ .

(٢) اختلفت المصادر في نسبة هذا الرباط للسلطان قايتباي ، أو لوكيله ابن الزمن . والراجح أنه لقايتباي ، ونسبته لابن الزمن إنما لكونه أشرف على بنائه كما فعل بالمدرسة . انظر ابن فهد ، إتحاف الورى ج ٤ / ص ٥٢٧-٥٣٠ ، السخاوي ، الضوء اللامع ج١ / ص ٩٤ .

(٣) النهروالي ، الأعلام ١٠٤ ، العصامي ، سمط النجوم العوالي ج ٤ / ص ٤٤ ، عبدالله غازي ، إفادة الأنام ، ج ٢ / ورقة ٤٥٨ .

الوصف المعماري للمدرسة

تشير المعطيات المتوفرة عن هذا المبنى إلى العناية الفائقة التي أولاها إياها المعمار ، إذ تذكر المصادر إلى أنه قد استخدم في عمارتها الرخام الملون ، وزينت سقوفها بالتذهيب(١) . مما يشير إلى تأثر المبنى بالعمارة المملوكية ، والتي استخدم فيها بكثرة التكسيات الرخامية ، وتذهيب السقوف(٢) . ويؤكد هذا التأثير أسلوب بناء مدخل هذه المدرسة ، والذي ظل باقياً إلى العصر الحديث(٣). حيث احتوى على عناصر المداخل المملوكية(٤) .

بيد أنه بالنظر إلى أوصاف المبنى في مراحله الأخيرة ، يلاحظ بأنه تعرض لتغيرات كبيرة أثرت على تخطيطه ، وأدت إلى اختفاء معظم وحداته المعمارية الأصلية .

فحسبما يذكر أبرز من وصفوا هذا المبنى(٥)، فإنه يتكون من إحدى عشر بيتاً ، ستة منها تقع بجانبه الغربي المطل على الحرم ، كل منها يتكون من حجرة سفلية تبلغ أبعادها في حدود ٦ م × ٤ م . يعلوها حجرتا جلوس في طابقين ، يتقدم كل منها صفة . وتبلغ أبعاد كل منها ٥ر٤ م × ٤ م . باستثناء حجرات البيتين الواقعين في طرفي المبنى الشمالي والجنوبي ، حيث تبلغ أبعاد كل منها ٤ م × ٣ م تقريباً . ولكل من هذه البيوت مبيتات وخارجه ، وكانت

---

(١) النهروالي ، الأعلام ص ١٠٤ ، العصامي ، سمط النجوم العوالي ، ج ٤ / ص ٤٤ ، عبدالله غازي ، إفادة الأنام ، ج ٢ ، ورقة ٤٥٨ ، محمد طاهر كردي ، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ، مكة المكرمة ، ج ٥ / ص ٢٥٩ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ، ص ٢٩٠ – ٢٩٢ .

(٣) انظر [لوحة ٨٢] .

(٤) عن ذلك انظر ما يلي .

(٥) مقابلة مع الأستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ .

الحجرات السفلية في هذا الجانب تُسمى « مدارس » ، ولقد أشار محمد عمر رفيع[١] إلى هذا التخطيط ، فذكر بأن هذه المدرسة كانت تتكون من ستة مدارس ، تشغل الجانب الغربي من المبنى ، في حين أن مساكن الطلبة كانت تتكون من ستة دور ، وكانت تقع في الضلع الشرقي من المبنى . وهو بذلك زاد في هذا الضلع بيتاً واحداً عما ذكره الواصف[٢] ، والذي ذكر بأن عددها في الضلع الشرقي خمسة بيوت فقط[٣] .

التخطيط [شكل ٥٩][٤] :

يتخذ المبنى شكلاً مضلعاً غير متساوي الأبعاد ، وينقسم إلى قسمين رئيسيين أولهما المدرسة ، وثانيهما الرباط التابع لها[٥] .

ويذكر ابن فهد[٦] أن المدرسة والسبيل شغلت موضع رباط القيلاني [المراغي] ، وأجزاء من موقع رباط السدرة ، بينما أنشيء الرباط في موضع رباط السدرة ، وهو بذلك يخالف ما ورد عند غيره من المؤرخين ، الذين تناولوا تقسيم المجمع ، حيث ذكروا بأن رباط المدرسة أنشيء في موضع رباط المراغي

(١) محمد عمر رفيع ، مكة في القرن الرابع عشر الهجري ، ص ١٩٦ .

(٢) مقابلة مع محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ .

(٣) وما ذكره الواصف هو الأصح ، لأن المبنى في هذه الناحية يقل طول ضلعه عن طول ضلعه الغربي . وهذا يدل على أن إمكانية استيعابه أقل من الضلع الآخر .

(٤) هذا الشكل يوضح تخطيط المبنى استناداً لما توفر عنه من أوصاف ومعلومات موقعة على خارطة هيئة المساحة المصرية .

(٥) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ / ص ٦٣٩ .

(٦) المصدر السابق نفسه ، ج٤ / ص ٦٣٩ .

[القيلاني][1] ، وبالتالي فإن المدرسة أنشئت في موضع رباط السدرة ، وربما بيت الشريفة شمسية أيضاً .

وهذا هو التقسيم الصحيح ، إذ تشير التوقيعات على الخرائط إلى أن إيوان المدرسة يقع في كتلة المبنى الذي بناحية باب السلام ، وهو موضع رباط السدرة كما مر معنا ، مما يدل على أنها أنشئت في موضع هذا الرباط .

الواجهـــات :

للمدرسة أربعة واجهات ، أبرزها الواجهة الشرقية المطلة على المسعى .

الواجهة الشرقية [الرئيسة] : [لوحة ٨٠][2] :

يمكن رؤية هذه الواجهة كاملة من خلال بعض الرسوم والمجسمات التي عملت في فترات مختلفة للحرم المكي الشريف ، وتضمنت ما يحيط به من منشآت ، ومن ذلك هذه المدرسة . ومن أبرز هذه الأعمال لوحة يعود تاريخها إلى سنة ١٢٠٢هـ / ١٧٨٧م[3] [لوحة ٨٥][4] وتمثل نسك الحج بدأ من عرفات

---

(١) النهروالي ، الأعلام ص ٩٧ ، باسلامة ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٢٩٢ . وورد عند القليوبي ما يتضمن هذا المعنى ، حيث ذكر أن رباط قايتباي يقع عند باب الحريريين والذي يعرف بباب النبي . القليوبي ، شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامه . فضائل مكة والمدينة وبيت المقدس وشيء من تاريخها، المعروف بكتاب النبذة اللطيفة في بيان مقاصد الحجاز ومعالمه الشريفة ، مخطوط بمكتبة مكة المكرمة برقم ٢٨ . ورقة ١٤ . وسبق أن ذكرنا بأن رباط المراغي يقع بجوار باب النبي . فهذا يدل على أن رباط قايتباي بني في موقعه .

(٢) تمثل هذه الواجهة رسماً تخيلياً لما كانت عليه المدرسة وقت إنشائها .

(٣) Sami M. Ancawi, Makkah, Architecture, Submitted, gor the degree of ph. O. University of London, 1988, p. 105.

(٤) أول من وجدت عنده هذه اللوحة هو الأستاذ الشريف مساعد بن منصور آل زيد، وقد تكرم مشكوراً بالسماح لي بتصوير نسخة منها، كما عثرت على نفس اللوحة متوجة بكتابة بالخط العثماني في أعلاها، في كتاب Emel Ezin, Mecca The Flessed, Madina the Rudiant, p. 65.

وصولاً إلى الحرم المكي الشريف ، وهي مزودة بفهرس مرقم يبرز أهم المواضع في المشاعر ومكة المكرمة ، وقد ورد فيه ذكر مدرسة قايتباي ، بأنها المبنى الحامل للرقم ٥٩ .

ولكن ينقص هذه اللوحة الكثير من التفاصيل المتعلقة بالمبنى ، وبها بعض الأخطاء ، مثل وضع المئذنة فوق مدخل الحرم المجاور للمدرسة ، وليس فوق المدرسة . كما هي عليه في الأصل(١) .

ويوجد هناك لوحات أخرى يقل مستواها عن السابقة ، ولا يمكن الاستفادة منها كثيراً في وصف المدرسة وواجتها(٢) .

أما بالنسبة للأعمال المجسمة ، فإن أبرزها عمل موجود في أحد مساجد استانبول [لوحة ٨٦](٣) ويتضمن المجسم الحرم المكي الشريف وما يحيط به من مباني وبخاصه ناحية المسعى . ويظهر فيه بوضوح مبنى المدرسة ويجاورها الربع ، موضوعين متباعدين بعض الشيء ، ووضعت المئذنة خلف المبنى ، وليس فوقه كما هو في الواقع . ويفتقر هذا المجسم للتفاصيل المعمارية والزخرفية ، باستثناء الاشارة إلى وجود النوافذ في واجهة المدرسة .

ويضاف إلى ذلك أن هناك لوحات شمسية يمكن من خلالها رؤية أجزاء من هذه الواجهة ، ومن أبرز هذه اللوحات ، لوحة موجودة في أرشيف مكتبة

---

(١) عن ذلك انظر ما يلي .

(٢) انظر على سبيل المثال [لوحة ٨٧ ، ٨٨] . والأولى مأخوذة من مخطوط دلائل الخيرات المحفوظة بمتحف قصر المنيل بالقاهرة ، برقم ٢٣٩ . ويعود تاريخها إلى سنة ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م . والثانية عبارة عن لوحة على بلاطة خزفية ، وعليها توقيع الصانع محمد الشامي الدمشقي ، ومؤرخة بسنة ١١٣٩هـ / ١٧٢٧م ومحفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة برقم ٨٦٠ .

(٣) يوجد هذا المجسم في مسجد ياركتا باستانبول ، ولا تتوفر عنه معلومات توضح صانعه أو تاريخ الصنع .

السلطان عبدالحميد ، ويعود تاريخها إلى سنة ١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م [لوحة ٨١] ، ويضاف إليها لوحة أخرى من مصورات إبراهيم رفعت ، ومنشورة في كتابه مرآة الحرمين(١) .

كما يوجد لوحة أخرى نادرة يظهر فيها الجزء العلوي لمدخل المدرسة الرئيسي [لوحة ٨٢](٢) .

ويتضح من التوقيعات على خارطة هيئة المساحة المصرية [شكل ٢ ، ٥٩] أن طول هذه الواجهة يبلغ ٣٣ م . وتنقسم إلى قسمين رئيسين : أولهما يمثل واجهة المدرسة ، ويبلغ طوله ١٥ م ، بينما يبلغ طول واجهة القسم الثاني وهي واجهة الرباط ١٨ م .

ويلاحظ أن واجهة المدرسة ترتد عن سمت واجهة الرباط بمقدار ثلاثة أمتار تقريباً ، وتنخفض نهايتها العلوية قليلاً عن مستوى جدار الرباط(٣) . ولعل هذا يعكس طبيعة التكوين الصخري للمنطقة ، فلم تبنى جميع أجزاء المبنى وفق مستوى واحد ، كما هو موضح أيضاً أثناء الحديث عن دهليز المدرسة(٤) .

---

(١) إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ج١ لوحة رقم ٦٨ .

(٢) نشرت هذه اللوحة في كتاب طاهر كردي ، التاريخ القويم ، ج ٥ لوحة رقم ١٧٩ . ولقد قام إسماعيل أحمد اسماعيل ، بنشر مقال عن مدرسة قايتباي ، واصفاً باب المدرسة ، معتقداً أن اللوحة للمدخل بأكمله ، وقد شاهد عباس حلمي هذه اللوحة لديه . وأفادني بذلك . موضحاً الخطأ الذي وقع فيه المذكور . انظر اسماعيل أحمد اسماعيل ، مدرسة السلطان قايتباي في المسجد الحرام . مقال منشور في مجلة العرب ج ١ ، ٢ ، س ١٤ ، شهر رجب وشعبان ١٣٩٩ هـ / ص ٩١ - ٩٣ . كذلك قامت آمنة جلال بنقل هذا الوصف كما ورد عند الأستاذ إسماعيل دون أن تتنبه للخطأ الذي وقع فيه . انظر آمنة جلال ، طرق الحج ومرافقه ، ص ٣٩١ - ٣٩٢ .

(٣) يفهم من الواصف أن هذا الانخفاض ليس كبيراً ، مقابلة مع محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ . ولذلك لا يظهر واضح المعالم في اللوحات الشمسية [لوحة ٨١] . ويبدو أكثر وضوحاً في الرسوم والمجسم [لوحة ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨] .

(٤) عن ذلك انظر ما يلي .

وبناءاً لما توفر من أوصاف عن هذه الواجهة فإنها تتكون من ثلاثة طوابق، يتوسطها تقريباً المدخل الرئيسي للمدرسة ، وعلى جانبيه توجد مجموعة من الحوانيت يبلغ عددها ما بين سبعة إلى ثمانية ، كانت تشغل الطابق الأرضي من هذه الواجهة ، موزعة بحيث يشغل واجهة الرباط خمسة منها ، بينما يبلغ عددها في واجهة المدرسة ما بين اثنين إلى ثلاثة(١) .

يعلو ذلك دوران من الشبابيك تمثل واجهات البيوت الخمسة التي تشغل الضلع الشرقي من المبنى ، فكان لكلٍ منها ثلاثة شبابيك في كل دور ، بحيث يصل مجموعها في الدور الواحد إلى خمسة عشر شباكاً(٢) .

ولا يمثل الوصف السابق واجهة المدرسة وقت إنشائها ، نظراً لتوفر معطيات تشير بخلاف ذلك .

إذ أن الحوانيت التي في واجهة المدرسة لم تكن موجودة وقت الإنشاء ، كما يشير بذلك ابن فهد أثناء حديثه عن سيل أصاب مكة المكرمة في رمضان

(١) اختلف الواصفون في تحديد عدد هذه الحوانيت ، إذ يذكر محمد نور بأن عددها اثنين ، مقابلة ٩ محرم ١٤١٤هـ ، بينما يذكر كل من الاستاذ مشرب أنجاتي بأن عددها يبلغ ثلاثة . مقابلة معه في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ . ووافقه في ذلك الأستاذ عبدالشكور فدا ، مقابلة معه في ٢ ذي الحجة ١٤١٣هـ ، ويعد الأستاذ مشرب عصام الدين اندجاني من المراجع المهمة لوصف بعض الأجزاء التي شاهدها في مدرسة قايتباي . وهو من مواليد مكة المكرمة ، سنة ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م ، ومن حفظة القرآن الكريم ومعه إجازة بتحفيظ القرآن الكريم حيث عمل معلماً للقرآن مع جماعة التحفيظ وغيرها لمدة ثلاثة وعشرون عاماً . تقلب في الوظائف التعليمية حتى التقاعد وهو الآن يمارس الأعمال الحرة . والأستاذ عبدالشكور فدا من أعيان مكة المعروفين في مجال الثقافة والعلم ، وصاحب المكتبة المشهورة باسمه في مكة المكرمة .

(٢) مقابلة مع الأستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ . ويمكن رؤية بعض الشبابيك العلوية في واجهة الرباط في اللوحات التي يظهر فيها الجانب العلوي من المبنى ، كما هو واضح من لوحة أرشيف مكتبة السلطان عبدالحميد [لوحة ٨١] . وانظر أيضاً إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج١ لوحة رقم ١٧٩ .

سنة ٨٨٣ هـ / ١٤٧٨م ترتب عنه أن دخل الماء « ... من جميع الشبابيك التي أسفل مدرسة السلطان قايتباي ورباطه ... »[١] ، فهو ذكر الشبابيك ولم يذكر الحوانيت مما يدل على عدم وجودها ، وعلى أنها محدثة على المبنى في العصر العثماني على ما يظهر، حيث تقرر أن يبنى في منشآت الأوقاف من مدارس وغيرها بمكة المكرمة ، حوانيت ليصرف منها على عمارتها[٢] .

ولا شك أيضاً أن الشبابيك التي تشغل هذه الواجهة لم تكن بنفس التكوين الذي أضحت عليه بعد ذلك ، كواجهات للبيوت بحيث كان كل ثلاثة متقاربة منها تمثل واجهة لحجرة من الحجرات التي تتكون منها هذه البيوت[٣] . علاوة على أنها تظهر متسعة إتساعاً كبيراً [لوحة ٨١] لا يتناسب مع ما ينبغي أن تكون عليه شبابيك الخلاوي التي كانت تشغل جانباً كبيراً من هذه الواجهة[٤]. والتي عادة ما تكون أصغر من ذلك ، كما هو مشاهد في مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق بالصحراء[٥] . والمدرسة الباسطية بمكة المكرمة[٦] .

وبالنظر إلى ما سبق يمكن القول بأنه كان يشغل واجهة المدرسة عدد من الشبابيك الصغيرة المغطاة بالمصبعات المعدنية. وكانت هذه الشبابيك تتوزع في ثلاثة أدوار وبمقدار ارتفاع طوابق المدرسة الثلاثة ، وذات اتساع يتناسب مع وضع الواجهة الرئيسة في المبنى ، ويعلو كلاً منها عقد مستقيم ونفيس وعقد عاتق .

---

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج ٤ / ص ٦٣٤ .

(٢) محمد هريدي ، شئون الحرمين ، ص ٤٦ .

(٣) مقابلة مع محمد نور خوقير ، في ٩ محرم ١٤١٤هـ .

(٤) لاحظ توزيع وحدات الاسكان في المبنى أنظر ما يلي .

(٥) عن ذلك انظر [لوحة ٤٥] .

(٦) عن ذلك انظر [لوحة ٤٨] .

كما كان يتوج هذه الواجهة واجهة الخارجات التي تتخللها الشابورات ، والتي يمكن مشاهدة بعضها وهي تمثل امتداداً لتلك التي كانت في المدرسة وقت انشائها، نظراً لأن وجود الخارجات من المظاهر التي سادت في العمارة المكية منذ أمد بعيد يسبق فترة الدراسة[١]. ويوجد في هذه الواجهة أيضاً مكتب سبيل يقع في الركن الشمالي من واجهة الربع بجوار المدخل[٢] [لوحة ٨٠] .

وهو بذلك له واجهتان : الأولى ، شرقية تطل على المسعى ، لتروي ظمأ السائرين فيه من حجاج ومعتمرين وغيرهم ، والثانية ، شمالية تطل على بسطة المدخل ، فيستفيد منها الداخلين والخارجين من مدخل المدرسة .

ويمكن تحديد طول الواجهة الشمالية هذه بأنها تساوي مقدار إرتداد سمت واجهة المدرسة عن سمت واجهة الرباط ، والتي ذكرنا بأنها تبلغ ثلاثة أمتار .

في حين أن من المؤكد أن الواجهة الشرقية أكبر من سابقتها ، لأن الامتداد هنا متاح أمام المعمار فيستطيع أن يستفيد منه بإبراز واجهة مكتب السبيل .

وعلى الرغم من اختفاء وحدة مكتب السبيل كلياً من داخل المبنى وخارجه .

ولا تتوفر أوصاف يمكن من خلالها تحديد طرازه[٣] ، فإن تأثر عمارة المدرسة بالعمارة المملوكية ، يجعل من المؤكد أنه مشابه لما كان متبعاً في مصر من طرز معمارية[٤] . لأن هذا الأسلوب روعي في عمارة سبيل مسجد

---

(١) عن ذلك انظر ص ٤٠٦ .

(٢) عن ذلك انظر ما يلي .

(٣) مقابلة مع مشرب أندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ . محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤ هـ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٣٥٦ ـ ٣٥٩ .

الخيف بمنى والذي أنشأه السلطان قايتباي سنة ٨٧٤ هـ /١٣٧٢م[١] . فلقد زود هذا السبيل بشبابيك للتسبيل كما أنه زود بواجهة رخامية بذيعة[٢] ، مما يدل على العناية بعمارته ، كما هو الحال في مصر في ذلك الوقت .

ونظراً لوجود واجهتين للسبيل ، فذلك يشير إلى وجود شباكين للتسبيل ، لأن شبابيك التسبيل تتعدد بتعدد واجهات السبيل[٣] . كما كان يعلو كلاً منهما عقد مستقيم يعلوه نفيس وعقد عائق ، وذلك لتخفيف ثقل المداميك الحجرية التي تعلو الجدارين .

ومن المرجح أن يكون بناء هذه العناصر المعمارية قد استخدم فيه المداميك الملونة كما هو مشاهد على العمائر الجركسية بمصر[٤] ، علاوة على استخدام التكسيات الرخامية ، مثلما هو متبع في سبيل مسجد الخيف .

أما بالنسبة لواجهة الكتاب فهي لا تختلف أيضاً عن واجهةالكتاتيب بمصر[٥] ، ولعلها قريبة الشبه بواجهة كتاب مدرسة قايتباي بالصحراء[٦] . فلكلٍ منهما واجهتان . وهي بذلك تكون مكونة من شرفة حجرية بواجهتها الشمالية فتحة واحدة متوجة بعقد مدبب ، بينما تتكون واجهتها الشرقية من ثلاث فتحات لكل منها عقد مدبب يرتكز في الوسط على عمودين من الرخام .

---

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى ج ٤ / ص ٥١٣ .

(٢) المصدر السابق نفسه ج ٤ / ص ٥١٢ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٤١٢ .

(٤) عن ذلك انظر ٤٢٦ ـ ٤٢٧ .

(٥) عن ذلك انظر ص ٣٧٥ ـ ٣٧٧ .

(٦) عن ذلك انظر ص ١٣٨ ـ ١٣٩ .

الواجهة الشمالية :

يبلغ طول هذه الواجهة ٢٨٫٥ م . ولقد آثر وضع الطريق المؤدي إلى باب السلام على استقامتها حيث تنحرف ناحية الجنوب كلما اتجهنا شرقاً .

ولا تتوفر معطيات كافية عن هذه الواجهة ، فكل ما هو معلوم عنها هو الإشارة إلى وجود أربعة حوانيت كانت تشغل معظم الطابق الأرضي منها، كما كان يقع بالقرب من نهايتها الغربية فتحة باب تؤدي إلى المنزل الذي يشغل الركن الشمالي الغربي من المبنى(١) ، وهو باب جانبي يعود إلى زمن إنشاء المدرسة، نظراً لوجود بيت يعود بناؤه لتلك الفترة كان موجوداً في هذه الناحية(٢). في حين أن الحوانيت هي ما استحدث على المبنى كما حدث للواجهة الشرقية ، ولا تتوفر أوصاف كافية عن الطوابق العلوية لهذه الواجهة ، باستثناء الإشارة إلى وجود شبابيك صغيرة يصعب تحديد عددها(٣) .

ومن الواضح أن جانباً كبيراً من هذه الواجهة كان مشغولاً بنوافذ خاصة بخلاوي المدرسة التي تقع في هذاالجانب . وهذه الواجهة متوجة بواجهة الخارجات ، التي تتخللها الشابورات .

---

(١) مقابلة مع الأستاذ محمد نور خوقيرفي ٩ محرم ١٤١٤هـ . وأنشيء في جانب من هذه الواجهة سبيل وميضأة بأمر من السلطان مراد خان سنة ٩٩٥ هـ / ١٥٨٦م وتمت ازالتها ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م . انظر باسلامة ، تاريخ عمارة المسجدالحرام ص ٩٦ – ٩٧ .

(٢) عن ذلك انظر ما يلي.

(٣) مقابلة مع محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ .

الواجهة الغربية [لوحة ٨٤ ، ٩٣][1]

ويبلغ طول هذه الواجهة ٣٠ متراً ، نصفها لكتلة المدرسة ، ونصفها الآخر للربع . وبطرفيها يوجد ارتداد بسيط ناحية الشرق لا يتجاوز ٥ر٠ م ، سببه نظام تخطيط أروقة المسجد الحرام [شكل ٢] .

وتتكون هذه الواجهة من ثلاثة طوابق تطل على الحرم ، والسفلى منها تفتح شبابيكه على أروقة الحرم من الداخل ، بينما يطل الطابقين العلويين على سطح الحرم .

ويتوسط الطابق الأرضي من هذه الواجهة فتحة باب معقودة[2] ، أشار إليه إبراهيم وقال عنه أنه « ... خوخة لا سلم له ... »[3] .

ويطل على أروقة الحرم في الطابق السفلي ستة شبابيك متسعة نسبياً ، وهي خاصة بحجرات ستة كانت تشغل الجانب السفلي من المنازل التي تشغل

---

(١) اللوحة الأولى مأخوذة من أرشيف السلطان عبدالحميد بمكتبته بجامعة استانبول باستانبول ، يعود تاريخها لسنة ١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م . والثانية من ضمن مجموعة الجمعية الجغرافية الأمريكية ، ويعود تاريخها لسنة ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م . وقد قام بعمل هذه اللوحة ، مصور هندي يدعى عبدالغفور شيخ ، بإشراف من الملك فيصل رحمه الله عندما كان نائباً للملك في الحجاز . ونشرت مع صور أخرى ومقال تعريفي عن الحج في مجلة الجمعية . انظر :

Sheikh Abdul-Ghafur, "From Americato Mecca on Airborne Pilgrimage", National Geographic Magazine Vol. CIV, No. 1, Washington, D. C., 1953, p. 1 - 60.

وتوجد مجموعة هذه الصور ضمن مجموعة الدكتور معراج مرزا الأستاذ بقسم الجغرافيا ، كلية العلوم الاجتماعية بجامعة أم القرى ، كما يوجد لهذه الواجهة لوحات أخرى ، منها ما هو منشور في كتاب إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ج ١، لوحة ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ .

(٢) مقابلة مع مشرب أنديجاني في ١٥رمضان ١٤١٣هـ، ومحمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ .

(٣) إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ج١ / ص ٢٣٠ . ولقد تصور إسماعيل أحمد إسماعيل أن هذا الباب هو مدخل إلى المدرسة الرئيسي ، حيث أشار إلى ما ذكره عنه إبراهيم رفعت أثناء وصفه للمدخل المذكور . انظر إسماعيل أحمد إسماعيل ، مدرسةالسلطان قايتباي ، ص ٩٢ .

الضلع الغربي من المبنى، وكان قاطنوا هذه البيوت يطلقون عليها لفظ مدارس[١]، ولقد كانت هذه الواجهة في الأصل تتكون من شبابيك لخلاوي ، يكتنفها من الجانبين واجهتي المنزلين اللذين يشغلان هذا الجانب كما هو موضح في الحديث عن وحدات الإسكان في هذه المدرسة[٢] .

ويعلو الطابق السفلي طابقين آخرين بكل منهما دور من الشبابيك [لوحة ٨٣ ، ٨٤] ، ويلاحظ أن عمارتها تتميز بالبساطة وعدم التناسق ، بما لا يتناسب مع عمارة مدرسة تأثرت بالطراز المملوكي فيدل ذلك على أنها مستحدثة ، كما حدث لواجهة المدرسة الشرقية .

وبالنظر إلى المعطيات المتوفرة عن هذا الضلع ، يمكن القول بأنه كان يوجد في البناء الأصلي للمدرسة عدد كبير من الشبابيك المخصصة للخلاوي التي كانت تشغل حيزاً كبيراً من المبنى في هذا الجانب[٣] . علاوة على وجود شمسيات « شبابيك معقودة» في طرفي الدور الثاني من هذه الواجهة كنوافذ علوية لقاعتي المنزلين اللذين يقعان في هذين الطرفين[٤] .

ويتوج هذه الواجهة ، واجهة خارجات يتخللها شابورات تمثل امتداداً ، للخارجات الأصلية .

الواجهة الجنوبيــة [لوحة ٨٣]

ويبلغ طول هذه الواجهة ١٩ م ، ويوجد في الجانب الشرقي منها إرتداد بسيط يمتد لمسافة ٣٫٢٥ م ، قبل أن يلتقي جدارها بجدار الواجهة الشرقية [شكل ٢] .

(١) مقابلة مع الأستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ، ١٤١٤هـ .

(٢) عن ذلك انظر ما يلي .

(٣) عن ذلك انظر ما يلي .

(٤) عن ذلك انظر ما يلي .

وكان يشغل الطابق السفلي من هذه الواجهة حانوت واحد يجاوره سبيل لسقي الماء[١] . وكل ذلك من المظاهر المستحدثة ، كما هو الحال في الواجهتين الشرقية والشمالية . ومن الواضح أنه كان يقع في الجانب الغربي من هذه الواجهة فتحة باب تؤدي للمنزل الذي يقع في هذه الناحية[٢] ، مثلما هو متبع في المنزل الذي يقع في الطرف الآخر من المبنى .

يعلو ذلك أربعة شبابيك متسعة شغلت طرفي هذه الواجهة وتوزعت بالتساوي في دورين ، بحيث يكون لكل دور في كل طرف شباك واحد . وفيما يلي هذه الشبابيك توزعت شبابيك صغيرة في مستويات مختلفة . وكل ذلك مما استحدث على المبنى ، والراجح أنه كان يوجد به شبابيك لبعض الخلاوي التي تشغل هذه الناحية[٣] .

المدخل [لوحة ٨٠ ، ٨٣]

يقع مدخل المدرسة في موضع التقاء واجهة السبيل بواجهة الربع . ويتضح من اللوحة الشمسية المتوفرة عنه والتي تشمل الجزء العلوي منه [لوحة ٨٢] أنه في ذلك يشابه المداخل المملوكية السائدة في مصر في فترة الدراسة[٤] .

ويتقدم المدخل بسطة حجرية ترتفع عن أرضية المبنى بمقدار درجة واحدة، وله حجر غائر يرتفع بمقدار طابقين من طوابق المبنى[٥]، ولم يزود هذا المدخل

(١) مقابلة مع الأستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ .

(٢) عن ذلك انظر ما يلي .

(٣) لاحظ توزيع وحدات الإسكان في المبنى انظر ما يلي .

(٤) عن ذلك انظر ص ٣٤١ ـ ٣٥٢ .

(٥) مقابلة مع مشرب اندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ ، ونظراً لأن مئذنة المدرسة تعلو بابها ، فإن ذلك أدى إلى انخفاض مستوى قاعدتها عن مستوى الطابق الثالث من المبنى ، فلا تظهر في اللوحات التي التقطت للمبنى من أكثر من جانب . انظر [لوحة ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤] .

بمسطبتين[١] . كما في كثير من المدارس في مصر والحجاز[٢] ، وذلك بسبب أن هذا المدخل يؤدي للمدرسة والحرم في نفس الوقت[٣] . وبالتالي فإن الدخول والخروج منه عرضة لمواجهة حالات الازدحام فيؤدي وجود المسطبتين إلى إعاقة الانسيابية المطلوبة في هذه الحالة .

ويقع على عضادتي باب المدخل كتابة تأسيسية خاصة بالمدرسة لا تظهر في اللوحة ، ذكرها باسلامة[٤] . وقد كتبت بالخط البارز على الحجر ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة[٥] . ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾[٦] أمر بانشاء هذه المدرسة مولانا السلطان الملك المظفر أبو النصر قايتباي] .

أما عن فتحة الباب ، فإن الواصفين لا يشيران إلى وجود المصراعين الخشبيين عليه[٧] ، مما يدل على أنهما أخذا في فترة ما يصعب تحديدها .

بيد أنه من المرجح أنه شبيه بذلك الذي صنع في عصر قايتباي لباب السلام بالمسجد النبوي الشريف ، إذ كان ملبساً بالنحاس ، وعليه زخارف

---

(١) مقابلة مع مشرب اندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ ومحمود نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤ .

(٣) يؤدي الدهليز المتصل بهذا المدخل إلى الباب الصغير الواقع في الواجهة الغربية من المبنى ، وينفذ إلى أروقة الحرم من هذه الناحية ، مقابلة مع مشرب اندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ ، ومحمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ .

(٤) باسلامة ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١١٥ - ١١٦ .

(٥) يذكر باسلامه أن هذا الجزء من النص مطموس ، وأتمه بحسب ما يقتضيه نص الآية . المرجع السابق نفسه . ص ١١٥ - ١١٦ .

(٦) سورة التوبة آية ١٨ .

(٧) مقابلة مع الأستاذ مشرب أندجاني في ١٥رمضان ١٤١٣هـ والاستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ .

مختلفة وكتابات[١] ، من المؤكد أنها عبارة عن زخارف هندسية ونباتية ، وكتابات دعائية للسلطان ، كما هو شاهد على باب مدخل مدرسة قايتباي بالصحراء[٢] . ويفهم من حديث الواصفين أنه كان يعلو الباب عقد مستقيم مكون من مداميك مشهرة « أحمر وأصفر » . يليه عقد نفيس ثم عقد عائق يمكن رؤية أطرافه العلوية في اللوحة المتوفرة [لـوحة ٨٢] ، وكان هذا العقد مشهراً أيضاً « أحمر وأصفر »[٣] .

وقد أحيط كل ذلك بثلاث مستطيلات رخامية إثنان جانبيان وثالث علوي . والجانبيان أكبر مساحة من العلوي ، وعليهما زخارف هندسية قوامها أشكال نجمية متداخلة ، بينما زخرف العلوي بأشكال زجزاجية ، مكونة من خطوط منكسرة ، تعطي أشكال معينات تحصر فيما بينها أشكالاً نجمية انطمست معالم بعضها ، ويظهر أن هذه الزخارف كانت ملونة ، كما هو متبع ببعض منشآت القاهرة في ذلك العصر[٤] .

والمستطيلات السابقة محاطة بجفوت حجرية لاعبة سداسية من ترميمات العصر العثماني، لأن الجفت المسدس البارز لم يظهر إلا في ذلك العصر[٥]. في حين أنها في الأصل كانت على أشكال الميمات كما هو متبع في عمائر العصر الجركسي[٦] .

(١) البتنوني ، الرحلة الحجازية ص ٢٤٤ ، محمد الشهري ، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي ص ٣٧٣ .

(٢) عن ذلك انظر ص ١٤٣ ـ ١٤٦ .

(٣) مقابلة مع مشرب أندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ .

(٤) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ص ٢٣٥ .

(٥) طه عبد القادر عمارة ، العناصر الزخرفية المستخدمة في عمارة مساجد القاهرة في العصر العثماني ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص ٢٠ .

(٦) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٠ .

ويعلو ذلك دخلة صغيرة يتوسطها فتحة شباك مستطيلة الشكل ، كانت مغشاة بالمصبعات البرنزية . ويظهر على جانبي الدخلة موضع عامودين كانا في العمائر الجركسية المعاصرة يتخذان من الحجر، ولهما بدن مستدير وقاعدة وتاج ناقوسيين[١] .

ويكتنف الدخلة مساحتان مستطيلتان في وضع رأسي شغلت كل منهما ببخارية بأعلاها وأسفلها ورقة نباتية ثلاثية بها زخارف نباتية دقيقة . بينما زخرفت البخارية من الداخل برنك للسلطان قايتباي ، يتكون من ثلاثة أشطب ، نصه [عز لمولانا السلطان الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره] . وشغلت الفراغات المتبقية لكل من المساحتين بزخارف نباتية دقيقة بالحفرالبارز . ويوجد بأعلى وأسفل كل من المنطقتين السابقتين مستطيل في وضع أفقي يتضمن كل منهما كتابة نسخية بارزة نصها ، في الجزء العلوي [عز لمولانا السلطان الملك] وذلك في الجانب الأيمن [الأشرف أبو النصر قايتباي] وذلك بالجانب الأيسر أما في الجزء السفلي فيوجد بالجانب الأيمن كتابة نصها [اللهم أنصره نصراً عزيزاً وافتح] وبالجانب الأيسر تكملة نصها [له فتحاً مبيناً يا رب العالمين][٢] . وكل ذلك بالخط النسخي البارز على الحجر[٣] . [لوحة ٨٢] .

ويتوج دخلة النافذة السابقة حنية بداخلها زخارف إشعاعية تنبعث في نصف دائرة ، تظهر من خلال اللوحة ، أنها متعددة الألوان « مشهرة » إذ أن الغامقة منها تظهر متعددة الدرجات مما يشير إلى تعدد ألوانها والتي قد تشمل

---

(١) عن ذلك انظر ص ٣٤٦ .

(٢) إسماعيل أحمد ، مدرسة السلطان قايتباي ص ٩١ . وقد قام باسلامه بقراءة بعض هذه النصوص . انظر باسلامه ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ١١٥ – ١١٧ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١١٥ – ١١٦ .

الأسود والأحمر والأصفر والرمادي[١] . وتقوم هذه الحنية على صف من الحنايا الصغيرة ذات عقود متنوعة ومزينة من الداخل بزخارف دقيقة يصعب تحديدها، من الراجح أنها كانت ملونة أو مذهبة .

وكان عقد الحنية ملبساً بالرخام الأسود والأبيض « أبلق » حيث يظهر قطعتان منه لا زالتا باقيتين عند أرجل العقد ، ويكتنف الحنية السابقة حنيتان ركنيتان أكبراتساعاً منها ، وكلاً منهما تقوم على صف من الحنايا الصغيرة ، عقودها أكثر إتساعاً من حنايا الحنية الوسطى ، وإن كان من المؤكد أنها تماثلها في الزخرفة . وكلا الحنيتين خاليتين من الزخرفة يظهر أنهما كانتا مقرنصتان ، حيث جرت العادة على إزالة هذه المقرنصات أثناء الترميمات في العصر العثماني[٢] .

ويتوج حجر المدخل طاقية مكونة من عقد ثلاثي الفصوص ، يظهر أنه كان ملبساً بالرخام الملون « أبيض وأسود » أبلق ، كما هو موجود في باب « السلام » بالمسجد النبوي والذي عمره السلطان الأشرف قايتباي[٣] .

ويشكل الفص العلوي للعقد حنية محارية غائرة بها زخارف إشعاعية تماثل السفلية ، وترتكز على صف من الحنايا الصغيرة تماثل ما هو موجود في الحنايا السفلية أيضاً .

---

(١) وهذه الألوان موجودة جميعاً في حجر الشميس الذي يقع بالقرب من مكة المكرمة . المرجع نفسه ص ٨٦ – ٨٧ .

(٢) علي الطايش ، العمائر الجركسية الباقية بشارعي الخيامية والمغربلين ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م ، ص ٣٢٩ .

(٣) السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج٢ / ص ٦٤١ ، محمد الشهري ، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي ، ص ٣٦٧ .

ويحدد هيئة العقد جفت لاعب بميمات ينتهي من الأعلى بميمة كبيرة . كما يكتنفه كوشتان ، يظهر عليهما خطوط غير منتظمة « خرابيش » ، مما يحمل على الاعتقاد أنهما كانتا ملبستان بالرخام أيضاً ، وقد حددت هيئتي الكوشتان بجفت لاعب بميمات .

الدركـــاه [شكل ٥٩] :

وهي مستطيلة الشكل تبلغ أبعادها ٥ر٥م × ٣ م ، وتشير الأوصاف المتوفرة بأن لها سقف حجري[١] ، يظهر بأنه قبو متقاطع ، لأن هذا الأسلوب من التغطية استخدم في الدركاوات ذات الأسقف الحجرية في عمائر العصر الجركسي في مصر[٢] .

أما أرضيتها فمفروشة ببلاطات حجرية ، ولا تشير الأوصاف إلى وجود مسطبة فيها[٣] ، ولعل ذلك مرده الأسباب نفسها التي أدت إلى عدم وجود مسطبتي حجر المدخل كما سبق أن وضحنا .

ويوجد بالدركاه فتحتي باب إحداهما على يمين الداخل والأخرى على شماله . والتي على يمين الداخل عبارة عن فتحة معقودة يغلق عليها باب بمصراع واحد ، وكانت تؤدي إلى سلم يصعد منه إلى المئذنة . أما الفتحة الثانية فكانت معقودة أيضاً ولكن لا يوجد لها باب خشبي ، وتؤدي إلى الدهليز[٤] .

---

(١) مقابلة مع الأستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤ هـ .

(٢) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٣٣٦ .

(٣) مقابلة مع الأستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤ هـ .

(٤) مقابلة مع مشرب الاندجاني ١٥ رمضان ١٤١٣هـ ، ومحمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤ هـ .

الدهليــــز [شكل ٥٩] :

تبلغ أبعاد هذا الدهليز ٢٠ م × ٥ر٢ م(١) . وسقفه خشبي باستثناء منطقة تتوسطه تقريباً فهي « كشف سماوي »، وعندها يستطيع السائر إذا ما اتجه يميناً أن يصل إلى فناء المدرسة ، وإذا ما اتجه شمالاً أن يصل إلى فناء الربع(٢) . ويلي ذلك سلم هابط يتكون من إثنى عشر درجة ، مستوى ارتفاع كل منها بسيط جداً(٣). ثم يأتي بقية الدهليز حيث ينتهي بفتحة الباب التي في واجهة المدرسة الغربية ، ومنه ينفذ إلى أروقة الحرم .

ويدل وجود الدرج هذا على أن المبنى لم تكن أرضيته في مستوى واحد ، وأن الطابق الأرضي في الضلع الغربي من المبنى في مستوى أقل من الطابق الأرضي الذي في الضلع الشرقي .

وأرضية الدهليز مفروشة ببلاطات حجرية باستثناء السلم الهابط ، والذي كسي ببلاطات من الرخام الأصفر ، وسقفه عبارة عن براطيم خشبية . ويلاحظ أن هذا الدهليز يؤدي للحرم بالإضافة إلى الربع والمدرسة ، ولذلك اعتبر مدخله مدخلاً للحرم الشريف أيضاً(٤) .

---

(١) يلاحظ أن جانباً من الجزء الخلفي لهذا الدهليز أقل اتساعاً مما يسبقه أو يليه [شكل ٢] . ومن الواضح أن ذلك سببه ما تعرض له المبنى من تغيرات سبق الإشارة إليها .

(٢) مقابلة مع الأستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤ هـ .

(٣) ويذكر الأستاذ مشرب أندجاني بأن عددها ست عشر درجة . مقابلة في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ . وما هو مثبت في المتن تم بناءاً لتوقيعات خارطةهيئة المساحة المصرية [شكل ٢] .

(٤) باسلامة ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١١٥ .

قاعـة الدراسة [شكل ٥٩] :

عندما تتحدث المصادر التاريخية عن حفل المدرسة ، تذكر بأن السلطان جلس بالركن الشمالي لإيوان المدرسة[(١)] . مما يدل على أنه كان بالمدرسة إيوان واحد يستخدم كقاعة للدراسة[(٢)] .

ويتضح من الأوصاف المتوفرة عن موقع هذه القاعة أنها تقع ناحية الضلع الشرقي للمبنى[(٣)] . ويؤكد ذلك أن ابن فهد[(٤)] عندما يتحدث عن نهاية حفل إفتتاح المدرسة يذكر بأن السلطان والمدعوين نزلوا من الإيوان إلى دور المدرسة . وهذا بدوره يشير إلى أن الإيوان كان يقع في الجانب المرتفع من المبنى وهو ضلعها الشرقي كما سبق أن وضحنا .

ولقد أشارت خارطة هيئة المساحة إلى وجود هذا الإيوان [شكل ٢] ، حيث يتضح من خلال توقيعاتها أن هناك منطقة مسقوفة بسقف خشبي[(٥)] ،

---

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى ج ٤/ ص٦٤٨ ، النهروالي ، الأعلام ، ص ١٠٩ .

(٢) سنوك ، صفحات من تاريخ مكة المكرمة ، ج ٢ / ص ٢٩٤ .

(٣) مقابلة الأستاذ مشرب أندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ . ولا يشير الأستاذ محمد نور خوقير إلى وجود هذا الإيوان . فما يتذكره من المبنى هو الإحدى عشر بيتاً . مقابلة معه في ٩ محرم ١٤١٤ . ويؤكد ذلك أن محمدرفيع عندما يتحدث عن المدرسة لا يشير إلى وجود الإيوان ويذكر بأن المبنى مقسم إلى إثني عشر بيتاً . محمد عمر رفيع ، مكة ص ١٩٦ . والظاهر أن الإيوان أزيل في فترة ما يصعب تحديدها ، فلم يشاهده الاستاذ محمد نور خوقير . بينما لم يتسنى لمحمد عمر رفيع مشاهدة المبنى من الداخل وإنما اعتمد على الأوصاف ممن شاهده أثناء تدوين كتابه . ولذلك أخطأ في ذكر عدد البيوت كما مر معنا . بينما يذكر الاستاذ مشرب أنه شاهد الإيوان في فترة صباه عندما كان يحضر حلق تحفيظ القرآن الكريم في الحرم ، فتسنى له دخول المدرسة ورؤية إيوانها . ويؤكد أقواله أنه يصف طريقة الدخول من الحرم إلى الإيوان كما هو موقع على خارطة المساحة المصرية ، حيث يشير إلى وجود الدرج وإلى الفناء وإلى إتجاه الدخول .

(٤) ابن فهد ، اتحاف الورى ، ج ٤ / ص ٦٤٨ .

(٥) أشارت خارطة هيئة المساحة إلى هذه التغطية باستعمال إشارة « × » وهذه الاشارة استخدمت للدلالة على تسقيف المسعى بالقرب من المسجد الحرام .

يتقدمها منطقة مفتوحة عبارة عن فناء مكشوف ، وهذا الأسلوب المتبع في تخطيط معظم المدارس في ذلك العصر ، إذ كانت تتكون من قاعة واحدة أو أكثر تطل على فناء مغطى أو مكشوف[١] .

وتبلغ أبعاد هذا الإيوان ٥ م × ٣ م ، وله عقد مدبب[٢] بصنج ملونة مشهرة « أحمر وأصفر » ، وسقفه خشبي عليه زخارف لم يستطع الواصف تحديدها[٣] ، من الواضح أنها تتكون من عناصر نباتية وهندسية كما كان متبعاً في زخرفة الأسقف في ذلك العصر[٤] ، علاوة على تغشيتها بالذهب كما سبق أن ذكرنا .

أما أرضية الإيوان فهي من الرخام الملون . وعليه زخارف هندسية ، تضم دوائر وأشكال مضلعة ومثلثات وغير ذلك[٥] .

صحن المدرسة [شكل 59] :

وهو في توقيعات خارطة هيئة المساحة غير منتظم الأبعاد . فيبلغ طول ضلعه الشرقي ٥ر٥ م ، بينما بلغ طول ضلعيه الشمالي والغربي ٥ر٤ م ، أما ضلعه الجنوبي فيبلغ ٥ر٣ م ، ويظهر أن عدم الإنتظام هذا جاء نتيجة للتغيرات المعمارية التي تعرض لها المبنى في العصور المختلفة ، بينما من المرجح أن أبعاده كانت متساوية ، وتبلغ ٥ر٥ م × ٥ر٤ م .

---

(١) انظر أنظمة التخطيط المدرسي ، الفصل الأول من الباب الثالث .

(٢) بعرض عدد من اللوحات لعقود إيوانات بعض المدارس الجركسية على الأستاذ مشرب أندجاني فإنه أشار إلى تشابه عقد إيوان مدرسة قايتباي مع عقد مدرسته بالصحراء .

(٣) مقابلة مع الأستاذ مشرب أندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٤٨٤ .

(٥) مقابلة مع الأستاذ مشرب أندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ .

وحسبما يذكر الواصف[1] ، فلقد كانت أرضية هذا الصحن تنخفض عن مستوى أرضية الإيوان بمقدار ٢٠ سم . كما كان يوجد في أعلى الجدران المحيطة بالصحن كتابات تتضمن آيات قرآنية كريمة من أوائل سورة الفتح .

وكان يطل على الصحن من الناحية الجنوبية فتحة باب معقودة تصله بدهليز المدرسة . علاوة على وجود أبواب أخرى من الناحيتين الشرقية والغربية ، كانت تصل بالبيوت المحيطة بالمبنى ، يظهر أنها كانت تمثل امتداداً لما كان عليه الحال وقت إنشاء المدرسة . إذ من المؤكد أنه كان يوجد على جانبي الصحن فتحات أبواب ونوافذ لبعض عناصر المبنى ووحداتها التي تقع في هذين الجانبين .

ولا شك بأنه كان يوجد في المبنى فناء آخر كان يتوسط ربع المدرسة [شكل ٥٩] ، نظراً لأن معظم مكوناته وقت إنشاء المدرسة عبارة عن خلاوي صغيرة المساحة[2] لم يكن بعضها يطل على واجهات المبنى ، وإنما على الأجزاء الداخلية منه ، وبالتالي فإنها في حاجة إلى إضاءة وتهوية ، يوفرها صحن يتوسط هذا الربع ، والذي جرت إزالته عندما أنشئت البيوت في موضع الخلاوي ووحدات الربع الأخرى .

مكتب السبيل [لوحة ٨٠] :

زودت المدرسة بسبيل وكتاب أشار إليهما ابن العماد الحنبلي ، فذكر بأن السلطان قايتباي بنى للمدرسة « ... سبيلاً عظيماً للخاص والعام ومكتباً للأيتام ... »[3] وكان هذا المكتب يعلو السبيل كما يشير بذلك السخاوي[4] .

---

(١) مقابلة مع الأستاذ مشرب أندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ .

(٢) عن ذلك انظر ما يلي .

(٣) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٨ / ص ٧ .

(٤) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٦ / ص ٢٠٧ .

ولا يقدم واصفوا المبنى أي معطيات تمكن من تحديد موقع هذا السبيل ، بل إنهم ينفون وجوده[1] ، مما يشير إلى أن التغيرات التي تعرض لها المبنى قضت على معالمه تماماً .

بيد أنه بالنظر إلى المعطيات التي توفرها النصوص التاريخية ، فإن بالامكان القول بأن هذا السبيل يقع في رباط المدرسة ، لأن الصهريج[2] يقع أسفل هذا الرباط ، حيث كشف عنه في سنة ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٦م ، بهدف الاستفادة منه . وتبين أنه كان يشغل المنطقة الواقعة بين باب النبي وباب قايتباي [مدخل المدرسة] ، أي أنه يوجد تحت رباط المدرسة . وكان مربع الشكل يبلغ طول كل من أضلاعه ١٤ م . أما عمقه فيصل إلى ٦ م[3] . ووجود الصهريج في الضلع الشرقي تحت الربع يشير إلى وجود مكتب السبيل في الربع أيضاً . وفوق الصهريج حتى يسهل استخراج الماء منه لمصلحة السبيل كما هو متبع في كثير من أسبلة ذلك العصر[4] .

ولقد أشار الطبري[5] إلى وجود هذا السبيل في ربع قايتباي ، قاصداً ربع المدرسة على وجه التأكيد ، لأن سبيل مدرسة قايتباي بالمدينة المنورة كان يقع في ربعها أيضاً[6] .

---

(١) مقابلة مع الأستاذ مشرب أندجاني في ١٥ رمضان ، ١٤١٣هـ ومع محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤ هـ .

(٢) أشار ابن فهد لهذا الصهريج أثناء حديثه عن سيل سنة ٨٨٣ هـ/ ١٤٧٨م . وذكر بأن ماء السيل دخل إليه من فتحة كانت تقع أسفل المبنى . ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج ٤ / ص ٦٣٤ .

(٣) سعد الدين أونال وسليمان مالكي ، دراسة لتوفير المياه في المشاعر المقدسة ، ص ٤٨ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠ .

(٥) الطبري ، الأرج المسكى ، ص ٧٢ .

(٦) وثيقة رقم ٢٠ بتاريخ ١٣ ربيع الأول ١٢٣٧هـ محفظة ٨/ بحر برا .

ولا شك أن هذا السبيل يقع في الضلع الشرقي من المبنى وذلك يدل على أنه كان يشغل جانباً من الواجهة الشرقية للمبنى ، والمطلة على المسعى كما سبق أن ذكرنا .

بل إن من المرجح أنه كان يقع بالقرب من المدخل الرئيسي للمبنى ، عند التقاء واجهتي المدرسة والربع ، فيكون له بذلك واجهتان إحداهما شرقية مطلة على المسعى ، والأخرى شمالية تطل على بسطة المدخل . وهذا من أنسب المواقع ، لأنه يحقق ما ذكره ابن العماد[1] عنه في خدمة العام والخاص . حيث يستفيد منه عامة السائرين في المسعى ، أو الداخلين إلى المبنى أو الخارجين منه .

وكما سبق أن ذكرنا ، فلقد كان للسبيل شباكين ، وزود الكتاب بشرفتين أيضاً ، وذلك تبعاً لتعدد وجهات هذه الوحدة المعمارية .

وبطبيعة الحال ، فإن اندثار المبنى أدى إلى اختفاء معالمه بشكل كامل ، بيد أنه من المؤكد أنه لم يكن يختلف كثيراً عن سبيل مسجد الخيف بمنى ، والذي أمر السلطان قايتباي بإنشائه سنة ٨٧٤هـ/ ١٣٧٢م ، حيث اعتنى كثيراً بعمارته ، فكسيت واجهاته من الخارج وأرضيته من الداخل برخام أصفر ، وكذلك كان الحال بالنسبة لأحواض التسبيل ، والتي أطلق عليها ابن فهد مسمى الطاقات حيث ذكر بأنه « ... عمل بالسبيل المذكور طاقات من الرخام ، يتناول من الطاقات المذكورة الماء المعد للشرب ..»[2] .

وزود هذا السبيل أيضاً بحاصل لحفظ أدواته ومقتنياته المختلفة[3] .

---

(١) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٨ / ص ٧ .

(٢) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج ٤ / ص ٥١٢ .

(٣) المصدر السابق نفسه ، ج ٤ / ص ٥١٢ .

وبدون شك فإن العناية بالكتاب لا تقل عما كان للسبيل من حيث تزويده بكافة احتياجاته ، كخزانة لحفظ المصاحف والأدوات المختلفة ، ومزيره ، وخلوة المؤدب ، والمرحاض ، كما كان متبعاً في كثير من كتاتيب ذلك العصر(١) .

المكتبـــــة :

زودت المدرسة بمكتبة ضخمة لتيسير الدراسة والاطلاع لشيوخها وطلبتها، وغيرهم من طالبي المعرفة والعلم(٢) ، وكان بها بالإضافة للكتب ، مقتنيات ثمينة منها ربعة شريفة مكتوبة بالذهب الخالص(٣) .

ويذكر النهروالي(٤) أنه ولي النظر على هذه المكتبة ، فوجد أنه قد أستُولى على الكثير من كتبها ، فبذل الجهد لاسترجاع ما أمكن منها من المستعيرين وإعادته للوقف . كما قام بصيانتها وتجليد ما يحتاج منها للتجليد . ولا يتوفر من خلال المعطيات التي لدينا عن المبني ، أي مؤشرات يمكن من خلالها تحديد موقع هذه المكتبة بدقة ، وتقديم وصف معماري عنها ، وإن كان من المرجح أنها لم تكن بعيدة عن قاعة الدرس بحيث يتسنى للطلبة والشيوخ الوصول إليها بسهولة ويسر .

وحدات الإسكان :

عندما تتحدث المصادر عن وحدات الإسكان بالمدرسة ، تذكر بأنه كان يوجد بها منزلين وإثنان وسبعون خلوة(٥) .

(١) عن ذلك انظر ص ٣٧٨ .

(٢) علي السليمان ، العلاقات الحجازية المصرية ، ص٢٢٦ ، عبدالرحمن صالح ، تاريخ التعليم في مكة المكرمة ص ٧٥ .

(٣) السنجاري ، منائح الكرم ، لوحة ٢٠٥ – ٢٠٦ .

(٤) النهروالي ، الأعلام ص ١٠٤ .

(٥) المصدر السابق نفسه ص ١٠٤ ، العاصمي ، سمط النجوم العوالي، ج ٤/ ص ٤٤ .

وهذا بدوره يشير إلى أن وحدات الإسكان هذه كانت تنقسم من الناحية المعمارية إلى نوعين ، أولهما عبارة عن منزلين ، وهما بذلك يحتويان على مرافق وحقوق ، وكانا يشغلان ركني الضلع الغربي من المبنى ، حيث يقع الأول ناحية باب السلام ، بينما يقع الثاني ناحية باب الحريريين [النبي] (١) .

وينقل أحد واصفي مبنى المدرسة ، عن أحد معلمي البناء بمكة المكرمة(٢) ، معلومات مفادها أن الداخل إلى المدرسة من الباب الجانبي المطل على الحرم ، يجد على شماله فتحة باب ينفذ منها إلى دهليز ينتهي إلى قاعة(٣)، تتكون من إيوان يتقدمه درقاعه ، وملحق بالإيوان خلوة صغيرة [حجرة مبيت] ومرحاض . وكان هذا الإيوان يطل على أروقة الحرم الشريف .

إن مكونات هـذه القاعة ، تشـير إلى أنها المنـزل الذي يقع في الركن الشمالي من ضلع المبنى الغربي ناحية باب السلام . [شكل ٥٩] .

ولا شك بأن المنزل الآخر ، الذي يقع ناحية باب النبي ـ ﷺ ـ ، قد اتخذ تخطيطاً مشابهاً، لأن العمارة الاسلامية تميل إلى التكرار في تكوين عناصرها. ومن المؤكد أن كلا الإيوانين يرتفعان باتفاع طابقين من المبنى ، وهما بذلك يتخذان واجهة مماثلة لما هو معهود من واجهات الأواوين في ذلك العصر ،

---

(١) النهروالي ، الأعلام ص ١٠٤ .

(٢) ومعلم البناء هذا يدعى أحمد خشاخاشي ، وينقل عنه مشرب أندجاني ولكنه لا يعرف ما إذا كان معلم البناء هذا شاهد أو أنه نقل عمن شاهد . مقابلة مع الأستاذ مشرب أندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ .

(٣) لقد اضطرب الأستاذ مشرب في وصفه وكان يظن أن هذه القاعة هي إيوان الدرس . وأن صحن المدرسة ليس سوى منور للإضاءة والتهوية ، فخلط بين مشاهداته وما نقله عن معلم البناء أحمد خشاخاشي . وبعد توضيح موقع إيوان الدرس له أفاد بما نقله عن معلم البناء وبما شاهده . وأمكن بذلك تحديد الفروق . مقابلة مع الأستاذ مشرب في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ . ومقابلة أخرى في ٣ شوال ١٤١٣هـ .

فيكون لها شبابيك سفلية مستطيلة ، يعلوها شبابيك معقودة ومستديرة [شمسيات وقمريات][1] .

وهذه القاعة التي تقع ناحية باب السلام ، هي التي نزل بها السلطان قايتباي عندما قدم حاجاً سنة ٨٨٣ هـ / ١٤٧٨م ، حيث تذكر المصادر بأنه سكن حينئذ في مبنى المدرسة وليس الرباط[2] .

كذلك فإن من المؤكد أنها أصبحت بعد ذلك سكناً لشيخ المدرسة البرهان بن ظهيرة ، إذ يشير عبدالعزيز بن فهد[3] إلى أن قاصدي هذا الشيخ كانوا يذهبوا لملاقاته في هذه المدرسة ، مما يدل على سكناه بها ، وإلى أن هذه القاعة هي منزله ، لأنها تقع ضمن كتلة المدرسة ، وتتميز عن بقية الوحدات الأخرى ، التي لم تكن سوى خلاوي صغيرة لا تليق بسكنى قاضي مكة وأبرز علمائها في ذلك العصر[4] .

أما القاعة الثانية والتي تقع ضمن كتلة الرباط [شكل ٥٩] ، فلقد كانت تستخدم لنزول بعض الأعيان القادمين للحج أو لأغراض أخرى[5] . فمن المرجح أنه قد نزل فيها أحد رسل السلطان عندما قدم لمكة المكرمة سنة ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢م[6] ، وأن تكون الموضع الذي نزل فيه بعض قرابة السلطان عندما قدموا للحج سنة ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥م[7] .

---

(١) لاحظ ما ذكرناه آنفاً عن واجهة المدرسة الباسطية بالمدينة المنورة .

(٢) النهروالي ، الأعلام ، ص ١٠٩ . مؤلف مجهول ، الجامع الظريف ، ورقة ٦٧ .

(٣) عبدالعزيز بن فهد ، بلوغ القرى لوحة ٦ .

(٤) المصدر السابق نفسه ، لوحة ٢٣ .

(٥) وهذه الوظيفة توسع فيها في العصر العثماني حيث أصبحت الوظيفة الأساسية للمدرسة هي استقبال أمراء الحج . وقد سبق الإشارة إلى ذلك .

(٦) المصدر نفسه ، لوحة ١١ .

(٧) ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج ٣ / ص ٢١٤ .

أما النوع الثاني من وحدات الإسكان فهي الخلاوي ؛ والتي بلغ عددها كما سبق أن ذكرنا اثنان وسبعون خلوة ، وهو عدد كبير من الخلاوي . يمكن من خلال المعلومات المتوفرة عن كتلة المجمع بأكملها ، تقديم تحديد لمواقع بعضها ، حيث يشير أحد الواصفين[1] إلى وجود خلوتين حبيس ظلتا باقيتين إلى أن أزيلت المدرسة ، كانتا تقعان فوق الدهليز بالقرب من المئذنة ، ويذكر عبدالعزيز بن فهد بأن أحد سكان رباط المدرسة تعرض في سنة ٨٨٨ هـ / ١٤٨٣م للتوبيخ « ... بسبب فتحه في شباك خلوته التي برباط السلطان باباً يدخل منه إلى المسجد الحرام ... »[2] . مما يشير إلى وجود خلاوي في الضلع الغربي من المبنى ، وأن بعضها كان يقع في طابقه الأرضي .

ولا شك بأن المعمار قد حرص على استغلال جوانب المدرسة المختلفة ليوزع عليها بقية الخلاوي ، لأن هذا العدد الكبير سيحتاج إلى مساحة كبيرة ليشغلها مع ما يرتبط به من مرافق أخرى ، كالسلالم ، والدهاليز ، والمراحيض وغير ذلك .

أما بالنسبة لأبعاد هذه الخلاوي، فإنها لا تزيد لكل منها عن ٢م × ٥ر١م، فهذه أبعاد كلاً من الخلوتين اللتين ظلتا باقيتين فوق دهليز المدرسة . وهي مساحة كافية للخلوة ، خاصة وأن كلامها كان مخصصاً لنزول شخص واحد فقط . إذ أن الخلوة التي حول شباكها إلى باب يفضي إلى أروقة الحرم ، كانت مسكونة من قبل شخص واحد كما هو واضح من سياق الحادثة المذكورة آنفاً.

---

(١) مقابلة مع الأستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ . وينقل الأستاذ مشرب أندجاني عن معلم البناء أحد خشاخاشي ما يفيد إلى أنه كان يوجد عدد كبير من الخلاوي في الناحية القريبة من قاعة المدرسة ولكن يصعب تحديد عددها .

(٢) عبدالعزيز بن فهد ، بلوغ القرى ، لوحة ١٥ .

ومن المؤكد أن غالب هذه الخلاوي كانت مشغولة من قبل طلبة المدرسة ، الذين عادة ما يخصص لهم سكن في المدرسة التي يدرسون فيها[1] . وهؤلاء سيشغلون أربعون خلوة نظراً لأن لكل طالب بالمدرسة خلوة خاصة به ، وأن عدد طلبة المدرسة يبلغ أربعين طالباً[2] .

أما بقية الخلاوي ، وعددها إثنان وثلاثون خلوة فلا شك بأن معظمها كان مخصصاً للمتصوفة الذين رسم لهم الأشرف قايتباي سكنى رباط هذه المدرسة[3] . هذا مع وجود خلاوي مخصصة لبعض أرباب الخدمة بالمدرسة ، كالبواب ، والمؤذنين ، وغيرهم ، لأنه قد يخصص لمثل هؤلاء خلاوي في مدارس ذلك العصر[4] .

الحواصــــل :

تشير الأوصاف المتوفرة عن المبنى إلى أنه كان يقع أسفل الضلع الغربي منه، ناحية كتلة المدرسة خمس حجرات صغيرة تبلغ أبعاد كل منها ٢ × ٣ م[5]. يظهر أنها كانت تستخدم وقت إنشائها ، كحواصل للمدرسة ، كما يشير بذلك موقعها أسفل المبنى.

---

(١) عن ذلك انظر ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠ .

(٢) عن ذلك انظر ما سبق .

(٣) مؤلف مجهول ، الجامع الظريف ، ورقة ٦٩ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣ .

(٥) كانت هذه الحجرات تستخدم في آخر عهدها من قبل بعض زمازمة الحرم ، وكان لها مدخل من ناحية أروقة الحرم . مقابلة مع الأستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ . والراجح أنه كان لها قبل ذلك مدخل من داخل المدرسة نفسها ، وأزيل في فترة لاحقة .

الـمـيـضـــأه [شكل ٥٩] :

زودت المدرسة بميضأه كانت تقع في الطابق الأرضي من الرباط ، وقد أشار ابن فهد[١] إلى هذه الميضأة أثناء حديثه عن السيل الذي دخل المدرسة في عام ٨٨٣ هـ / ١٤٧٨م ، فذكر بأن الماء دخل الميضأه التي في الرباط وامتلأت خلاويها بالماء حتى وصل إلى رؤوسها .

وينفي واصفوا المبنى، وجود هذه الوحدة ضمن تكوينات المبنى المعمارية[٢] ، مما يشير إلى اندثارها نتيجة للتغيرات المعمارية التي أصابت مبنى المدرسة .

أما بالنسبة لموقعها ، فيظهر أنها كانت تشغل ضلعاً من أضلاع فناء الربع ، كما هو الحال في المدرسة الباسطية بمكة المكرمة ، والتي كانت ميضأتها تطل على الضلع الجنوبي من فنائها[٣] .

الخارجـــات :

كان لتحول المبنى إلى سكن لبعض الأسر المكية ، أكبر الأثر في أن يصبح لكل بيت من البيوت الإحدى عشر التي تشغل المبنى خارجة خاصة به ، يتبعها حجرتان صغيرتان كل منهما يعرف بالمبيت[٤] .

ويتضح من إحدى اللوحات المتوفرة عن المبنى [لوحة ٨١] والتي يظهر فيها الجزء العلوي منه ، أن هناك حجرات صغيرة تعلو سطح المبنى ، أسقفها

---

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج ٤ / ص ٦٣٤ .

(٢) مقابلة مع الأستاذ مشرب أندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣ هـ ، والأستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤ هـ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٢٠٠ .

(٤) مقابلة مع الأستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤ هـ .

متهدمة بالإضافة إلى بعض جدران عدد كبير منها . ويظهر أن هذه الحجرات كانت مبيتات لطلبة المدرسة وأرباب الوظائف فيها . بينما كانت الخارجات المقسمة عبارة عن خارجة واحدة متصلة ، ولا يستثنى من ذلك سوى خارجة خاصة بشيخ المدرسة تعلو منزله وتكون خاصة به فقط ، لأن استثنائه بسكن مميز ، يقتضي أن يكون له خارجة خاصة به أيضاً .

المئذنة [لوحة ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤] :

زودت المدرسة بمئذنة ، أثارت انتباه النهروالي بجمالها وإتقان صنعتها فقال عنها بأنه قد « ... افتخر بصناعتها مهندس عصره على مهندسي زمانه ... »[١] .

وظلت هذه المئذنة محافظة على رونقها ، ولم تشهد سوى مرمات بسيطة[٢] ، حتى أزيلت مع إزالة المدرسة ، في التوسعة السعودية الأولى للحرم المكي الشريف[٣] .

ولقد وضع المعمار هذه المئذنة فوق طاقية مدخلها[٤] . وهذا يدل على أن المئذنة انطلقت من فوق مستوى الطابق الثاني للمبنى . ولذلك لا ترى قاعدتها ، رغم أنها ترتفع بارتفاع طابق المبنى الثالث والخارجة ، بحيث يمكن رؤية بقية بدن المئذنة من فوق مستوى الخارجات التي تعلو المبنى .

---

(١) النهروالي ، الأعلام ، ص ١٩٤ .

(٢) باسلامه ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٢٤٤ .

(٣) مقابلة مع الأستاذ مشرب أندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣ هـ . والأستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤ هـ .

(٤) النهروالي ، الأعلام ، ١٩٤ .

وبناءاً لما يتوفر عن هذه القاعدة من أوصاف ، فهي ذات قطاع مربع الشكل[1] . ولعله يشبه الدور الأول من مئذنة قايتباي في المسجد النبوي الشريف [٨٨٨ هـ / ١٤٨٣م] [لوحة ١٠٤][2] والذي زود كل ضلع من أضلاعه بنوافذ مستطيلة تقع ضمن دخلات معقودة تتقدمها شرفات ترتكز على حطات مقرنصة[3] . ويحدد هيئة ذلك جفت لاعب بميمات متساوية الأبعاد يمتد حتى يحيط بكل ضلع من أضلاع هذا الدور .

وتنتهي هذه القاعدة بشرفة مثمنة لها سياج خشبي ، من المؤكد أنه كان في الأصل مكون من شقف حجرية ذات زخارف هندسية ونباتية مفرغة ، كما كان سائداً في مآذن ذلك العصر[4] .

يلي ذلك الدور الأول ، وهو مثمن الشكل ، وبه دخلات مسمطة تشغل نصفه السفلي ويفصل بينها أعمدة مخلقة ، يعلو كلاً منها صدر مقرنص ، ويفصل فيما بينها عقد مفصص ، وقد فتح في أحدها فتحة باب معقودة بعقد مدبب تؤدي للشرفة .

ويعلو الدخلات السابقة ، دخلات صغيرة كل منها على شكل قنديلية بسيطة ، ذات شمسيات مسمطة وقمريات مفتوحة باستثناء تلك التي فوق فتحة الباب ، فإن شمسياتها مفتوحة . والراجح أن النوافذ المفتوحة في هذه القنديليات

---

(١) مقابلة مع الأستاذ مشرب أندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣ هـ .

(٢) هذه اللوحة مأخوذة من كتاب :

C.R, D. King, The Historical, Mosques of Saudi, Arabia, London, p.29.

(٣) محمد الشهري ، عمارة المسجد النبوي ، ص ٣٨٠ .

(٤) صالح لمعي ، التراث المعماري ، ص ٣٢ .

كانت مغشاة بالزجاج الملون المعشق بالجص ، مثلما هو متبع في عمائر ذلك العصر(١) .

وينتهي هذا الدور بشرفة مثمنة محمولة على حطات مقرنصة ، ولها سياج خشبي ، من المؤكد أنها تشبه الشرفة السابقة في تكوينها الأصلي .

ثم يأتي بعد ذلك دور المئذنة الثاني ، والذي يميل بدنه إلى الاستدارة عن طريق تعدد أضلاعه ، مثلما هو متبع في بدن الدور الثاني في مئذنة قايتباي بالمسجد النبوي والذي يتكون من ستة عشر ضلعاً(٢) .

ولقد جعل في إحدى هذه الأضلاع فتحة مستطيلة تمتد إلى أعلى هذا البدن دون أن تصل إلى أسفله ، وعلى الرغم من اتساع هذه الفتحة فإنها لا تصل إلى إتساع فتحة الباب ، وبالتالي فهي تعتبر نافذة للإضاءة والتهوية ، يبدو أنها جعلت للماثلة والمضاهاه أمام فتحة باب تقابلها من الناحية الأخرى ، ولا يمكن رؤيتها من خلال اللوحات المتوفرة التي لا تظهر فيها الناحية المقابلة .

وينتهي هذا الدور بقبة مضلعة(٣) ، يعلوها رقبة تنتهي بخوذة ، وهذا الجزء من المئذنة ، يعود إلى الترميمات التي تمت في العصر العثماني ، والتي أشارت إليها النصوص التاريخية ، دون أن تحدد ما تم في هذه الترميمات على وجه الدقة(٤) .

---

(١) مايسة داود ، النوافذ وأساليب تغطيتها في عمائر المماليك بمدينة القاهرة ، ص ١٤١ .

(٢) محمد الشهري ، عمارة المسجد النبوي ، ص ٣٨٠ .

(٣) ويظهر في لوحة الجمعية الجغرافية الامريكية [لوحة ٨٤] أن لهذه القبة شرفة بينما لا تظهر هذه الشرفة في لوحة أرشيف السلطان عبد الحميد [لوحة ٨٣] وهي الأقدم تاريخاً كما سبق أن ذكرنا مما يدل على أن هذه الشرفة من الترميمات الحديثة .

(٤) باسلامه ، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٤٤ ، فوزية مطر ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ١٧٢ .

ويؤكد ذلك أن التكوين الأصلي لقمة هذه المئذنة ، كانت عبارة عن جوسق يتكون من ستة أعمدة يعلوه الخوذة الكمثرية الشكل ، إذ أن النهروالي يشير إلى تشابه هذه المئذنة مع مئذنة مسجد الخيف[1] ، والتي كانت تتكون من جوسق ذي ستة أعمدة[2] ، يعلوه خوذة كمثرية الشكل كما هو متبع في عمائر ذلك العصر[3] .

---

(١) النهروالي ، الأعلام ، ص ١٩٤ .

(٢) ابن فهد ، إتحاف الورق ، ج ٤ / ص ٥١٢ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٤١٥ .

الباب الثالث

الدراسة التحليلية والمقارنة

الفصل الأول : أنظمة التخطيط المدرسي .

الفصل الثاني : عناصر التخطيط .

الفصل الثالث : العناصر المعمارية والزخرفية .

الفصل الأول

أنظمة التخطيط المدرسي

يعد عصر المماليك العصر الذهبي للعمارةالإسلامية ، لما شهدته في تلك الفترة من تطور وازدهار ، وبخاصة في العصر الجركسي ؛ حيث وصلت فنون العمارة مراحل متقدمة من النضج والكمال . مما كان له أكبر الأثر على عمارة مدارس ذلك العصر ، ونظم تخطيطها التي تنوعت إلى ثلاثة أنواع أساسية ، هي :

أولاً : المدرسة ذات النظام الرواقي .

ثانياً : المدرسة ذات النظام الإيواني .

ثالثاً : المدرسة ذات نظام الحجرة أو الحجرات .

ويتبع كلاً من هذه الأنواع طرز متعددة في التخطيط كما هو موضح أثناء تناول كل نوع منها بالدراسة والتحليل .

أولاً : المدرسة ذات النظام الرواقي :

كانت بداية استخدام التخطيط الرواقي في العمارة الإسلاميةفي المسجد النبوي الشريف عندما عمره الرسول ﷺ ، في السنة الأولى للهجرة ، فلقد زود برواق واحد تحمل سقفه أعمدة من جذوع النخل[1] .

ثم أخذت بعد ذلك عمارة المساجد بالتطور ، حيث ظهرت المساجد ذات الأربعة أروقة ، في المسجد الحرام بمكة المكرمة ، في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه[2] [٢٦ هـ / ٦٤٦ م] ، وفي المسجد النبوي الشريف في عهد

(١) محمد الشهري ، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي ، ص ٢٧-٢٨ ، محمد السيد الوكيل ، المسجد النبوي عبرالتاريخ ، ص ٢١ - ٣٤ .

(٢) باسلامه ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ١٥ - ١٦ ، حسن الباشا ، المدخل ، ص ١١٣ .

الوليد بن عبد الملك[1] [٨٩ هـ/ ٧٠٧ م]. وانتقل هذا الطراز إلى مصر ، حيث ظهرلأول مرة في عمارة جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه سنة[2] [٩٢ هـ/ ٧١٠ م] [شكل ٧]. علاوة على شيوعه في بقية أرجاء العالم الإسلامي ، فنشأت العديد من المساجد وفقاً لهذا الأسلوب من التخطيط[3] .

ولقد استمر استخدام النظام الرواقي في تخطيط مساجد العصر الجركسي في مصر والحجاز ، فظهر في مصر في الجامع الأبيض[4] بالقلعة [٨١١ هـ / ١٤٠٨ م] [شكل ٣١] ، وجامعي زين الدين يحى ببولاق [٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م] ، والحبانية [٨٥٦ هـ / ١٤٥٢م][5] ، وجامع لاجين السيفي[6] [٨٥٣ هـ / ١٤٤٩م] [شكل ٥٢] . كما ظهر في الحجاز في العمارات التي جرت لبعض أروقة الحرم المكي في عهد الناصر فرج بن برقوق[7] [٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م] ، وفي عمارة الأشرف قايتباي لمسجد الخيف

(١) محمد الشهري ، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي ، ص ٣ .

(٢) أحمد فكري ، المدخل لمساجد القاهرة ومدارسها ، ص ٦٩ شكل [١١] .

(٣) محمد الشهري ، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي ، ص ٣ - ١٣ .

(٤) صالح لمعي ، الوثائق والعمارة « دراسات في العمارة الاسلامية في العصر الجركسي » « الجامع الأبيض بالحوش السلطاني بقلعة القاهرة » ، بيروت ص ٨٠ ، وانظر ص ٧ لوحة [٢] .

(٥) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي زين الدين يحى بالقاهرة ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٩٨٢م ، ص ١٦٠ ، ١٨٦ . وهذين الجامعين من إنشاء القاضي يحى زين الدين ، أحد أبرز وزراء العصر الجركسي . السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ١٠/ ص ٢٣٣ - ٢٣٤ ، التبر المسبوك ، ص ٢١٧ ، ٣٨٨ ، حجة وقف القاضي زين الدين برقم ١١٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٦) حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ، ص ١٠٥ ، وهذا الجامع من إنشاء الأمير لاجين السيفي ، أحد أمراء الجراكسة في عهد السلطان الظاهر جقمق . السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٦ / ص ٢٣٢ ، علي باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج٥ / ص ٩٨ .

(٧) باسلامة ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٦٩ - ٧٣ .

بمنى[1] [٨٧٤ هـ / ١٤٧٢ م] ، وللمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة[2] [٨٨٦ هـ /١٤٨١ م] [شكل ٦١] .

أما بالنسبة لاستخدام هذا النظام من التخطيط في عمارة المدارس في مصر والحجاز . فمن الواضح أنها كانت مبكرة في مصر ، حيث تزامن استخدام هذا النوع من التخطيط مع بداية شيوع المدارس فيها في أوائل العصر الأيوبي . إذ من المؤكد أن المدرسة القمحية بالفسطاط[3] [٥٦٦ هـ /١١٧٠ م] ، كانت تتبع النظام الرواقي في تخطيطها ، لأن ابن دقماق[4] عندما يصف نظام التدريس فيها يذكر بأنها قسمت إلى أربعة زوايا . وهذا اللفظ أطلقه ابن دقماق أيضاً لتعريف الحلق التعليمية الموجودة في جامع عمر بن العاص[5] . والذي يتبع النظام الرواقي ، كما سبق أن ذكرنا .

ومن المرجح أيضاً أن بوائك المسجد المنشأ في الجانب الجنوبي الشرقي « القبلي » ، من المدرسة الكاملية[6] [٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م] [شكل ٩] ، إنما هي

---

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج ٤ / ص ٥٠٩ – ٥١٣ ، ناصر عبدالله البركاتي ، محمد نيسان ، دراسة تاريخية لمساجد المشاعر المقدسة ، « مسجد الخيف ، مسجد البيعة بمنى » ، جدة ، ص ٦٢ – ٦٣ .

(٢) محمد الشهري ، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي ، ص ٣٣٥–٣٨٣ .

(٣) وهذه المدرسة من إنشاء الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ، وعرفت بالقمحية لأن وقفها يغل قمحاً يوزع على أرباب الوظائف فيها . البنداري ، الفتح بن علي ، سنا البرق الشامي ، تحقيق فتحية النبراوي ، ١٩٧٩م ، القاهرة ، ص ٥٧ . المقريزي ، الخطط ، ج٢ / ص ٣٦٤ ، القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ج ٣ / ص ٣٤٣ .

(٤) ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، ق ١/ ص ٩٥ .

(٥) المصدر السابق نفسه ، ق ١ / ص ٩٧ .

(٦) أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج٢ / ص ٥٨ . وهذه المدرسة من إنشاء الملك الكامل الأيوبي وتعرف بدار الحديث لأنها أول مدرسة خصصت لتدريس الحديث بمصر ، المقريزي ، الخطط ، ج٢ / ص ٣٧٥، سعاد ماهر ، العمارة الإسلامية على مر العصور ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، جدة ، ج ٢ / ص ٣٨ – ٤٠ .

بوائك رواقها القبلي ، بحيث يتكون مخططها من رواق « قبلي » يقابله إيوان « بحري » ، وبينهما صحن مكشوف .

ويؤكد ذلك أن تزويد المدارس برواق في ناحيتها القبلية ، كان متبعاً في مدارس بلاد الشام في العصرين الزنكي والأيوبي(١) . مما يرجح تأثر عمارة المدارس في مصر بهذا الأسلوب من التخطيط . وأن الأيوبيين ورثوه عن عمارة أسلافهم في الحكم - الزنكيون - .

كما أن هناك من الباحثين من يعتقد أن المدرسة الصالحية(٢) [٦٤١ هـ / ١٢٤٢م] كانت مزودة برواق أيضاً(٣) .

إن هذه البدايات في استخدام الرواق في عمارة المدارس في مصر في العصر الأيوبي ، دفعت بالمعمار نحو التوسع في ذلك فيما تلى من عصور .

حيث أنشئت بعض أبرز مدارس العصر المملوكي« البحري» وفق هذا الطراز ، مثل المدرسة الصاحبية البهائية(٤) [٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م] ، وهي من أجل مدارس الفسطاط ، كانت مزودة بأروقة ، إذ يذكر المقريزي بأن سقفها كانت تحمله أعمدة من الرخام « ...كثيرة العدد جليلة القدر ... »(٥) . بل إن

---

(١) أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج٢ / ص ١٠٣ - ١١٢ . سعد زغلول ، العمارة والفنون في دولة الاسلام ، ص ٤١٣ .

Creswell , The Muslim Architecture of Egypt , Vol , Z , p . 120 .

(٢) وهذه المدرسة من إنشاء الملك الصالح نجم الدين بن أيوب ، وهي أول مدرسة في مصر لتدريس المذاهب الأربعة . المقريزي ، الخطط ج ٢ / ص٣٧٤ . سعاد ماهر ، العمارة الاسلامية على مر العصور ج ٢ / ص ٤٤-٤٧ .

(٣) أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج ٢ / ص ٧٥ ، وانظر ص ٧٣[شكل ٢١] .

(٤) هذه المدرسة من أبرز مدارس الفسطاط ، أنشأها الوزير الصاحب بهاء الدين علي بن حنا ، ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ق ١ / ص ٩٠ ، المقريزي، الخطط ج٢ / ص ٣٧٠ - ٣٧١.

(٥) المصدر السابق نفسه ، ج ٢ / ص ٣٧١ .

الإشارة إلى كثرة الأعمدة توحي بأن المدرسة كانت تتكون من أربعة أروقة ، وهذا طراز اتبع في تخطيط عدد من مدارس ذلك العصر ،مثل المدرسة الطيبرسية[1] [٧٠٩ هـ / ١٣١٠هـ] [شكل ١٥] ، والمدرسة الخنقاه المهندارية[2] [٧٢٥هـ / ١٣٢٥م]، والمدرسة الأقبغاوية[3] [٧٤٠ هـ / ١٣٣٩م] [شكل ١٧] . ولم يقتصر تخطيط مدارس ذلك العصر على الطراز السابق فحسب ، وإنما تنوعت أساليب التخطيط الرواقي إلى طرز متعددة . فمن ذلك طراز يتكون من رواقين متقابلين وبينهما صحن أو مجاز صغير مسقوف ، كما هو متبع في المدرسة الخانقاه البندقدارية[4] [٦٨٣هـ / ١٢٨٤م] [شكل ١١] ، ومن ذلك

(١) وهذه المدرسة من إنشاء علاء الدين طيبرس، وهي ملاصقة للجامع الأزهر وملحقه به . المصدر نفسه ، ج ٢ /ص ٣٨٣ ، حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ج١ / ص ٥٦ – ٥٧ .

(٢) شاهنده فهمي كريم ، جوامع ومساجد أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون . رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ٢٠١ – ٢٠٢ . ومنشيء هذه المدرسة الأمير شهاب الدين أحمد بن أقوش المهمندار . المقريزي ، الخطط ، ج٢ / ص ٣٩٩ ، ٤١٨ . علي باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ج ٦ / ص ٦ ، ٤٤ .

وتذكر شاهنده فهمي أن تخطيط المبنى حديث لأنه قد أعيد بنائه من قبل لجنة حفظ الآثار العربية . المرجع السابق نفسه ، ص ١٩١ . ومن المعروف أن هذه اللجنة تعيد بناء المبنى وفق تخطيطه الأصلي قدر الامكان . و بالتالي فإن المبنى رغم حداثة بنائه فإنه يعود في تخطيطه إلى البناء الأصلي . انظر كراسات لجنة حفظ الآثار العربية . تقرير سنة ١٨٨٤م ، ص ١٥ – ١٦ وسنة ١٨٩٠م ، ص ١٦ .

(٣) هذه المدرسة من إنشاء الأمير عبد الواحد آقبغا الناصري . من أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، ابن حجر ، الدررالكامنة في أعيان المائة الثامنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م ، القاهرة ج ١ / ص ٤١٨ . المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٣٨٤ – ٣٨٥ ، حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ج١ / ص ٥٧ – ٥٨ .

(٤) وهذه المدرسة من إنشاء الامير علاء الدين أيدكن بندقداري ، وهي مدرسة وخانقاه . المقريزي، الخطط ، ج ٢ / ص ١٣٤ ، ٤٢٠ – ٤٢٤ . علي باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج٢ / ص ٤٥ ، ج ٦ / ص ٦ ، ٤٩ . عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ، ص ١٩٠ – ١٩١ .

أيضاً مدارس ذات رواق واحد فقط ، مثل ما هو موجود في المدرسة الخانقاه الشيخونية[1] [٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م] [شكل ٢١] .

كذلك ظهر في ذلك العصر طراز من التخطيط جمعت فيه الأروقة والأواوين في بناء واحد . كما في مدرسة قلاوون[2] [٦٨٣هـ / ١٢٨٤م] والتي تتكون من رواق جنوبي شرقي « قبلي ». يقابله إيوان شمالي غربي « بحري » . وسدلتين جادنبيتين وبينهما صحن مكشوف[3] [شكل ١٢] . وفي جامع ومدرسة أصلم السلحدار[4] [٧٤٦ هـ / ١٣٤٥م] [شكل ٢٠] والذي يتكون من إيوانين متقابلين ، ورواقين جانبيين ، لكل منهما بائكة واحدة حول صحن مسقوف[5] .

---

(١) سعاد محمد حسنين ، أعمال الأمير شيخو العمري الناصري المعمارية بالقاهرة ، رسالة ماجستير، كلية الآثار١٩٧٥م ، جامعة القاهرة ، ص ٩٠ . وهذه المنشأة من بناء الأمير سيف الدين شيخو بن عبدالله العمري الناصري . نسبة للناصر محمد بن قلاوون . وتذكر بعض المصادر بأنها مدرسة وخانقاه . ابن كثير ، عماد الدين إسماعيل بن عمر ، البداية والنهاية . ١٩٣٢م ، القاهرة ، ج ١٤ / ص ٢٠٨ ، ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، ج ٣ / ص ٢٠٤ – ٢٠٥ . سعاد محمد ، أعمال الأمير شيخو ، ص ٤٤ – ٤٦ .

(٢) هذه المدرسة من إنشاء الملك المنصور قلاوون . ويضم المبنى مجموعة معمارية ضخمة ، تشمل مارستان بالإضافة إلى المدرسة ، وعناصر معمارية أخرى . المقريزي ، السلوك ج١ / ق ٣ / ص ٧١٦ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ / ص ٣٢٥ – ٣٢٦ . سعاد ماهر ، العمارة الاسلامية على مر العصور ، ج ٢ / ص ٧٢ – ٧٣ .

(٣) حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية، ج ٢ / ص ١٢٠ – ١٢١ . وزارة الأوقاف ، مساجد مصر، ج١ / ص ٤٥ . محمد سيف النصر ، مدرسة السلطان المنصور قلاوون بالنحاسين بالقاهرة « دراسة أثرية في ضوء وثيقة جديدة » ، مجلة كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، ١٩٨٤م العدد الأول ، ص ٨٩ – ٩٣ ، ٩٩ – ١٠٣ .

حجة وقف السلطان المنصور قلاوون ، برقم ٧٠٦ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٤) أنشأ هذا الجامع المدرسة الأمير بهاء الدين أصلم السلحدار ، ولقد ذكرت بعض المصادر أنه جامع يقوم بوظيفة المدرسة . بينما ذكرت مصادر أخرى أنه جامع ، المقريزي ، الخطط ج ٢ / ص ٣٠٩ ، ابن تغري بردى ، المنهل الصافي ، ج ٢ / ص ٤٥٥ – ٤٥٦ .

(٥) وزارة الأوقاف ، مساجد مصر ، ج ١ / ص ٦٢ .

لقد مهدت التطورات السابقة لظهور النظام الرواقي في مصر في العصرالجركسي ، حيث شهد ذلك العصر استخداماً مكثفاً لهذا الأسلوب من التخطيط في عمارة المدارس . مع تنوع في الطرز المستخدمة .

فأكبر مدارس ذلك العصر مساحة بنيت وفق طراز الأربعة أروقة يتوسطها صحن مكشوف . مثل مدرسة سودون من زاده[١] [٨٠٤ هـ / ١٤٠١هـ] [شكل ٣٠] . ومدرسة وخانقاه فرج بن برقوق[٢] [٨١٣ هـ / ١٤١٠م] ، وجامع ومدرسة المؤيد شيخ [٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م] ، والذي كان يتكون أربعة أروقة[٣] بقي منها رواق واحد في الوقت الحاضر[٤] [شكل ٣٨] .

ومن طرز التخطيط الرواقي التي اتبعت في مدارس ذلك العصر ، أن تتكون المدرسة من رواقين متقابلين بينهما مجاز أو صحن صغير مسقوف ، كما هو الحال في مدرسة وخانقاه الأشرف برسباي بالصحراء[٥]

---

(١) حسني نويصر ، مدرسة جركسية على نمط المساجد الجامعة « مدرسة سودون من زاده بسوق السلاح » ، القاهرة ص ١٨ – ٢٤ . وهذه المدرسة من إنشاء الأمير سودون من زاده . أشاد بها السخاوي وذكر بأنها مدرسة عظيمة ، السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٣ / ص ٢٧٥ . علي باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٦ / ص ١٨ . حسني نويصر ، مدرسة جركسية على نمط المساجد الجامعة ، ص ٧ – ١٠ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٦٩ ، ٨٠ .

(٣) حجة وقف السلطان المؤيد شيخ برقم ٩٣٨ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٤) فهمي عبدالعليم ، جامع المؤيد شيخ ، ص ٧٤ .

(٥) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباي ، ص ١٥٥ ، ١٦١ . محمد حمزة ، قرافة القاهرة ، ص ١١٩ ، وهذه المدرسة من إنشاء الأشرف برسباي بقرافة المماليك ، وتضم مدرسة وخانقاه . ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ١٥ / ص ١٣٥ . السخاوي، التبر المسبوك ، ص ١٢٨ . ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج ٢ / ص ١٨٩ . حجة وقف السلطان الأشرف برسباي برقم ٨٨٠ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

[٨٣٥ هـ / ١٤٣٢م] [شكل ٤٤] ، ومدرسة جانم البهلوان[١] [٨٨٣ هـ / ١٤٧٨ م] [شكل ٥٧] .

وإمتداداً للعصر الأيوبي ومن بعده المملوكي « البحري » . فلقد دمج معمار هذا العصر بين الأروقة والأواويين في بناء واحد إذ ظهر في ذلك العصر مدارس قوام تخطيطها صحن مكشوف يحيط به رواق جنوبي شرقي ، وثلاثة أواوين تشغل أضلاع الصحن الأخرى . كما في تخطيط مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق[٢] [٧٨٨ هـ / ١٣٨٦م] [شكل ٢٧] ، ومدرسة الأمير عبدالغني الفخري[٣] [٨٢١ هـ / ١٤١٨م] [شكل ٣٦] ويقع ضمن هذا الإطار إستخدام السدلات بدلاً من الأواوين . كما هو مشاهد في مدرسة أبو بكر مزهر[٤] ، [٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م] [شكل ٥٨] ، والتي تتكون من رواقين متقابلين ، وسدلتين جانبيتين يتوسطها صحن مسقوف « درقاعه »[٥] .

(١) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٢٤٨ ، ٢٥٧. جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٦٥. وهذه المدرسة من إنشاء الأمير جانم البهلوان. أحد أمراء السلطان قايتباي. السخاوي ، الضوء اللامع، ج ٣ / ص ٦٥ . عبدالرحمن زكي ، موسوعة مدينة القاهرة ، ص ٢٦٩ . على الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٢٢٦ .

(٢) وهذه المدرسة من إنشاء الملك الظاهر برقوق ، وهي من أبرز مدارس ذلك العصر . وكانت مدرسة وخانقاه . المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٤١٨ . السلوك ، ج ٣ / ق ٢ / ص ٢٨٥ . ابن الصيرفي ، نزهة النفوس ، ج ١ / ص١٣٣.

(٣) محمد محمد الكحلاوي ، مدرسة الأمير عبدالغني الفخري ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٩٨١، ٤١ – ٥٥ . وهذه المدرسة من إنشاء الأمير فخر الدين عبدالغني بن عبدالرزاق بن أبي الفرج . أحد وزراء العصر الجركسي . المقريزي ، الخطط ج٢ / ص ٣٢٨ ، حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ج ١ / ص ٢١٥ – ٢١٧ .

(٤) هذه المدرسة من إنشاء الوزير زين الدين أبو بكر محمد بن مزهر أحد وزراء العصر الجركسي . السخاوي، الضوء اللامع، ج ١١/ ص ٨٩، إبن إياس ، بدائع الزهور، ج ٣ / ص ٢٥٥٠، عاصم رزق، مسجد أبو بكر مزهر بالقاهرة ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار بجامعة القاهرة ، ١٩٧١م، ص ٠٧، ٣٢.

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ٨٨ – ١٠٥، حسن القصاص ، مساجد وأمراء الظاهر جقمق ، ص ١٣٢، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٧٢.

ويتضح من العرض السابق ، أن المعمار المسلم في مصر ، استخدم الأروقة في عماره مدارسه منذ العصر الأيوبي ، بيد أن ذلك كان على نطاق ضيق ، كما يشير بذلك قلة المعطيات المتوفرة في هذا الشأن . ثم أخذ الأمر بالتوسع التدريجي في العصر المملوكي « البحري » حيث تتضح أساليب هذا النظام في مدارس ذلك العصر ، فإذا ما جاء العصرالجركسي ، وتحديداً القرن التاسع ٩ هـ / ١٥ م ، أضحى استخدام النظام الرواقي في عمارة المدارس المصرية أكثر نضجاً ، فأنشئت من خلاله أكبر مدارس ذلك العصر ، كما سبق أن شاهدنا .

وهذا عن أوضاع النظام الرواقي في المدارس في مصر . فإذا ما انتقلنا إلى الحجاز ، فإن الصورة في هذه الحالة تكون مختلفة تماماً ، حيث يستفاد من المعطيات المتوافرة عن مدارس هذه البلاد أن استخدام النظام الرواقي في عمارتها كان محدود النطاق .

إذ لا توجد نصوص تشير إلى استخدام الأروقة في عمارة المدارس التي أنشئت في العصرين الأيوبي والمملوكي «البحري» .

أما بالنسبة للعصر الجركسي ، فلا يوجد سوى مؤشر واحد لمدرسة استخدمت هذا الطراز ، وهي المدرسة العطيفية[1]. والتي تذكر المصادر بأنها زودت برواق كبير عندما أعيدت عمارتها سنة [٨٦١هـ / ١٤٥٦م][2]. مما يشير إلى استخدام الأروقة في عمارة المدارس الحجازية في ذلك العصر ، ولكن على نطاق محدود ، وضمن طراز معين ، وهو المدرسة ذات الرواق الواحد .

---

(١) وهذه المدرسة كانت في الأصل رباط من إنشاء أم الخليفة الناصر العباس ، وعرف بالعطيفية ، لأن الشريف عطيفة صاحب مكة كان يسكنه ويعود تاريخ وقف هذا الرباط إلى سنة [٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م]. الفاسي ، شفاء الغرام ، ج١ / ص ٥٢٨ .

(٢) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج ٤ / ص ٣٧٢ .

ويرى محمد عبدالستار عثمان[١] أنه لا توجد مدارس ذات أروقة ، وذلك في اعتراضه على ما ذهب إليه حسنى نويصر من أن منشأه سودون من زاده مدرسة على تخطيط الجامع[٢] . مستنداً في ذلك على ما ورد في حجة وقف المنشأة من أنها جامع ، ولم يرد فيها ذكر لمسمى « المدرسة » على الاطلاق ، كما أنه يرى بأن نصوص الانشاء في المباني المملوكية ذات الأروقة المتصلة ، ذكرت بأنها جوامع ، ولم يرد لفظ المدرسة عليها على الاطلاق[٣] .

وما ذهب إليه محمد عبدالستار بشأن حجة الوقف ، لا يمكن الاستناد إليه ، لأن وثائق ذلك العصر اضطربت في تحديد نوعية المنشآت[٤] . وتناقضت نصوصها في كثير من الحالات مع ما يرد على اللوحات التأسيسية . وفي المصادر التاريخية .

فقد يرد في حجة الوقف ذكر لوظيفة واحدة أو أكثر تقوم بها المدرسة ، بينما يرد في النصوص التأسيسية والمصادر ، ذكر لوظيفة واحدة فقط . أو لوظائف لم تذكرها حجة الوقف .

فبينما تذكر حجة وقف منشأة المؤيد شيخ ، بأن المبنى جامع ومدرسة وخانقاه[٥] ، يشير النص التأسيسي إلى أن المبنى جامع[٦] . بينما اضطربت

(١) محمد عبدالستار عثمان ، الرأي والافادة في منشأه سودون من زاده ، مجلة العصور ، المجلد الثاني ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م ، ج١ / ص ١٢٠ -١٢٥ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ج١ / ص ١١٩ .

(٣) المرجع نفسه ، ج ١ / ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٤) محمد مصطفى نجيب ، نظرة جديدة على النظام المعماري للمدارس المتعامدة ص ٢٨ - ٢٩.

(٥) حجة وقف الملك المؤيد شيخ برقم ٩٣٨ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٦) فهمي عبدالعليم، جامع المؤيد شيخ ، ص ٥٧ ، عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ،ص ٢٩٣ - ٢٩٤ .

المصادر التاريخية في تحديد نوعية هذا المبنى ، فتذكر تارة بأنه جامع[1]، وأخرى بأنه مدرسة[2] ، وتشير في الثالثة لوظيفة الخانقاه[3] .

وكذلك كان الحال مع منشأة برسباي بالصحراء ، حيث تشير حجة الوقف إلى أن المبنى ينقسم إلى قسمين ، أحدهما يمثل مسجداً ومدرسة ، وآخر عبارة عن تربة تضم خانقاه ضمن ملحقاتها[4] . بينما يكتفى نص الإنشاء باطلاق مسمى الخانقاه على كامل المبنى[5] . في حين أن المصادر تذكر تارة أن المبنى مدرسة[6] ، وتذكره تارة أخرى بأنه تربة[7] ، مع الإشارة إلى وجود وظيفة التصوف فيه[8] .

وأطلقت حجة وقف منشأة قايتباي بالصحراء لفظ الجامع عليها ، مع الإشارة إلى وظيفة التصوف فيها[9] . بينما أُطلق عليها في نص الإنشاء مسمى مدرسة[10] . وكذلك عرفت في بعض المصادر التاريخية ،

---

(١) المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٣٣٠ . السخاوي ، الضوء اللامع ج ٣ / ص ٣٠٩. إبن إياس ، بدائع الزهور ، ج٢ / ص ٣٢ ، الشوكاني ، البدر الطالع ، ج ١ / ص ٢٨٤ .

(٢) ابن الصيرفي ، نزهة النفوس ، ج ٢ / ص ٣٦٥ – ٣٦٦ .

(٣) المصدر السابق نفسه . ج ٢ / ص ٤٩١ . ويشير كل من المقريزي وابن إياس إلى وظيفة التصوف في هذه المنشأة دون أن يطلقا عليها مسمى الخانقاه . المقريزي ، الخطط ج ٢ / ص ٣٣٠ . إبن إياس ، بدائع الزهور ، ج ٢ / ص ٣٢ .

(٤) حجة وقف السلطان الأشرف برسباي برقم ٨٨٠ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٥) محمد عبدالستار عثمان ، الاثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباي ص ١٩٠ ، محمد حمزة ، قرافة القاهرة ، ص ١١٩ ، عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ، ص ٢٣٥ .

(٦) ابن إياس ، بدائع الزهور ج ٢ / ص ١٨٩ .

(٧) المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٣٣١ .

(٨) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٣ / ص ٨ – ٩ .

(٩) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ ، بأشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(١٠) عن ذلك انظر ص ١٤٢ .

حيث تذكرهـا تارة بأنها جامع[١] ، وتـارة أخـرى بأنها مدرسة ، مع الإشارة إلى وظيفـة التصـوف[٢] .

وعلى نفس الوتيرة كان الأمر في الحجاز ، إذ اضطربت المصادر في تحديدها لمنشأة القاضي عبدالباسط ، فتنعتها تارة بالمدرسة[٣] ، وأخـرى بالخانقاه[٤] .

ويتضح من العرض السابق أنه لا يمكن الاعتماد على حجة الوقف في تحديد نوعية المنشأة ، بل ينبغي أيضاً النظر إلى الوظائف التي تقوم بها ، لكي يتسنى تحديد هذه النوعية . وبالتالي فبالإمكان القول بأن منشأة سودون من زاده يمكن اعتبارها مدرسة . لأنها كانت تقوم بهذه الوظيفة خير قيام[٥]. ويؤكد ذلك إطلاق مسمى المدرسة عليها في وثائق أخرى مثل حجة وقف قايتباي التي ذكرت المبنى بأنه مدرسة[٦] . وكذلك في المصادر التاريخية ، والتي تكاد تجمع على تعريف هذه المنشأة بأنها مدرسة[٧] .

أما بالنسبة لما يذكره المعترضون من أنه لم يرد مسمى المدرسة في نصوص الانشاء لعمائر ذات أروقة متصلة ، فإن ذلك يفنده النص التأسيسي

(١) ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج٢ / ص ١٠٠ .

(٢) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٦/ ص ٢٠٢ ، ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج ٣ / ص ٤٥ .

(٣) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ / ص ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٧ ، النهروالي ، الأعلام ، ص ٩٨ . ابن الصباغ ، تحصيل المرام ، لوحة ١٥٥ .

(٤) ابن فهد ، معجم الشيوخ ، ص ٦٨ .

(٥) حجة وقف الأمير سودون من زاده ، برقم ٥٨ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٦) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٧) ابن الصيرفي ، نزهة النفوس ، ج٢ / ص ٢٣٥ ، السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٣ / ص ٢٧٥ ، إبن إياس ، بدائع الزهور ، ج ٢ / ص ٤٧ . علي باشا مبارك، الخطط التوقيفية ، ج ٦ / ص ١٨ .

الموجود على المدرسة الأقبغاوية ، الذي ذكر بأنها « مدرمنة »[1] ، وهي مكونة من أربعة أروقة متصلة [شكل ١٧] .

ولا شك أن استخدام النظام الرواقي في عمارة وتخطيط المدارس نابع من عوامل عدة . من أبرزها الحاجة إلى إيجاد أكبر حيز مغطى ضمن المساحة المتاحة للمعمار في المبنى ، وهو ما يتيحه استخدام الأروقة في البناء ، بحيث يمكن من خلالها الامتداد بالأسقف لمسافات كبيرة على عكس ما هو موجود في الأواوين[2] . فيصبح النظام الرواقي بذلك أسلوباً معمارياً يدفع على الامتداد الأفقي في البناء ، فيشغل حيزاً كبيراً من مساحة المبنى ، سواءاً كانت هذه المساحة كبيرة أو صغيرة، كما هو موجود في مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق ، وجامع مدرسة المؤيد شيخ [شكل ٣٨] فكلاهما يتمتعان بمساحة كبيرة شغلت معظمها بقاعات للدرس مبنية وفق النظام الرواقي[3] . ويوجد أيضاً في مدرسة برسباي بالصحراء [شكل ٤٤] وجانم البهلوان [شكل ٥٧] فكلاهما نواتا مساحة صغيرة شغلت معظمها بقاعات للدرس ، مبنية وفق النظام الرواقي ، مما يدل على أن المعمار لجأ أيضاً للامتداد الأفقي في المساحات الصغيرة ، حتى يستفيد من أكبر حيز ممكن منها .

ولعل هذا يفسر أسباب عدم شيوع النظام الرواقي في عمارة المدارس في الحجاز ، لأن المعمار لجأ إلى الامتداد الرأسي في عمائره لمواجهة ضيق

(١) عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ، ص ٢٠٢ .

(٢) أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج ٢ / ص ١٨٤ ، محمد عبد الستار عثمان ، نظرية الوظيفية ، ج ٢ / ص ٢٢٧ – ٢٢٨ .

(٣) لاحظ ما تذكره حنان حسين عن ارتفاع نسبة المساحة التي تشغلها قاعات الدرس في مدرسة فرج بن برقوق بالنسبة للمساحة الكلية للمبنى ، وقارن ذلك بجامع ومدرسة المؤيد شيخ والتي اتبعت نفس التخطيط . حنان حسين أنور ، دراسة تحليلية للمباني المجمعة للعمارة المملوكية ، ص ١٦٨ .

المساحة المتاحة للمباني ، وبخاصة في مكة المكرمة[١] . وهو ما لا يتناسب مع عمارة الأروقة التي لا تتحمل الامتدادات الرأسية فوقها[٢] .

ومما تمتاز به عمارة الأروقة سهولة بنائها بحيث يمكن إنجازها بسرعة قياسية ، كما حدث للخانقاه الناصرية بسرياقوس[٣] [٧٢٥هـ / ١٣٢٤م] ، والتي أنشئت وفق نظام الأروقة[٤] ، فإن تشييدها استغرق أربعين يوماً فقط[٥] .

وإن إنجاز هذا العمل في مدة قصيرة ، مرده لجوء المعمار في كثير من الحالات إلى استخدام أعمدة من عمائر قديمة ، في بناء عمائره الجديدة[٦] .

مما يؤدي إلى خفض تكاليف البناء ، ويسبب وفراً من الناحية الاقتصادية. فيكون الرواق معالجة مناسبة لبناء العمائر الضخمة بتكاليف أقل ، أو لبناء منشآت صغيرة ، ولا تكلف سوى اليسير من النفقات .

---

(١) ناصر عبدالله الصالح ، المؤثرات والأنماط الجغرافية للعمارة التقليدية بالمملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص٣٠-٣١.

(٢) لاحظ لجوأ المعمار إلى بناء بوائك متقاطعة لحمل الأسقف الحجرية التي تعلو هذه الأروقة ، مما يدل على ضعف قدرتها على تحمل الامتدادات الرأسية فوقها ، ص ٢٤٩ .

(٣) هذه الخانقاه من إنشاء السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، بناحية سرياقوس . ابن حبيب ، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، ج٢ / ص١٤٩ - ١٥٠ .

(٤) حجة وقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون برقم ٢٥/٤ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة . دولت عبدالله ، معاهد تزكية النفوس ، ص ١١ .

(٥) المقريزي ، السلوك ج٢/ ق ١ / ص ٢٦١ .

(٦) أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج ١ / ص ٥١ .

ثانياً : المدرسة ذات النظام الإيواني :

يعتبر استخدام الإيوانات أكثر أنظمة التخطيط شيوعاً في عمارة المدارس، وبخاصة في مصر ، التي أنشئت معظم مدارسها وفق هذا النوع من التخطيط[١] .

ولذلك اقترنت عمارة المدارس بالإيوانات ، وأضحى كلاهما يعرف بالآخر[٢] .

ولقد اختلف الباحثون في تحديد أصل الإيوان . وأرجح الأقوال في ذلك أنه مشتق من أشكال الخيام ، أو البيوت القصبية ، التي كان يستخدمها الأعراب في بلاد الرافدين[٣] . ومنها انتقل إلى العمارة الإسلامية حيث يمكن مشاهدته في القصور الأموية التي أنشئت في هذه البلاد[٤] . ثم أخذ المعمار المسلم بالتوسع في استخدام الأواوين في عمائره منذ العصر العباسي ، حتى

(١) محمد حمزة الحداد ، العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط المعماري للمدرسة في العصر المملوكي ، بحث منشور في كتاب تاريخ المدارس في مصر الاسلامية ١٩٩٢م/ القاهرة ، ص ٢٧٦ ، ٢٨١ .

(٢) حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ج ١ / ص ١٤ . حسن الباشا ، المدخل ، ص ١٦٢ . صالح لمعي ، التراث المعماري ، ص ١٧ ، حسني نويصر، منشآت السلطان قايتباي ص ٢٥٦، هامش « ١ » . سامي أحمد حسن ، السلطان إينال وآثاره المعمارية في القاهرة ، دراسة أثرية معمارية ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٧٦م ، ص ٦٠ .

(٣) فريد شافعي ، العمارة العربية الاسلامية ، ص ٩٣ – ٩٩ ، أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج ٢ / ص ٨٧ . سيد حسن صدر الدين، جامع أصفهان في العصر السلجوقي حتى نهاية القرن السادس الهجري ، رسالة ماجستير ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة ، جامعة الملك عبدالعزيز ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ص ٣٣ – ٤٤ .

Reuther, Sasanian Architecture In Survey of Persian Art. Volum 1, p, 428-431.

(٤) عيسى سليمان وآخرون ، العمارات العربية الإسلامية في العراق في العصر العباسي ١٩٨٢م . بغداد ، ج ٢ ص ١٥ .

أضحى يستخدم في عمارة البيوت والمدارس وغير ذلك من أنواع العمائر التي عرفتها الحضارة الإسلامية[١] .

وفي ظل هذا الانتشار عرفت عمارة المدارس استخدام الأواوين في مصر والحجاز[٢] . منذ البدايات المبكرة لدخول هذه المؤسسات التعليمية إليهما .

فبالنسبة لمصر ، فإنه على الرغم من عدم توفر معلومات كافية عن مدارسها الأولى ، وبخاصة تلك التي أنشئت في عهد صلاح الدين الأيوبي[٣] .

فإن من المرجح أن الأواوين قد استخدمت في عمارة الكثير منها ، وبخاصة تلك التي كانت في الأصل منازل جرى تحويلها إلى مدارس[٤] . إذ من المعروف أن الأواوين كانت تمثل المحور الرئيسي في تخطيط وعمارة بيوت ذلك العصر[٥] .

---

(١) فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، ج١ / ص ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٤٢٧ . زكي حسن ، فنون الإسلام /القاهرة ، ص ٦٠ ، ٩٦ . حسن الباشا ، المدخل ، ص ١٥٨ . عبدالقادرالريحاوي ، العمارة في الحضارة الاسلامية ، ص ١٦٤ . أوقطاي أصلانابا ، فنون الترك وعمائرهم ، ص ٢٤ – ٢٩ ، ٤٧ – ٤٩ ، ٨٨ . ويلاحظ أن بلاد المغرب العربي لم يدخلها الإيوان ولم ينتشر في عمائرها . فريد شافعي ، العمارة العربية الاسلامية ، ص ٩٧ – ٩٨ .

(٢) دخل الإيوان كعنصر إنشائي تخطيطي إلى مصر منذ العصر الطولوني . كمال الدين سامح ، العمارة الاسلامية في مصر ، ص ١٩ ، ٦٧ – ٦٨ . أما بالنسبة للحجاز فلا توجد معطيات تمكننا من تقديم تحديد دقيق لذلك . ولعل الأمر تم في العصر العباسي الثاني أيضاً ، وذلك تحت التأثير الحضاري للخلافة العباسية على سائر أقاليم الدولة الإسلامية .

(٣) صالح لمعي ، التراث المعماري ، ص ١٧ .

(٤) المرجع السابق نفسه ، ص ١٧ .

(٥) فريد شافعي ، العمارة العربية الاسلامية ، ص ٦٨ – ٦٩ ، محمد سيف النصر ، منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية عصر المماليك ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب بسوهاج ، جامعة أسيوط ١٩٨٠م ، ص ٤٠٩ ، حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ، ص ١٣٤ .

وتظهر الأواوين في بعض المدارس الأيوبية الباقية والتي تعود إلى النصف الأول من القرن السابع ٧ هـ / ١٣ م . أي بعد مضي ثلاثين عاماً من إنشاء المدارس الأولى في القاهرة[١] .

وأقدم هذه الأواوين الموجودة فيما يعتقد بأنه مدرسة السادات الثعالبة[٢] [٦١٣هـ / ١٢١٧م] [شكل ٨] والتي يعد إيوانها أقدم إيوان معروف في مصر حتي الوقت الحاضر[٣] . يلي ذلك الإيوان الشمالي الغربي « البحري » للمدرسة الكاملية[٤] [شكل ٩] ثم من بعدها المدرسة الصالحية [شكل ١٠] والتي تبقى منها قاعة بأكملها تتكون من إيوانين متقابلين وبينهما صحن مكشوف[٥] .

ولقد دفعت الشواهد الأثرية السابقة ، بعدد من الباحثين إلى اعتبار أن تخطيط المدارس الأيوبية المبكرة ، يتكون من إيوانين متقابلين وبينهما صحن مكشوف[٦] .

---

(١) يعود تاريخ إنشاء المدارس الأولى في القاهرة إلى سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠م . عدنان الحارثي ، أثر صلاح الدين الأيوبي على التطور الحضاري والعمراني لمدينة القاهرة، رسالة ماجستير ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٤٧٦ .

(٢) هذا المبنى من إنشاء الأمير الشريف فخر الدين إسماعيل بن ثعلب . ويشير نص الانشاء أنها تربة ، وهذا ما ذهب إليه أحمد فكري ، في تحديده لنوعية هذه المنشأة ، بينما يرى كريزويل بأن المبنى مدرسة . أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج ٢ / ٣٦ – ٣٧ .

Creswell , Muslim Architecture of Egypt , Volum , Z , p . 77-80 .

(٣) أوقطاي أصلانابا ؛ فنون الترك وعمائرهم ، ص ٥٧ .

(٤) أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج ٢ / ص ٥٦ – ٥٧ ، فريد شافعي ، العمارة العربية الاسلامية ، ص ٨٤ ، أوقطاي أصلانابا ، فنون الترك وعمائرهم ، ص ٥٧ .

(٥) أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج ٢ / ص ٦٣ ، فريد شافعي ، العمارة العربية الاسلامية ، ص ٨٤ – ٨٥ .

(٦) حسن الباشا، المدخل، ص ١٥٩، كمال الدين سامح، العمارة الاسلامية في مصر، ص ٣٣. صالح لمعي، التراث المعماري ، ص ١٧٠ ، حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ، ص ١٨.

وهو ما يمكن القبول به بالنسبة لبعض هذه المدارس ، وبخاصة تلك التي كانت عمائرها في الأصل منازل حولت إلى مدارس ، لأن هناك مدارس أخرى استخدم النظام الرواقي في تخطيطها ، كما سبق أن ذكرنا .

ونظراً لأن معظم هذه المدارس كانت مخصصة لمذهب واحد ، فإن إيوانها الجنوبي الشرقي « القبلي » كان يخصص للصلاة ، بينما اختص الإيوان المقابل « الشمالي الغربي » بالتدريس . فإذا كانت المدرسة تدرس مذهبين ، فإن إيوان الصلاة يستخدم لتدريس أحدهما أيضاً[1] .

فلما تقرر أن تدرس المدرسة أربعة مذاهب ، زودت بأربعة أواوين ، في وحدتين منفصلتين ، كل منهما تتكون من إيوانين متقابلين وبينهما صحن مكشوف . وهو ما يشاهد في تخطيط المدرسة الصالحية[2] [شكل ١٠] .

---

(١) حسن الباشا ، نظرة جديدة في نشأة الطراز المعماري للمدرسة المصرية ذات التخطيط المتعامد ، ص ٥٣ - ٥٤ ، عبدالرحيم إبراهيم ، تاريخ الفن في العصور الاسلامية ، ص ١٠٨ .

(٢) حسن الباشا ، المدخل، ص ١٦٠، فريد شافعي، العمارة العربية الاسلامية، ص ٨٤ - ٨٥، كمال الدين سامح، العمارة الإسلامية في مصر، ص ٣٣. أوقطاي أصلانابا، فنون الترك وعمائرهم، ص ٥٧. وهناك من الباحثين من يرى بأنه لا علاقة بين تعدد الأواوين وبين عدد التخصصات التي تدرسها، مستندين في ذلك إلى وجود مدارس مملوكية تدرس مذهباً واحداً رغم تعدد إيواناتها والتي تصل في بعض الحالات إلى أربعة . ووجود مدارس أخرى تدرس عدداً من التخصصات أكثر من عدد الإيوانات التي بها . محمد عبدالستار عثمان ، نظرية الوظيفة ، ج٢ / ص ٢٣٠ ، محمد حمزة الحداد ، العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

بيد أن الاستناد على شواهد من العصر المملوكي ، لا يعد مبرراً كافياً لفهم العلاقة بين الوظيفة والتخطيط لمدارس تعود للعصر الأيوبي ، لأن المدرسة بلغت في عصر المماليك مرحلة متقدمة من النضج والتطور . بخلاف ما عليه الحال في العصر الأيوبي ، وبالتالي فلا يعني إنعدام الصلة بين عدد التخصصات وعدد قاعات الدرس في ذلك العصر ، أي أنها كانت كذلك في المدارس الأيوبية . ومما يؤكد ذلك أن كافة الشواهد التاريخية المتوفرة في هذا الشأن تشير إلى وجود هذه العلاقة . فالمدرسة القمحية [٥٦٦ هـ / ١١٧٠م] وهي من أولى المدارس التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي . قسم مبناها لأربعة زوايا لأن بها أربعة دروس للمالكية. ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ق ٢ / ص٩٥، بل إن هذا الأمر يمكن مشاهدته في مدارس الحجاز المبكرة أيضاً . مثل المدرسة الشهابية [في حدود سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م] كانت تتكون من أربعة أواوين . عباس حلمي ، المدارس الاسلامية، ص ١٥٨ ، وخصصت لتدريس المذاهب الأربعة ، السخاوي ، التحفة اللطيفة ، ج١ / ص ٦٤ .

ويعد عصر المماليك ، مرحلة توسع في استخدام الإيوان في عمارة المدارس وتخطيطها ، حيث بلغ التخطيط الإيواني مرحلة متقدمة من النضج والكمال .

ففي العصر المملوكي « البحري » ، ظهرت طرز متعددة للتخطيط الإيواني ، أبرزها : المدرسة ذات التخطيط المتعامد ، والتي تتضمن أربعة أواوين متقابلة وبينهما صحن مكشوف[1] .

وأقدم مثال معروف في مصر لهذا الطراز من التخطيط ، مدرسة الظاهر بيبرس[2] [٦٦٢هـ / ١٢٦٣م] والتي كانت تتكون من أربعة أواوين متعامدة لم يبق منها سوى إيوان واحد في الوقت الحاضر[3] .

ومن المدارس التي أتت بعد ذلك على نفس الطراز من التخطيط ، مدرسة الناصر محمد[4] [٧٠٣ هـ / ١٣٠٣م] [شكل ١٣] والمدرسة الصرغتمشية[5]

(١) عرف هذا التخطيط في مصر منذ العصر الطولوني ، وساد وانتشر في العصر الفاطمي ، حيث استخدم في أنواع مختلفة من العمائر كالبيوت والحمامات دون أن يظهر في المدارس . فريد شافعي ، العمارة العربية الاسلامية ، ص ٦٣- ٦٤، عباس حلمي ، المدارس الاسلامية ص ١٥٦- ١٥٧ ، صالح لمعي ، التراث المعماري، ص ٦٦ ، محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص ٤٠٩ - ٤١٠.

(٢) هذه المدرسة من إنشاء الملك الظاهر بيبرس البندقداري، أحد أبرز سلاطين العصر المملوكي البحري . بيبرس المنصوري ، التحفة المملوكية في الدولة التركية ، تحقيق عبدالحميد صالح ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، القاهرة ، ص ٥٢ . المقريزي ، الخطط ، ج٢/ ص ٣٧٧ - ٣٧٨ ، العيني ، بدر الدين محمود ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق محمد محمد أمين ، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م ، القاهرة ، ج٢ / ص ١٧٩ .

(٣) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج ٣ / ص ٢٨ ، صالح لمعي ، التراث المعماري ، ص ١٧ - ١٨ .

(٤) فريد شافعي ، العمارة العربية الاسلامية ، ص ٨٨ ، صالح لمعي ، التراث المعماري ، ص ١٨ . وهذه المدرسة من إنشاء الملك الناصر محمد بن قلاوون . بيبرس المنصوري ، التحفة الملوكية ، ص ١٧٥ . المقريزي ، الخطط ، ج٢ / ص ٣٨٢ . العيني ، عقد الجمان ، ج ٤ / ص ٢٩٧ .

(٥) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج ٣ / ص ٢٦٨ ، وزارة الأوقاف ، مساجد مصر ، ج١ / ص ٦٦ . حسن القصاص ، المدرسة الصرغتمشية ، دراسة أثرية معمارية ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ، ص ٢٨ . وهذه المدرسة من إنشاء لأمير سيف الدين صرغتمش الناصري . المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٤٠٣ - ٤٠٤ .

[٧٥٧ هـ / ١٣٥٦ م] [شكل ٢٢] . ويبلغ هذا الطراز ذروة تطوره في جامع ومدرسة السلطان حسن(١) [٧٦٤هـ/١٣٥٦م] [شكل ٢٤] ، إذ يتكون مخطط المبنى من أربعة أواوين ضخمة متعامدة يتوسطها صحن مكشوف ، وشغلت أركان المبنى الواقعة بين هذه الأواوين ، بمدارس صغيرة للمذاهب الأربعة ، كل منها يتكون من إيوان واحد ، يعلوه وحدات للإسكان ، والتي شغلت أيضاً المناطق المقابلة لهذه الأواوين(٢) .

ورغم سيادة الطراز السابق على عمائر العصر المملوكي الأول ، فلقد شهد هذا العصر أيضاً ظهور طرز أخرى من التخطيط الإيواني .

فشهدت تلك الفترة ظهور طراز المدارس ذات الثلاثة أواوين ، مثل مدرسة تتر الحجازية(٣) [٧٦١ هـ / ١٣٦٠ م] [شكل ٢٣]. كما شهدت ظهور مدارس ذات إيوانين متقابلين وبينهما صحن مكشوف ، مثل مدرسة وخانقاه بيبرس الجاشنكير(٤) [٧٠٩هـ / ١٤١٠م] [شكل ١٤] . والمدرسة المثقالية(٥)

---

(١) أنشأ هذا الجامع المدرسة السلطان حسن ابن الناصر محمد بن قلاوون ، سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج ٣ / ص ٢٨٠ - ٢٨١ ، علي زغلول ، مدرسة السلطان حسن ، دراسة معمارية أثرية ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ص ٢٥ .

(٢) فريد شافعي، العمارة العربية الاسلامية، ص ١٢٢، زكي حسن ، فنون الاسلام ، ص ٧٣ - ٧٤ . وزارة الأوقاف ، مساجد مصر ، ج١ / ص ٦٨ - ٦٩ . علي زغلول ، مدرسة السلطان حسن ، ص ٦٥ .

(٣) محمد حمزة، العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط، ص ٢٨٣ . وهذه المدرسة من إنشاء تتر الحجازية إبنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، المقريزي، الخطط ، ج ٢ / ص ٣٨٢ - ٣٨٣ .

(٤) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج٣ / ص ١٦٨ ، وهذه المدرسة الخانقاه من إنشاء الملك المظفر بيبرس الجاشنكير ، المقريزي ، الخطط ، ج٢/ ص ٤١٨.

(٥) محمد حمزة الحداد ، العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط ص ٢٨١ - ٢٨٢ ، وهذه المدرسة من إنشاء الأمير الطواشي سابق الدين مثقال ، سعاد ماهر، مساجد مصر، ج٣ / ص ٣٢٥ .

[٧٨٣هـ/ ١٣٨١ م] [شكل ٢٥] علاوة على المدارس ذات الإيوان الواحد والصحن المكشوف ، مثل المدرسة البقرية[١] [٧٤٦هـ / ١٣٤٥م] [شكل ١٩] .

وظهرت في ذلك العصر ، البدايات الأولى لتغطية صحون المدارس كما هو في المدرسة الملكية[٢] [٧١٩هـ /١٣١٩م] [شكل ١٦] والتي تتكون من إيوانين متقابلين وبينهما صحن مسقوف « درقاعه »[٣] ، وفي مدرسة قطلو بغا الذهبي[٤] [قبل ٧٤٢هـ / ١٣٤١م] [شكل ١٨] والتي تتكون من إيوان واحد ، يتقدمه صحن مسقوف « درقاعه »[٥] .

فإذا ما انتقلنا إلى العصر الجركسي ، فإن التخطيط الإيواني . بدأ يشهد تنوعاً في طرزه مع استمرارية الاستخدام للطرز السابق .

وبناءًا على الشواهد المتوفرة عن مدارس ذلك العصر في مصر ، والتي ينتمي معظمها للتخطيط الإيواني ، فبالإمكان وضع طرزها المتعددة ضمن قسمين رئيسين ، هما :

أولاً : المدارس الإيوانية ذات الصحن المكشوف :

ويتكون هذا القسم من طرازين رئيسيين ؛ الأول عبارة عن المدارس ذات التخطيط المتعامد ويتوسطها صحن مكشوف ، ومن أبرز الأمثلة على ذلك

(١) محمد حمزة، العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط، ص ٢٨٣، وهذه المدرسة من إنشاء شمس الدين بن غزيل البقري، ناظر الذخيرة في عهد السلطان حسن، المقريزي، الخطط، ج٢ / ص ٣٩١.

(٢) هذه المدرسة من إنشاء الأمير سيف الدين آل ملك الجوكندار ، المصدر السابق نفسه ، ج ٢ / ص ٣٩٢ .

(٣) شاهنده فهمي ، جوامع ومساجد أمراء الناصر محمد ، ص ١٧٨ .

(٤) وهذه المدرسة من إنشاء الأمير قطلو بغا الذهبي ، أمال العمري ، مدرسة قطلو بغا الذهبي ، مجلة دراسات آثارية اسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٨م ، ج٣ / ص ٢٢ .

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٢ .

مدرسة جمال الدين يوسف الأستدار[1] [٨١١ هـ/ ١٤٠٨م] [شكل ٣٣]، ومدرسة برسباي بالأشرفية[2]، وجامع ومدرسة جاني بك[3] [٨٣٠ هـ/١٤٢٧م] [شكل ٤٢] ، ومدرسة السلطان جقمق[4] [٨٥٥ هـ / ١٤٥١م] .

أما الطراز الثاني ، فيتكون من إيوان واحديطل على صحن مكشوف ، ومن الأمثلة على ذلك مدرسة كافور الزمام[5] [٨٢٩ هـ/ ١٤٢٦ م] [شكل ٤٠].

ويتضح من خلال الطرازين السابقين ، مظاهر الاستمرارية لما كان شائعاً من أنظمة التخطيط الإيوانية في العصر المملوكي الأول .

ثانياً : المدارس الإيوانية ذات الصحن المغطى :

على الرغم من أن تغطية الصحن ، أسلوب معماري عرف في مدارس العصر المملوكي الأول ، واستخدم حتى في المدارس الرواقية كما سبق أن شاهدنا ، فإن استخدام هذا الأسلوب من التخطيط على نطاق واسع لم يتم إلا في العصر الجركسي[6] . فظهر في مدارسه وفق طرز متعددة .

---

(١) محمد عبدالستار عثمان ، وثيقة جمال الدين الاستدار ، ص ١٢٠ ، ١٢٣-١٢٧ .

(٢) عن ذلك انظر ص ١١٢ .

(٣) محمد عبدالرحمن فهمي ، أعمال جاني بك المعمارية ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٩٨٨م ، ص ٣٦ . وهذه المدرسة من إنشاء الأمير جاني بك الأشرفي ،ابن الصيرفي ، نزهة النفوس، ج ٣ / ص ١٣٨ . السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٣ / ص ٥٤ – ٥٥ .

(٤) سعاد ماهر، مساجد مصر، ج ٤/ ص ١٨٤. وهذه المدرسة من إنشاء الأمير الكبير فخر الدين أبو الفتوح بن قزل ، في أواخر العصرالأيوبي ، ثم أعيد بنائها على هيئتها الحالية على يد السلطان الظاهر جقمق . المقريزي ، الخطط ، ج٢ / ص ٣٦٧. سعاد ماهر ، مساجد مصر، ج ٤ / ص ١٧٩ – ١٨١ .

(٥) حجة وقف الأمير كافور الزمام ، برقم ٧٦ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة . وهذه المدرسة من إنشاء الأمير كافور الزمام . المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٣٣١ ، عبدالرحمن زكي ، موسوعة مدينة القاهرة ، ص ٣٢٨ .

(٦) محمد مصطفى نجيب ، نظرة جديدة ، ص ٥٧ ، هامش ٤١ .

فمن ذلك مدارس تتكون من أربعة إيوانات وصحن مسقوف ، مثل مسجد ومدرسة قراقجا الحسني(١) [٨٤٥ هـ/ ١٤٤٢م] [شكل ٤٩] ، ومدرسة خاير بك(٢) [٩٠٨ هـ / ١٥٠٢م][شكل ٦٤] ، والتي تتميز بعمق إيوانيها الجانبيين قياساً بإيوان القبلة « جنوبي شرقي »(٣) .

ومن ذلك أيضاً طراز يتكون من صحن مسقوف « درقاعه » يتوسط ثلاثة إيوانات مثل مدرسة محمود الكردي الاستدار(٤)٢٩٦ [٧٩٧هـ / ١٣٩٥م]

ومن الطرز التي شاعت في ذلك العصر ، عبارة عن إيوانين متقابلين ، وسدلتين جانبيتين يتوسطها صحن مسقوف « درقاعه » .

ومن أبرز الأمثلة على ذلك ، مدرسة جوهر اللالا(٥) [٨٣٣هـ / ١٤٣٠م] [شكل ٤٣] ، ومدرسة تغري بردى(٦) [٨٤٤ هـ /١٤٤٠م] [شكل ٤٧] ، ومدرسة القاضي يحى(١) [٨٤٨ هـ / ١٤٤٤ م] [شكل ٥٠] ، ومدارس

(١) حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ، ص ١٢٨ . وهذا المسجد المدرسة من إنشاء الأمير الكبير قراقجا الحسني . السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٦ / ص ٢١٦ ، التبر المسبوك ، ص ٤١٢ .

(٢) هذه المدرسة من إنشاء الأمير الجركسي خاير بك . ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ / ص ٤٨ ، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٣٠٥ .

(٣) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة خاير بك بباب الوزير « دراسة أثرية معمارية »رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص ٥-٧.

(٤) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٣٠٥ . وهذه المدرسة من إنشاء الأمير جمال الدين محمود الاستدار . المقريزي ، الخطط ، ج٢ / ص ٣٩٥ . ابن الصيرفي ، نزهة النفوس ، ج ١ / ص٤٥٤ . ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ / ص ١٥٩ .

(٥) ليلى شافعي ، مدرسة جوهر اللالا ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٩٧٧م ، ص ٩١ - ١٠٢ . وهذه المدرسة من إنشاء الأمير جوهر اللالا ، ابن تغري بردى ، المنهل الصافي ، ج ٥ / ص ٤٤ ، سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج ٤ / ص ١١٨ - ١٢١ .

(٦) وزارة الأوقاف ، مساجد مصر ، ج٢ / ص ٩٤ . وهذه المدرسة من بناء الأمير تغري بردى المؤذي ، السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٣ / ص ٢٧ - ٢٨ ، كراسات لجنة حفظ الآثار العربية ، تقرير سنة ١٩٠٩م ، ص ٨٨ ، وسنة ١٩١٠ م ، ص ١٠٣ . حجة وقف الأمير تغري بردى المؤذى ، برقم ٩٨ ، بدار الوثائق القومية ، بالقاهرة .

قايتباي الثلاث بمدينة القاهرة ، وهي مدرسة الصحراء[2] ، والكبش[3] [٨٨٠ هـ / ١٤٧٥ م] [شكل ٥٦] ، وجزيرة الروضة[4] [٨٩٦ هـ / ١٤٩٠م] [شكل ٦٢] ، ومدرسة قجماس[5] [٨٨٦ هـ / ١٤٨١م] [شكل ٦٠] ، ومدرسة أزبك اليوسفي[6] [٩٠٠ هـ / ١٤٩٥م] [شكل ٦٣]، ومدرسة قانصوه الغوري[7] [٩١٠ هـ / ١٥٠٥م] [شكل ٦٤] .

---

(١) ليلى شافعي ، منشآت القاضي يحي زين الدين ، ص ٢٤٠ .

(٢) ص ١٤٨ .

(٣) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ، ص ٣٢٧ . وهذه المدرسة من منشآت السلطان الأشرف أبو النصر قايتباي . السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٦ / ص ٢٠٨ . عبدالرحمن زكي ، موسوعة مدينة القاهرة ، ص ٢٧٥ ، حجة وقفالسلطان الأشرف أبو النصر قايتباي برقم ٨٨٦ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٤) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ ، وهذه المدرسة من إنشاء السلطان قايتباي بمدينة القاهرة . السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٦ / ص ٢٠٨ ، حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ج١ / ص ٢٧٣ . حجة وقف السلطان الأشرف أبو النصر قايتباي برقم ٨٨٦ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٥) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الأسحاقي ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص ١٧١ . وهذه المنشأة من بناء الأمير قجماس الاسحاقي ، السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٦ / ص ٢١٣ ، ابن أياس دائع الزهور ج ٣ / ص ٢٤٣ ، حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ج١ / ص ٢٦٣ .

(٦) سعاد ماهر ، مساجد مصر، ج ٤ / ص ٢٩٠ - ٢٩٢ . وهذه المدرسة من انشاء الأمير أزبك اليوسفي . ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج٣ / ص ١٢٧ ، حجة وقف الأمير أزبك اليوسفي برقم ١٩٨ ، بدار الوثائق القومية ، بالقاهرة .

(٧) محمد فهيم ، مدرسة السلطان قانصوه الغوري ، دراسة أثرية معمارية ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ص ٧٥-٧٦ . وهذه المدرسة من إنشاء السلطان قانصوه الغوري ، ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ / ص ٥٨ ، ٥٩ ، ج ٥ / ص ٨٧ . حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ج١ / ص ٢٨٦ . عبداللطيف إبراهيم ، دراسات تاريخية وأثرية في وثائق عصر الغوري ، ص ٤٣ .

ومن طرز التخطيط التي ميزت مدارس ذلك العصر ، أن يكون تخطيط المدرسة عبارة عن إيوانين متقابلين وبينهما صحن مسقوف ، ومن الأمثلة على ذلك : مدرسة إينال اليوسفي(١) [٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م] [شكل ٢٨]، ومدرسة قاني باي المحمدي(٢) [٨١٦ هـ/ ١٤١٣م] [شكل ٣٥] ، ومدرسة الجمالي يوسف(٣) [٨٥٠ هـ/ ١٤٤٦م] [شكل ٥١] ، ومدرسة أبناء قايتباي(٤) [قبل ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧م] [شكل ٥٤] .

وآخر طرز التخطيط التي تقع ضمن هذاالاطار ، هي تلك التي تتكون من إيوان واحد يتقدمه صحن مسقوف «درقاعـه» . ومن أبرز أمثلة ذلك العصر ، مدرسة أيتمش البيجاس(٥) [٧٨٥ هـ / ١٣٨٣ م] [شكل ٢٦] ، ومدرسة فيروز الساقي(٦) [٨٣٠هـ/١٤٢٧م] [شكل ٤١] .

(١) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٣٠٤ ، وهذه المدرسة من إنشاء الأمير إينال اليوسفي ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ١٢ / ص ١٢٨ . ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ١ / ص ٤١٢ . ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم ، تاريخ الدول والملوك ، بيروت ١٩٣٨م . المجلد ٩ ، ج ٢ / ص ٣١٨ . حجة وقف الأمير إينال اليوسفي ، برقم ٥٥ ، بدارالوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) فهمي عبدالعليم ، العمارة الاسلامية في عصر المؤيد شيخ ، ص٣٣ . وهـذه المدرسة من إنشاء الأمير قاني باي المحمدي ، السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٦ / ص١٩٦ .

(٣) حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق، ص ٧٢ ، ١٥٠ . وهذا المسجد المدرسة من بناء الأمير عبدالكريم بن بركه الجمالي يوسف . السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ١٠ / ص ٣٣٢ . حجة وقف الأمير الجمالي يوسف ، برقم ١٠٥ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٤) حسني نويصر، منشآت السلطان قايتباي الدينية ، ص ٢١ ، وهذه المدرسة من إنشاء السلطان قايتباي وعرفت بأبنائه لوقوعها بالقرب من مدفن لأبناء هذا السلطان . المرجع السابق نفسه ، ص ١٩ – ٢١ .

(٥) عبدالباقي إبراهيم ، صالح لمعي ، أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري، ص ١٦١ . وهذه المدرسة من إنشاء الأمير أيتمش البيجاس ، المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٤٠٠، علي باشا مبارك ، الخطط التوفيقية، ج٢ / ص ١٠٣، كراسات لجنة حفظ الآثار العربية ، تقرير سنة ١٩٠٧م ، ص ٥١ ، و ١٩٠٩ ، ص ٨٨ .

(٦) محمد حمزة، العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط، ص ٢٨٣ . وهذه المدرسة من إنشاء الأمير الجركس فيروز الساقي، السخاوي، الضوء اللامع، ج٦ / ص ١٧٦، التبر المسبوك ، ص ١١٠ .

ويرى بعض الباحثين ، أن الطراز المدرسي ذي الإيوانين والسدلتين ، كان ناتجاً عن تطوير لعمارة وتخطيط النظام المدرسي المتعامد ذي الصحن المكشوف[1] .

ولقد تمت طريقة التطوير هذه عندما قام المعمار باستخدام صحون ذات مساحات صغيرة يمكن تغطيتها في عمائره التي قام بإنشائها[2]. مما ترتب عنه صغر واجهات الصحن، وبالتالي قلة المساحة المفتوحة عليه، والتي كانت معظمها مشغولة بالأواوين ، والتي ستصغر مساحتها تبعاً لذلك ، مما دفع المعمار نحو توسيع الإيوانين الجنوبي الشرقي « القبلي » والشمالي الغربي « البحري » بالامتداد بهما من الجانبين ، وتصغير الإيوانين الجانبيين ، لعدم القدرة على توسيعهما ، لوجود عناصر معمارية أخرى تشاطرهما المساحة الجانبية للصحن[3] .

ولقد ترتب عن تصغير مساحة الكتلة الرئيسة إضافة كتل معمارية أخرى للمبنى ، بلغ عددها في بعض المنشآت إثنا عشر كتلة ، تشمل قاعة الدرس والصلاة ، ومكتب السبيل ، والمدفن ، ومساكن بأنواع مختلفة ، بالإضافة إلى حوض صغير لشرب الدواب[4] .

---

(١) محمد مصطفى نجيب ، نظرة جديدة ، ص ٢٤ ، ٢٩ – ٣٠ ، وانظر أيضاً سامي أحمد حسن ، السلطان إينال وآثاره المعمارية ، ص ٦١ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ، ص ٢٥٩، صالح لمعي، التراث المعماري ، ص ١٨ ، مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز ، ص ١١٥ – ١١٦ .

(٣) محمد مصطفى نجيب ، نظرة جديدة ، ص ٢٥ – ٢٧ ، سامي أحمد حسن ، السلطان إينال وآثاره المعمارية ، ص ٦٠ – ٦١ .

(٤) محمد مصطفى نجيب ، نظرة جديدة ، ص ٢١، هامش « ١ » ، مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز ، ص ١١٥ ، ١١٦ .

فأدى ذلك إلى عدم اعتبار هذه المنشآت مجرد مدارس فحسب ، وإنما مجمعات معمارية متعددة الوظائف(١) . ويظهر هذا الطراز بشكل جلي في منشأة السلطان إينال بالصحراء(٢) [٨٦٠ هـ / ١٤٥٦م] [شكل ٥٣] ، وفي مجموعتي كل من قايتباي وقرقماس بالصحراء أيضاً(٣) [٩١٣ هـ /١٥٠٧م] [شكل ٦٧] .

والحقيقة فإن تصغير الصحن وتغطيته ، أسلوب معماري عرف في مدارس العصر المملوكي البحري ، كما يشير بذلك المدرسة الملكية ، ومدرسة قطلو بغا الذهبي ، وقد سبق الإشارة إليهما .

بل إن هذا الأسلوب عرف أيضاً في المدارس الرواقية التي تعود لتلك الفترة ، مثل المدرسة البندقدارية ، والمدرسة المهمندارية .كما عرف من المدارس التي تجمع بين الأواوين والأروقة مثل مدرسة أصلم السلحدار(٤) .

---

(١) بدأ التعدد الوظيفي في المدارس منذ العصر المملوكي البحري ، حيث أضحت المدرسة تؤدي فيها صلاة الجمعة ، بالإضافة إلى الصلوات الخمس الرواتب التي كانت تؤدى من قبل بجانب وظيفة التدريس ، ثم تطور الأمر بعد ذلك وأصبحت المدرسة تقوم بوظيفة الخانقاه أيضاً . محمد عبدالستار عثمان ، نظرية الوظيفية ، ج١ / ص ٢٢ ، ١٣٢ ، محمد سيف النصر ، منشآت الرعاية الاجتماعية ، ص ٣٨٧ ، محمد حمزة الحداد ، العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط ، ص ٢٩٠ .

(٢) هذه المدرسة الخانقاه من إنشاء السلطان الأشرف إينال ، سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج ٤ / ص ١٩٦ ، سامي أحمد حسن ، السلطان إينال وآثاره المعمارية ، ص ٨٠ .

(٣) محمد مصطفى نجيب ، نظرة جديدة ، ص ٢١ ، ومدرسة قرقماس ، من إنشاء الأمير كبير قرقماس ، علي مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٥ / ص ٧٦ - ٧٧ ، ج٦ / ص ١٤ ، عبدالرحمن زكي ، موسوعة مدينة القاهرة ، ص ٣٢٨ ، محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ، أمير كبير ، ص ٨٢ . حجة وقف الأمير قرقماس ، برقم ٩٠١ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٤) عن ذلك انظر ما سبق .

كذلك فإن تصغير الإيوانين الجانبيين عرف في مدرسة المنصور قلاوون والتي تعود إلى أواخر القرن السابع ٧ هـ / ١٣ م . إذ كان يوجد على جانبي صحنها المكشوف سدلتين صغيرتين(١) ، بينما شغلت معظم المساحة المتبقية من جانبي الصحن ببعض وحدات الاسكان فيها(٢) .

وبالتالي فلا علاقة بين تصغير الصحن وتغطيته ، أو تصغير الإيوانين الجانبيين ، بالمجمعات المعمارية متعددة الوظائف التي ظهرت في العصر الجركسي .

ويضاف إلى ذلك أن فكرة المجمعات العمرانية متعددة الوظائف ، تعود إلى العصر المملوكي البحري ، كما يشير بذلك مجموعة المنصور قلاوون المعمارية [٦٨٣ ـ ٦٨٤ هـ / ١٢٨٤ ـ ١٢٨٥م] [شكل ١٢] ، والتي تتكون من مدرسته السابقة ، ومارستان بالإضافة إلى عدد من الملاحق الأخرى(٣) .

ومن هنا فإن وجود هذا النوع من العمائر في العصر الجركسي يعد استمراراً لما سبق ، حيث ظهرت منذ بدايته كما تشير بذلك وثيقة مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق والتي تذكر بأنها تتكون من مدرسة وخانقاه ، ويتبعها ملاحق متعددة(٤) . ووثيقة منشأة المؤيد شيخ والتي نصت على أنها تقوم بوظيفة الجامع والمدرسة والخانقاه ، ويتبعها أيضاً ملاحق تماثل ما هو موجود في المجمعات المعمارية الأخرى(٥) .

---

(١) حجة وقف المنصور قلاوون برقم ٧٠٦ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٢) محمد سيف النصر، مدرسة المنصور قلاوون بالنحاسين ، ص ١٠٣-١٠٨ .

(٣) سعاد ماهر ، مساجد مصر ج ٣ / ص ٦٩ – ٧٤ ، عبدالباقي إبراهيم ، صالح لمعي وآخرون ، أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري ، ص ٩٤-٩٨.

(٤) حجة وقف السلطان الظاهر برقوق برقم ١٥١ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٥) حجة وقف السلطان المؤيد شيخ برقم ٩٣٨ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

هذا مع العلم أن هذه المجمعات تتمتع بمساحات كبيرة وذات صحون مكشوفة . وتنتمي إلى أنظمة مختلفة في التخطيط(١) .

ويتضح مما سبق أنه لا علاقة للمجمعات المعمارية بطراز معماري معين وأن تاريخها يعود لفترة تسبق العصر الجركسي .

ويؤكد ذلك أن استخدام الإيوانين والسدلتين حول درقاعـه ، عرف في مدارس صغيرة تسبق إنشاء مدرسة السلطان إينال [٨٦٠ هـ/ ١٤٥٦م] حيث اتبع هذا التخطيط في مدرسة جوهر اللالا [٨٣٣ هـ / ١٤٣٠ م] ومدرسة تغرى بردى [٨٤٤ هـ / ١٤٤٥ م] كما سبق أن شاهدنا .

ومن هنا يصبح من غير الممكن قبول التصورالسابق ، وهو ما ذهب إليه محمد سيف النصر(٢) ، الذي اعتبر أن ما حدث لا يعدوا من كونه تأثر بالتطوير الذي حدث لقاعات المنازل ، والتي أصبحت تتكون من إيوانين يتوسطهما صحن صغير مسقوف « درقاعه » .

وكان من الممكن أن يكون هذا الرأي صحيحاً ، لو أن المدارس التي أنشئت في العصر الأيوبي أو المملوكي البحري اتخذت هذا الطراز أسلوباً شائعاً لتخطيطها ، لأنه كان متبعاً في عمارة قاعات المنازل منذ تلك الفترة(٣) .

وبالتالي فلو كان الأمر مجرد تأثر بقاعة المنزل ، فلا يوجد أي مبرر لتأخير استخدام هذا الطراز حتى القرن التاسع ٩ هـ/١٥ م . وهو مالم يقدم محمد سيف النصر تفسيراً له .

---

(١) انظر شكل [٢٧ ، ٣٨] .

(٢) محمد سيف النصر ، منشآت الرعاية الاجتماعية ، ص ٤٠٧ - ٤١١ .

(٣) عباس حلمي ، تطور المسكن المصري الاسلامي ، ص ١٥٦ ، ١٨٠ - ١٨٤ . ولم يظهر هذا الأسلوب في العصر البحري إلا على نطاق محدود جداً . انظر ما سبق .

وتأسيساً على ما سبق يتضح أن هناك سبباً آخر ؛ وهو أن مدارس ذلك العصر بدأت تفقد بمرور الوقت التركيز على تدريس العلوم الشرعية، والاتجاه نحو الاهتمام بالتصوف وعلومه وآدابه[١] . كما هو في مدرسة جوهر اللالآ[٢]، ومدرسة تغري بردى[٣] ، ومدرستي السلطان إينال[٤] ، والسلطان قايتباي بالصحراء[٥]، مما أدى إلى ظهور ما يمكن اعتباره نوع مطور من المدارس، الأمر الذي ساعد المعمار على أن يتحرر في عمارته للمجمعات المعمارية الكبيرة من النظام المتعامد، والذي كان استخدامه شائعاً في المجمعات التي تعود إلى أوائل العصر الجركسي، وتتميز بأنها تقوم بتدريس أكثر من تخصص للعلوم الشرعية، مع قيامها بوظيفة المسجد الجامع والخانقاه ، وغير ذلك من الوظائف[٦] .

(١) ولا يعني ذلك إختفاء تدريس العلوم الشرعية في هذه المدارس وإنما يتم وفق احتياجات التصوف نفسها والتي كان يتم فيها التركيز على تعلم العبادات. بالإضافة إلى دروس الحديث النبوي الشريف .
عبدالغني محمود عبدالعاطي ، التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، ص ١٩٥ ـ ١٩٦ ، محمد حمزة الحداد ، العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط ، ص ٢٩٧-٢٩٨.

(٢) حجة وقف الأمير جوهر اللالا برقم ١٠٢١ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٣) حجة وقف الأمير تغري بردى المؤذى برقم ٩٨ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٤) حجة وقف السلطان إينال برقم ٦٢ تاريخ بدار الكتب المصرية .

(٥) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٦) استخدم النظام المتعامد وفق أنظمة تخطيط متعددة ، حيث اتبع وفق نظام الإيوانات المدموج بالأروقة كما هو في مدرسة الظاهر برقوق ، وعبد الغني الفخري وغيرها ، ومنها ما هو وفق نظام الأروقة ، كمدرسة وخانقاه فرج بن برقوق، وجامع ومدرسة المؤيد شيخ . ومنها ما هو وفق النظام الإيواني مثل مدرسة برسباي . وقد سبق ذكرأنظمة تخطيط هذه المدارس في صفحات سابقة من هذا الفصل ، مع العلم بأن هذه المنشآت المذكورة آنفاً كانت متعددة الوظائف ، فتقوم بوظيفة الصلاة ، والدرس والتصوف . وتحوي ملاحق للقيام بوظائف ثانوية أخرى .

انظر :

ـ حجة وقف السلطان برقوق برقم ١٥١ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

ـ حجة وقف السلطان المؤيد شيخ برقم ٩٣٨ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

ـ حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

فاتجه المعمار نحو اتخاذ نمط أخر من التخطيط ليبني به مثل هذا النوع من العمائر . ووجد في طراز الإيوانين والسدلتين حول صحن مسقوف « درقاعه » خير طراز يمكن استخدامه ، فهو يتميز بتكامل عناصره وتناسقها[١] ، مما يعطي جمالاً في التخطيط يعوض عن الضخامة التي تميزبها النظام القديم . علاوة على دفع المنشيء والمعمار نحو الاهتمام بالتفاصيل الدقيقة في البناء ، فتطورت زخارفها وأضحت أكثر حسناً مما كانت عليه في السابق ، كما هو مشاهد في مدرسة قايتباي بالصحراء ، والتي تمثل القمة في ما وصلت إليه العمارة في هذا المجال[٢] .

ويضاف إلى ذلك أن هذا الطراز يتميز بإتساعه النسبي ليقوم بالوظائف الأخرى التي تقوم بها المنشأة ، إذ جرت توسعة الإيوانين الجنوبي الشرقي « القبلي » والشمالي الغربي « البحري » بالامتداد بهما من الجانبين . كذلك فإن وجود السدلتين الجانبيتين ستضيف مزيداً من الاتساع على مساحة الصحن .

أما عن المصدر الذي استلهم منه المعمار هذا الطراز ، فمن الواضح أنه استفاد من التجارب والخبرات المعمارية السابقة ، حيث حاول المعمار منذ العصر المملوكي الأول « البحري » أن ينشيء مدارس وفق النظامين الرواقي والايواني تتميز بصغر مساحاتها[٣] . مما مكنه من تغطية الصحن من جهة ،

(١) صالح لمعي ، التراث المعماري ، ص ١٨ ، محمد مصطفى نجيب ، نظرة جديدة ص ٢١ .

(٢) حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ج ١ / ص ٢٥١ .

(٣) انظر على سبيل المثال المدرسة البندقدارية ، ومدرسة قطلوبغا الذهبي ، وقد سبق الإشارة إليهما في هذا الفصل . ومما يجدر ملاحظته أن ظهور هذه المدارس وفق هذا النمط من التخطيط قد تحكم به ظروف الانشاء ، مثل المساحة المتاحة ، والمقدرة المالية وغير ذلك . وهو ما يدل عليه صغر مساحتها .
وعن ظروف الانشاء هذه وأثرها على عمارة المدارس المملوكية انظر حسني محمد نويصر ، عوامل مؤثرة في تخطيط المدارس المملوكية ، ص ٢٣٧ – ٢٧٢ .

وإيجاد طرز تخطيطية متنوعة من جهة أخرى ، منها مدارس ذات إيوانين متقابلين يتوسطهما صحن مسقوف . ولقد ابتدأ المعمار باستخدام هذا الطراز في العصر المملوكي البحري ، كما هو مشاهد في المدرسة الملكية[١] . واستمر في العصر الجركسي مثل مدرستي إينال اليوسفي ، وقاني باي المحمدي[٢] .

وعندما أراد أن يوسع مساحة المدارس التي تتبع هذا الطراز ، قام بتوسعة الإيوانين بالامتداد بهما من الجانبين . وهو أسلوب اقتبسه من أساليب سابقة ، قام بها معمار العصر المملوكي البحري ، الذي عمل على توسعة الإيوان الجنوبي الشرقي « القبلي » لمدرستين ذواتا صحن مكشوف ، وهما مدرسة وخانقاه بيبرس الجاشنكير[٣] [شكل ١٤] والمدرسة الصرغتمشية[٤] [شكل ٢٢] . كما أنه قام في ذلك العصر بتوسعة الإيوانين المتقابلين في قاعات المنازل بنفس الأسلوب المتبع في المدارس السابقة بالامتداد بهما من الجانبين[٥].

ومن المؤكد أنه استفاد أيضاً من أسلوب بناء السدلتين اللتين على جانبي الدرقاعه ، في قاعات منازل العصرين البحري والجركسي[٦] ، ليطبقه في مدارسه ، بحيث يتسنى له توسيع الصحن بوضعهما على جانبيه ولكن بعد توسيعهما عما عليه في البيوت .

---

(١) عن ذلك انظر ما سبق .

(٢) عن ذلك انظر ما سبق .

(٣) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج٣ / ص ١٦٩ .

(٤) حسن القصاص ، المدرسة الصرغتمشية ، ص ٢٨ – ٣٥.

(٥) عباس حلمي ، تطور المسكن المصري الإسلامي ، شكل ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٤، ١٠٥.

(٦) المرجع السابق نفسه ، شكل ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦، ١١١ .

ولقد بدأ المعمار بتجربة أسلوبه الجديد هذا في مدارس صغيرة نسبياً ، مثل مدرسة جوهر اللا [شكل ٤٣] ، ومدرسة تغري بردى [شكل ٤٧] . فلما اطمأن لنجاح هذا الأسلوب ، أدخله في مجمعاته الكبيرة ، كما هو في مدرسة السلطان إينال بالصحراء [شكل ٥٩] ، ومدرسة قايتباي بالصحراء [شكل ٥٥] ، ومدرسة قانصوه الغوري [شكل ٦٥] ، ومدرسة قرقماس بالصحراء [شكل ٦٧] .

وهذا فيما يتعلق بأنظمة التخطيط الإيواني للمدارس في مصر في ذلك العصر . ويبقى أن نشير ضمن هذا الموضوع إلى مدارس التخطيط الإيواني في الحجاز .

وبناءاً على المعطيات المتوفرة عن المدارس الإيوانية في الحجاز ، يلاحظ أن استخدام الإيوان في مدارس هذه البلاد قبل العصر الجركسي لم يكن شائعاً . ويدل على ذلك أن المصادر التي تحدثت عنها لم تشر إلى وجود الإيوانات إلا في عدد قليل منها .

فبالنسبة للمدارس المبكرة ، فإن ما يرد عن استخدام الإيوان فيها ، يقتصر على مدرسة واحدة فقط ، وهي المدرسة الشهابية بالمدينة المنورة[1]

---

(١) هذه المدرسة من إنشاء الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل أبو بكر بن أيوب ، وكان موقعها في دار أبي أيوب الأنصاري بالقرب من باب جبريل ، أحد أبواب الحرم المدني الشريف . ولم تحدد المصادر التي تحدثت عنها تاريخ إنشائها . وهي موقوفة على المذاهب الأربعة . وقد أخطأ أحمد العباسي فنسبها للغازي أخو الملك العادل . وما ذكره السمهودي هو الأثبت . انظر السمهودي : وفاء الوفاء ، ج١ / ص ٢٦٥ ، السخاوي ، التحفة اللطيفة ، ج١ / ص ٦٤ ، ج ٢ / ص ٢١٢ . العباسي ، أحمد بن عبدالحميد ، عمدة الأخبار في مدينة المختار ، تحقيق محمد الطيب الأنصاري ، الطبعة الخامسة ، ص ١١٩ . ويظهر أن إنشاء هذه المدرسة تم في سنة [٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م] أو ما يقاربها لأنها السنة التي حج فيها منشئها . انظر الحموي محمد بن علي بن نظيف ، التاريخ المنصوري ، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان ، تحقيق أبو العيد دودو ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، دمشق ، ص ١٥٢ . علماً بأن منشيء هذه المدرسة الملك المظفر غازي . توفي سنة [٦٤٦ هـ / ١٢٤٨م] المقريزي ، السلوك ، ج١ / ق ٢ / ص ٣٣٢ .

[في حدود سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦م] . حيث كانت تتكون من قاعتين ، إحداهما كبرى والأخرى صغرى[١] ، وبكل منهما إيوانين متقابلين ، أي أن بها أربعة أواوين ، وتخطيطها قريب الشبه بالمدرسة الصالحية بالقاهرة[٢] .

وكذلك كان الحال بالنسبة للعصر المملوكي الأول ، فإن ما يرد عن استخدام الإيوان في الحجاز حينئذ ، يقتصر على مدرسة واحدة هي الحنفية المظفرية[٣] [قبل سنة ٧٣٨هـ / ١٣٣٧ م] ، والتي تشير المصادر إلى أنه كان بها إيوان واحد فقط[٤] .

فإذا ما انتقلنا إلى العصر الجركسي ، نجد أن هناك عدداً أكبر من المدارس التي يرد ذكر استخدام الإيوان في عمارتها وتخطيطها ، مما يدل على أن هناك توسعاً في استخدامه في عمائر ذلك العصر في الحجاز[٥] .

---

(١) السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج١ / ص ٢٦٥ .

(٢) عباس حلمي ، المدارس الاسلامية ، ص ١٥٨ . وقد تكون هذه المدرسة أقدم مدرسة في العالم الإسلامي ، تتكون من أربعة أواوين ، وتدرس المذاهب الأربعة ، لأن المدرسة المستنصرية ببغداد والتي تعد حتى الوقت الحاضر أقدم مدرسة لتدريس المذاهب الأربعة . بدأ العمل فيها سنة [٦٢٥ هـ/ ١٢٢٨م] وكمل سنة [٦٣١ هـ / ١٢٣٤ م] . أما المدرسة الصالحية بالقاهرة والتي تشابه في تخطيطها المدرسة الشهابية ، تم الانتهاء منها سنة [٦٤١ هـ/ ١٢٤٣ م] . أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ج ٢ / ص ٦٠.

(٣) لا تتوفر معلومات عن منشيء هذه المدرسة وتاريخ إنشائها وقد تعود إلى عصر المماليك البحرية حيث ورد ذكرها في المصادر في تلك الفترة . ابن فهد ، إتحاف الورى ج٣ / ص ٢١٤ .

(٤) المصدر السابق نفسه ، ج٣ / ص ٢١٤ .

(٥) ومن أبرز الدلائل على ذلك ، أن المارستان المستنصري [٦٢٨ هـ / ١٢٣١م] كان يتكون في الأصل من إيوان واحد ، فقام الشريف حسن بن عجلان سنة [٨١٤هـ/١٤١١م] بإضافة إيوانين آخرين مما يدل على التوسع في استخدام الإيوانات في العمارة في ذلك العصر . الفاسي ، شفاء الغرام ، ج١ / ص ٥٣٨ . ناجي معروف ، مدارس مكة ، ص ٧ .

واستناداً إلى المعلومات المتوفرة عن هذه المدارس، يمكن القول أنها تنتمي إلى نوعين من التخطيط كما هو الحال في نظيرتها في مصر. وهما المدارس الإيوانية ذات الصحن المكشوف، مثل مدرسة قايتباي بمكة المكرمة[1]. والمدارس الإيوانية ذات الصحن المغطى مثل المدرسة الباسطية بالمدينة المنورة[2].

أما بالنسبة لطرز التخطيط الإيواني ، فيمكن حصرها أيضاً في طرازين :

أولهما : المدارس ذات الإيوان الواحد ، كما هو في المدرستين السابقتين .

وثانيهما : المدارس ذات الإيوانين مثل المدرسة البنغالية[3] بمكة المكرمة [٨١٤ هـ /١٤١١ م] ، والتي تتكون من إيوانين متقابلين شرقي وغربي[4] .

وبالإضافة إلى ما سبق ، فإن المصادر عندما تتحدث عن المدرسة الغياثية[5] [٨٦٦ هـ / ١٤٦١ م] ، تذكر بأن كتلتها الأساسية تتكون من قاعة ، بالإضافة إلى خلاوي السكني[6] ، ومن المعروف أن القاعات في ذلك العصر كان الإيوان يشكل العنصر الرئيسي في عمارتها وتخطيطها في مصر[7] ، والحجاز

---

(١) عن ذلك انظر ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

(٢) عن ذلك انظر ص ٢١٩ ، هذا مع مراعاة أنه كان لهذه المدرسة فناء آخر تحيط به بعض الخلاوي .

(٣) هذه المدرسة من إنشاء الملك المنصور غياث الدين أعظم شاه صاحب بنغالـه . وتعـرف بالغياثيـة أيضاً . الفاسي ، العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٣٢٠ - ٣٢١ ، شفاء الغرام ، ج ١ / ص ٥٢٤ - ٥٢٦ . ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٣ / ص ٢٨١ .

(٤) عبدالله غازي ، إفادة الأنام ، ورقة ٤٤٥ . ناجي معروف ، مدارس مكة ، ص ١٧ . عبدالرحمن صالح ، تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٧٢ . علي السليمان ، العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٢٦ .

(٥) هذه المدرسة من إنشاء غياث الدين محمد شاه صاحب كنبايه ، وتعرف أيضاً بالكنبايتية . ابن فهد : اتحاف الورى ، ج ٤ / ص ٤٣٢ - ٤٣٣ . ناجي معروف ، مدارس مكة ، ص ٢٣ .

(٦) ابن فهد ، اتحاف الورى ، ج ٤ / ص ٤٣٢ - ٤٣٣ .

(٧) محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ٨٧ . عباس حلمي ، تطور المسكن المصري الاسلامي ، ص ١٥٦ . وقد تكون هذه القاعة من إيوان واحد أو إيوانين متقابلين ، محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ، الملحق الوثائقي ، ص ٦٥ ، تحقيق رقم ١٧١ .

أيضاً . فعندما يتحدث عبدالعزيز بن فهد[١] عن هدم المدرسة البنغالية بمكة سنة [٨٩٤ هـ / ١٤٨٨ م] ليبنى في موضعها مسكن لشريف مكة ، يذكر بأنه أنشأ به قاعة ذات إيوان واحد .

ويتضح من خلال العرض السابق ، أن استخدام الأواوين في عمارة مدارس الحجاز ، كان في بادئ أمره محدوداً ثم أخذ بالتوسع في العصر الجركسي . وهذا يعكس تزايد اهتمام حكام المسلمين وأعيانهم حينئذٍ بهذه البلاد ، حتى أن منهم من كان ينشيء مدرسة في كلا المدينتين المقدستين[٢] . وبالتالي فلا شك أن هذا الاهتمام سينعكس على أسلوب بناء هذه المنشآت ، فزودت بالأواوين ، وتؤنق في عمارتها .

بيد أنه على الرغم من ذلك ، فإن طرز التخطيط الإيواني في الحجاز كانت أقل تنوعاً مما عليه الحال في مصر . وهذا يعكس الفروق في الامكانات بين البلدين ، حيث يكون الأمر هنا لصالح مصر . وضمن فروق كبيرة جداً .

أما بالنسبة لخصائص استخدام الإيوانات في عمارة المدارس فتتميز الإيوانات بأنها تصلح في توفير مساحات كبيرة نسبياً لا تتخللها الأعمدة الحاملة للأسقف[٣] . علاوة على أن استخدامها يمكن من تقسيم مساحة الأرض إلى قطاعات متعددة تصل إلى ثمانية في النظام المتعامد ، مما يوفر توزيعاً جيداً للمساحة ، ليبنى عليها كتل معمارية أخرى تتبع المنشأة ، كالسبيل ووحدات الإسكان ، وغير ذلك[٤] .

---

(١) عبدالعزيز بن فهد ، غاية المرام ، ج٢ / ص ٥٥٨، بلوغ القرى بالذيل على إتحاف الورى ، لوحة ٤٤.

(٢) عن ذلك انظر ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

(٣) محمد عبدالستار عثمان ، نظرية الوظيفية ج ٢ / ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٤) المرجع السابق نفسه ، ج٢ / ص ٢٢٧ ، علي الطايش ، العمائر الجركسية ص ٣٠١ .

كذلك فإن شيوع استخدام الإيوان في مختلف أنواع العمائر ، وفي معظم أقاليم الدولة الاسلامية جعلته طرازاً معمارياً شائعاً لا بد وأن تتأثر المدرسة بعمارته[1] .

ثالثاً : المدارس ذات نظام الحجرة أو الحجرات[2] :

تعد الحجرة أبسط أسلوب معماري استعمله الإنسان في بناء منشآته ، ومن أقدمها على الإطلاق ، علاوة على استمراريته وشيوعه في جميع الحضارات[3] .

ولقد استخدم المسلمون الحجرة ، كوحدة تخطيط رئيسي في العديد من منشآتهم فجعلت وحدة البناء الرئيسي في منازلهم المبكرة في مصر والعراق[4] ، والحجاز[5] ، وإن كان يلاحظ استمراريتها في الأخير حتى العصر العثماني ، حيث شكلت وحدة التخطيط الرئيسي في معظم البيوت المكية[6] .

---

(١) حسن الباشا ، دراسة جديدة على نشأة الطراز المعماري للمدرسة ، ص٥٥-٦٥ .

(٢) الحجرة من التحجير والاحاطة، ومن تحريم الشيء ، ومنعه عن الآخرين . ابن سيده ، الحسن بن علي ، المخصص ، تحقيق لجنة إحياء التراث بدار الآفاق ، ج١ / السفر الخامس / ص ١٣٦ ، الزبيدي ، محمد بن علي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، الطبعة الأولى ، ١٣٠٦ هـ ، القاهرة ، ج ٣ / ص ١٣٥ .

(٣) محمد رياض ، الانسان ، دراسة في النوع والحضارة ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٤ م ، بيروت ص ٣٨٤ ، ٣٩٣ - ٣٩٤ .

(٤) فريال مصطفى ، البيت العربي في العراق في العصر العباسي ، ١٩٨٢ م بغداد ، ص١١١-١١٤.

(٥) فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر ، ج١ / ص ٦٤ - ٦٥ .

(٦) Sami M. Ancawi , Makkanian Architectures , p . 255 - 277.

ولذلك شاع استخدامها في تخطيط المدارس في مكة المكرمة[١] ، إذ من المؤكد أن الحجرة كانت وحدة التخطيط الرئيسي لمعظم مدارسها المبكرة[٢] ، حيث أن استخدام أساليب أخرى في تخطيطها وعمارتها كان معدوماً أو محدوداً ، فلا توجد مؤشرات لاستخدام الأروقة ، والتي كان استخدامها في الحجاز محدوداً جداً . كما أن استخدام الأواوين لم يتوسع فيه إلا في العصر الجركسي كما سبق أن وضحنا .

وبالتالي ، فبالإمكان القول أن الحجرة كانت تشكل عنصر التخطيط الرئيسي في مدارس لم يرد استخدام الرواق أو الإيوان في تخطيطها ، مثل مدرسة الزنجيلي[٣] [٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م] ، ومدرسة ابن الأرسوفي[٤] [٥٧١ هـ أو ٥٩١ هـ / ١١٧٥م أو ١١٩٥ م] .

---

(١) لا تتوفر معطيات كافية عن استخدام الحجرة كوحدة تخطيط رئيسة للمدارس في المدينة المنورة ، ويلاحظ أن المدارس رغم أنها قد تؤسس في المدينتين المقدستين من قبل منشيء واحد ، فإنها تبنى في مكة المكرمة على نمط يخالف ما هو موجود في المدينة المنورة . فالفاسي عندما يتحدث عن نظام وشروط المدرستين البنغاليتين بمكة والمدينة ، يذكر بأن التي في المدينة تختلف في ذلك عما هو موجود بمكة . والراجح أن الأمر ينطبق على الناحية المعمارية رغم أن منشيء المدرستين هو شخص واحد . الفاسي ، شفاء الغرام ، ج٣ / ص ٣٢٠ – ٣٢٢ . ويلاحظ أيضاً أن المدرسة الباسطية بمكة تختلف في تخطيطها وعمارتها عن نظيرتها بالمدينة المنورة . انظر الفصلين الأول والثاني من الباب الثاني .

(٢) عن هذه المدارس المبكرة في مكة المكرمة ، انظر : عائشة عبدالله باقاسي، بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، مكة المكرمة ، ص ١٠٤ – ١٠٦ .

(٣) هذه المدرسة من إنشاء الأمير فخرالدين عثمان بنى على الزنجيلي ، ناجي معروف ، مدارس مكة ، ص ١٠ ، عائشة باقاسي ، بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ص ١٠٤ .

(٤) هذه المدرسة من إنشاء عفيف الدين بن عبدالله الأرسوفي ، ناجي معروف ، مدارس مكة ، ص ٩ – ١٠ ، عائشة باقاسي ، بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ١٠٤ .

ومن الواضح أن الأمر استمر كذلك في العصر المملوكي البحري لتشابه المؤشرات فيما بينه وبين عصر الدولة الأيوبية ، من حيث إنعدام استخدام الأروقة ، وقلة استخدام الأواوين .

فإذا ما انتقلنا إلى العصر الجركسي ، نجد أن هناك نماذج واضحة لاستخدام الحجرة في عمارة وتخطيط المدارس .

ومن أبرز الأمثلة على ذلك المدرسة الزمامية(١) بمكة المكرمة [٨٣٥ هـ / ١٤٣١م] . فهذه المدرسة كان قوام تخطيطها حجرتين كبيرتين للدرس ، ويتبعهما خلاوي صغيرة للسكنى(٢) .

وكذلك كان الحال مع المدرسة الباسطية بمكة المكرمة ، والتي كان نظام الحجرة يشكل العماد الأساسي في تخطيطها(٣) .

ولا شك أن استخدام نظام الحجرة في تخطيط المدارس المكية سببه قلة الإمكانات التي من الممكن أن توفر أو تتوفر في هذه المدينة قياساً بما هو موجود بمصر على سبيل المثال ، كما هو الحال بالنسبة لاستخدام الأواوين .

علاوة على أن استخدام الحجرة كان نظاماً شائعاً في العمارة المكية ، وبالتالي فلا بد وأن تتأثر المدرسة بعمارة الطراز السائد .

---

(١) هذه المدرسة من إنشاء الطواشي خشقدم الزمام ، أحد أمراء العصر الجركسي . ابن فهد ، اتحاف الورى ، ج ٤ / ص ٦٤ .

(٢) محمد عمر رفيع ، مكة ، ص ١٩٩ – ٢٠٠ . ومن الواضح أن هذا هو التخطيط الأصلي للمبنى ، لأن محمد عمر رفيع يشير إلى وجود الخلاوي الصغيرة ضمن كتلته وأن معظم المبنى كان يؤجر للزمازمة . وبالتالي لم يتحول إلى مبنى سكني فيحدث عليه تعديلات كتلك التي شهدتها المدرسة الباسطية أو قايتباي ، كما مر معنا في الباب الثاني . انظر المرجع السابق نفسه . ص ٢٠٠ .

(٣) عن ذلك انظر ص ١٨٨ ـ ١٨٩ .

الفصل الثاني

عناصر التخطيط

بالنظر إلى نماذج المدارس التي تم وصفها في البابين الأول والثاني ، يلاحظ أن مدارس العصر الجركسي في مصر والحجاز قد احتوت على العديد من المكونات التي تشكل عناصر تخطيطها ، فهناك قاعات الدرس ، بالإضافة إلى المدخل والصحن ، ومكتب السبيل ، والمكتبة ، وغير ذلك من العناصر التي شكلت في مجموعها وحدات المدرسة المختلفة . وأبرز هذه العناصر وأكثرها أهمية العناصر التالية :

أولاً : الـــرواق :

للرواق في اللغة دلالات معمارية تشير إلى نمط معين من التسقيف ، حيث يطلق اللفظ على البيت الذي يشبه الفسطاط ويرفع على عمود واحد في وسطه[١]. كما عرف بهذا اللفظ السقف في مقدم البيت[٢] .

وعرف الرواق عند بعض مؤرخي العمارة ، بأنه المسافة الواقعة بين جدار وعدد من العقود المرتكزة على أعمدة ، أو تلك الواقعة بين بائكتين[٣] ، بينما عرف عند البعض الآخر ، بأنه مكان مسقوف محمول على أعمدة ، قد يعلوها العقود[٤] .

ولقد أشارت إلى هذا التحديد المعماري بعض المصادر التاريخية أثناء حديثها عن عمارة بعض الجوامع ، فأطلقت لفظ « رواق » على الظلة

---

(١) الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٦ / ص ٣٦٣ .

(٢) المصدر السابق نفسه ج٦ /ص ٣٦٣ ، عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الإسلامية ، ص ٢٠٧ .

(٣) صالح لمعي ، التراث المعماري ص ٩٥ ، عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الإسلامية ، ص ٢٠٧ .

(٤) فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر، ج١ / ص ٢٣٧ .

بأكملها[1] . كما أطلقته أيضاً على المساحة المسقوفة والمحصورة بين البوائك[2] .

أما بالنسبة لحجج الوقف الجركسية ، فلقد اضطربت في تحديد معنى الرواق من الناحية المعمارية .

فتارة يحمل الرواق معنى البائكة كما هو مشاهد في حجة وقف مدرسة سودون من زاده [٨٠٤ هـ / ١٤٩١م] ، والتي أطلقت اللفظ على بوائك ظلاتها الأربعة ، إذ ورد فيها أنها تتكون من « ... ستة رواقات ، ثلاث منها قبلية ، والثلاث رواقات الباقية أحدها بحري ، والثاني شرقي والثالث غربي محمولة على عمد ... »[3] .

ويطلق اللفظ تارة أخرى على المساحات المحصورة بين البوائك والجدران الجانبية ، كما هو مشاهد في حجة وقف مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق [٧٨٨ هـ / ١٣٨٦ م] حيث عرفت الرواق بأنه المساحة المحصورة بين بائكتيها المتعامدتين على جدار القبلة وبين الجدارين الجانبيين لقاعاتها الجنوبية الشرقية[القبلية][4] .

---

(١) انظر على سبيل المثال ما يرد عن ظلات الجامع الأزهر . المقريزي ، الخطط ، ج٢ / ص ٢٧٦. الجبرتي ، عبدالرحمن ، عجائب الآثار المعروف بتاريخ الجبرتي ، القاهرة ، ج ٤ / ص ١٦١ . علي باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٤ / ص ٣٥ . وانظر أيضاً ما يرد عن الرواق الغربي في زيادة دار الندوة في الحرم المكي الشريف ، الفاسي ، شفاء الغرام ، ج ١ / ص ٣٦٧ . وعن الرواق الشرقي بالمسجد الحرام ، النهروالي ، الأعلام ، ص١٠٤ .

(٢) انظر عما يرد عن ظلة القبلة في الجامع الأزهري المقريزي ، الخطط ، ج٢/ ص٢٧٣ ، ٢٧٥ ، وانظر أيضاً وصف عمارة مسجدي الخيف ، ونمرة بمكة المكرمة ، الفاسي ، شفاء الغرام ، ج٢ / ص ٤٢٦ . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ / ص ٥١٣ . النهروالي ، الأعلام ، ص ١٠٣-١٠٤ .

(٣) حجة وقف الأمير سودون من زاده ، برقم ٥٨ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٤) حجة وقف السلطان الظاهر برقوق برقم ١٥١ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

وأطلق الرواق في بعض حجج الوقف الجركسية على القاعات السكنية بمنافعها ، سواء كانت ذات إيوان واحد ، أو إيوانين متقابلين(١) .

بيد أن ما يقصد بالرواق هنا هو الطراز التقليدي ، والمكون من المناطق المسقوفة ، والتي يرتكز سقفها على أعمدة ، تعلوها العقود في بعض الأحيان .

ومن أبرز ما يشاهد في المنشآت الدينية الجركسية متعددة الأروقة ، أن الرواق القبلي فيها يكون أكثر أهمية وأكبر مساحة من بقية الأروقة ويليه في ذلك الرواق المقابل له ، ثم الرواقين الجانبيين .

ومن الأمثلة على ذلك ، مدرسة سودون من زاده(٢) [شكل٣٠] ، ومدرسة وخانقاه فرج بن برقوق(٣) ، وجامع ومدرسة برسباي

---

(١) حجة وقف السلطان الظاهر برقوق برقم ١٥١ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

حجة وقف الأمير قاني باي الرماح برقم ١٠١٩ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

حجة وقف الأمير ازدمر من علي باي برقم ٢٤١ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

حجة وقف الأمير أزبك اليوسفي ، برقم ١٩٨ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

حجة وقف الأمير كبير قرقماس برقم ٩٠١ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

ولقد كان هذا المصطلح معروفاً بالصيغة المعمارية السابقة في حجج الوقف التي تعود للعصر المملوكي البحري . انظر حجة وقف المنصور قلاوون برقم ٧٠٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

ويلاحظ هنا أن هذا التكوين المعماري كان يطلق عليه القاعة أيضاً وكلا المصطلحين قد أطلقا على نفس التكوين المعماري . وفي وثيقة واحدة انظر :

حجة وقف السلطان قلاوون برقم ٧٠٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

حجة وقف الأمير سودون من زاده برقم ٥٨ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٢) حسني نويصر ، مدرسة جركسية على نمط المساجد الجامعة ، ص ١٦ – ٢٤.

(٣) ص ٨١ .

بالخانكه[1] [٨٤١ هـ / ١٤٣٦م] [شكل ٤٨] ، وفي عمارة قايتباي للمسجد النبوي الشريف[2] [٨٨٦ هـ /١٤٨١م] [شكل ٦١] .

بيد أن هذا التكوين المعماري ، لم يكن متبعاً في جميع المنشآت ، إذ أن منها ما تكون أروقته متساوية في مساحتها ، مثل مدرسة برسباي بالصحراء [٨٣٥ هـ / ١٤٣٢ م] [شكل ٤٤] والتي تتكون من رواقين متساويين في مساحتيهما[3] .

ويتكون كل رواق من بائكات ، والبائكة معمارياً ، تعني الأعمدة المسقوفة على خط مستقيم ، والموصلة بأقواس من أعلاها لتحمل سقوف المنشأة[4] .

ولقد استعمل هذا المصطلح ، على نطاق واسع في العمارة الاسلامية ، لتعريف المساحات الواقعة بين الأعمدة ، وبينها وبين جدران الرواق ، أو لتعريف صفوف الأعمدة نفسها[5] .

وقد تنوعت اتجاهات البائكات في أروقة عمائر العصر الجركسي ، ففي الرواقين القبلي والمقابل له ، اتخذت البائكات ثلاثة أوضاع ، أولاها أن تكون في

---

(١) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ٢٢٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ . وهذا الجامع المدرسة من إنشاء السلطان برسباي ، وتطلق عليه المصادر لفظ الجامع تارة ، ولفظ المدرسة تارة أخرى ، لأنه عبارة عن جامع ومدرسة . المقريزي ، السلوك ، ج٤ / ق ٢ / ص ١٠٢١ . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١٥ / ص ٨٦ . ابن الصيرفي ، نزهة النفوس ، ج ٣ / ص ٣٩٥ . ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج٢ / ص ١٨ .

(٢) محمد هزاع الشهري ، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي [شكل٦٢] ، محمد السيد الوكيل ، المسجد النبوي عبر التاريخ ، ص ١٤٠.

(٣) محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٧٠. ١٧٢ .

(٤) عبد الرحيم غالب ، موسوعة العمارة الاسلامية ، ص ٧٦ .

(٥) المرجع السابق نفسه ص ٧٦ .

خطوط متوازية لجدار القبلة ، مثل الرواق القبلي لجامع ومدرسة المؤيد شيخ(١) [٨٢٤ هـ/ ١٤٢١ م] [شكل ٣٨] . والرواقين القبلي والبحري لمدرسة برسباي بالصحراء(٢) [شكل ٤٤] ، وجامع القاضي يحي الحبانية(٣) ، ومدرسة أبو بكر مزهـر(٤) [٨٨٤ هـ / ١٤٨٠م] [شكل ٥٨] ، ومدرسة حانم البهلوان(٥) [٨٨٣ هـ/ ١٤٧٨ م] [شكل ٥٧] .

أما ثاني أوضاع هذه البوائك ، فهي أن تتعامد البوائك على جدار القبلة ، وكان يتم البناء وفق هذاالأسلوب في الرواق القبلي فقط ، وفي المدارس التي جمعت في تخطيطها بين الأروقة والأواوين .

مثل مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق(٦) [شكل ٢٧] ، ومدرسة عبدالغني الفخري(٧) [٨٢١ هـ / ١٤١٨م] [شكل ٣٦] .

أما آخر الأوضاع ، فهي أن تتقاطع البوائك مع بعضها البعض ، بمعنى أن يكون في الرواق بوائك تسير موازية لجدار القبلة ، وأخرى متعامدة عليه . وهذا الأسلوب اتبع في الرواقين القبلي والبحري في

(١) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ، ص ١٨ . صالح لمعي ، جامع ومدرسة المؤيد شيخ ، ص ٢٠ .
(٢) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية ، ص ١٧٠ - ١٧١ .
(٣) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي زين الدين يحيى ، ص ١٠٩ - ٢١٠ .
(٤) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ٩٠ - ٩١.
(٥) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٣٠٧ .
(٦) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج ٤ / ص ٤١ . وزارة الأوقاف ، مساجد مصر ، ج٢ / ص ١٠ .
(٧) محمد الكحلاوي ، مدرسة الأمير عبد الغني الفخري ، ص ٤٦ .

مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق[1] ، وفي الرواق الوحيد لمسجد الخيف بمنى[2] [٨٧٤ هـ / ١٤٧٢ م] .

أما بالنسبة للرواقين الجانبيين ، فإنها تكون متعامدة على جدار القبلة ، كما هو مشاهد في كافة الأمثلة السابقة والتي تتوفر فيها المجنبتين . ولا يستثنى من ذلك سوى مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق ، والتي زودت ببوائك متقاطعة[3] .

وتتحكم في تكوين الأوضاع السابقة للبوائك ، عوامل إنشائية ، كما يشير بذلك تحليل هذه الأوضاع في الرواق القبلي ، حيث يلاحظ أن الاتجاه الواحد للبوائك ، كان دائماً يرتكز على الجدار الأقصر في الرواق ، لأنه يكون الأكثر قدرة على تحمل الرفس الناتج عن العقود الحاملة للسقف[4] .

فبالنظر للأروقة ذات البوائك المتعامدة على جدار القبلة يلاحظ أن هذا الجدار أقصر من الجدارين الجانبيين ، حيث بلغ في مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق ما مقداره ٧ر١٤م، بينما بلغ طول كلٌ من الجدارين الجانبيين ٦ر١٧م[5].

---

(١) انظر [شكل ٣٤] .

(٢) انظر إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ج١/ لوحة ١٢٣. والتي يظهر فيها إحدى بوائك مسجد الخيف . وبها عقود طولية وعرضية ، علماً بأن المسجد ظل حتى العصر الحديث على عمارة السلطان قايتباي له ، ولم يجر عليه سوى ترميمات بسيطة . ناصر البركاتي ، محمد نيسان ، دراسة تاريخية لمساجد المشاعر المقدسة ، ص ٦٠ – ٦٨ ، ويلاحظ أن الباحثين السابقين وضعا مخططاً للمسجد ، تظهر فيه البوائك وهي تسير موازية لجدار القبلة ، وهذا مخالف للتكوين الحقيقي لها . لأنها كانت متقاطعة كما هو موضح فيما سبق . انظر المرجع السابق نفسه ، ص ٦٦ .

(٣) انظر [شكل ٣٤] .

(٤) كلما ازداد امتداد الجدار ، كلما قلت قدرته على التحمل ، مما يدفع بالمعمار نحو تقويته بعناصر معمارية أخرى .

محمد عبدالستار عثمان ، أضواء على أهمية الانشاء في تاريخ العمارة الاسلامية ، مجلة العصور ، المجلد الخامس ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، ج٢ / ص ٢٣٧ – ٢٤٢ .

(٥) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج ٤ / ص ٤١ .

وبلغ في مدرسة عبدالغني الفخري ٧ر١٠ م ، بينما كان طول كل من الجدارين الجانبيين ٧٧ر١٢ م[١] .

وكذلك كان الحال بالنسبة للأروقة ذات البوائك الموازية لجدار القبلة . إذ يكون الجدارين الجانبين أقصر من جدار القبلة ، كما في مدرسة وخانقاه برسباي بالصحراء . فبلغ طول جدار القبلة ٤ر١٤ م ، بينما بلغ طول كل من الجدارين الجانبيين ٦٧ر٤م[٢] . وفي مدرسة أبي بكر مزهر ، والتي بلغ طول جدار القبلة فيها ١٠ م ، بينما بلغ كل من الجدارين الجانبيين ٢٥ر٧م[٣] .

أما بالنسبة للأروقة ذات البوائك المتقاطعة ، فإن استخدامها مرده نوعية الأسقف التي تحملها هذه البوائك ، فتكون في هذه الحالة ثقيلة نسبياً . إذ استعملت القباب في تسقيف أروقة مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق[٤] ، فجاءت بوائكها متقاطعة تبعاً لذلك ، وكذلك كان الحال في مسجد الخيف بمنى . فكان رواقه مسقوفاً « ... بقباب ظاهرة من الداخل فقط ، أما سطح المسجد فهو مستوي ... »[٥] .

وكان من المتبع في عمارة هذه البوائك أن تكون ذات أبعاد متساوية في اتساعها ، باستثناء البائكة الوسطى والتي تكون أكبر من غيرها .

---

(١) محمد الكحلاوي ، مدرسة الأمير عبدالغني الفخري ، ص ٤٧ .

(٢) محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباي ، ص ١٧٠ .

(٣) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ٩٠ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٨١ ، ٨٣ .

(٥) إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ج١ / ص ٣٢٣ ، ولقد أشار ابن فهد أثناء حديثه لعمارة السلطان قايتباي لهذا المسجد. فذكر بأن مسقوف بـ« المقالي » . ابن فهد، اتحاف الورى ، ج ٤ / ص ٥١٠ . والمقالي لفظ أطلق في الوثائق المملوكية على القباب الضحلة . محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ٦٥ .

ومن الأمثلة على ذل مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق[1] ، وجامع ومدرسة برسباي بالخانكه[2] ، وجامع القاضي يحى ببولاق[3] [٨٥٣ هـ / ١٤٤٩ م] ، وجامع لاجين السيفي[4] [٨٥٤ هـ / ١٤٤٩م] .

وهذا الإتساع يعكس أهمية هذه البائكة ، لوقوعها في مواجهة المحراب ، حيث يقف الإمام يؤم المصلين في صلاتهم . وبالتالي حاول المعمار أن يبرزها أكثر من غيرها[5] .

وهذه أبرز خصائص الرواق المعمارية في العصر لجركسي ، ويبقى أن نشير إلى الرواق من الناحية الوظيفية ، وبالتحديدفي المدارس الرواقية . ونظراً لأن هذه المدارس قد تعددت الوظائف التي تقوم بها ، فلقد كان على الرواق أن يستوعب الجزء الرئيسي منها .

فبالنسبة للصلاة ، فلقد كان الرواق الموضع الذي تؤدى فيه هذه الفريضة ، إذ نصت حجة وقف مدرسة الظاهر برقوق على أن رواقها الجنوبي الشرقي « القبلي » وإيوانها الشمالي الغربي « البحري » قد أُوقفا مسجداً « ... تقام فيهما الصلوات ، وتصلى فيهما الجماعات ، ويعتكف فيهما على الطاعات والعبادات ... »[6] .

---

(١) عن ذلك انظر ص ٨١ ، ٨٣ .

(٢) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج٤ / ص ١٣٢ .

(٣) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ، ص ١٦٩ .

(٤) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج ٤ / ص ١٣٢.

(٥) وهناك من الباحثين من يرى بأن هذا الاتساع تابع من وجود قبة تعلوا المحراب . فجرى توسيع هذه البائكة لإيجاد مساحة مناسبة يمكن من خلالها إنشاء القبة عليها . وهذا التصور يكون صحيحاً لو كان إتساع هذه البائكة مرتبط بوجود القبة، وإنما يمكن مشاهدته في عمائر لا يتقدم محرابها قبة. أحمد فكري ، المدخل ص ٣٠٩ .

(٦) حجة وقف السلطان الظاهر برقوق برقم ١٥١ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

وذكرت حجة وقف جامع ومدرسة المؤيد شيخ ، أن لكل رواق فيه إمام من أحد المذاهب الأربعة ، يؤم فيه المصلين في صلواتهم الخمسة . بينما اختص الإيوان الجنوبي الشرقي « القبلي » أيضاً ببقية الصلوات الجامعة كالجمعة والتراويح وصلاة العيدين[١] .

كذلك نصت حجة وقف جامع ومدرسة برسباي بالخانكه ، على أن أروقته الأربعة وقفت جامع تؤدى فيه الجمع والجماعات خلف إمام واحد[٢] . وبالإضافة إلى فريضة الصلاة فلقد كانت حلق الدرس تعقد في أروقة هذه المدارس .

ففي مدرسة سودون من زاده ، كانت حلقات التدريس للمذهبين اللذين بها ـ الحنفي والشافعي ـ تعقد في رواقها الجنوبي الشرقي « القبلي » . رغم أنه كان للمدرسة أربعة أروقة[٣] .

في حين روعي في مدرسة وجامع المؤيد شيخ أن يخصص لكل مذهب رواق من أروقته الأربعة يدرس فيه ، حيث خصص الرواق الجنوبي الشرقي « القبلي » للمذهب الحنفي ، بينما خصص الرواق المقابل له « البحري » للمذهب الشافعي ، واختص الرواقان الجانبيان بالمذهبين المالكي والحنبلي[٤] .

وإذا كانت المدرسة الرواقية تقوم بوظيفة الخانقاه ، كان حضور التصوف يعقد في أحد أروقتها ، مثلما هو موجود في مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق ، والتي كان يعقد حضور التصوف في رواقها القبلي بعد صلاة

---

(١) حجة وقف السلطان المؤيد شيخ برقم ٩٣٨ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٢) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٣) حجة وقف الأمير سودون من زاده برقم ٥٨ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٤) حجة وقف السلطان المؤيد شيخ برقم ٩٣٨ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

العصر من كل يوم[1] . كذلك كان الحال في جامع ومدرسة المؤيد شيخ ، فكان يعقد حضور التصوف في رواقها القبلي بعد عصر كل يوم[2] .

ثانياً : الإيــوان :

وهو لفظ أعجمي ، ويطلق على البيت مفتوح الواجهة[3] ، وعلى الصفة العظيمة[4] ، وهي البهو الواسع السميك ، أو المساحة المحاطة بثلاثة حوائط[5] . والتحديد الأخير هو ما ذهب إليه المعماريون ، حيث اعتبروا الإيوان قاعة مسقوفة ومحاطة بالجدران من ثلاث جهات ، بينما تركت الجهة الرابعة معقودة ومفتوحة على صحن مكشوف[6] أو مغطى[7] .

ولقد اضطربت المصادر في تحديد ها للإيوان ، فهي تشير إليه في صورته الأصلية عندما تتحدث عن مدارس إيوانية التخطيط ، مثل أواوين المدرسة الصالحية[8] [شكل ١٠]، وإواين مدرسة السلطان حسن[9] [شكل ٢٤]، وإيوان مدرسة قايتباي بمكة المكرمة[10] .

(١) حجة وقف السلطان الظاهر برقوق برقم ١٥١ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) حجة وقف السلطان المؤيد شيخ برقم ٩٣٨ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٣) الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٩ / ص ١٣٢ . أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ج ٢ / ص ٨٦ – ٨٧ . محمد عبد الستار عثمان ، نظرية الوظيفية ، ج٢ / ص ٢٢٠ .

(٤) الزبيدي ، تاج العروس ، ج٩ / ص ١٣٢ ، فريال مصطفى ، البيت العربي في العراق ، ص ١١٤ .

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ١١٤ ، هامش : ٦٢ .

(٦) عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الاسلامية ، ص ٦٨ .

(٧) عباس حلمي ، تطور المسكن المصري الإسلامي ، ص ١٨١ .

(٨) ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج٣ / ص ١٧٨ .

(٩) المصدر السابق نفسه ، ج ١ / ق ١ / ص ٥٥٩ ، ٥٦٠ .

(١٠) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ / ص ٦٤٨ . النهروالي ، الأعلام ، ص ١٠٩ .

وقد تعتبر الرواق إيواناً ، حيث أطلق اللفظ على الرواق القبلي لكل من مدرسة قلاوون[١] [شكل ١٢] ، ومدرسة وخانقاه الظاهر برقوق[٢] [شكل ٢٧] . وكذلك كان الحال في حجج الوقف ؛ إذ أطلق اللفظ على منشآت إيوانية التخطيط ، كما هو الحال في حجة مدرسة أيتمش البيجاس[٣] [شكل ٢٦] ، وحجة مدرسة تغري بردى[٤] [شكل ٤٧] ، وحجة مدرسة قاني باي الرماح بالقلعة[٥] [شكل ٦٦] والتي ورد فيها أن المدرسة مكونة من « ... إيوانين متقابلين قبلي وبحري فيما بينهما دورقاعه ... »[٦] .

وأطلق اللفظ أيضاً على منشآت رواقية التخطيط ، كما هو الحال في حجة وقف جامع ومدرسة المؤيد شيخ [شكل ٣٨] ، والتي اعتبرت كل رواق من أروقتها إيواناً[٧] .

بيد أن ما يهمنا هنا هو الإيوان بصورته الأصلية ، والمكون من مساحة محاطة بالجدران من جهات ثلاثة ، ورابعتها مفتوحة ومعقودة ولا يتخللها أعمدة ترفع سقفها كما هو في الأروقة[٨] .

ولقد تعددت أنظمة التخطيط الإيواني للمدارس في مصر والحجاز في العصر الجركسي ، فمنها ما هو متعدد الإيوانات، ومنها ما هو بإيوان واحد[٩].

---

(١) المقريزي ، السلوك ج٣ / ق١ / ص ٥٢ .

(٢) ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج١ / ق ٢ / ص ٣٣٧ .

(٣) حجة وقف الأمير أيتمش البيجاس برقم ١١٤٣ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٤) حجة وقف الأمير تغري بردى برقم ٩٨ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٥) وهذه المدرسة من إنشاء الأمير قاني باي أمير أخور الرماح. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣/ ص ٤٥٠.

(٦) حجة وقف الأمير قاني باي الرماح برقم ١٠١٩ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٧) حجة وقف السلطان المؤيد شيخ برقم ٩٣٨ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٨) زكي حسن ، فنون الاسلام ، ص ٢٤ .

(٩) عن ذلك انظر ص ٢٩٥ ـ ٢٩٨ .

وكما هو الحال في المدارس الرواقية في مصر ، فإن الإيوان الجنوبي الشرقي « القبلي » يكون في المدارس الإيوانية أكبر في مساحته من بقية الأواوين، يليه في ذلك الإيوان الشمالي الغربي « البحري » ثم الإيوانين الجانبيين أو السدلتين في حال تصغيرهما ، واللذين يكونان متساويين في مساحتيهما .

ومن أبرز الأمثلة على ذلك إيوانات كل من مدرسة جمال الدين يوسف الاستادار(١) [شكل ٣٣] ، ومدرسة برسباي بالأشرفية(٢) ، ومدرسة الظاهر جقمق(٣)، وجامع تمراز الأحمدي(٤)، ومدرسة قجماس الاسحاقي(٥) [شكل ٦٠]. ولا يستثنى من ذلك سوى مدرسة خاير بك [شكل ٦٤] ، والتي تتميز باتساع إيوانيها الجانبيين أكثر من إيوانها الجنوبي الشرقي « القبلي »(٦) .

ويعلل بعض الباحثين أسباب زيادة مساحة الإيوان الجنوبي الشرقي ، كونه المكان الذي توضع فيهالعناصر الرئيسة للجامع ، كالمنبر ودكة المؤذنين وكرسي المصحف وغير ذلك من الأدوات التي تحتاجها منشآت ذلك العصر(٧) .

ومن أبرز المظاهر المعمارية التي تميزت بها الأواوين في ذلك العصر هو استخدام الأسقف الخشبية في تغطيتها بعدما كانت تغطى بالأسقف الحجرية(٨) .

(١) محمد عبدالستار عثمان ، وثيقة جمال الدين الاستادار ، ص ١٢٣ .

(٢) عن ذلك انظر ص ١١٢ .

(٣) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج٤ / ص ١٨٤ .

(٤) مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز الأحمدي ، ص ٥٦ ، ٦٤ .

(٥) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الأسحاقي ، ص ١٢٠ .

(٦) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة خاير بك ، ص ٥ - ٧ .

(٧) محمد عبدالستار عثمان ، نظرية الوظيفية ، ج ٢ / ص ٢٢٩ .

(٨) صالح لمعي ، التراث المعماري ، ص ١٨ ، ولا يستثنى من ذلك سوى مدرسة قاني باي الرماح بالقلعة [٩٠٨ هـ / ١٥٠٣م] والتي استخدمت الأسقف الحجرية في تغطية أواوينها ، حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ج١ / ص ٢٨٢ ، سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج ٤ / ص ٣١٨ - ٣١٩ .

ومن الظواهر المعمارية التي ظهرت بكثرة في أواوين ذلك العصر ، استخدام الدخلات بغرض زيادة اتساعها . ولقد برزت هذه الظاهرة بشكل خاص في الطراز المدرسي المطور ذي الصحن المسقوف[١] .

وكانت هذه الدخلات تتسم بالعمق ، وتسمى في بعض الحالات بالسدلات[٢] ، ففي الإيوان الجنوبي الشرقي « القبلي » لمدارس ذلك العصر ، كانت هذه الدخلات توضع على الجانبين ، كما هو مشاهد في مدرسة جوهر اللالا[٣] [شكل ٤٣] ومدرسة الجمالي يوسف[٤] [شكل ٥١] ومدرسة جقمق[٥] .

وقد يكون للإيوان الجنوبي الشرقي دخلة واحدة فقط توضع على أحد جانبيه ، كما هو الحال في مدرسة كافور الزمام [شكل٤٠] والذي يوجد على الجانب الإيسر لإيوانها دخلة عميقة أسمتها حجة الوقف بالمرتبة[٦] .

أما بالنسبة للإيوان الشمالي الغربي « البحري » ، فإن الدخلات توضع تارة على جانبي الإيوان ، كما هو الحال في مدرسة وخانقاه السلطان إينال[٧] [شكل ٥٣] ، ومدرسة قايتباي بالصحراء[٨] . وتوضع تارة أخرى في صدر هذا

---

(١) محمد مصطفى نجيب ، نظرة جديدة ، ص ٢٥ – ٢٦ ، سامي أحمد ، السلطان إينال وآثاره المعمارية ، ص ٦٠ – ٦١ .

(٢) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٣) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج٤ / ص ١٤٤ ، ليلى الشافعي ، مدرسة جوهر اللالا ، ص ٨٩ .

(٤) عادل شريف ، الأعمال المعمارية ليوسف بن عبدالكريم بن بركه الشهير بالجمالي يوسف . رسالة ماجستير ، كلية الآداب بسوهاج ، جامعة أسيوط ، ص ١١٢ – ١١٣ .

(٥) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج٤ / ص ١٨٤ .

(٦) حجة وقف الأمير كافور الزمام برقم ٧٦ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٧) سامي أحمد ، السلطان إينال وآثاره المعمارية ، ص ٨٩ .

(٨) عن ذلك انظر ص ١٥٣ .

الإيوان ، ولكنها تكون هنا عبارة عن دخلة واحدة ، كما هو مشاهد في مدرسة برسباي بالأشرفية(١) ، ومدرسة قانصوه الغوري(٢) [شكل ٦٥] .

وكانت هذه الدخلات تطل على الأواوين من خلال فتحات معقودة ، كما هو الحال في دخلتي إيوان القبلة لمدرسة جوهر اللالا(٣) ، والدخلة الواقعة في صدرالإيوان البحري لمدرسة برسباي بالأشرفية(٤) ، وفي دخلتي الإيوان البحري لمدرسة وخانقاه السلطان إينال بالصحراء(٥) .

أو تطل من خلال كريدين خشبيين ، كما هو الحال في دخلتي الإيوان البحري لمدرسة قايتباي بالصحراء(٦) ، ولمدرسة الغوري(٧) .

ولم تقتصر مظاهر الاستفادة من هذه الدخلات على زيادة سعة الأواوين فحسب ، بل إن بعضها استخدم للتهوية بتزويدها بملاقف للهواء ، تؤدي إلى زيادة حركة الهواء في الإيوان نفسه ، كما هو الحال في الدخلة الجنوبية للإيوان القبلي لمدرسة جوهراللالا(٨) ، والدخلة المتصدرة للإيوان الشمالي الغربي « البحري » ، لمدرسة برسباي بالأشرفية(٩) .

---

(١) عن ذلك انظر ص ١١٧ .

(٢) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج٤ / ص ٣٠٣ . دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٣٢ . محمد فهيم ، مدرسة السلطان قانصوه الغوري ، ص ٨٣ .

(٣) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج٤ / ص ١٢٤ .

(٤) عن ذلك انظر ص ١١٧ .

(٥) عبدالباقي إبراهيم ، وصالح لمعي ، أسس التصميم المعماري ، ص ٢٠٢ .

(٦) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٠٩ .

(٧) المرجع نفسه ، ص ٢٢٥ .

(٨) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج٤ / ص ١٢٤ .

(٩) عن ذلك انظر ص ١١٧ .

وإذا ما قورنت إيوانات المدارس في القاهرة بنظيرتها في الحجاز ، فإنها في الحجاز تكون أصغر بكثير مما هو موجود بالقاهرة ، فمدرسة قايتباي بمكة التي يمكن اعتبارها من أبرز المدارس الحجازية في العصر الجركسي ، بلغت أبعاد إيوانها ٥ م × ٣ م[١] . بينما تصل مساحة إيوان القبلة في مدرسة برسباي بالأشرفية ، وقايتباي بالصحراء ٥ر١٦م × ٨ر١٢[٢] ، و٦ر١١م × ٨م[٣] ، على التوالي .

ولقد كان للإيوان في المدارس وظائف متعددة ، حيث استخدمت كواضع للصلاة تقام فيها الجمع والجماعات .

فلقد نصت حجة وقف مدرسة جوهر اللالا على أن المنشيء وقف « ... إيواني المدرسة المحدود بأعاليه ودرقاعتها ... مسجداً لله تعالى محرماً بحرماته ، تقام فيه الصلوات ويعتكف به على العبادات ، وخلى بين المسلمين وبينه وأذن لهم في دخولهم فيه والصلاة فدخلوا فيه وصلوا ... »[٤] .

ونصت حجة وقف مدرسة تغري بردى على أن أواوينها الأربعة أوقفت « ... مسجداً جامعاً تقام فيه الجمع والجماعات ويعتكف فيه على الطاعات والعبادات ... »[٥] .

وكذلك كان الحال مع مدرسة قايتباي بالصحراء حيث ذكرت حجة وقفها أن باطن المدرسة والمكون من درقاعة وسطى وإيوانين وسدلتين أوقف كمسجد جامع تقام فيهاالجمع والجماعات[٦] .

---

(١) عن ذلك انظر ص ٢٥٦ .

(٢) عن ذلك انظر ص ١١٢ .

(٣) عن ذلك انظر ص ١٤٨ .

(٤) حجة وقف الأمير جوهر اللالا برقم ١٠١٢ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٥) حجة وقف الأمير تغري بردى المؤذي برقم ٩٨ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٦) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

ويلاحظ أن المدارس الحجازية في العصر الجركسي لم تكن تؤدى الصلاة في قاعاتها[1] . لأنها لم توقف في ذلك الوقت كمساجد جامعة[2] ، فعلى الرغم من احتواء مدرسة قايتباي بمكة المكرمة على مئذنة ومؤذنين . لم يكن بها أئمة للصلاة[3] ، مما يدل على عدم أدائها فيها . وكذلك كان الحال مع بقية المدارس المنشأة في ذلك العصر ، إذ لم يرد ما يدل على قيامها بأداء شعائر هذه الفريضة[4] . لأنها ملاصقة للحرم .

وكانت وظيفة التعليم من أبرز الوظائف التي تقوم بها أواوين المدارس في ذلك العصر ، حيث تعقد فيها حلق التعليم .

فإذا كان عدد التخصصات التي تدرسها المدرسة تساوي عدد إيواناتها ، خصص لكل إيوان أحد هذه التخصصات ، مثل مدرسة برسباي بالأشرفية ، والتي تدرس المذاهب الأربعة، وخصص لكل منها أحد إيواناتها الأربعة أيضاً[5].

(١) ولا ينطبق هذا الأمر على بعض المدارس الحجازية التي أنشئت قبل العصر الجركسي ، مثل المدرسة الشهابية التي زودت بمحراب في أحد أواوينها . السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج١ /ص ٢٦٥ ، ومدارس ملوك اليمن من بني رسول في مكة المكرمة ، وهما المدرسة المجاهدية والأفضلية . فلقد كان لكل منهما إمام ومؤذن . انظر الخزرجي ، علي بن حسن ، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق محمد بن علي الأكوع . الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، صنعاء ج ٢/ ص ١٠٦ ، ١٣٦ .

(٢) يذكر النابلسي أنه صلى هو وقاضي المدينة المنورة ومرافقيهم ، خلف إمام الحرم النبوي الشريف ، وهم في قاعة مدرسة قايتباي ، والمطلة شبابيكها على الحرم ، بيد أن هذا حدث في العصر العثماني ، بعد سنة آلاف والمئة من الهجرة ، ولا يمكن معرفة ما إذا كان هذا الوضع موجوداً في العصر الجركسي أم لا ؟؟ . مع العلم أن المدرسة أصبحت وقت وقوع هذا الحدث سكناً للقاضي المذكور ومقراً للمحكمة . النابلسي ، الحقيقة والمجاز ، ص ٣٧٣ .

(٣) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ / ص ٦٤٨ .

(٤) عبدالرحمن عبدالله صالح ، تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٧٠-٧٦ .

(٥) عن ذلك انظر ص ١٠٣-١٠٤ .

أما إذا كان عدد التخصصات التي تدرسها المدرسة أكثر من عدد إيواناتها ، فكان يجري توزيع التدريس فيها وفق ترتيب زمني معين . بحيث لا تتعارض أوقاتها وتكون في زمن واحد .

فمدرسة أيتمش البيجاسي ، ذات الإيوان الواحد ، كان بها عدة دروس تتضمن درسين للمذهب الحنفي وآخر للحديث ، بالإضافة إلى قراءة القرآن الكريم وتلقينه للعامة ، وكل ذلك كان يعقد في إيوان المدرسة الوحيد وفق ترتيب زمني معين وجداول يومية محددة[١] .

وكذلك كان الحال في المدرسة البنغالية بمكة المكرمة ، فهي ذات إيوانين ويدرس بها المذاهب الأربعة ، بحيث يكون أحدها لتدريس الشافعية والحنفية ، والآخر لتدريس المالكية والحنابلة وفق ترتيب يومي وزمني معين . فيدرس المذهب الحنفي ضحوة يومي الأحد والإربعاء ، والشافعي في ضحوة يومي السبت والاثنين ، بينما كانت أوقات تدريس المذهب المالكي بين الظهر والعصر في أيام السبت والأحد والاثنين ، والحنبلي فيما بين الظهر والعصر يومي الاربعاء والخميس[٢] .

ويعترض أحمد فكرى على صلاحية استخدام الإيوانات للدرس ، بحجة أن أشعة الشمس « ... تغمر الأواوين الغربية في الصباح ، وتغمر الأواوين الشرقية والشمالية طيلة بعد الظهر وعلى مدار السنة ... »[٣] .

(١) حجة وقف الأمير أيتمش برقم ١١٤٣ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٢) ناجي معروف ، مدارس مكة ص ١٧ ـ ١٨ .

(٣) أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج٢ / ص ١٨٢ .

والحقيقة أنها تغمر الأواوين السابقة في أوقات معينة من اليوم في الشتاء فقط . بينما لا تصل في الصيف إلا إلى أجزاء منها ، وفي أوقات محددة من اليوم أيضاً . أما الإيوان الجنوبي فلا تصله الشمس على الإطلاق(١) .

والوضع السابق لا يعد عائقاً على الدراسة ، لأنه بالإمكان جعلها في الأوقات التي لا تصل فيها الشمس إلى الإيوانات لأن أوقات الدراسة كانت توزع على ساعات النهار المختلفة(٢) . وليس على الفترة المسائية من بعد صلاة العصر فقط(٣) .

ومن الوظائف التي كانت تقوم بها الأواوين في مدارس ذلك العصر عقد حلقات التصوف وبخاصة في الإيوان الجنوبي الشرقي ، واستخدام بقية الأواوين إذا احتيج إليها .

فلقد نصت حجة وقف مدرسة الأمير جمال الدين يوسف الاستادار [٨١١ هـ / ١٤٠٨م] على أن صوفيتها يجتمعون حول شيخهم في الإيوان القبلي وغيره من الأواوين إذا أحتيج إلى ذلك(٤) .

وكان على صوفية مدرسة قايتباي بالصحراء عقد حلقات التصوف في الإيوان القبلي بعد كل صلاة من الصلوات المفروضة(٥) .

ولقد كانت قاعة المدرسة الغياثية بمكة ، وهي قاعة تنتمي للطراز الإيواني(٦)، مخصصة لعقد جلسات التصوف بعد صلاة العصر من كل يوم(٧) .

---

(١) محمد عبد الستار عثمان ، نظرية الوظيفية ، ج ٢ / ص ٢٣٥-٢٣٦.

(٢) محمد أمين ، الأوقاف والحياة الاجتماعية ، ص ٢٤٩ – ٢٥١ .

(٣) أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج ٢ / ص ١٨٢ .

(٤) حجة وقف الأمير جمال الدين يوسف الاستادار برقم ١٠٦ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٥) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٦) عن ذلك انظر ص ٣٠٩ .

(٧) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج ٤ / ص ٤٣٢ – ٤٣٣ .

ومن الواضح أن إيوان مدرسة قايتباي بمكة المكرمة كان المكان الوحيد الذي تعقد فيه جلسات صوفيتها[١] .

ثالثاً : الصحــن :

يطلق اللفظ على الساحة المسورة المكشوفة[٢] ، وتكون في وسط الدار[٣] ، كما يطلق على فناء المسجد[٤] .

ولقد عرفت هذه الوحدة المعمارية في حجج الوقف المملوكية بلفظين أساسيين ، الأول هو الصحن ، حيث ورد بهذه الصيغة في العديد منها بغض النظر عن المساحة التي يشغلها أو إذا كان مكشوفاً أو مغطى[٥] .

فلقد أطلقت حجة وقف مدرسة السلطان حسن [٧٦٤ هـ / ١٣٦٢م] لفظ « الصحن » على فنائها[٦] ، وكان مكشوفاً ويشغل مساحة كبيرة وتبلغ أبعاده ٣٥٫٦٢ × ٣٢٫٣٦ م[٧] . واستخدمت حجة وقف مدرسة قايتباي بالصحراء الكلمة نفسها[٨] رغم أنه كان مسقوفاً ويشغل مساحة صغيرة ويبلغ طول كل ضلع من أضلاعه ٨٫٥ م[٩] .

---

(١) عن ذلك انظر ص ٢٣١ .

(٢) عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الإسلامية ، ص ٢٤٠ .

(٣) الزبيدي، تاج العروس، ج ٩ / ص ٣٥٨ . ابن سيده ، المخصص ، ج ١ ، السفر الخامس ، ص ١١٧.

(٤) المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، السفرالخامس ، ص ١١٨ .

(٥) محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ٧٢ .

(٦) حجة وقف السلطان حسن برقم ٨٨١ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٧) علي زغلول ، مدرسة السلطان حسن ، ص ٦٥ .

(٨) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٩) عن ذلك انظر ص ١٥٥ .

أما اللفظ الثاني فهو الدرقاعة ، وهو لفظ مركب من مقطعين ، أولهما هو « در » وتعني بالفارسية الباب ، والثاني « القاعة » وتعني بالعربية الوحدة المعمارية التي تكون أهم أجزاء البيت في ذلك العصر[١] .

ولقد وردت الكلمة في حجج الوقف لتعريف أفنية المنشآت سواء المدارس أو المساجد والدور[٢] ، دون مراعاة للمساحة التي تشغلها هذه الوحدة ، كما هو الحال في الكلمة الأولى ، حيث أطلق اللفظ على فناء مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق[٣] . وكان مكشوفاً وذا مساحة كبيرة وتبلغ أبعاده ٢١٫٧م × ١٧٫٧٥م[٤]. كما أطلقته حجة وقف مدرسة برسباي بالصحراء[٥] ، رغم أنه كان مسقوفاً ويشغل مساحة صغيرة فبلغت أبعاده ١٤٫٤م × ٥٫٢ سم[٦] .

كما ورد اللفظين معاً في وثيقة واحدة ، مثل حجة وقف جامع ومدرسة المؤيد شيخ ، والتي أطلقت على فنائها لفظ « الصحن » تارة ، ولفظ الدرقاعة تارة أخرى[٧] .

مما يدل على أن حجج الوقف كانت تعتبر معناهما واحد ، بينما يميل بعض الباحثين إلى اعتبار الصحن هو الفناء المكشوف ذوالمساحةالواسعة ، والدرقاعه هي الفناءالمسقوف ذو المساحة الصغيرة[٨] .

---

(١) محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ٥٠، محمد مصطفى نجيب ، نظرة معمارية ، ص ٢٤ ، هامش « ٢ » .

(٢) محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ٥٠ .

(٣) حجة وقف السلطان الظاهر برقوق برقم ١٥١ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٤) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج٤ / ص ٤٠ .

(٥) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٦) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباي ، ص ١٧٠ .

(٧) حجة وقف السلطان المؤيد شيخ برقم ٩٣٨ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٨) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ، الملحق الوثائقي ، ص ٥٩ .

ولقد عرفت العمارة الإسلامية الصحون منذ بداية ظهورها ، واستخدمتها في كافة المباني الدينية فعرفته المساجد منذ بداية ظهورها[1] .

كما دخل في عمارة الدور والقياسر والخانات وغيرها من المنشآت المدنية[2] ، وامتد استخدامه إلى مختلف أرجاء العالم الاسلامي[3] .

ومن هنا انتقل إلى المدارس المبكرة ، فكان لكل منها صحن مكشوف يتوسط قاعات الدرس بها[4] . وهو طراز استمر في بعض مدارس العصر الجركسي كما مر معنا[5] ، وإن كان يلاحظ أن الصحن المكشوف في المدارس المصرية تميز باتساعه ، مثل صحن مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق ، حيث بلغت أبعاده ٣٩٫٢٥م × ٣٦٫٦ م[6] . وصحن مدرسة برسباي بالأشرفية ، والذي بلغت أبعاده ١٩ م × ١٥ م[7] .

بيد أن هذا الوضع لم ينطبق دائماً على المدارس الحجازية ، لوجود مدارس ذات صحون صغيرة المساحة، ومكشوفة أيضاً، مثل مدرستي الباسطية وقايتباي بمكة المكرمة ، حيث بلغت أبعاده في الأولى ١٠م × ١٠م[8]، وفي الثانية ٥٫٥ م × ٤٫٥ م[9] .

(١) أحمد فكري ، المدخل ، ص ٣١٢ .

(٢) فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر ، ج١ / ص ٢٨ - ٢٩ .

(٣) محمد عبدالستار عثمان ، نظرية الوظيفية ، ج٢ / ص ٢٢٠ .

(٤) حسن الباشا ، المدخل ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٥) عن ذلك انظر ص ٢٨١ ، ٢٩٥ .

(٦) عن ذلك انظر ص ٨٥ .

(٧) عن ذلك انظر ص ١١٩ .

(٨) عن ذلك انظر ص ١٨٩ .

(٩) عن ذلك انظر ص ٢٥٧ .

أما بالنسبة للصحن المغطى[1] ، فكانت بداية ظهوره في المدارس في عصر المماليك البحرية ، كما هو مشاهد في المدرسة الخانقاه البقدندارية ، والمدرسة الملكية ، ثم شاع استخدامه في مدارس العصر الجركسي[2] .

ويلاحظ أن الصحون المتسعة نسبياً ، كان يجري تغطيتها بغشاء سميك من القماش يطوى ويفرد بواسطة حبال وبكرات بحسب الحاجة ، وكان يطلق عليه لفظ سحابة[3] . ومن الأمثلة على ذلك صحن كلٌ من مدرسة جمال الدين يوسف الاستادار[4] ، والمدرسة الباسطية[5] ، ومدرسة وجامع جاني بك[6] .

ولقد كان للصحن وظائف عدة يقوم بها في مدارس ذلك العصر ، فمن الناحية المعمارية يوفر المبنى من الداخل أربعة واجهات تمكن المعمار من أن يوزع كتله المعمارية عليها[7] . كما أنه يوفر مساحة إضافية للصلاة ، خاصة في صلاة الجمع والأعياد ، حيث يتكاثر عدد المسلمين فيهما[8] . وزودت صحون بعض المدارس بفسقية يتوضأ المصلون منها[9] .

---

(١) كانت بداية ظهور التغطية في الصحون في قاعات البيوت أواخر العصر الفاطمي ، كما يشير بذلك قاعة الدردير ، ثم أخذ هذا الطراز بالشيوع والانتشار في العصر المملوكي . عباس حلمي ، تطور المسكن المصري ، ص ١٦١ ، ١٨٢ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٢٧٩ ، ٢٨١ ـ ٢٨٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ـ ٢٩٨ .

(٣) حسني نويصر ، عوامل مؤثرة في تخطيط المدرسة المملوكية ، ص ٢٧١ .

(٤) محمد عبدالستار عثمان ، وثيقة جمال الدين يوسف الاستدار ، ص ١٢٠ .

(٥) سامي نوار ، الآثار المعمارية للقاضي زين الدين عبدالباسط ، ص ١٧١ .

(٦) محمد عبدالرحمن فهمي ، أعمال جاني بك المعمارية ، ص ٥٩ .

(٧) محمد الكحلاوي ، المدارس المغربية ، ص ٨٣ ـ ٨٤ .

(٨) أحمد فكري ، المدخل ، ص ٣١٢ . عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الاسلامية ، ص ٢٥٠ .

(٩) عن ذلك انظر ما يلي .

ومن أبرز وظائف الصحن توفير الإضاءة والتهوية للمبنى[1] ، نظراً لأن أجزاء كبيرة منه تكون مضللة معظم ساعات النهار ، علاوة على تجمع الهواء البارد فيه أثناء الليل مما يخفض من درجات حرارة الوحدات المعمارية المحيطة به[2] . بالإضافة إلى تحقيق السكينة والخصوصية لمرتادي المبنى وإبعاد الضوضاء عنهم[3] .

رابعاً : المدخـــــل :

زودت العمائر الإسلامية بمداخل خاصة بها ، وكانت في العصر الجركسي موضع اهتمام المعمار ورعايته ، فزوده بأجمل العناصر الزخرفية والمعمارية . ويغلب على المنشآت الدينية لذلك العصر أن يكون لها مدخل رئيسي واحد[4] ، باستثناء بعضها والذي زود بمدخلين رئيسيين ، مثل مدرسة فرج بن برقوق[5] ، والمدرسة الباسطية[6] [شكل ٣٧] .

وكان المدخل يوضع في الواجهة الرئيسة من المبنى ، متخذاً أوضاعاً مختلفة ، فيوضع في بعض المنشآت في طرف الواجهة الرئيسة ، كما في مدرسة الظاهر برقوق [لوحة ٩٢] ، حيث يقع مدخلها في الطرف الجنوبي لواجهتها الجنوبية الشرقية[7] « القبلية » ، بينما وضع المدخل في الطرف

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٤٠ .

(٢) ناصر الصالح ، المؤثرات والأنماط الجغرافية للعمارة التقليدية ، ص ١١ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١١ .

(٤) صالح لمعي ، التراث المعماري ، ص ٤١ .

(٥) عن ذلك انظر ص ٧٥ ، ٧٧ .

(٦) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبدالباسط ، ص ١٤٩، ١٩٤.

(٧) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج ٤ / ص ٣٨ ـ ٣٩ .

الشرقي لنفس الواجهة في جامع ومدرسة المؤيد شيخ[١] [لوحة ١١٤] ، وشكل المدخل الطرف الغربي للواجهة الشمالية الغربية « البحرية » لمدرسة وجامع قراقجا الحسني[٢] [لوحة ١٣٠] .

ووضع المدخل في بعض المدارس في الثلث الأول من الواجهة ، مثل مدخل مدرسة إينال اليوسفي[٣] [لوحة ٩٦] ، ومدخل مدرسة جوهر اللالا[٤] [لوحة ١٢٥] .

كما أن هناك مداخل تتوسط واجهات مدارسها ، مثل مدرسة أيتمش البيجاسي [لوحة ٨٩] ومدرستي القاضي عبد الباسط بمكة المكرمة[٥] ، والمدينة المنورة[٦] ، ومدرسة تغري بردى [لوحة ١٢٧] .

وقد يوضع المدخل في كتلة منفصلة عن واجهات المبنى ، كما في جامع ومدرسة برسباي بالخانكه حيث جعل المدخل في كتلة تتصل بالمبني من ناحيته الشمالية[٧] . [شكل ٤٨] .

ومعظم مداخل العمائر السابقة تقع في سمت الواجهة ، وتفتح على نفس الاتجاه الذي تطل عليه ، ولا يستثنى من ذلك سوى مداخل بعض المدارس التي تفتح على نفس الاتجاه الذي تطل عليه هذه الواجهة ، ولكن لا تقع في سمتها ،

(١) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ، ص ١٨ – ١٩ .
(٢) حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ، ص ٢٨ .
(٣) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٥٠ – ٥١ .
(٤) سعاد ماهر ، مساجد القاهرة ، ج٤/ ص ١٢١ ، ليلى الشافعي ، مدرسة جوهر اللالا ، ص ١٠٥ .
(٥) عن ذلك انظر ص ١٨٣ .
(٦) عن ذلك انظر ص ١٨٦ .
(٧) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج ٤ / ص ١٢١ ، محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباي ، ص ٢١٦ .

مثل مدخل الواجهة الغربية لمدرسة فرج بن برقوق ، حيث يقع في ارتداد الطرف الجنوبي لهذه الواجهة[1] . ومدخل مدرسة قايتباي بمكة المكرمة ، والذي يجاوره بروز لواجهة ربع المدرسة[2] . كما أن هناك مداخل لا تفتح على اتجاه الواجهة التي هي فيها ، وإنما على جانب من جوانبها مثل مدخل مدرسة قجماس الاسحاقي والتي يقع مدخلها في واجهتها الجنوبية الغربية ، بينما تتجه فتحة الدخول بإزاء الناحية الغربية ، مما جعل سمتها يتعامد مع سمت الواجهة[3]. [لوحة ١٤٨] .

وتنقسم مداخل المدارس الجركسية إلى قسمين رئيسيين ، هما :

أولاً : المداخل البسيطة[4] :

وهي التي يدخل منها إلى صحن المبنى مباشرة ، وتتكون من كتلة واحدة أو كتلتين على الأكثر . ومن الأمثلة على ذلك مدرسة أيتمش البيجاسي[5] ، [شكل ٢٦] ، ومدرسة قاني باي المحمدي[6] [شكل ٣٥] ، ومدرستي القاضي عبد الباسط بمكة المكرمة[7] ، والمدينة المنورة[8] .

---

(١) عن ذلك انظر ص ٧١ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٢٤١ .

(٣) سوسن سليمان ، منشآة الأمير قجماس ، ص ١٨٣٠ .

(٤) يعد أسلوب المداخل البسيطة من أقدم أساليب عمارة المداخل المتبعة في العمارة الاسلامية ، ويمكن مشاهدته في المنشآت المبكرة ، واستخدم أيضاً فيما تلى من عصور . صالح لمعي ، التراث المعماري ، ص ٤١ . محمد سيف النصر ، مداخل العمائر المملوكية بالقاهرة « الدينية والمدنية » من سنة ٦٤٨ – ٧٨٤ هـ . رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م ، ص ٤٤ . علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٣٢٠ ، هامش «٣».

(٥) محمد حسام الدين إسماعيل ، منطقة الدرب الأحمر ، دراسة القسم الثالث من ظاهر القاهرة القبلي ، دراسة أثرية تسجيلية ، رسالة ماجستير ، جامعة أسيوط ، كلية آداب سوهاج ، ١٩٨٦م ، ص ٢٢٦.

(٦) فهمي عبدالعليم ، العمارة الإسلامية بمصر في عصر المؤيد شيخ ، ص ٣٣.

(٧) عن ذلك انظر ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .

(٨) عن ذلك انظر ص ٢١٨ ـ ٢١٩ .

ثانياً : المداخل المركبة[1] :

وهي التي لا تؤدي إلى صحن المدرسة مباشرة ، ويتكون واحدها من ثلاثة كتل ، وهي كتلة فتحة الدخول والدركاه ثم الدهليز[2] . وتعرف بالمداخل المنكسرة لأن المار فيها لا يسير على استقامة واحدة حتى يصل إلى الصحن ، وإنما يلتف إلى أحد الإتجاهات ، بعد السير مسافة بسيطة فيها[3] .

ويعد هذا المدخل من أكثر المداخل شيوعاً في عمائر العصر المملوكي بشقيه البحري[4] ، والجركسي[5] .

وينقسم المدخل في تكوينه المعماري إلى عدة أقسام ، هي الحجر ، والدركاه ، ثم الدهليز .

أولاً : الحجـــر[6] :

استعمل أهل الصنعة هذا المسمي للدلالة على الدخلات العميقة التي توضع فيها مداخل أبواب المنشآت[7] . وكانت هذه الحجور ترتفع بارتفاع المبنى،

---

(١) كانت بداية ظهور هذا النوع من المداخل في العمارة الاسلامية في أبواب سور مدينة بغداد ، فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر ، ج١ / ص ١٩١ ، كريزويل ، الآثار الإسلامية الأولى ، ترجمة عبدالهادي عبلة ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، دمشق ، ص ٢٢٣ . ثم عرف بعد ذلك في عمارة البيوت في العصر الفاطمي وما تلاه من عصور ، عباس حلمي ، تطور المسكن المصري ، ص ١٦٤ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ، ص ٧٦ .

(٣) صالح لمعي ، التراث المعماري ، ص ٤١ . سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس ، ص ١٨٨ .

(٤) حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ، ص ١٦٥ ، محمد سيف النصر ، مداخل العمائر المملوكية بالقاهرة ، ص ٢٦ .

(٥) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٣٢٠ .

(٦) يعود استخدام الحجور في المداخل منذ العصر الفاطمي . صالح لمعي ، التراث المعماري، ص ٤١، ثم عرف من العصر الأيوبي في مدخل مدرسة الصالح نجم الدين أيوب . أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج ٢ / ص ٨١ .

(٧) دللي ، العمارة العربية ، ص ١٦ ، صالح لمعي ، التراث المعماري ، ص ٤١ .

وبخاصة في المباني الدينية[١] . ويستثنى من ذلك بعض المدارس الحجازية مثل مدرستي الباسطية[٢] ، وقايتباي[٣] بمكة المكرمة .

ولقد أصبح من الثابت وجود الحجور في عمارة المداخل في عصر المماليك بشقيه البحري والجركسي ، وإن كان من الملاحظ أنها أضحت أقل عمقاً في أواخر عصر الجراكسة[٤] .

ويمكن تقسيم الحجر وفق تكوينه المعماري في ذلك العصر إلى عدة أقسام أهمها : الجلستان، ثم فتحة الباب ، ويعلوها النافذة ومن بعدها طاقية الحجر[٥].

أ ـ الجلستان[٦] : وهما عبارة عن كتلتان معماريتان ، تقعان على جانبي فتحة الباب داخل حجر المدخل . وتمتد بامتداده ، كما يختلف عرضها وطولها باختلاف عمق واتساع حجر المدخل[٧]. أما ارتفاعها فيبلغ عادة متراً واحداً[٨] .

وتتكون الجلسة من مداميك حجرية متداخلة ومبنية بطريقة متقنة[٩] ، وما لبثت أن تطور بناءها حتى أضحت مداميكها عبارة عن صنج معشقة[١٠] . إما

---

(١) دللي ، العمارة العربية ، ص ١٦ .

(٢) عن ذلك انظر ص ١٨٧ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٢٤٩ .

(٤) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٧٣، مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز الأحمدي ، ص ١٨٢ .

(٥) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ، الملحق الوثائقي ، ص ١٥٩ . دللي ، العمارة العربية ، ص ١٦ ، حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ، ص ١٦٦ ، مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز ، ص ١٨.

(٦) ومفردها جلسة ، واشتهرت بمسمى مسطبة أيضاً ، وعرفت كذلك بالمكسلة ، والكرسي ، محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ، الملحق الوثائق ، ص ١٦١ .

(٧) محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ٣٠ .

(٨) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٣٢٦ .

(٩) محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ٣٠ .

(١٠) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ، الملحق الوثائقي ، ص ١٥٩ .

بالحجر الأبلق « الأبيض والأسود » ، كما في جامع ومدرسة المؤيد شيخ [لوحة ١١٧] ، أو بالحجر المشهر « الأصفر والأبيض » ، مثلما هو في جلستي مدخل مدرسة قجماس الاسحاقي[١] [لوحة ١٤٩]، أو بالمشهر « أصفر وأحمر »، كما في المدرسة الباسطية بمكة المكرمة[٢] .

كذلك كانت هذه الجلسات تزخرف باستخدام إطار حجري عبارة عن جفت يكون تارة مجرداً، كما في جلستي مدخل مدرسة برسباي بالأشرفية[٣]. وفي جلستي مدخل مدرسة القاضي يحى[٤]. وقد يكون الجفت محلى بالميمات . إما على شكل ميمة كبيرة تقع على أحد جوانب الجلسة كما في مسجد فرج بن برقوق[٥] « زاوية الدهيشة » ، أو على شكل ميمات متعددة كما في جلستي مدخل جامع القاضي يحى بالحبانية [٦] . ولقد وضع المعمار هاتين الجلستين على جانبي المدخل بسبب العمق الذي أوجده الحجر الغائر ، مما أوجد مساحات شاغرة ، عمل المعمار على ملئها بالجلستين[٧] .

ويلاحظ أنه لم تزود حجور بعض مداخل المدارس الحجازية بالجلستين ، كما في مدرسة قايتباي بمكة المكرمة ، بسبب أن مدخلها كان يستخدم للوصول إلى الحرم أيضاً ، فهو عرضة بذلك للازدحام خاصة في المواسم[٨] .

---

(١) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ، ص ١٠٣ .

(٢) عن ذلك انظر ص ١٨٧ .

(٣) عن ذلك انظر ص ١٠٨ .

(٤) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ، ص ٧٤ .

(٥) جمال عبدالرحيم ، الطيات المعمارية ، لوحة ٤١ .

(٦) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ، ص ٢٠٠ .

(٧) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ، الملحق الوثائقي ، ص١٥٩.

(٨) عن ذلك انظر ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .

وبالتالي ، فإن وجود الجلستين سيكون سبباً في إعاقة حركة الداخلين والخارجين من هذا المدخل .

ب ـ فتحة الباب : تعد فتحة الباب من أبرز مكونات الحجر ، وكان يطلق عليها في حجج الوقف الجركسية مسمى « الباب المربع » [١] . ولا يقصد بذلك أنه مربع الشكل ، وإنما كان مستطيل الشكل كما هو حال الأبواب ، ولكنه عرف بذلك لأنه يتوج قمته كتلة حجرية مستقيمة ، سواء على شكل عقد مستقيم أو عتب حجري ، كما في مداخل العمائر الدينية لذلك العصر[٢] .

جـ ـ النافذة : زودت حجور المداخل بنوافذ كانت تعلو فتحات الأبواب بها ، وقد يكون الأمر قاصراً على نافذة واحدة، مثل مدخل كل من مدرسة جمال الدين يوسف الاستادار[٣] [لوحة ١٠٠] . ومدرسة الأمير عبدالغني الفخري[٤] ، ومدرسة كافور الزمام[٥] ، ومدرسة فيروز الساقي[٦] ، ومدرسة قايتباي[٧] بمكة المكرمة .

(١) حجة وقف الأمير إينال اليوسفي ، برقم ٥٥ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .
حجة وقف القاضي زين الدين يحى ، برقم ١١٠ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .
حجة وقف السلطان قايتباي ، برقم ٨٨٦ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .
عبداللطيف إبراهيم ، دراسات تاريخية وأثرية ، الملحق الوثائقي ، تحقيق رقم ٥٦، وهناك أبواب عرفت في حجج الوقف بالأبواب المقنطرة ، حيث يعلوها عقد مقنطر ، ولكنها لا تشاهد في فتحات أبواب مداخل المساجد والمدارس الجركسية . انظر عبداللطيف إبراهيم ، وثيقة الأمير آخور كبير قراقجا الحسني ، تحقيق ٨. محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ، الملحق الوثائقي ، ص ١٢٩ .
(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ١٢٨ ، علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٣٢٣ .
(٣) محمد عبدالستار عثمان ، وثيقة جمال الدين يوسف الاستادار ، ص ١١١.
(٤) محمد الكحلاوي ، مدرسة الأمير عبد الغني الفخري ، ص ٣١ .
(٥) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ١٨١ .
(٦) المرجع السابق نفسه ، ص ١٨٨ .
(٧) عن ذلك انظر ص ٢٥٢ .

بينما تعددت نوافذ المداخل ، وبخاصة في مصر في أواخر العصر الجركسي فوجدت مداخل بها نافذتين ، إحداهما تعلو الأخرى ، كما في مدرسة قايتباي بالصحراء(١) . كذلك أنشئت مداخل بها ثلاثة نوافذ واحدة سفلية وآخريتان علويتان ، كما في مدرسة قايتباي بالكبش(٢) [لوحة ١٤٣] .

وكانت هذه النوافذ تقوم بأغراض متعددة ، حيث جعلت كحلية في المنطقة الواقعة بين فتحة الباب وطاقية الحجر ، فلا تغدوا جدارية مسمطة تبعث على الرتابة والملل(٣) . كما أنها تقوم بتخفيف الثقل عن المنطقة التي تعلو فتحة الباب(٤) . بالإضافة إلى دورها في الإضاءة والتهوية وبخاصة للدركاوات(٥)، ففي كثير من مداخل العمائر ذات النافذة الواحدة ، كانت تخصص هذه لإضاءة وتهوية الدركاه ، مثل نافذة مداخل كل من مدرسة قراقجا الحسني(٦) ومدرسة الظاهر جقمق(٧) ، ومدرسة قايتباي بمكة المكرمة(٨) .

وإن كان قد وجدت أمثلة خصصت فيها النافذة الوحيدة في المدخل لإضاءة حجره تعلو دركاه المدخل ، كما في مدخل مدرسة قايتباي بالروضة(٩) .

أما إذا كان هناك أكثر من نافذة ، فإن السفلية منها تخصص لإضاءة الدركاه ، بينما خصصت العلوية لإضاءة وتهوية مرافق تعلو هذه الدركاه ،

---

(١) عن ذلك انظر ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ، ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

(٣) دللي ، العمارة العربية ، ص ١٩ .

(٤) محمد سيف النصر ، مداخل العمائر المملوكية بالقاهرة ، ص ٦٧ .

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ٦٧ .

(٦) حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ، ص ٣٠ .

(٧) جمال عبد الرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٢٠ .

(٨) عن ذلك انظر ص ٢٥٢ .

(٩) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ، ص ٣٦٨ .

كحجرة أو دهليز علويين أو ما شابه ذلك ، ومن الأمثلة على ذلك نوافذ مدخلي كل من مدرستي قايتباي بالصحراء[١] ، والكبش[٢] .

ولقد تعدد أشكال هذه النوافذ في العصر الجركسي ، إذ أنها قد تكون مستطيلة الشكل ، وهو الطراز السائد فيها ، مثل نوافذ مداخل كل من مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق بالصحراء[٣] ، وجامع ومدرسة المؤيد شيخ[٤] [لوحة ١١٦] ، ومدرستي قايتباي بالصحراء[٥] ومكة المكرمة[٦] . وقد تكون دائرية الشكل « قمرية » . كما في مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق [لوحة ٩٣] . أو أن تكون معقودة « شمسيات » ، كما في النافذتين العلويتين لمدرسة قايتباي بالكبش[٧] [لوحة ١٤٣] . وكانت توضع الشبابيك المستطيلة في معظم مداخل ذلك العصر في دخلات حجرية صغيرة متوجة بصدور مقرنصة ، ويكتنفها عامودان من الرخام لهما تاجان وقاعدتان ناقوسية الشكل . مثلما هو موجود في مداخل كل من المدرسة الباسطية[٨] ، ومدرسة أبي بكر مزهر[٩] [لوحة ١٤٦] ، ومدرسة قايتباي بمكة المكرمة[١٠] .

---

(١) عن ذلك انظر ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ، ص ٣٢٢ – ٣٢٣ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٧٥ ، ٧٨ .

(٤) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ، ص ١٩ .

(٥) عن ذلك انظر ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٦) عن ذلك انظر ص ٢٥٢ .

(٧) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ، ص ٣٢٣ .

(٨) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين عبدالباسط ، ص ١٤٠ .

(٩) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ٧٦ .

(١٠) عن ذلك انظر ص ٢٥٢ .

د ـ الطاقيــة : تمثل الطاقية قمة حجر المدخل ونهايته العلوية ، وهي على طرازين أساسيين : الأول عبارة عن نهاية مستقيمة ، إما بعتب أو عقد مستقيم . ويرتكز على صدر مقرنص كما في طاقية حجر مدخل كل من مدرسة مقبل الرومي[١] [٧٨٩ هـ / ١٣٩٥م] [لوحة ٩٩] ، والمدرسة الباسطية المدخل الفرعي[٢] [لوحة ١١١] ، ومدرسة جوهر اللالا[٣] [لوحة ١٢٥] . وقد يكون مجرداً من المقرنصات كما في مدخل المدرسة الباسطية بمكة المكرمة[٤] .

أما الطراز الثاني : فهو عبارة عن نهاية معقودة ، وهي على نوعين أساسيين :

الأول : عبارة عن عقد مدبب ومجرد من المقرصنات كما في مدخل المدرسة الباسطية بالمدينة المنوة[٥] . ومدخل مسجد الخيف بمكة المكرمة [لوحة ١٣٩] ، وقد تكون الطاقية مدببة ومشغولة من الداخل بحطات مقرنصة كما في مدرسة برسباي بالأشرفية[٦] .

أما النوع الثاني : فأن يكون للطاقية عقد مدائنــي « ثلاثي » ، وهو أكثر الأنواع شيوعاً في مداخل العمائر في العصر الجركسي ، وقد تكون الطاقية هنا مجردة من المقرنصات ومزخرفة بأشكال مختلفة ، كما في مدخل مدرسة

---

(١) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية، ص ١٤٢. وهذه المدرسة من إنشاء الأمير مقبل الداودي الرومي ، المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٣٩٤ .

(٢) سامي نوار ، الأعمال المعمارية ، للقاضي زين الدين عبدالباسط ، ص١٥٣.

(٣) ليلى الشافعي ، مدرسة جوهر اللالا ، ص ١٠٧ .

(٤) عن ذلك انظر ص ١٨٨ .

(٥) عن ذلك انظر ص ٢١٨ .

(٦) عن ذلك انظر ص ١١٠ .

أبناء قايتباي[1] [لوحة ١٣٨] ، ومدخل مدرسة أبي بكر مزهر[2] [لوحة ١٤٦] ومدخل مدرسة قجماس الإسحاقي[3] [لوحة ١٤٩] .

وقد تكون الطاقية مشغولة بحطات مقرنصة بشكل كامل أو ترتكز عليها ريشتا القبو، كما في حجري مدخلي مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق[4]، والمدخل الغربي لمدرسة قايتباي بالكبش[5] [لوحة ١٤٣] ، ومدخل مدرسة قايتباي بمكة المكرمة[6] . ومدرسة قانصوه الغوري[7] [لوحة ١٦٠] .

ثانياً : الدركـــاه :

واللفظ أعجمي مركب من كلمتين وهما « در » بمعنى « باب » و« كاه » بمعنى محل[8] . وهي منطقة وسط بين فتحة الدخول وبقية أقسام المدخل والمبني[9] . ومن خلالها يتم إعادة توزيع الحركة بالنسبة للدخول والخروج من المبنى[10] . وإذا كان للمدرسة مدخل واحد ، فإنه يكون لها دركاه واحدة

(١) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية بالقاهرة ، ص ٢٤.

(٢) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ٧٦ .

(٣) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ، ص ١٨٣ – ١٨٤.

(٤) عن ذلك انظر ص ٧٨ .

(٥) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية بالقاهرة ، ص ٣٢٣.

(٦) عن ذلك انظر ص ٢٥٣ .

(٧) محمد فهيم ، مدرسة السلطان قانصوه الغوري ، ص ٦٩ .

(٨) محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ٤٧ . عبداللطيف إبراهيم ، دراسات تاريخية وأثرية ، الملحق الوثائقي ، تحقيق رقم ٦٦ .

(٩) عبد الرحيم غالب ، موسوعة العمارة الإسلامية ، ص ١٨٧ ، محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ، الملحق الوثائقي ، ص ١٧١ .

(١٠) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٣٣٢ .

أيضاً[1] . ولا يستثنى من ذلك سوى مدرسة خانقاه الظاهر برقوق ، والتي لها مدخل واحد وبه دركاوتان [شكل ٢٧] . فإذا كان للمدرسة مدخلين أساسيين ، فإنه يكون لكل منهما دركاه خاصة به ، مثل المدرسة الباسطية[2] [شكل ٣٧] ، ومدرسة أبي بكر مزهر[3] [شكل ٥٨] .

وكان لدركاوات مداخل العصر الجركسي أشكالاً مختلفة ، فمنها مربعة الشكل ، مثل دركاه المدخل الرئيسي لجامع ومدرسة برسباي بالخانكه[4] ، ولمدرسة السلطان إينال بالصحراء[5] .

ومنها ما هو مستطيل الشكل ، مثل دركاه الدخول لجامع ومدرسة المؤيد شيخ[6] . وللمدخل الرئيسي لمدرسة أبي بكر مزهر[7] ، ولمدرسة قايتباي بمكة المكرمة[8] . ومنها ما هو غير منتظم الأبعاد ، مثل دركاه مدخل مدرسة وخانقاه برسباي بالصحراء[9] ، ودركاه مدخل مدرسة الجمالي يوسف[10] .

---

(١) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ، الملحق الوثائقي ، ص ١٧٤ – ١٧٥ .

(٢) سامي نوار ، الأعمال المعماريه للقاضي عبدالباسط ، ص ١٦١ ، ١٩٦ .

(٣) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ٦٥ ، ٦٨ ، ٨٠ .

(٤) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ٢١٩ .

(٥) سامي حسن ، السلطان إينال وآثاره المعمارية ، ص ٨٤ .

(٦) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ، ص ١٩ .

(٧) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ٨٠ .

(٨) عن ذلك انظر ص ٢٥٤ .

(٩) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٦٤ .

(١٠) عادل شريف ، الأعمال المعمارية ليوسف بن عبدالكريم ، ص ١٠٥ .

ولأن وظيفة الدركاه هي ربط وتوزيع حركة الدخول والخروج من المبنى ، فلقد زودت بأبواب عادة ما تكون مقنطرة يبلغ عددها بابين في معظم مدارس تلك الفترة بحيث يقع أحدهما على يمين الداخل والآخر على شماله ، كما في دركاه مدخل كل من مدرسة برسباي بالأشرفية[١] ، ومدارس قايتباي بالصحراء[٢] ، والكبش[٣] ، ومكة المكرمة[٤] . ووجدت دركاوات لمدارس بها ثلاثة أبواب ، كما في مدرسة وخانقاه برسباي بالصحراء[٥] . كما وجدت من بها باب واحد ، كما في مدخلي المدرسة الباسطية[٦] .

ويهدف تعدد الأبواب في الدركاوات ، توزيع الحركي إلى أكثر من كتلة في المبنى ، بحيث يتسنى الوصول إلى باطن المدرسة ، أو إلى مكتب السبيل والمئذنة ، ودورة المياه ، وغير ذلك من الملاحق ، كما هو في جامع ومدرسة المؤيد شيخ[٧] ، ومدرستي برسباي بالأشرفية[٨] والصحراء[٩] ، ومدرستي قايتباي بالصحراء[١٠] ، ومكة المكرمة[١١] .

---

(١) عن ذلك انظر ص ١١١ .

(٢) عن ذلك انظر ص ١٤٦ .

(٣) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ، ص ٣٢٤ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٢٥٤ .

(٥) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٦٤ ــ ١٦٥.

(٦) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ، ص ١٦٢ ، ١٩٧ .

(٧) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ، ص ١٩ .

(٨) عن ذلك انظر ص ١١١ .

(٩) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٦٤–١٦٥.

(١٠) عن ذلك انظر ص ١٤٦ .

(١١) عن ذلك انظر ص ٢٥٤ .

ولقد زودت بعض هذه الدركاوات بمصاطب[1] ذكرتها حجج الوقف ، حيث ورد في حجة وقف مدرسة السلطان إينال أنه بها « ... دركاه بصدرها مصطبة ... »[2] . وكانت مخصصة لجلوس بواب المنشأة عليها[3] . وتوضع ضمن دخلات عميقة في الدركاوات ، وقد تكون مبنية من الحجر ، مثل مصطبة دركاه المدخل الرئيسي للمدرسة الباسطية[4] ، ومصطبتي مدخلي مدرسة قايتباي بالكبش[5] ، وقد تغشى مصطبة الدركاه بأشرطة رخامية معشقة وفق أشكال زخرفية جميلة ، كما في مصطبة مدخل كل من مدرسة برسباي بالأشرفية[6] ، ومدرسة القاضي يحى زين الدين[7] ، ومدرسة السلطان إينال بالصحراء[8] ، ومدرسة أبي بكر مزهر[9] ، ومدرسة قجماس الاسحاقي[10] .

وكان من المتبع في معظم عمائر العصر الجركسي أن تزود هذه المصاطب بخزانات « كتبيات » لحفظ أدوات البواب ، وقد توضع هذه الخزانات فوق المصطبة في الجدارين المكتنفين لها من الجانبين ، كما في مدرسة أبناء

---

(١) ويطلق عليها في حجج الوقف لفظ « مسطبة » باستبدال الصاد بسين . وما ذكرناه في المتن هو الأصح . ويقصد بالمصطبة بناء مرتفع يستخدم للجلوس عليه . وهو يشابه جلستي المدخل . محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ١٠٦ .

(٢) حجة وقف السلطان إينال برقم ٦٢ تاريخ ، بدار الكتب المصرية .

(٣) حجة وقف السلطان فرج بن برقوق برقم ٦٦ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٤) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبدالباسط ، ص ١٦١.

(٥) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ، ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

(٦) عن ذلك انظر ص ١١١ .

(٧) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ، ص ٨٠ – ٨١ .

(٨) سامي أحمد حسن ، السلطان إينال وآثاره المعمارية ، ص ٨٤ .

(٩) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ٨٠ .

(١٠) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ، ص ١١١ .

قايتباي[1] ، ومدرسة قايتباي بالصحراء[2] . وقد توضع في بعض الحالات أسفل المصطبة نفسها ، كما في جامع ومدرسة برسباي بالخانكة[3] .

كذلك كانت توضع في بعض العمائر فتحات شبابيك بصدر المصاطب ، كما في مدرسة قايتباي بالصحراء[4] ، ومدرسة قجماس الاسحاقي[5]، ومدرسة قرقماس[6] .

ثالثاً : الدهليـــز :

وهو آخر أقسام المدخل ولفظه أعجمي معرب ، ويقصد به الكتلة المعمارية الواقعة بين الباب والدار ، ويطلق أيضاً على الممرات الواقعة في داخل المبنى[7] ، وما تقصده الدراسة هنا هو دهليز المدخل .

ولقد أشـارت حجج الوقف إلى دهليز المدخل ، وإن كان بشكل مقتضب ، حيث ورد في حجة وقف مدرسة قايتباي بالروضة أنه يعقب الدركاه « ... دهليز مستطيل مفروش الأرض بالرخام الملـون ... »[8] . وتشير حجج وقف أخرى إلى وظيفة دهليز المدخل حيث تذكر بأنه يفضي إلى باطن المدرسة[9] .

(١) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية بالقاهرة ، ص ٢٧ .

(٢) عن ذلك انظر ص ١٤٧ .

(٣) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ٢٢٠.

(٤) عن ذلك انظر ص ١٤٧ .

(٥) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ، ص ٨٢ .

(٦) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ، ص ١٧٧ .

(٧) محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ٤٩ .

(٨) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٣٣/٢١٠ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٩) حجة وقف الأمير قراقجما الحسني ، برقم ٩٢ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة ، حجة وقف الأمير الجمالي يوسف برقم ١٠٥ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

ومن أبرز الظواهر المعمارية التي تميز الدهليز ما يشغله من كتلة المبنى ، حيث نجده في بعض الأحيان يمتد لمسافة طويلة .

ففي مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق بلغ طوله ٥ر١٩ م(١) .

وبلغ في مدرسة ابنه فرج ٢٤ م(٢) . ووصل في مدرسة برسباي بالأشرفية٩٠ر١٧ م(٣) . ومدرسة قايتباي بمكة المكرمة٢٠ م(٤) .

وقد يمتد دهليز المدخل لمسافة قصيرة ، حيث بلغ في جامع تمراز الأحمدي ٥ر٢ م(٥) . ولم يتجاوز في مدرسة قجماس الاسحاق ٥ م فقط(٦) .

ولقد تحكم في طول الدهليز أو قصره ، علاقة واجهة المدخل بباطن المدرسة ونهاية الدهليز . فكلما ابتعدت هذه الواجهة عن باطن المدرسة ، كلما تزايد طول الدهليز ، لأنه هو نقطة الوصل بين الكتلتين .

كذلك يتميز دهليز المدخل من الناحية المعمارية بكونه مسقوفاً في بعض المدارس ، بحيث يكون تسقيفه كاملاً ، كما في مدرسة الجمالي يوسف(٧) .

وفي مدرسة أبناء قايتباي(٨) ، ومدرستي القاضي عبدالباسط بمكة المكرمة(٩) ، والمدينة المنورة(١٠) .

---

(١) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج٤ / ص ٤٠ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٨٠ .

(٣) عن ذلك انظر ص ١١١ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٢٥٥ .

(٥) مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز ، ص ٤٨ .

(٦) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس ، ١١١ .

(٧) عادل شريف ، الأعمال المعمارية لعبدالكريم بن بركة ، ص ١٠٥ ، حسن القصاص ، مساجد الأمراء ، ص ٧٥ .

(٨) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢٨ .

(٩) عن ذلك انظر ص ١٨٨ .

(١٠) عن ذلك انظر ص ٢١٨ .

وقد يكون تسقيفه في مدارس أخرى جزئي ، أي أن جانباً منه يكون مسقوفاً . والآخر بدون سقف « كشف سماوي »[١] . مثل دهليز المدخل في كل من مدرسة وخانقاه برقوق[٢] ، ومدرسة إينال اليوسفي[٣] . ومدرسة وخانقاه فرج بن برقوق[٤] ، ومدرسة قايتباي بمكة المكرمة[٥] . وقد يكون الدهليز مكشوفاً بالكامل ، كما في مدرسة قجماس الاسحاقي[٦] .

ومن الواضح أن الذي يتحكم في تغطية الدهليز بصورة كاملة أو جزئية ، أو أن يكون مكشوفاً ، إمكانية توفير الإضاءة والتهوية له .

ففي الدهاليز المغطاة ، أمكن معالجة الحاجة للإضاءة والتهوية عن طريق تعدد الفتحات ـ شبابيك وأبواب ـ المطلة عليه. كما في مدرسة جمال الدين محمود الاستادار ، والتي زود دهليزها المسقوف بشكل كامل بخمسة شبابيك أحدها يطل على الطريق العام ، وبقيتها على مرافق أخرى للمدرسة . بالإضافة لوجود بابين أحدهما يؤدي إلى الصحن « الدرقاعه » ، والآخر إلى الميضأة والتي كانت « كشف سماوي » مما وفر له إضاءة وتهوية كافيتين[٧] .

أما بالنسبة للدهليز المكشوف كلياً أو جزئياً ، فيكون سبب ذلك عدم توفر إضاءة وتهوية كافيتين إلا عن طريق الجانب العلوي من الدهليز . وفي هذه

---

(١) و« الكشف سمادي » مصطلح وثائقي للدلالة على الامكان الغير مسقوفة في عمائر المماليك ، محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ٦٧ .

(٢) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج٤ / ص ٤٠ .

(٣) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٦٤ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٨٠ .

(٥) عن ذلك انظر ص ٢٥٥ .

(٦) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ، ص ١١١ .

(٧) على الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ١٤٦ .

الحالة إذا كان الدهليز صغيراً فيجري كشفه كله ، كما في مدرسة قجماس الاسحاقي ، حيث لا يتجاوز طوله هنا ٥ م ، كما سبق أن ذكرنا .

أما إذا كان الدهليز طويلاً ، فيجري كشف أجزاء منه فقط ، مثل مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق حيث بلغ طوله ١٩٫٥ ، كما سبق أن ذكرنا .

خامساً : مكتب السبيل :

ويقصد به نوع من الوحدات المعمارية تلحق بمنشآت العصر الجركسي ، وبخاصة المدارس ، وتتكون من قسمين أولهما سبيل سفلي ، وثانيهما كتاب علوي[1] .

وتعود بداية ظهور مكتب السبيل ملحقاً بالمنشآت بمصر ، إلى أوائل العصر المملوكي البحري ، حيث أطلقت حجة وقف للمنصور قلاوون مسمى « مكتب السبيل » على كتّاب كان يعلو قيسارية أنشأها السلطان المذكور في مدينة القاهرة[2] .

وعلى الرغم من أن هذا الكتاب من النوع المنفرد ، أي بدون سبيل ، فإن تعريفه بهذا المسمى يدل على أن إنشاء وحدة معمارية تتكون من سبيل يعلوه كتاب وتلحق بمنشأة كبيرة ، كان معروفاً وشائعاً في ذلك العصر .

ومن أقدم النماذج الباقية لكتاب وسبيل ملحقان بمنشأة ، هو الموجود بمدرسة أسنبغا[3] .

---

(١) محمد أمين ، الأوقاف والحياة الاجتماعية ص ٣٦٢ ، صالح لمعي ، التراث المعماري ، ص ٤٨ .

(٢) حجة وَقف المنصور قلاوون برقم ١٠١٢ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٣) صالح لمعي : التراث المعماري ، ص ٢٨ . وهذه المدرسة من إنشاء الأمير أسنبغا بن سيف الدين بكتمر الناصري ، على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ج ٥ / ص ٢٣ .

أما بالنسبة للحجاز فلا يتوفر عن مدارسها المبكرة أو تلك التي أنشئت في العصر المملوكي البحري ، ما يشير إلى وجود وحدة مكتب السبيل بصورتها المتكاملة[1] .

وإذا ما انتقلنا إلى العصر الجركسي ، فإن « مكتب السبيل » أضحى أحد الوحدات الرئيسة التي تلحق بالمدارس في مصر[2] . وكذلك في الحجاز ، إذ زود بهذه الوحدة كل من مدرستي القاضي عبد الباسط بمكة المكرمة[3] ، والمدينة المنورة[4] ، علاوة على مدرسة قايتباي بمكة المكرمة[5] .

وإن كان هذا لم يمنع من وجود مدارس لا توجد بها هذه الوحدة مثل المدرسة البنجالية بمكة المكرمة ، والتي تحدثت عنها المصادر بتوسع دون أن تشير إلى وجود وحدة مكتب السبيل[6] . وكذلك كان الحال مع مدرسة قايتباي بالروضة. إذ لا يوجد ما يشير إلى وجود هذه الوحدة ضمن كتلتها المعمارية[7].

وظهر في ذلك الوقت عمائر بها أكثر من مكتب سبيل ، مثل مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق بالصحراء[8] .

---

(١) ناجي معروف ، مدارس مكة ص ٩ - ١٤ ، عائشة باقاسي ، بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ص ١٠٤ - ١٠٦ ، عبدالرحمن صالح ، تاريخ التعليم في مكة ، ص ٦١ - ٦٣ ، ٦٥ .

(٢) حسني نويصر ، مجموعة سبل السلطان قايتباي بالقاهرة ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ١٩٧٠م ، جامعة القاهرة ص ٤ .

(٣) عن ذلك انظر ص ١٩٠ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

(٥) عن ذلك انظر ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

(٦) الفاسي ، شفاء الغرام ، ج١ / ص ٥٢٤ ـ ٥٢٥ ، عبدالله غازي ، إفادة الأنام ورقة ٤٤٣ ـ ٤٤٥ ، ناجي معروف ، مدارس مكة ، ص ١٧ ـ ١٩ ، عبدالرحمن صالح ، ص ٧٠ ـ ٧٢ .

(٧) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٣٦٣ .

(٨) عن ذلك انظر ص ٨٦ .

ونظراً لأهمية هذه الوحدة المعمارية وتأكد وضعها في مدارس ذلك العصر ، فلقد حرص المعمار على إعطائها وضعاً مميزاً ضمن عناصر التخطيط الأخرى[1] . فكانت توضع في واجهات المباني الرئيسة دون أن يتقيد المعمار بموقع ثابت فيها .

فتارة يتخذ السبيل مكاناً ركنياً مجاوراً للمدخل الرئيسي ، كما في مكتب سبيل كل من جامع ومدرسة المؤيد شيخ[2] . وفي المدرسة الباسطية[3] [لوحة ١٠٨] ، وفي مدرسة قايتباي بمكة المكرمة[4] .

وقد يقع السبيل في بعض المدارس في طرف الواجهة مبتعداً في نفس الوقت عن موقع مدخلها . ومن الأمثلة على ذلك مدرسة الأمير عبدالغني الفخري [لوحة ١٠٥] ، والتي يقع مدخلها في الجانب الشمالي من واجهتها الرئيسة ، بينما يشغل مكتب التسبيل فيها الركن الجنوبي لنفس الواجهة[5] . والمدرسة الباسطية بالمدينة المنورة ، والتي كان مدخلها يتوسط واجهتها ، بينما وقع مكتب السبيل في الركن الشرقي من هذه الواجهة[6] .

فقد يوضع مكتب السبيل في واجهة أخرى غير تلك التي بها المدخل الرئيسي ، مثل مدرسة أبي بكر مزهر ، والتي كانت واجهتها الرئيسة هي الجنوبية الشرقية « القبلية » وبها المدخل الرئيس ، بينما وضع المعمار مكتب السبيل في واجهتها الجنوبية الغربية بجوار مدخلها الجانبي[7] .

(١) صالح لمعي ، التراث المعماري ، ص ٢٨ .

(٢) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ، ص ١٠٥ .

(٣) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ، ص ١٥٠ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٢٥٩ .

(٥) محمد الكحلاوي ، مدرسة الأمير عبدالغني الفخري ، ص ٢٦ – ٢٨ .

(٦) عن ذلك انظر ص ٢١١ ـ ٢٢٢ .

(٧) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ١٠٧ .

ووجدت مدارس جعل مكتب السبيل فيها ضمن كتلة منفصلة عنها ، كما في مدرسة سودون من زاده والتي جعل معمارها وحدة مكتب السبيل ضمن مجموعة ملاحقها المنفصلة عـنها[١] .

وكذلك مكتب سـبيل مدرسـة إينال بالصحراء حيث كان يقع ضمن كتلة منفصلة عن مبنى المدرسة في مواجهة مدخلها ، بحيث يتسنى لكل داخل أو خارج من المدخل أن يرى السبيل ويمر عليه[٢] .

ومثلما أولى معمار ذلك العصر موقع مكتب السبيل عناية فائقة فلقد حرص على تشكيل واجهاته بطريقة تبرزه عن الكتل المعمارية الأخرى ، حتى أنه يقوم في بعض الأحيان بتكسية واجهته بالرخام دون الواجهات الأخرى[٣] .

ويتكون مكتب السبيل من وحدتين أساسيتين ، هما السبيل ، والكتّاب الذي يعلوه .

أولاً : السبيل :

واللفظ مشتق من التسبيل ، أي جعل الشيء مباحاً لوجه الله تعالى[٤] . وبه عرف نوع من المنشآت يقوم بتوفير مياه الشرب للناس[٥] ، لما في سقاية الظمآن من أجر وثواب عند الله عز وجل[٦] .

---

(١) حسني نويصر ، مدرسة جركسية على نمط المساجد الجامعة ، ص ٣١ – ٣٦.

(٢) سامي حسن ، السلطان إينال وآثاره المعمارية ، ص ١٥٠ .

(٣) صالح لمعي ، التراث المعماري ، ص ٢٨ ، عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الاسلامية ، ص ٢١٨ .

(٤) الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٧ / ص ٣٦٦ .

(٥) حسن الباشا ، المدخل ، ص ٢٠٧ ، محمد أمين ، ليلى ابراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ٦٢ .

(٦) عبدالرحمن زكي ، الأسبلة الأثرية في مدينة القاهرة، مجلة كلية الآثار، العدد الثاني، ١٩٧٧ م ص ٥٧ .

وكانت الأسبلة تلحق في العصر الجركسي بالمنشآت المعمارية باستثناء بعضها ، والذي بني بصورة منفردة عن غيره من المباني[1] .

ويعود تاريخ إنشاء الأسبلة الملحقة بالمدارس بمصر إلى أواخر العصر الأيوبي[2] .

أما بالنسبة للحجاز ، فمن المؤكد أنها كانت السباقة في وجود الأسبلة ، كما يشير بذلك سبيل الزنجيلي[3] ، والذي يعود تاريخه إلى أوائل العصر الأيوبي[4] [قبل سنة ٥٨٣ هـ / ١٤٧٨ م] ، وهذه الأسبلة إنما تمثل إمتداداً للسقايات الموجودة في مكة منذ عصورها الإسلامية الأولى[5] .

ويعد العصر الجركسي ، عصر توسع في استخدام هذه المنشآت وإلحاقها بالعمائر كما سبق أن ذكرنا أثناء الحديث عن مكتب السبيل .

ولقد تميز السبيل في ذلك العصر بخصائص معمارية عديدة ، ميزت واجهاته وتكوينه الداخلي .

فبالنسبة للواجهات ، فيمكن تقسيم الأسبلة في مصر والحجاز إلى أربعة طرز بحسب عدد واجهاتها ، وهي كالتالي :

---

(١) صالح لمعي ، التراث المعماري ، ص ٢٧ – ٢٨ .

(٢) كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية في مصر ، ص ٣٢ .

(٣) هذا السبيل من إنشاء فخر الدين عثمان بن علي الزنجيلي ، ولم تحدد المصادر تاريخ إنشائه ، وإنما من المؤكد أنه أنشأ قبل وفاة صاحبه سنة ٥٨٣ هـ/ ١١٨٧ م ، الفاسي، العقد الثمين ، ج ٦ / ص ٣٤ ـ ٣٥ .

(٤) الفاسي ، شفاء الغرام ، ج ١/ ص ٥٤٠ .

(٥) الفاكهي ، أخبار مكة ج ٣/ ص ٩٧ .

أولاً : السبيل ذي الواجهة الواحدة :

ومن أبرز الأمثلة على ذلك ، سبيل مدرسة كافور الزمام [لوحة ١٢١] ، وسبيل المدرسة الباسطية بمكة المكرمة[١] ، وسبيل مدرسة تغرى بردى [لوحة ١٢٨] .

ثانياً : السبيل ذي الواجهتين :

وهو من الطرز الشائعة في أسبلة المدارس الجركسية . ومن أبرز الأمثلة على ذلك ، سبيل مدرسة سودون من زاده[٢] ، وسبيلي مدرسة فرج بن برقوق بالصحراء[٣] ، وسبيل المدرسة الباسطية بالمدينة المنورة[٤] . وسبيل مدرسة قايتباي بمكة المكرمة[٥] .

ثالثاً : السبيل ذي الثلاث واجهات :

ومن الأمثلة على ذلك سبيل مدرسة فيروز الساقي[٦] وسبيل مدرسة السلطان إينال[٧] ، وسبيل مدرسة السلطان الغوري[٨] [لوحة ١٥٩] .

---

(١) عن ذلك انظر ص ١٩٠ .

(٢) حجة وقف الأمير سودون من زاده ، برقم ٥٨ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) عن ذلك انظر ص ٨٦ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

(٥) عن ذلك انظر ص ٢٥٩ .

(٦) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٣٨٦ .

(٧) سامي حسن ، السلطان إينال وآثاره المعمارية ، ص ١١٦ .

(٨) محمد فهيم ، مدرسة السلطان قانصوه الغوري ، ص ١٠١ .

رابعاً : السبيل ذي الأربع واجهات :

وهذا الطراز موجود في الحجاز فقط ، ومثاله الوحيد سبيل مسجد الخيف بمكة المكرمة ، إذ يذكر إبن فهد[1] أثناء حديثه عنه أنه كان مزوداً بأربع واجهات في كل منها شباك للتسبيل . وهذا مثال نادر لم يتكرر في الحجاز أو في مصر في ذلك العصر .

ولا شك أن وجود أكثر من شباك للسبيل الواحد سيساعده على توفير السقاية لعدد أكبر من المستفيدين ، وهو ما حرص المعمار على توفيره إلى أقصى مدى ممكن في أسبلة عمائر ذلك العصر . فكان يغلب عليها تعدد الواجهات .

بيد أنه ينبغي الإشارة هنا إلى أن تعدد واجهات السبيل قد تحكم فيه موقع السبيل بالنسبة للمبنى من جهة ، وعدد واجهات المبنى من جهة أخرى . فقد يكون للمبنى واجهة واحدة ، ويقع السبيل عليها . وهذا لا يتيح له في أغلب الحالات سوى واجهة واحدة . كما في سبيل مدرسة إينال اليوسفي[2] [لوحة ٩٦] وسبيل المدرسة الباسطية بمكة المكرمة[3] .

وهناك مدارس لها أكثر من واجهة ، ولكن لم يتسن وضع السبيل عند التقاء واجهتين منهما مما أعاق تعدد واجهاته ، كما في مدرسة تغرى بردى [لوحة ١٢٧] والتي لها واجهتان ولم يوضع السبيل في ركن التقائهما ، وإنما في طرف أحدهما بجوار المدخل[4] . مما حال أن يكون له أكثر من واجهة واحدة .

---

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ / ص ٥١٢ .

(٢) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٥٠ .

(٣) عن ذلك انظر ص ١٩٠ .

(٤) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٩٦ .

وكذلك كان الحال في مدرسة أبي بكر مزهر [لوحة ١٤٥] ذات الواجهتين، ولم يوضع سبيلها في ركن التقائهما ، وإنما في طرف أحدهما ، فكان له بذلك واجهة واحدة فقط[١] .

بيد أن الوضع السابق لم يكن القاعدة المتبعة ، إذ حرص المعمار على الاستفادة من تعدد واجهات عمائره لمصلحة السبل التي تلحق بها ، فوضعه في مواضع ركنية أدت لتعدد واجهاته كما في مسجد فرج بن برقوق[٢]، ومدرسة الأمير عبدالغني الفخري[٣] [لوحة ١٠٥] ، ومدرسة برسباي بالأشرفية[٤] ، والمدرسة الباسطية بالمدينة المنورة[٥] ، ومدرستي قايتباي بالصحراء[٥] ، ومكة المكرمة[٦] .

وتشير بعض الشواهد المعمارية التي تعود لذلك العصر أن المعمار حاول في بعض عمائره أن يُوجد أكثر من واجهة لسبيل لا يقع في منطقة ركنية عند التقاء واجهتين . وكان ذلك يتم بعمل إرتدادات أو بروزات في سمت الواجهة نفسها ، مما يؤدي إلى ظهور واجهة جديدة تتعامد على سمت الواجهة الأصلية للمبنى . ومن أبرز الشواهد على ذلك ، السبيل الجنوبي الغربي لمدرسة فرج بن برقوق ، حيث عمل له المعمار واجهة جنوبية تتعامد على سمت الواجهة الأصلية للمبنى عن طريق إيجاد ارتداد في واجهة المدخل الرئيسي المجاور للسبيل المذكور ، مما مكن من تزويده بواجهتين للتسبيل[٧] .

(١) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ١٠٩ .

(٢) صالح لمعي ، التراث المعماري ، لوحة ٣٣ ، ٣٤ .

(٣) محمد الكحلاوي ، مدرسة الأمير عبدالغني الفخري ، ص ٢٦ .

(٤) عن ذلك انظر ص ١٠٤ ، ١٠٨ .

(٥) عن ذلك انظر ص ٢١١، ٢١٥ .

(٦) عن ذلك انظر ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٧) عن ذلك انظر ص ٢٤٤ .

أما في سبيل مسجد تمراز الأحمدي [لوحة ١٤١] ، فإن المعمار عدد واجهاته عن طريق وضعه في بروز ، أدى لظهور واجهة ثانية تتعامد على سمت الواجهة الأصلية أضيفت للواجهة الأخرى التي تسير في سمتها على نفس سمت الواجهة الأصلية للمبنى(١) .

هذا من ناحية واجهات الأسبلة ، أما بالنسبة للتكوين الداخلي للسبيل ، فإنه يتكون من قسمين أساسيين ، هما :

أولاً : حجرة التسبيل :

وهي غالباً ما تكون مستطيلة الشكل(٢) ، وقد يلحق بها في بعض الأحيان إيوان صغير أو حاصل ، لحفظ أدوات السبيل(٣) . ولقد أولى المعمار الكثير من الرعاية بحجرة التسبيل ، فعمل على تغطية أرضياته ببلاطات حجرية ، أو رخامية في أشكال بديعة وجميلة ، كما اعتنى بتزيين سقوفه ، والتي كانت تعمل من الأخشاب في غالب الأحوال(٤) .

وتتكون حجرة السبيل من ثلاثة عناصر أساسية هي :

أولاً : شبابيك التسبيل .

ثانياً : حوض التسبيل .

ثالثاً : الشاذروان .

---

(١) مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز الأحمدي ، ص ١٦٠ .

(٢) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ، ص ٦٢٨ .

(٣) محمد عبدالستار عثمان ، نظرية الوظيفية ج ٢ / ص ٢٩٥ .

(٤) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قوقماس ص ٦٢٨ ـ ٦٣٠ .

شبابيك التسبيل : وهي الفتحات التي تصل من خلالها أيدي المارة إلى كيزان الماء لتشرب من أحواض التسبيل ، وقد يكون للسبيل شباك واحد أو أكثر بحسب عدد واجهات السبيل .

وتتميز شبابيك التسبيل بإتساع فتحاتها ، إذ أن منها ما كان يبلغ باتساعه إتساع واجهة السبيل نفسها كما هو الحال بالشباك الغربي لسبيل مدرسة أيتمش البيجاسي(١) [لوحة٩٠] وشباكي التسبيل للمدرسة الباسطية(٢) [لوحة ١٠٨ ، ١٠٩] وشباك سبيل مدرسة تغرى بردى(٣) [لوحة ١٢٨] . ومنها ما كان اتساعه دون ذلك فلا يشغل الواجهة بأكملها ، وإنما جانباً كبيراً من وسطها(٤) .

وكانت فتحات هذه الشبابيك تغطى في بعض أسبلة المدارس بحجاب خشبي يشغل الواجهة بأكملها ، مثل شباك سبيل مدرسة إينال اليوسفي(٥) [لوحة ٩٦] وشباك سبيل المدرسة الباسطية(٦) .

كذلك استخدمت المصبعات البرونزية في تغطية فتحات الشبابيك لأسبلة معظم المدارس ، بغض النظر عن مدى إتساعه . كما في الشباك الغربي لسبيل مدرسة أيتمش البيجاسي(٧) ، وشبابيك سبيلي مدرسة وخانقاه فرج بن

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ٦٢٣ .

(٢) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي عبد الباسط ، ص ٢٠٣ .

(٣) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٣٩٣ .

(٤) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ص ٦٢٣ .

(٥) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٣٩٢ .

(٦) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي عبد الباسط ، ص ٢٠٣ .

(٧) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ص ٦٢٣ .

برقوق[١] ، وشباكي سبيل مدرسة برسباي بالأشرفية[٢] . وشباكي سبيل المدرسة الباسطية بالمدينة المنورة[٣] . وشباكي سبيل مدرسة قايتباي بالصحراء[٤] .

ولقد كانت معظم هذه الشبابيك توضع مسامته للجدران[٥] ، ولا يستثنى من ذلك في شبابيك سبل المدارس ، سوى شباكي سبيل المدرسة الباسطية بالمدينة المنورة ، حيث وضعا ضمن دخلات معقودة ، مما يعد شذوذاً عن القاعدة[٦] .

ولقد اختلف الباحثون في تحديد الأسباب التي دفعت بالمعمار لجعل شبابيك التسبيل مسامته للجدران ، فمنهم من يرى أن السبب في ذلك يرجع لوجود لوح رخامي أمام شباك التسبيل ، توضع عليه الكيزان الخاصة بشرب الماء[٧] ، ومنهم من يرى أن ذلك يساعد على دخول أشعة الشمس إلى داخل السبيل لتجفيفه من الماء المنسكب أثناء عملية السقاية أو صب الماء وغير ذلك[٨].

---

(١) عن ذلك انظر ص ٦٢ ـ ٦٣ .

(٢) عن ذلك انظر ص ١٠٤ ، ١٠٨ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٢١١ .

(٤) عن ذلك انظر ص ١٣٧ ، ١٣٩ .

(٥) حسني نويصر ، مجموعة سبل السلطان قايتباي ، ص ٤٥ ، مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز الأحمدي ص ١٥٩ .

(٦) عن ذلك انظر ص ٢١١ . ويوجد نموذج مشابه لذلك بالقاهرة في أحد شبابيك سبيل المارستان المؤيدي [٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ م] حيث وضع في دخلة ضحلة ، محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ص ٦٢٣ ، هامش « ١ » .

(٧) حسني نويصر ، مجموعة سبل السلطان قايتباي ، ص ٤٥ .

(٨) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ص ٦٢٣ .

وهناك من يعتقد أن عدم وجود الدخلات يُيَسر الحركة لمرتادي هذه الأسبلة ، لأن وجود الدخلات سيعيق تزودهم بالماء بسرعة ، مما يولد ازدحاماً عند شبابيك التسبيل[1] .

ويظهر أن جميع الأسباب السابقة قد أخذت بالاعتبار أثناء عمارة سبل ذلك العصر .

وكان يحيط بشبابيك التسبيل المعدنية ، برواز خشبي من جميع الجهات ، ما عدا الناحية السفلية ، حيث ان الخشب يكون عرضة للتلف السريع إذا ما انسكب عليه الماء ، وهو ما يمكن حدوثه بصفة دائمة على الجانب السفلي من برواز السبيل ، علاوة على أن الخشب يعيق حركة الأيدي الممتدة لتناول كيزان شرب الماء وملئها من الأحواض[2] ، فيجري استبداله ببرواز رخامي كان يعرف بـ « المنبل »[3] .

أحواض التسبيل : وهي التي توضع فيها المياه لسقاية المارة[4] . وتعرف في الحجاز بـ « الطاقات » ؛ إذ يذكر ابن فهد أثناء حديثه عن سبيل مسجد الخيف أنه كان به « ... طاقات من الرخام ، يتناول من الطاقات المذكورة الماء المعد للشرب ... »[5] . أما في مصر فلقد عرفت هذه الأحواض بـ « الفسقيه »[6] .

---

(١) مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز الأحمدي ، ص ١٥٩ .

(٢) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ، ص ٦٢٤ ، مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز الأحمدي ، ص ١٥٩ .

(٣) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٣٩٥ ، ويقصد بالمنبل في العمارة المملوكية ، الحلوق الدائرة حول الأبواب والشبابيك ، والتي تعمل من الخشب ، كما عرف به البرواز الرخامي السفلي لشباك التسبيل . محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ١١٦ – ١١٧ .

(٤) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ، ص ٦٢٠ .

(٥) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ / ص ٥١٢ .

(٦) عبداللطيف إبراهيم ، الوثائق في خدمة الآثار ، « دراسات في الآثار الإسلامية » القاهرة ١٩٧٩ م ، ص ٤٦٥ .

وتوجد أحواض التسبيل هذه بجلسات الشبابيك من الداخل ويكون عددها غالباً بعدد شبابيك التسبيل[١] . ويصلها الماء من الشاذروان أو الحوض الحجري عن طريق أقصاب مغيبة في أرضية حجرة التسبيل[٢] .

وتصنع هذه الأحواض من الرخام الأبيض في معظم الأحوال ، بينما صنع بعضها من الحجر[٣] .

وهي على أشكال مختلفة ، فقد تكون مستطيلة الشكل ، كما في جلسة الشباك الشمالي لسبيل مدرسة خاير بك ، أو تكون مربعة كما في الجلسات الثلاث لسبيل مدرسة الغوري ، وبجلسة شباك التسبيل الغربي لمدرسة خاير بك السابقة ، أو أن تكون مثمنة الشكل ، كما في جلسة الشباك الشمال الشرقي لسبيل مدرسة برسباي بالأشرفية . وقد تصنع هذه الأحواض على شكل بيضاوي، كما في جلسة شباك سبيل مدرسة قايتباي بالصحراء ، أو على شكل مفصص كما في جلسة شباك التسبيل الجنوبي بمدرسة خاير بك أيضاً[٤] .

الشـــاذروان : ولفظه فارسي معرب ، يدل على الستارة المنقوشة ، وعلى حاجز الماء[٥] . وهو عبار عن دخلة توجد في صدر الجدار الخالي من الشبابيك بالسبيل[٦] . ويكتنفها من الجانبين عمودين من الرخام ، وبداخلها يوجد

(١) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٣٩٥ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية بالقاهرة ، ٢٦٧ .

(٣) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ، ص ٦٢٠ .

(٤) المرجع السابق نفسه ص ٦٢١ ـ ٦٢٢ ، علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٣٩٦ .

(٥) عبداللطيف إبراهيم ، الوثائق في خدمة الآثار ص ٤٠١ ـ ٤٠٢ ، محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ص ٦٨ ـ ٦٩ ، حسني نويصر ، مجموعة سبل السلطان قايتباي ص ١٤ ، هامش « ٢ » ، ص ١٥ .

(٦) مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز ، ص ١٥٥ .

السلسبيل[1] ، وهو عبارة عن لوح رخامي عليه زخارف بارزة ، إما أن تكون نباتية ، أو حيوانية ، أو هندسية ونباتية[2] . والغرض منها أن يجري عليها الماء قبل أن يصل إلى الأحواض ، فيبرد وينقى من الشوائب[3] ..

ولكي يتخذ الشاذروان شكلاً زخرفياً جميلاً ، فكان يجري تتويج الجزء العلوي منه بصدر مقرنص ، من الخشب أو الحجر ، ويغشى بالتذهيب واللازورد[4].

لقد كان استخدام الشاذروان هو الغالب في سُبل مدارس ذلك العصر ، ولا يستثنى من ذلك سوى القليل منها ، والتي جرى فيها استبدال الشاذروان بحوض حجري كبير يؤخذ الماء منه ويسكب في حوض التسبيل[5] ، ومن الأمثلة على ذلك المدرسة الباسطية بمكة المكرمة[6] ، وسبيل مدرسة قرقماس بالصحراء[7] .

الصهريج : وهو الجزء السفلي من السبيل ويحفر في باطن الأرض ، ويبنى بالآجر والخافقي[8] لمنع تسرب المياه[9] . وللصهريج فوهة تقع في أرضية السبيل وتغطى بغطاء « خرزة » من الرخام أو الحجر[10] .

---

(١) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ، ص ٦١٤ – ٦١٥ .

(٢) المرجع السابق نفسه ص ٦١٥ .

(٣) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٣٩٠ .

(٤) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ص ٦١٦ – ٦١٨ .

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ٦١٨ .

(٦) عن ذلك انظر ص ١٩٠ ـ ١٩١ .

(٧) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ، ص ٦١٩ .

(٨) الخافقي : نوع من المونة مركبة من مواد مختلفة ، تكسى بها الأسطح والجدران في المناطق المراد حمايتها من الرطوبة ومنع تسرب المياه منها . محمد أمين، ليلى إبراهيم، المصطلحات المعمارية ص ٣٩.

(٩) المرجع السابق نفسه ، ص ٧٣ .

(١٠) عبد اللطيف إبراهيم ، الوثائق في خدمة الآثار ، ص ٤٦١ .

ومن الجاري أن يكون للمنشأة صهريج واحد ، ولا يستثنى من ذلك سوى بعض العمائر التي كان لسبيلها صهريجان ، مثل سبيل مسجد الخيف بمكة المكرمة[١] . وسبيل مدرسة أبي بكر مزهر[٢] .

وقد لا يتوفر لسبيل المنشأة صهريج ، فيجري استبداله بوحدة معمارية أخرى تعرف بـ « المضع »[٣] ، كما هو في مدرسة سودون من زاده والتي لها مضع يقع في الطابق الثاني ، خلف الكتاب ويعلو السبيل[٤] .

والصهريج عبارة عن مبنى يشبه الحجرة ويتميز بإتساعه ، بحيث يشغل الجزء الواقع أسفل المبنى أو معظمه ، وقد يمتد إلى خارج حدوده .

والصهاريج ذات تصميم متشابه تقريباً ، حيث تتكون من جدران جانبية يتوسطها بوائك من الأعمدة وتربط بينها عقود تتعاقب فوق بعضها في بعض الصهاريج ، بهدف زيادة عمقها . ويعلو هذه العقود سقف مكون من قباب « مقالى » ترتكز على مثلثات كروية[٥] .

ولقد اتبع هذا الأسلوب في عمارة صهريج سبيل مسجد ومدرسة قراقجا الحسنى ، وفي صهريج مسجد نمرة بمكة المكرمة ، حيث يتكون كل منهما من

---

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ ص ٥١٢ .

(٢) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ١٢٧ .

(٣) المضع : عبارة عن حوض يبنى من الطوب المحروق ، بملاط صلب لا تؤثر فيه المياه ، فيمكن تخزينها فيه ، وقد يبنى في باطن الأرض كالصهريج ، أو فوق وحدات معمارية أخرى ، وقد يدمج في جدران المبنى بحيث تصعب رؤيته . وكان استعماله كبديل عن الصهريج قليلاً لأنه أصغر حجماً منه . حسني نويصر ، مجموعة سبل السلطان قايتباي ، ص ١٣ .

(٤) حجة وقف الأمير سودون من زاده برقم ٥٨ . بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٥) مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز الأحمدي ، ص ١٥٤ .

بوائك تعلوها قناطر تقسم المبنى إلى ثلاثة أقسام . كل منها يعلوه قبة ضحلة[1]. وزود كل صهريج بسلالم تعرف بـ « النزل »[2] ، يمكن من خلالها النزول إلى أسفل الصهريج إذا ما احتيج إلى ذلك .

وكان يتم توفير المياه للصهاريج في مصر والحجاز وفق أكثر من وسيلة . ففي مصر كان يتم جلبها من مياه النيل[3] . أما في الحجاز فكان يتم عن طريق وسيلتين أساسيتين ، أولاهما : إذا ما كان المبنى مجاوراً للحرم الشريف ، ففي هذه الحالة يتم تزويد صهريجه بماء المطر المتساقط على سطح الحرم ، حيث يتجمع في مواضع معينة . ومنها ينتقل عبر أقصاب مغيبة في الجدران إلى الصهريج . ولقد اتبع هذا الأسلوب في مدرستي الزمامية[4] ، والباسطية بمكة المكرمة [5].

أما الوسيلة الثانية ، فهي أن يزود الصهريج بالماء عن طريق الآبار ، كما في سبيل مسجد الخيف الذي حُفِر بالقرب منه بئر ماء يمده بما يحتاجه منها[6].

ولقد كان للسبيل وظيفة أساسية ، وهي تسبيل الماء للمارة . ولكي يتمكن السبيل من القيام بواجبه على أكمل وجه ، فلقد أوقف عليها منشؤها العقار

---

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى ج٤ / ص ٥١٤ . عبداللطيف إبراهيم ، الوثائق في خدمة الآثار ، ص ٤٦١ .

(٢) محمد عبدالستار عثمان ، نظرية الوظيفية ج ٢ / ص ٣٠٠ ، ولاحظ ما يذكره ابن فهد عن صهريج مسجد نمرة بأن له « نزلان » . ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج ٤ / ص ٥١٤ .

(٣) مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز ، ص ١٥٣ .

(٤) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج ٤ / ص ٦٤ .

(٥) عن ذلك انظر ص ١٩٩ .

(٦) المصدر السابق نفسه ، ج ٤ / ص ٥١٣ .

والأراضي الزراعية ، حتى يتسنى الصرف على هذه المنشآت[1] . مع توفير ما يحتاجه السبيل من أفراد للعمل به ، بالإضافة إلى أدوات التسبيل ، ككيزان الشرب . وأدوات التنظيف وغير ذلك[2] .

ثانياً : الكتّاب :

يطلق الكتّاب على مكان تعليم القراءة والكتابة[3] . ويعود تاريخها إلى ما قبل العصر الإسلامي[4] ، بيد أن انتشرها لم يتم إلا في العصر الإسلامي[5] .

ولقد تميزت مدارس العصر الجركسي بإلحاق الكتاتيب بها ، ولا يستثنى منها سوى القليل التي لم يلحق بها كتاتيب[6] .

ويعود تاريخ إلحاق الكتّاتيب بالمساجد إلى القرن ٤ هـ/ ١٠ م[7] .

أما عن تاريخ إلحاقها بالمدارس ، فإن النصوص المتوفرة تشير إلى أن ذلك تم في مصر في العصر الأيوبي ، حيث ألحق بالمدرسة الفاضلية[8]

(١) محمد عبدالستار عثمان ، نظرية الوظيفية ، ج ٢ / ص ٢٩٥ .

(٢) محمد أمين ، الأوقاف والحياة الاجتماعية ص ١٥١ - ١٥٣ ، مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز ، ص ١٥٣ - ١٥٤ ، محمد عبدالستار عثمان ، نظرية الوظيفة ، ج٢ / ص ٢٠١ .

(٣) محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ص ١١٥ .

(٤) أحمد شلبي ، التربية الإسلامية ، ص ٤٤ .

(٥) حسام الدين السامرائي ، المدرسة « مع التركيز على النظاميات » بحث مقدم للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، عمان ، ص ٣ .

(٦) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ، ص ٦٣٦ ، محمد عبدالستار عثمان ، نظرية الوظيفية ج ٢ / ص ٣٠٦ - ٣٠٧ ، علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٤٠٠ ، محمد سيف النصر ، منشآت الرعاية الاجتماعية ، ص ٤٤٧ .

(٧) أحمد شلبي ، التربية الاسلامية ، ص ٥٤ .

(٨) هذه المدرسة من إنشاء القاضي الفاضل وزير صلاح الدين الأيوبي . المقريزي، الخطط ج ٢ / ص ٣٦٦ . علي باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٢ / ص ٢٣٨ ، عدنان محمد الحارثي ، أثر صلاح الدين الأيوبي على التطور الحاضري والعمراني لمدينة القاهرة ص ٤٨٠ .

[٥٨٠ هـ/ ١١٨٤ م] كتاب لتعليم القرآن ، عرف بقاعة الأقراء[١] . أما بالنسبة للحجاز فإن أقدم النصوص المتوافرة في هذا الشأن تعود للنصف الثاني من عصر المماليك البحرية تقريباً ، حيث كان يوجد في كل من المدرسة المجاهدية[٢] [٧٣٩ هـ/ ١٣٣٨ م] والأفضلية[٣] [٧٧٠ هـ /١٣٦٨ م] بمكة المكرمة ، أيتاماً ومؤدباً يعلمهم القرآن الكريم [٤] .

ومن أقدم الكتاتيب الباقية بمصر ، كتّاب مدرسة أسنبغا[٥] وكان من الشائع في العصر الجركسي أن يوضع الكتاب فوق السبيل[٦] ، ما عدا أمثلة قليلة وضع فيها الكتّاب فوق وحدة معمارية أخرى . كأن يوضع فوق حجرة من حجرات المبنى ، مثل كتّاب مدرسة القاضي يحي والتي كان كتّابها يعلو قاعة الخطابة المجاورة لإيوان القبلة[٧] . أو أن يوضع فوق مدخل المنشأة ، كما في مسجد القاضي يحي بالحبانية[٨] . وقد يوضع فوق حوض الدواب ، كما في مدرسة قجماس الاسحاقي[٩] .

---

(١) المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٣٦٦ .

(٢) هذه المدرسة من إنشاء الملك المجاهد صاحب اليمن . الفاسي ، شفاء الغرام ، ج ١ / ص ٥٢٤ ، ناجي معروف ، مدارس مكة ، ص ١٤ – ١٥ .

(٣) هذه المدرسة من إنشاء الملك الأفضل العباس بن المجاهد صاحب اليمن . الفاسي ، شفاء الغرام ج١/ص٥٢٣ ، ناجي معروف ، مدارس مكة ، ص ١٥ – ١٦ .

(٤) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ج ٢ / ص ٢٠٦ ، ١٣٦ .

(٥) صالح لمعي ، التراث المعماري ، ص ٢٨ .

(٦) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ص ٦٣٢، محمد عبدالستار عثمان ، نظرية الوظيفية ، ج ٢ / ص ٣٠٦ ، مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز الأحمدي ، ص ١٦٦ .

(٧) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحي زين الدين ، ص ١١٣ .

(٨) المرجع السابق نفسه ، ص ٢١٠ .

(٩) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس ، ص ١٦١ .

ومن الواضح أن وضع الكتّاب فوق مبنى آخر كالسبيل ، إنما بغرض أن يكون الكتّاب عرضة لأكبر قدر من الاضاءة والتهوية حيث يتواجد فيه أعداد كبيرة من الأطفال في وقت واحد ، مما يتطلب كميات مناسبة من الإضاءة والتهوية ، وهو ما يوفره الارتفاع وتعدد الواجهات للكتّاب[1] . كما أن وضع الكتّاب فوق السبيل يحمي الأخير من أشعة الشمس التي قد تؤثر على حرارة حجرة التسبيل ومن ثم حرارة الماء فيها[2] .

ونظراً لارتباط الكتّاب بالسبيل ، فلقد اتخذ نفس تخطيطه وهيئته ، وتعددت واجهاته بتعدد واجهات السبيل ، فإذا كان للسبيل واجهة واحدة فإنه يكون للكتاب واجهة واحدة أيضاً ، كما هو الحال في كتّاب سبيل مدرسة كافور الزمام [لوحة ١٢١] وكتّاب سبيل مدرسة أبي بكر مزهر[3]. ولا يستثنى من ذلك سوى كتّاب سبل المدرسة الباسطية بمكة المكرمة ، إذ لسبيلها واجهة واحدةولكتّابها واجهتان[4] .

وإذا كان للسبيل واجهتان ، فإنه يكون للكتّاب واجهتان أيضاً مثل مكتب سبيل مدرسة سودون من زاده[5] ومكتبى سبيلي مدرسة فرج بن برقوق بالصحراء[6] . ومكتب سبيل المدرسة الباسطية بالمدينة المنورة[7] . ومدرستي

(١) محمد عبدالستار عثمان ، نظرية الوظيفية ، ج٢/ص٣٠٦ .

(٢) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٤٠٠ .

(٣) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ؛ ص ١١٥ .

(٤) وسبب ذلك أن الجانب الجنوبي للسبيل يطل على أروقة الحرم من الداخل ، فيصعب بذلك فتح شباك للتسبيل ، بينما يطل الكتاب الذي يعلوه في هذا الجانب على سطح الحرم الشريف مما أمكن من إيجاد واجهة أخرى له في هذه الناحية ، عن ذلك انظر ص ١٨٦ ، ١٩١ ـ ١٩٢ .

(٥) حجة وقف الأمير سودون من زاده برقم ٥٨ . بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٦) عن ذلك انظر ص ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ .

(٧) عن ذلك انظر ص ٢١١ ، ٢١٥ .

قايتباي بالصحراء[١] ، ومكة المكرمة[٢] . وعلى نفس الوتيرة إذا كان للسبيل ثلاث واجهات فإن الكتاب الذي يعلوه يكون له ثلاث واجهات أيضاً ، كما في مكتب سبيل مدرسة السلطان إينال بالصحراء[٣] . وهذا هو أقصى حد لتعدد الواجهات في الكتاب . إذ لم يظهر منها ما هو ذو أربعة واجهات كما في الأسبلة .

ولقد حظيت واجهات الكتّاب بعناية المعمار في العصر الجركسي ، وحرص على أن يعطيها شكلاً مميزاً يتناسب من الدور الذي تقوم به هذه المنشآت ، فقام بتزويدها بواجهات مفتوحة ، وفق أنواع متعددة أبرزها الواجهات المعقودة والتي كانت على طرازين هما :

أولاً : الواجهات المعقودة الخشبية ، وهي أن تبنى واجهة الكتّاب وعقودها من الخشب ، وتنقسم هذه الواجهات إلى طرازين أيضاً . أولهما : عبارة عن واجهة بارزة للكتّاب عن سمت الجدار . تزود بها بعض الكتاتيب بهدف زيادة مساحتها[٤] . وتتميز هذه الواجهات بأن لكل منها واجهتين جانبيتين ، متساويتين في إتساعهما ، والذي يساوي أيضاً مقدار بروز الشرفة . وكلاهما معقودتان بعقد يماثل في معظم الحالات عقد الواجهة . وتحمل هذه الشرفات على كوابيل خشبية .

---

(١) عن ذلك انظر ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٢٤٥ .

(٣) سامي حسن ، السلطان إينال وآثاره المعمارية ، ص ١١٦ ، ١١٨ .

(٤) حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

ومن أبرز الأمثلة على ذلك كتّاب مدرسة برسباي بالأشرفية(١) . وكتّاب مدرسة جوهر اللالا(٢) [لوحة ١٢٦] ، وكتّاب مدرسة أبو بكر مزهر(٣) [لوحة ١٤٥] .

أما الطراز الثاني من الواجهات الخشبية المعقودة ، فهو أن تكون الواجهة مسامتة للجدار ، والمثال الوحيد الذي يعود للعصر الجركسي ، كتّاب مدرسة قجماس الاسحاقي(٤) [لوحة ١٥٠] .

ثانياً : الواجهات المعقودة الحجرية ؛ وهي أن تبنى الواجهة وعقودها من الحجارة وترتكز هذه العقود عادة على أعمدة من الرخام . ومن الأمثلة على ذلك كتّابي مدرسة فرج بن برقوق بالصحراء(٥). وكتّاب مدرسة عبدالغني الفخري(٦)، وكتّاب مسجد تمراز الأحمدي(٧) [لوحة ١٤١] ، وكتّابي مدرستي قايتباي بالصحراء(٨) ومكة المكرمة(٩) .

ويلاحظ من خلال متابعة تطور الواجهات المعقودة للكتاتيب ، أن الخشبية منها كانت الأكثر استعمالاً أوائل العصر الجركسي ، بينما شاع استعمال الواجهات الحجرية أواخر هذا العصر(١٠) .

---

(١) عن ذلك انظر ص ١٠٥ .

(٢) ليلى الشافعي ، مدرسة جوهر اللالا ، ص ١٥٠ ــ ١٥١ .

(٣) عاصم رزق ، جامع أبو بكر مزهر ، ص ١١٥ .

(٤) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ، ص ١٦٤ .

(٥) عن ذلك انظر ص ٧٤ .

(٦) محمد الكحلاوي ، مدرسة الأمير عبدالغني الفخري ، ص ٦٥ ــ ٦٦ .

(٧) مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز الأحمدي ، ص ٩٣ .

(٨) عن ذلك انظر ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٩) عن ذلك انظر ص ٢٤٥ .

(١٠) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ، ص ٦٤٤ – ٦٤٩ .

وبالإضافة إلى الواجهات المعقودة ، فإن معمار ذلك العصر حاول أن يبتكر أنواعاً جديدة من الواجهات لم يكتب لها الشيوع والانتشار كسابقتها .

من ذلك أن تتوج فتحة هذه الواجهة بأعتاب خشبية ، كما في كتّاب مدرسة إينال اليوسفي[1] [لوحة ٩٦] وكتّاب مسجد فرج برقوق[2] . وقد تتوج فتحة هذه الواجهة ، بكرادي خشبية مستوية وهابطة على الجانبين ، كما في واجهة كتّاب المدرسة الباسطية[3] [لوحة ١٠٨ ، ١٠٩] .

وتميزت بعض كتاتيب المدارس الحجازية ، بتغطية فتحاتها بالشبابيك الخشبية ، كما في كتّابي مدرستي الباسطية بمكة المكرمة ، والمدينة المنورة[4] . وهذا يعكس أنظمة بناء المكاتب في الحجاز ، حيث لم يكن لها طراز معماري مميز ، وكان يغلب عليها استخدام حجرات البيوت ككتاتيب ، كما هو واضح من خلال الأوصاف المتوفرة عن هذه المنشآت في العصر العثماني[5] .

ونظراً لاتساع فتحات الواجهات المفتوحة للكتاتيب ، فإن ما بداخلها يصبح عرضة لأشعة الشمس ، وماء الأمطار ، مما دفع بالمعمار نحو تزويدها بظلة مائلة من الخشب تعرف بـ « الرفرف » . ترتكز على كرادي خشبية[6] .

---

(١) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٥٣ .

(٢) صالح لمعي ، التراث المعماري ، لوحة ٣٣ ، ٣٤ .

(٣) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي عبد الباسط ، ص ٢٠٩ .

(٤) عن ذلك انظر ص ١٩٣ ، ٢٢٢ .

(٥) عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش ، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م . مكة المكرمة ، ص ٤٦ .

(٦) عبداللطيف إبراهيم ، الوثائق في خدمة الآثار ص ٤١٨ – ٤١٩ ، دللي ، العمارة العربية ، ص ٤ . مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز الأحمدي ، ص ١٦٨ .

وتنتهي بحليات على هيئة شرفات خشبية مقلوبة[١]، لحمايتها من كل ذلك . ومن الأمثلة على ذلك الرفرف الخشبي لكل من كتّاب مدرسة فرج بن برقوق[٢] ، وكتّاب مدرسة برسباي بالأشرفية[٣] ، وكتّاب مدرسة قايتباي بالصحراء[٤] . كذلك زود الجانب السفلي من فتحات واجهات هذه الكتاتيب ، بحواجز تمنع سقوط الأطفال ، عبارة عن دربزينات من خشب الخرط[٥] .

وكان تخطيط الكتّاب بسيطاً فهو عبارة عن حجرة كبيرة مضلعة الشكل[٦]. ومن أبرز العناصر المعمارية التي تقع بداخلها خزانة توضع في أحد جدران الكتّاب لحفظ أدواته المختلفة[٧] .

كذلك ألحق ببعض هذه الكتاتيب سكناً للمؤدب ، وبيت للأزيار ومرحاض ، مثلما هو موجود في كتاب مدرسة القاضي يحي[٨] وكتاب مدرسة الجمالي يوسف[٩] .

ولقد كانت وظيفة الكتاب الأساسية في ذلك العصر ، تعليم الأيتام وأبناء الفقراء من المسلمين[١٠] .

---

(١) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس ، ص ١٦٤ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٧٤ .

(٣) عن ذلك انظر ص ١٠٥ .

(٤) عن ذلك انظر ص ١٣٨ .

(٥) مايسة داود ، النوافذ وأساليب تغطيتها في عمائر المماليك بمدينة القاهرة ، ص ٥٧ .

(٦) مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز الأحمدي ، ص ١٩٧ .

(٧) محمد عبد الستار عثمان ، نظرية الوظيفية ، ج ٢ / ص ٣٠٧ .

(٨) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحي زين الدين ، ص ١١٣ .

(٩) حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ، ص ١٥١ ـ ١٥٢ .

(١٠) محمد سيف النصر ، منشآت الرعاية الاجتماعية ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠ .

وكان منهج التعليم فيها يرتكز على تعليم القرآن الكريم ، والخط العربي[١]، بالإضافة إلى القراءة والكتابة ، ومباديء الحساب[٢] ، مع الحرص على اختيار المؤدب ، من حيث صحة العقيدة[٣] ، وحسن الخلق ، وأن يكون له زوجة تعفه عن النظر إلى ما حرم الله[٤] . علاوة على إلمامه بالقراءات وعلوم الدين ، وأن يحسن معاملة الأطفال ويتلطف بهم[٥] .

(١) حجة وقف السلطان فرج بن برقوق برقم ٦٦ . بدار الوثائق القومية بالقاهرة ، حجة وقف الأمير جمال الدين يوسف الاستادار برقم ١٠٦ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة ، حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٢) محمد أمين ، الأوقاف والحياة الاجتماعية ، ص ٢٦٩ .

(٣) السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، ص ١٣٠ .

(٤) سعيد عاشور ، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك . ص ١٥٠ .

(٥) السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ص ١٣٠ ، محمد أمين ، الأوقاف والحياة الاجتماعية ، ص ٢٦٩ .

سادساً : وحدات الإسكان بالمدرسة :

تعد المساكن الملحقة بالمنشآت من أهم العناصر التي كانت تتميز بها مدارس ذلك العصر ، فلكي يتسنى للطالب التفرغ للعلم والعبادة ، فإنه يحتاج إلى الاستقرار في مساكن قريبة من المواضع التي يتعبد ويتلقى العلم فيها .

ولقد عرفت المدارس وحدات الإسكان منذ فترة مبكرة من تاريخها ، حيث عرفت المدارس الأولى بالمشرق الإسلامي وجود هذا النوع من الكتل المعمارية ضمن تخطيطها(١) . ومنها انتقل إلى عمارة المدارس فعرفته المدارس الأيوبية في مصر(٢) ، وكذلك في الحجاز(٣) .

فإذا ما انتقلنا إلى العصر المملوكي البحري ، فإن إتخاذ المساكن ضمن عناصر التخطيط المدرسي أصبح مظهراً أكثر تطوراً مما كان عليه الحال في السابق . فظهرت وحدات للإسكان في بعض المدارس كان للطلبة إقبال شديد عليها . إذ يذكر المقريزي أثناء حديثه عن المدرسة الصاحبية البهائية أنه كان « .. يتنافس الناس من طلبة العلم في النزول بها ويتشاحنون في سكنى بيوتها حتى يصير البيت الواحد من بيوتها يسكن فيه الاثنان من طلبة العلم والثلاثة ... »(٤) .

---

(١) انظر عن سكنى الشيوخ والطلبة في المدارس المبكرة بنيسابور . الصرفيني ، ص ٥١ ، ٧٠ ، ١٠٧ ، ١٦٧ ، ٣٦٣ ، ٤٤٩ . كما كان بالمدارس النظامية وحدات خاصة بالإسكان ، كما في المدرسة النظامية ببغداد ، البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ص ٣٥ ، حسام الدين السامرائي ، المدرسة ، ص ٢٠ .

(٢) صالح لمعي ، التراث المعماري ، ص ١٧ .

(٣) كان بالمدرسة الشهابية بالمدينة المنورة وحدات خاصة بالإسكان ، ينزل بها بعض الشيوخ والطلبة الذين يفدون للمدينة المنورة لطلب العلم أو التدريس . السخاوي ، التحفة اللطيفة ، ج١/ ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ . ج٢/ ص ٣٦٨ – ٣٦٩ . ج٣/ص ٢٧٩ .

(٤) المقريزي ، الخطط ، ج٢/ ص ٣٧١ .

كما كان طلبة العلم يتنافسون على مساكن مدرسة الظاهر بيبرس تنافساً يصلون به إلى الحكام[(١)] .

فإذا ما انتقلنا إلى العصر الجركسي ، فإن وحدات الإسكان أصبحت جزءًا لا يتجزأ من عناصر التخطيط المدرسي ، وأضحت المدرسة توفر المسكن للطلبة ولأرباب الوظائف فيها من شيوخ وغيرهم[(٢)] .

وإن كانت قد تحكمت ظروف الانشاء ـ مساحة ـ إمكانيات مالية ـ في حجم ونوعية المجموعات السكنية في المنشأة ، خاصة وأنه لم يكن هناك علاقة عددية بين ما يقرر بالمنشأة من طلبة وبين عدد الوحدات السكنية فيها[(٣)] .

وقد تميزت بعض المدارس باحتوائها على عدد كبير من الخلاوي ، كما في جامع ومدرسة المؤيد شيخ والذي كان به خلاوي « ... سفلية وعلوية عدتها مائتا بيت ... »[(٤)] . وفي مدرسة قايتباي بمكة المكرمة والتي كان بها إثنان وسبعون خلوة[(٥)] ، بينما أنشئت مدارس كان عدد خلاويها قليلاً ، كما في مدرسة الأمير عبدالغني الفخري والتي كان بها « ... عشرة خلاوي علوية وسفلية برسم سكنى الطلبة ... »[(٦)] . وفي المدرسة البنغالية بمكة المكرمة والتي كان بها إحدى عشر خلوة فقط[(٧)] .

---

(١) المصدر السابق نفسه ج ٢ / ص ٣٧٩ .

(٢) محمد أمين ، الأوقاف والحياة الاجتماعية ص ٢٥٣ ، محمد عبدالستار عثمان ، نظرية الوظيفية ج ١ / ص ١٠٩ ـ ١١٠ ، ج ٢ / ص ٢٨٠ ، محمد سيف النصر ، منشآت الرعاية الاجتماعية ص ٤١٢ .

(٣) محمد عبدالستار عثمان ، نظرية الوظيفية ج ٢ / ص ٢٨٠ .

(٤) حجة وقف السلطان المؤيد شيخ ، برقم ٩٣٨ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية .

(٥) عن ذلك انظر ص ٢٦٤ .

(٦) حجة وقف الأمير عبدالغني الفخري برقم ٧٢ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٧) الفاسي ، شفاء الغرام ج١ / ص ٥٢٥ .

ولقد حرص معمار العصر الجركسي على الاستفادة من كل ما تتيحه مساحة البناء لإنشاء مساكن عليها ، ولذلك تعددت الأماكن التي وضعت فيها وحدات الاسكان ضمن كتلة المدرسة .

فتارة توضع وحدات الاسكان بين الأواوين ، كما في مدرسة برسباي بالأشرفية والتي تقع بعض وحداتها السكنية شرقي وغربي الإيوان الشمالي الشرقي فيما بينه وبين الإيوانين الجنوبي الشرقي « القبلي » والشمالي الغربي « البحري »[1] .

وإذا كانت المدرسة تتكون من إيوانين متقابلين فإن المعمار يستغل الجانبين الآخرين للصحن ويضع عليهما كتلة الخلاوي ، كما في مدرسة إينال اليوسفي والتي كانت كتلة خلاويها تتوزع في طابقين على جانبي الصحن فيما بين الإيوان الجنوبي الشرقي « القبلي » والإيوان الشمالي الغربي« البحري »[2] . وفي مدرسة قجماس الاسحاقي والتي كانت خلاويها تقع على جانبي صحنها بارتفاع ثلاثة طوابق[3] .

كذلك وضعت بعض وحدات الاسكان في بعض المدارس خلف قاعات الدرس بالمدرسة ، كما في مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق بالصحراء ، حيث أنشأت معظم وحدات الإسكان في كتلتين رئيسيتين خلف الرواقين الجانبيين[4] .

وقد يتم توزيع وحدات الإسكان هذه على معظم أرجاء المدرسة ، كما في المدرسة الباسطية بمكة المكرمة ، والتي كانت وحدات الإسكان فيها تشغل

---

(١) عن ذلك انظر ص ١٢٢ ـ ١٢٣ .

(٢) علي الطايش ، العمائر الجركسية ص ٨٦ ـ ٨٩ .

(٣) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ص ١٦٦ ـ ١٦٩ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٩٠ ـ ٩١ .

جميع جوانبها[1] . وفي مدرسة القاضي يحيى والتي توزعت مساكنها على جهات ثلاث من كتلة المبنى ، وهي الشمالية الشرقية والشمالية الغربية والجنوبية الغربية[2] .

وقد يقوم المعمار بتركيز مساكن المدرسة كلها أو جلها في منطقة واحدة ، إما أن تكون متصلة بالمبنى أو منفصلة عنه .

فبالنسبة للمتصلة بالمبنى ، فإن من أبرز الأمثلة على ذلك المدرسة الخانقاه البرقوقية والتي كان يوجد خلف إيوانها الشمالي الغربي « البحري » أربعة رباع متصلة بكتلة المبنى ، إثنان منهما شماليان ، وبهما سبع وتسعون خلوة ، وآخران جنوبيان وبهما ستون خلوة[3] . وكانت المئتا خلوه التي تتبع جامع ومدرسة المؤيد شيخ تقع في الجهة الشمالية الغربية من المبنى وتتصل به[4]. وكان يتبع مدرسة برسباي بالأشرفية كتلة من الخلاوي تقع في الركن الجنوبي الغربي من المبنى[5] . وزودت مدرسة قايتباي بمكة المكرمة بربع كان يشغل الجانب الجنوبي منها[6] .

أما عن كتلة الخلاوي المنفصلة عن المبنى ، فإن هذا النوع من الوحدات ، لا تكون كتلته ملحقة بالمبنى . ويلاحظ أن هذا الطراز من المساكن يحتاج توفّر مساحات كبيرة للمبنى ، ولذلك ظهر بصورة جلية في المنشآت التي تقع على

---

(١) عن ذلك انظر ص ١٩٣ ـ ١٩٧ .

(٢) ليلى شافعي ، منشآت القاضي يحيى زين الدين ، ص ١٢٠ – ١٢٤.

(٣) حجة وقف السلطان الظاهر برقوق برقم ١٥١ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٤) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ، ص ٨٧ ، ١٠٦ .

(٥) عن ذلك انظر ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .

(٦) عن ذلك انظر ص ٢٣٨ – ٢٣٩ .

أطراف مدينة القاهرة ، مثل مدرسة وخانقاه برسباي بالصحراء[1] ، ومدرسة السلطان إينال بالصحراء[2] ، ومدرسة قايتباي بالصحراء[3] ، ومدرسة قاني باي الرماح بقلعة الجبل[4] ، ومدرسة قرقماس بالصحراء[5] .

وإذا كان المعمار حاول من خلال التوزيعات السابقة أن يجعل وحدات الإسكان في كتلة إنشائية مرتبطة بالمبنى أو منفصلة عنه ، فإنه عمد أيضاً نحو دمج وحدات الإسكان هذه مع عناصر انشائية أخرى في مبنى المدرسة ، فقام باستغلال الأجزاء العلوية من هذه العناصر، وأنشأ فوقها مساكن تتبع المدرسة.

فمن ذلك وضع هذه الوحدات فوق قاعات الدرس ، كما في مدرسة سودون من زاده ، والتي كان يعلو رواقها الشمالي إحدى الوحدات السكنية التابعة للمدرسة[6] . كما كانت بعض خلاوي المدرسة الباسطية بمكة المكرمة تعلو قاعة الدرس فيها[7] .

واستغلت الدهاليز لوضع بعض الوحدات السكنية فوقها ، كما في مدرسة كافور الزمام[8] ، والمدرسة الباسطية[9] .

وقد تبنى بعض هذه المساكن فوق مكتب السبيل الذي يتبع المدرسة ، إذ يعلو سبيل جامع مدرسة برسباي بالخانكه إحدى الخلاوي المخصصة

---

(١) محمد عبد الستار ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٧٦ .

(٢) سامي حسن ، السلطان إينال وآثاره المعمارية ص ١٠٨ – ١١١ .

(٣) عن ذلك انظر ص ١٦٤ ـ ١٦٦ .

(٤) حجة وقف الأمير قاني باي الرماح ، برقم ١٠١٩ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٥) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ص ٣١١ .

(٦) حسني نويصر ، مدرسة جركسية على نمط المساجد الجامعة ص ٢٧ .

(٧) عن ذلك انظر ص ١٩٤ .

(٨) حجة وقف الأمير كافور الزمام ، برقم ٧٦ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٩) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ص ١٩٨ – ١٩٩ .

للسكنى[1] ، كما يقع فوق مكتب السبيل في المدرسة الباسطية بمكة المكرمة . إحدى الغرف السكنية التابعة للمدرسة[2] ، وكذلك يعلو مكتب سبيل مدرسة أبو بكر مزهر حجرة سكنية[3] .

واستغلت أيضاً الأجزاء العلوية للميضأة وحظيرة الدواب لبناء وحدات سكنية عليها ، كما في مدرسة سودون من زاده ، والتي لها رواقان سكنيّان يعلوان ميضأتها وحظيرة الدواب[4] .

ومثلما استفاد المعمار من الأجزاء العلوية لمرافق المدرسة لبناء المساكن عليها ، فلقد استفاد أيضاً من الجانب السفلي من المدرسة لينشيء فيه وحدات سكنية .

فعندما يكون بناء المدرسة مرتفعاً عن مستوى الأرض ، أي أن تكون المدرسة « معلقة » ، فقد يعمد المعمار لاستغلال ذلك الوضع ببناء خلاوي أسفل منها مثلما حدث في مدرسة أبو بكر مزهر ، حيث بنى أسفل منها خلاوي لسكنى الطلبة[5] .

ولقد تعددت أغراض وحدات الاسكان بالمدارس الجركسية في مصر والحجاز بتعدد المستفيدين منها .

فلقد عرفت بعض مدارس ذلك العصر وجود وحدات للسكنى تكون مخصص لمنشيء المدرسة وذريته وأقاربه ، كما في مدرسة وخانقاه الظاهر

---

(١) محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباي ص ٢٤٠ .

(٢) عن ذلك انظر ص ١٩٧ .

(٣) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ص ١١٨ .

(٤) حسني نويصر ، مدرسة جركسية على نمط المساجد الجامعة ص ٢٦ .

(٥) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ٣٤ ، ١١٨ - ١٢٢ .

برقوق ، والتي كان بها وحدة سكنية أوقفها على نفسه وأولاده وسائر ذرياتهم ، ينتفعون بها للسكنى دون الإسكان[١] . وكانت هذه الوحدة تقع إلى الشرق من الإيوان الشمالي خلف القبة الملحقة بالمدرسة[٢] . وألحق بمدرسة جوهر اللالا قاعة أعدها الواقف « لسكنه مدة حياته »[٣] .

وكان يتبع مدرسة وخانقاه برسباي بالصحراء قاعة أوقفها المنشيء على أقاربه[٤] . ويوجد بمدرسة أبناء قايتباي سكن مخصص لانتفاع الواقف وأولاده وذريته ، ومن يلوذ بهم من أقارب وذرية حسبما يراه الناظر ويقوده إليه اجتهاده على الوجه الشرعي[٥] .

وكانت هذه الوحدات السكنية الخاصة ينزل إليها منشيء المدرسة بعياله ليقضي فيها الأمسيات خاصة في فصل الصيف . أو لتسكن بصفة دائمة إذا اقتضت الضرورة لذلك[٦] .

ولقد راعى المعمار في السكنى الخاص هذا أن يوفر فيه المتطلبات النوعية للمستفيدين منه ، من حيث توفير المساحة الكافية والمرافق المختلفة التي يحتاجها مثل هذا النوع من المساكن ،

---

(١) حجة وقف السلطان الظاهر برقوق برقم ١٥١ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) دولت عبدالله ، معاهد تزكية النفوس ، ص ٢٤٤ .

(٣) حجة وقف الأمير جوهر اللالا برقم ١٠٢١ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٤) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباي ص ١٥٢ – ١٥٣ .

(٥) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٦) حجة وقف الظاهر برقوق برقم ١٥١ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة . وقد يستغل هذا السكن الخاص لنزول بعض الوافدين على الدولة من أمراء وغيرهم ، محمد حمزة الحداد ، قرافة القاهرة ص ١٩٠ .

فالمسكن الخاص بمدرسة وخانقاه برقوق ، كان عبارة عن رواق يتكون من إيوانين ودرقاعه ، ويتبعه مبيت وخزانة ومرحاض بالإضافة إلى قاعة سفلية مخصصة للخدم[1] . وكان السكن الخاص بمدرسة قرقماس عبارة عن قصر كبير ، يتوسطه قاعة كبرى تتكون من إيوانين ودرقاعه ، ويحيط بها عدد كبير من الملاحق[2] .

ولقد عرفت المدارس الحجازية مثل هذا النوع من المساكن ، بيد أنه كان يقوم بوظيفة مختلفة إذ كان مخصصاً لنزول أمراء الحج المصري ، والأعيان الواردين إلى مكة في أوقات مختلفة ، بالإضافة لسكنى أمير الجند الأتراك بمكة المكرمة. إذ سكن أمير الحج المصري سنة [٨١٨ هـ / ١٤١٥م] بالمدرسة المجاهدية بمكة المكرمة[3] ، كما سكن بها في السنة التي تليها [٨١٩ هـ / ١٤١٦ م] ، أمير الجند بمكة المكرمة[4] .

وكانت تقوم بنفس الوظيفة كل من مدرستي القاضي عبدالباسط بمكة المكرمة[5] والمدينة المنورة[6] ، بالإضافة إلى مدرسة قايتباي بمكة المكرمة[7] .

وكانت هذه الوحدات تشغل حيزاً رئيساً في المدارس الحجازية ، حيث كانت تتكون من عدة حجرات توزعت على أكثر من طابق في المدرسة الباسطية

---

(١) حجة وقف الظاهر برقوق برقم ١٥١ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ص ٧٣١ – ٨٠٣ .

(٣) إبن فهد ، إتحاف الورى ج ٣ / ص ٥١٧ .

(٤) المصدر السابق نفسه ج ٣ / ص ٥٥٠ .

(٥) عن ذلك انظر ص ١٩٦ ـ ١٩٧ .

(٦) عن ذلك انظر ص ٢٢٣ .

(٧) عن ذلك انظر ص ٢٦٣ .

بمكة المكرمة[١] ، بينما خصصت قاعة بإيوان في مدرسة قايتباي بمكة المكرمة للغرض نفسه[٢] .

وبالإضافة إلى السكن الخاص الذي احتوته بعض مدارس العصر الجركسي ، فلقد احتوى معظم مدارس ذلك العصر على سكن لشيخ المدرسة يسكنه بزوجه وعياله[٣] .

فكان يوجد بمدرسة جمال الدين يوسف الاستادار سكن لشيخها « ... وشرط عليه وعلى من يستجد بعده في الوظيفة المذكورة الاقامة بالقاعة المذكورة ، والسكنى الدائمة بها .. »[٤] ، وكان يوجد بالمدرسة الغياثية بمكة المكرمة طبقة برسم سكنى شيخها[٥] ، وكان بمدرستي قايتباي بالصحراء ، ومكة المكرمة سكن خاص لشيخ كل منهما[٦] .

ويراعى في مثل هذا النوع من المساكن في معظم مدارس ذلك العصر أن يكون مناسباً له من حيث الاتساع وتوفر المرافق المختلفة . ففي مدرسة الأمير عبدالغني الفخري توجد قاعة لسكنى شيخها تتكون من إيوان ودرقاعه ومرتبة، وهي كاملة المرافق والحقوق[٧] .

---

(١) عن ذلك انظر ص ١٩٦ ـ ١٩٧ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٢٦٣ .

(٣) محمد عبد الستار عثمان ، نظرية الوظيفية ، ج ٢ / ص ٢٨١ .

(٤) حجة وقف الأمير جمال الدين يوسف الاستادار برقم ١٠٦ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٥) ابن فهد . اتحاف الورى ، ج ٤ / ص ٤٣٣ .

(٦) عن ذلك انظر ص ١٦٤ ، ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

(٧) حجة وقف الأمير عبد الغني الفخري برقم ٧٢ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

وكان سكن شيخ مدرسة وخانقاه برسباي بالصحراء يتكون من رواق « قاعة » كامل المرافق والحقوق[1] . وكذلك سكن شيخ مدرسة قايتباي بمكة والذي يتكون من قاعة بإيوان ومبيت ومرافق أخرى[2] .

بيد أن التكوين المعماري السابق لا يتوفر سوى في المدارس الكبيرة ولم يكن كذلك في المدارس الصغيرة حيث لم يتوفر لشيوخها سوى وحدات صغيرة فقط ، فلقد خصصت خلوتان فقط لسكنى شيخ مدرسة أيتمش البيجاسي[3] .

ولم يكن هناك موقع محدد ضمن كتلة البناء لسكنى شيخ المدرسة ، فيكون تارة منفرداً ومنفصلاً عن وحدات الاسكان الأخرى ، كما في سكن شيخ مدرسة فرج بن برقوق ، والذي كان منفصلاً عن خلاوي الطلبة ، ويقع فيما بين الإيوان الشمالي الغربي « البحري » ومكتب السبيل الشمالي للمدرسة[4] .

وقد يضع المعمار سكن شيخ المدرسة مجاوراً لوحدات الإسكان الأخرى ، كما في مدرسة الأمير عبد الغني الفخري ، والتي يقع سكن شيخها بجوار خلاوي طلبتها[5] . وفي المدرسة الغياثية بمكة المكرمة والتي كانت سكن شيخها يقع فوق بقية وحدات الاسكان الأخرى[6] .

ويعد طلبة المدرسة وصوفيتها من أكثر الفئات أحقية في الانتفاع بسكنى المدرسة ، فكان ينشيء لهم في المدارس الكبيرة وحدات سكن خاصة تتميز

(١) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٢) عن ذلك انظر ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ .

(٣) حجة وقف الأمير أيتمش البيجاسي برقم ١١٤٣ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٤) عن ذلك انظر ص ٨٩ .

(٥) حجة وقف الأمير عبد الغني الفخري برقم ٧٢ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٦) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج ٤ / ص ٤٣٣ .

بكثافتها . فالمئتا خلوة الملحقة بجامع ومدرسة المؤيد شيخ خصصت جميعاً لسكنى طلبة المدرسة وصوفيتها[1] . وكانت الخلاوي السفلية والعلوية والطبقة التي تعلوها في المدرسة الغياثية بمكة مخصصة لسكن طلبة المدرسة وصوفيتها[2] . وكذلك كان الأمر بالنسبة لخلاوي مدرسة قايتباي بمكة المكرمة[3] .

ويمكن تقسيم وحدات الاسكان هذه في مدارس ذلك العصر إلى نوعين :

أولهما : الخلاوي ؛ وهي عبارة عن حجرات صغيرة لا تستوعب الواحدة منها أكثر من فرد واحد[4] . ويصل متوسط مساحة الخلوة ما بين ٥٠ر٣ متراً مربعاً إلى ٥٠ر٦ متراً مربعاً[5] . وكانت معظم خلاوي المدارس في ذلك العصر تقع ضمن ذلك الاتساع، مثل خلاوي كل من مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق[6] . ومدرسة وخانقاه فرج بن برقوق[7] . ومدرسة قايتباي بمكة المكرمة[8] ، ومدرسة أبي بكر مزهر[9] ، ومدرسة قجماس الاسحاقي[10] .

---

(١) حجة وقف المؤيد شيخ برقم ٩٣٨ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٢) ابن فهد ، إتحاف الورى ج٤ / ص ٤٣٣ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٢٦٥ .

(٤) دولت عبدالله ، معاهد تزكية النفوس ، ص ٢٣٩ ، محمد عبد الستار عثمان ، نظرية الوظيفية ج ١ / ص ١٤٤ ، ج ٢ / ص ٢٨٤ .

(٥) محمد سيف النصر ، منشآت الرعاية الاجتماعية ، ص ٤١٢ .

(٦) دولت عبدالله ، معاهد تزكية النفوس ، ص ١٤٩ .

(٧) عن ذلك انظر ص ٩٠ ـ ٩١ .

(٨) عن ذلك انظر ص ٢٦٤ .

(٩) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ١١٨ ـ ١٢٢ .

(١٠) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ، ص ١٦٧ ـ ١٦٨ .

أما النوع الثاني من مساكن الطلبة والصوفية في مدارس ذلك العصر ، فهي وحدات تتميز بكبر مساحتها وتعدد مكونات الوحدة الواحدة منها[١] .

فوحدات الإسكان بمدرسة كافور الزمام كان كل منها عبارة عن رواق يتكون من إيوان ودرقاعه[٢] . وكان قطاع كبير من وحدات الاسكان للطلبة بمدرسة القاضي يحيى عبارة عن أروقة كل منها يتكون من إيوان ودرقاعة . ويتبعه ملاحق تتضمن المبيت والميزيرة ، وبيت الخلاء وغير ذلك[٣] . وتميزت مساكن الطلبة بمدرسة قايتباي بالصحراء بأن منها من كان يشبه المنازل الصغيرة في تكوينه ، حيث تتكون الوحدة الواحدة من حجرتين في طابقين ويتبعها مرافق وحقوق متكاملة[٤] . وزودت مدرسة قاني باي الرماح بالقلعة بمساكن للطلبة كان كل منها يتكون من « ... إيوان ودرقاعة وخزانة ومنافع وحقوق ... »[٥] .

ويلاحظ أن استخدام وحدات الإسكان المتسعة لانتفاع طلبة المدرسة وصوفيتها ، أسلوب شاع في منشآت أواخر العصر الجركسي ، بحيث أضحى الطراز السائد لإسكان الطلبة في مصر في تلك الأثناء يعكس ما هو سائدٌ في الحجاز في الفترة ذاتها ، لأن الأسلوب السائد لإسكان الطلبة في مدارسه كان يعتمد الخلاوي فقط كعنصر اسكان ، ولا تشير النصوص التاريخية إلى استخدام القاعات ذات الأواوين أو الحجرات المتسعة لاسكان طلبة هذه

---

(١) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ، ص ٧١٧ – ٧٢٠ .

(٢) حجة وقف الأمير كافور الزمام ، برقم ٧٦ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحيى زين الدين ص ١٢٣ ، ٢٢٨ – ٢٢٩.

(٤) عن ذلك انظر ص ١٦٤ .

(٥) حجة وقف الأمير قاني باي الرماح برقم ١٠١٩ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

المدارس . واكتفت بذكر الخلاوي فقط ، ومن أبرز الأمثلة على ذلك المساكن في كل من المدرسة البنجالية[١] والمدرسة الزمامية[٢] والمدرسة الغياثية[٣] ومدرسة قايتباي بمكة المكرمة[٤] .

وبناءًا على ما سبق فإن بالإمكان القول بأن الفئات السابقة كانت تحظى بالأولوية في الانتفاع بوحدات السكن في المدارس الجركسية بمصر والحجاز . مع وجود فئات أخرى ، تسنى لها الاستفادة من سكنى المدارس بصورة أقل من السابقة .

فمن ذلك مؤدب الأيتام في الكتاب ، والذي كان يحظى في بعض المدارس بوجود حجرة خاصة به كانت توضع بالقرب من الكتاب ، كما في مدرسة زين الدين يحيى[٥] ، ومدرسة قايتباي بالكبش[٦] ، ومدرسة الأمير قرقماس بالصحراء[٧] . وكان لبواب المدرسة أيضاً سكن خاص به ، عبارة عن خلوة صغير « لطيفة » توضع في دهليز المدرسة ، كما في دهليز مدرسة برسباي بالأشرفية ، والذي كان به « خلوة لطيفة » برسم سكنى بواب المدرسة[٨] . وفي دهليز مدرسة القاضي يحيى والذي كان بجداره الشمالي خلوه لسكنى بواب المدرسة[٩] .

---

(١) القاسي ، شفاء الغرام ج ١ / ص ٥٢٥ .

(٢) ابن فهد ، اتحاف الورى ج ٤/ ص ٦٤ .

(٣) المصدرالسابق نفسه ، ج ٤ / ص ٤٣٣ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٢٦١ .

(٥) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحيى زين الدين ، ص ١١٣ .

(٦) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ص ٣٤١ – ٣٤٢ .

(٧) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ، ص ٦٨١ .

(٨) حجة وقف السلطان برسباي ، برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٩) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحيى زين الدين ص ١٢٣ .

وتذكر حجة وقف مدرسة وخانقاه برسباي بالصحراء ، أن لشّاد عمارتها قاعة بها ينتفع بسكناها[1] . وزودت المدرسة الغياثية بمكة المكرمة بمسكن لناظر وقفها [2] .

وأوصى منشيء مدرسة جوهر اللالا بأن تكون القاعة المخصصة لسكناه بالمدرسة سكناً لم يكون إماماً بها بعد وفاته[3] .

ويتضح من خلال العرض السابق ، أن مدارس العصر الجركسي استوعبت في مساكنها فئات متعددة من أفراد المجتمع ، كما يتضح أن وحدات الإسكان بهذه المدارس كانت متنوعة .

فمنها وحدات الإسكان الصغيرة « الخلوة »، وهي عبارة عن حجرة صغيرة غالباً ما تكون مقبية[4] . ومن هذه الخلاوي ما هو صغير ومنها الكبير نسبياً ، وكان يعرف في ذلك العصر بـ « الخلوة الكبرى »[5] .

وهناك وحدات الإسكان الكبيرة ، وكانت تعرف في ذلك العصر بالرواق أو القاعة ، وهذه الوحدة تنقسم إلى نوعين :

أولهما : البسيط ، وهو عبارة عن قاعة تتكون من إيوان صغير يتقدمها درقاعة ، وملحق به خلوة صغيرة « مبيت » ، ويجاورها بيت خلاء[6] .

وثانيهما : المركب ، وهو عبارة عن قاعة أيضاً ، بيد أنها تتكون من إيوانين ودرقاعه ، ويتبعها مرافق مماثلة لتلك السابقة[7] .

---

(١) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٢) ابن فهد ، اتحاف الورى ، ج ٤ / ص ٤٣٣ .

(٣) حجة وقف الأمير جوهر اللالا برقم ١٠٢١ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٤) محمد سيف النصر ، منشآت الرعاية الاجتماعية ص ٤١٢ .

(٥) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ، ص ٢٤٢ .

(٦) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ص ٣٦٩ .

(٧) المرجع السابق نفسه ص ٣٦٩ ــ ٣٧٠ .

سابعاً : المكتبة :

ويطلق اللفظ على مكان جمع الكتب سواء للقراءة أو البيع[1] ، وعرفت مكتبات المدارس في عصر المماليك تحت مسمى « خزانة الكتب »[2] . ويعود تاريخ وجود مكتبات المدارس بمصر والحجاز منذ عصورها الأولى . فكان بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة مكتبة زاخرة بالمصنفات ، التي تشمل جميع التخصصات العلمية التي تعود لذلك العصر[3] . وأشاد السخاوي بمكتبة المدرسة الشهابية بالمدينة المنورة ، حيث ذكر بأن « ... بها من الكتب ما لا يحصى .. »[4] ، كما أشار إلى أن بعض العلماء كان يوقف مصنفاته التي يؤلفها على مكتبة هذه المدرسة[5] .

ولقد امتازت المدارس المملوكية عموماً باحتواء كل منها على مكتبة خاصة بها[6] ، لما لذلك من أهمية تعليمية حيث أنها المصدر الأساسي الذي يتزود منه الدارسون بالمعرفة[7] .

---

(١) عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الاسلامية ، ص ٤٠٥ .

(٢) محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ص ٤١ .

(٣) المقريزي ، الخطط ج ٢ / ص ٣٦٥ ، عدنان الحارثي ، أثر صلاح الدين الأيوبي على التطور الحضاري والعمراني لمدينة القاهرة ص ٤٨٠ .

(٤) السخاوي ، التحفة اللطيفة ج١ / ص ٦٤ .

(٥) المصدر السابق نفسه ج٢/ ص ١٠٦ .

(٦) عبداللطيف إبراهيم ، دراسات في الكتب والمكتبات الاسلامية : «المكتبة المملوكية » ١٩٦٢ م القاهرة ، ص ٣٥ – ٣٨ ، سعيد عاشور ، المجتمع المصري في عصر المماليك ص ١٤٥ ، أحمد شلبي ، تاريخ التربية الاسلامية ص ١٥٨ .

(٧) محمد عبد الستار عثمان ، نظرية الوظيفية ج٢ / ص ٢٧٣ .

وكانت بعض هذه المكتبات تحتوي على أعداداً كبيرة من الكتب ، مثل مكتبة المدرسة المحمودية التي كانت بها مكتبة تحتوي على كل فن من الفنون . وقل أن يوجد نظير لها في مكتبات القاهرة[1] ، كما كان يوجب بمكتبة مدرسة جمال الدين يوسف الاستادار مكتبة تحتوي أعداد كبيرة من الكتب[2] . ولم يكن مستوى مكتبة مدرسة قايتباي بمكة المكرمة ، يقل عما كانت عليه المكتبتين السابقتين[3] .

إن وجود الأعداد الكبيرة من الكتب في هذه المكتبات فرضت على المعمار أن يتخذ لها أماكن متسعة تستوعبها ، كما في المدرسة المحمودية والتي خصص لمكتبتها حجرة كبيرة المساحة[4] . بينما تتكون مكتبة مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق من قاعة ذات إيوان ودرقاعه[5] . وكانت مكتبة مدرسة برسباي بالأشرفية تتكون من قاعة « ... تحوي إيواناً ... مقابله خزانة كتبية كبرى برسم كتب العلم ... »[6] .

ولم يكن كبر المساحة سمة عامة لكل مكتبات مدارس ذلك العصر ، إذ كان هناك مكتبات لمدارس تتميز بصغرها . وهي في هذه الحالة ليست سوى دخلات جدارية توضع في حوائط الأواوين ، وتصنع لها أرفف ولها مصاريع خشبية تغلق عليها . وتعرف باسم « الكتبيات » ومن أبرز الأمثلة على ذلك مكتبة

---

(١) المقريزي ، الخطط ج٢/ ص ٣٩٢ .

(٢) المصدر السابق نفسه ، ج٢ / ص ٤٠٠ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٢٦١ .

(٤) علي الطايش ، العمائر الجركسية ص ٤٠٨ – ٤٠٩ .

(٥) عن ذلك انظر ص ٨٧ .

(٦) حجة وقف السلطان برسباي ٨٨٠ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

مدرسة الجمالي يوسف وهي عبارة عن دخلة بجوار المحراب بها أرفف ويغلق عليها مصراعين خشبيين . وأعدت لحفظ « ... الختمات والربعات وكتب الحديث النبوي والعلم الشريف ... »[1] .

ولـم يكن لمكتبات مدارس العصر الجركسي موقعاً محدداً ضمن تخطيطها ، وإنما اتخذت مواقع مختلفة بحسب ظروف تخطيط هذه المدارس .

فقد توضع بجوار إيوان القبلة بالمدرسة في حجرة صغيرة تقع على يسار الداخل إلى هذا الإيوان ، كما في مدرسة تغري بردى[2] ومدرسة قجماس الاسحاقي[3] . وقد توضع أمام هذا الإيوان كما في مدرسة قاني باي الرماح بالقلعة[4] . ووضعت بعض مكتبات المدارس بالقرب من الإيوان الشمالي الغربي « البحري » ، مثل مكتبة مدرسة زين الدين يحيى والتي جعلها المعمار في حجرة على يسار الداخل إلى إيوانها البحري[5] ، ومكتبة مدرسة قايتباي بالصحراء والتي تقع خلف السدلة الجنوبية للإيوان البحري[6] .

وهناك مكتبات لمدارس وضعت خلف إحدى القاعتين الجانبيتين مثلما هو موجود في مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق والتي وضعت مكتبتها خلف رواقها الجنوبي الغربي[7] .

---

(١) حجة وقف الأمير الجمالي يوسف برقم ١٠٥ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) حجة وقف الأمير تغري بردى المؤذي برقم ٩٨ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ، ص ١٢٦ – ١٢٧ .

(٤) حجة وقف الأمير قاني باي الرماح برقم ١٠١٩ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٥) ليلى الشافعي ، منشأة القاضي يحيى زين الدين ص ١٠٧ .

(٦) عن ذلك انظر ص ١٦٢ .

(٧) عن ذلك انظر ص ٨٧ .

وإذا كانت المدرسة تتكون من إيوانين متقابلين فقد يستغل المعمار أحد جانبي الصحن ، ليضع المكتبة في جزء منه ، كما في المدرسة المحمودية والتي وضع المعمار مكتبتها في الطابق الثاني من الضلع الجنوبي لصحنها[١] .

أما إذا كانت المنشأة تتبع النظام المتعامد ، فقد يستفيد المعمار من أحد أركانها ليضع المكتبة في جانب منه . كما في المدرسة الخانقاه البرقوقية والتي تذكر حجة وقفها بأن مكتبتها كانت تقع خلف قبتها[٢] ، أي في الركن الشمالي الشرقي للمدرسة حيث توجد هذه القبة[٣] . وكانت تقع مكتبة مدرسة برسباي بالأشرفية في الركن الجنوبي الشرقي من المدرسة بجوار بعض الملاحق الأخرى للمدرسة[٤] .

ويتضح مما سبق أن المعمار حرص على أن لا يبتعد بالمكتبة عن قاعات الدرس ، فاختار لها مواقع قريبة منها . وهو ما لم يتوفر في مدارس أخرى ، وضع المعمار فيها المكتبة ضمن وحدات الإسكان أو بالقرب منها . فتذكر حجة وقف مدرسة جمال الدين يوسف الاستادار أن مكتبتها تقع على الساباط[٥] ، الذي يربط بين كتلة المدرسة ومساكنها[٦] . وكانت مكتبة جامع ومدرسة المؤيد شيخ تقع ضمن مساكنها[٧] .

(١) علي الطايش ، العمائر الجركسية ص ١٦٢ .

(٢) حجة وقف الظاهر برقوق برقم ١٥١ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) حسني عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ج١ / ص ١٩٧ .

(٤) عن ذلك انظر ص ١٢٢ .

(٥) الساباط عبارة عن سقيفة تصل بين مبنيين ، ويكون تحتها طريق أو دهليز ونحو ذلك . محمد أمين ، ليلى ابراهيم ، المصطلحات المعمارية ص ٦٠ .

(٦) نقلاً عن محمد عبد الستار عثمان ، وثيقة جمال الدين يوسف الاستادار ص ٨٦ – ٨٧ .

(٧) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ص ١٠٦ .

ونظراً لأهمية المكتبة من الناحية الوظيفية ، فلقد زودت الكبيرة منها بمرافق متعددة ، كحجرة لسكن الخازن ومزيرة ومرحاض ، مثلما هو موجود في مكتبة مدرسة برسباي بالأشرفية والتي كانت تحتوي على العناصر سابقة الذكر(١) .

وزودت المكتبة أيضاً بالموظفين ، كالخازن(٢) والمناول(٣) ، والنساخ والمجلدون والمذهبون ، الذين كانت تزود بهم بعض مكتبات المدارس في ذلك العصر(٤) . وكان لكل منهم وظائف محددة وخصائص معينة نصت عليها حجج الوقف(٥) . كما كان لهذه المكتبات نظام عمل معين ، ونظام إستعارة ، ومن الواقفين من منع نظام الاستعارة(٦) لكي لا تضيع كتب المكتبة من بين أيدي المستعيرين .

---

(١) عن ذلك انظر ص ١٢٢ .

(٢) عبداللطيف ابراهيم ، دراسات في الكتب والمكتبات الاسلامية ص ٧٥ ، سعيد عاشور ، المجتمع المصري ص ١٦١ .

(٣) عبداللطيف ابراهيم ، دراسات في الكتب والمكتبات الاسلامية ص ٧٥ .

(٤) عبدالغني محمود ، التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك ص ٢٥٤.

(٥) حجة وقف السلطان فرج بن برقوق ، برقم ٦٦ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

حجة وقف السلطان المؤيد شيخ برقم ٩٣٨ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية القاهرة .

حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٦) محمد أمين ، الأوقاف والحياة الاجتماعية ، ص ٢٥٦ - ٢٥٩ ، عبدالغني بن محمود ، التعليم في مصر زمن الأيوبيين ص ٢٠٩ - ٢١٣ .

ثامناً : قاعة الخطابـــة :

أدى قيام المدرسة الجركسية بمصر بوظيفة المسجد الجامع أن زودت بوحدات معمارية تدعم هذه الوظيفة .

ومن أبرز هذه الوحدات قاعة الخطابة ، والتي أضحت في ذلك العصر جزءًا من وحدات التخطيط لمعظم المدارس .

وكانت هذه القاعة توضع مجاورة للإيوان أو الرواق القبلي. على يمين المنبر والمحراب وبالقرب منهما ، بحيث تقع أمام هذا الإيوان أو الرواق .

فتذكر حجة وقف مدرسة سودون من زاده أن الباب الذي « ... على يمنة المصلي بالمحراب ، يدخل منه إلى قاعة الخطابة ... »[١] .

وتذكر حجة وقف مدرسة تغري بردى أن « ... الخلوة المجاورة للمنبر المذكور يمنته فإنها معدة لإقامة الخطيب ... »[٢] .

كذلك قد توضع هذه القاعة وراء الجدار الجنوبي للإيوان القبلي ، كما في جامع ومدرسة المؤيد شيخ[٣] . وجامع ومدرسة قراقجا الحسني[٤] .

أما في مدرسة قايتباي بالصحراء فلقد اتخذت القاعة وضعاً مغايراً لكل ذلك ، إذ وضعها المعمار وراء الجدار الشمالي للإيوان القبلي[٥] .

---

(١) حجة وقف الأمير سودون من زاده برقم ٥٨ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) حجة وقف الأمير تغري بردى برقم ٩٨ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) حجة وقف السلطان المؤيد شيخ برقم ٩٣٨بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٤) حجة وقف الأمير قراقجا الجسني برقم ٩٢ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٥) عن ذلك انظر ص ١٥٠ .

ولقد اختلف التكوين المعماري لهذه القاعات فمنها ما يكون ذا مساحة كبيرة ، فهو عبارة عن قاعة كاملة المرافق والحقوق . تتضمن إيواناً ودرقاعه ويتبعها مبيت ومزيرة وغر ذلك من المرافق والحقوق ، كما في قاعة الخطابة لمدرسة سودون من زاده[1] ، وقاعة الخطابة لمدرسة وجامع المؤيد شيخ[2]. ومن هذه القاعات ما يكون عبارة عن حجرة صغيرة المساحة « خلوة » مثل « خلوة » الخطابة بمدرسة تغري بردى[3] وبمدرسة الجمالي يوسف[4] وبمدرسة قايتباي بالصحراء[5] .

وبالنظر لما نصت عليه حجج الوقف التي تحدثت عن وظيفة هذه القاعة ، فلقد كانت وظيفتها الأساسية ، هي لجلوس الخطيب قبل طلوعه على المنبر وقت صلاة الجمع والعيدين[6] . وقد تستخدم في بعض المدارس لحفظ الربعات الشريفة والمصاحف[7] .

بيد أنه بالنظر للتكوين المعماري لبعض هذه القاعات ، يلاحظ أنها تحوي مرافق كاملة ، كالمبيت والمزيرة وغير ذلك ، مما يدل على أن بعضها كان معداً للإقامة الدائمة أو المؤقتة على أقل تقدير .

ومما يجدر الإشارة إليه هنا إلى أن قاعة الخطابة لم تكن موجودة في المدارس الحجازية ، لأن إقامة الخطبة لم يكن من وظائفها في ذلك العصر[8] .

(١) حجة وقف الأمير سودون من زاده برقم ٥٨ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) حجة وقف السلطان المؤيد شيخ برقم ٩٣٨ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٣) حجة وقف الأمير تغري بردى برقم ٩٨ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٤) حجة وقف الأمير الجمالي يوسف ابراهيم ١٠٥ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٥) عن ذلك انظر ص ١٦٦ .

(٦) حجة وقف الأمير تغري بردى ، برقم ٩٨ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

حجة وقف الأمير الجمالي يوسف برقم ١٠٥ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٧) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٨) عن ذلك انظر ما سبق .

تاسعاً : المزملـــة :

ويطلق اللفظ في الأصل على الجرة التي تحفظ فيها أواني شرب الماء[١] . ثم عرف به المكان الذي تحفظ به هذه الأواني[٢] .

ويرى بعض الباحثين أن المزملة لم تعرف في المدارس إلا في العصر الجركسي[٣] . في حين أن هناك معطيات تشير إلى وجودها في بعض المدارس منذ العصر المملوكي البحري ، كما في المدرسة الصرغتمشية ، والتي كان يوجد بإحد دهاليزها مزملة كبيرة[٤] .

بيد أن انتشار هذه الوحدات المعمارية في المدارس حدث في العصر الجركسي ، بحيث لا تكاد تخلو مدرسة منها . فعلى سبيل المثال وجدت هذه المزملة في كل من المدرسة المحمودية[٥] ومدرسة الأمير عبدالغني الفخري[٦] ، ومدرسة جوهر اللالا[٧] ، ومدرسة قايتباي بالصحراء[٨] ، ومدرسة أبو بكر مزهر[٩] . بل أن هناك مدارس بها أكثر من مزملة كما في مدرسة قايتباي بالكبش والتي كان بها مزملتان لشرب المياه[١٠] .

(١) محمد أمين ، ليلى ابراهيم ، المصطلحات المعمارية ص ١٠٤ ، محمد مصطفى نجيب ، المزملة كمورد لمياه الشرب بمنشآت القاهرة في العصر المملوكي ، مجلة كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، العدد الثاني ١٩٧٧م ، ص ١٥١ .

(٢) محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ١٠٤ .

(٣) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ص ٩٢ .

(٤) حسن القصاص ، المدرسة الصرغتمشية ص ٢٣٠ ، وانظر أيضاً حجة وقف الأمير صرغتمش برقم ٣١٩٥ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٥) علي الطايش ، العمائر الجركسية ص ١٤٦ .

(٦) محمد الكحلاوي ، مدرسة الأمير عبد الغني الفخري ص ٥٦ – ٥٧ .

(٧) ليلى الشافعي ، مدرسة جوهر اللالا ، ص ٨٨ – ٩٠ .

(٨) عن ذلك انظر ص ١٦١ .

(٩) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ١٢٣ .

(١٠) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ص ٩٠ – ٩١ .

وكانت المزملة توضع في موقع يتسنى من خلاله لمرتادي المدرسة الاستفادة منها .

ولذلك عادة ما تكون في دهليز المدرسة[1] ، وقد توضع في درقاعاتها كما في مزملة مدرسة أيتمش البيجاسي[2] .

وتتكون المزملة من إيوان صغير المساحة توضع فيه أواني شرب الماء ويتولى أحد الأفراد تسبيل الماء منها على من هم بداخل المدرسة والواردين إليها[3] . وكان هذا الإيوان يغشى بحجاب من الخشب المجمع « الخرط » بحيث يغطي مقدار النصف أو الثلثين من فتحة المزملة[4] . كما قد يزود بباب خشبي من مصراعين ليتسنى من خلاله الدخول والخروج من المزملة[5] . ويزود هذا الباب بحشوة خشبية علوية تتضمن آيات قرآنية كريمة تتناسب مع وظيفة هذه الوحدة المعمارية[6] .

ولكي يتسنى توفير تيار هواء مناسب لتبريد أواني شرب الماء بالمزملة ، فلقد قام المعمار برفع مستوى فتحة الإيوان إلى مستوى سقف الدهليز الواقعة فيه[7] . كما زودها بفتحة للتبريد تسمح بمرور تيار الهواء . وكانت هذه الفتحة في بعض المدارس عبارة عن ملقف للهواء كما في مدرسة إينال اليوسفي[7] أو

---

(١) محمد مصطفى نجيب ، المزملة كمورد شرب ، ص ١٥٢ .

(٢) عبد الباقي إبراهيم ، صالح لمعي وآخرون ، أسس التصميم المعماري ، ص ١٦١.

(٣) محمد عبدالستار عثمان ، نظرية الوظيفية ج ٢ / ص ٣٠٤ .

(٤) محمد مصطفى نجيب ، المزملة كمورد للشرب ص ١٥٣ .

(٥) علي الطايش ، العمائر الجركسية ص ٣٩٨ .

(٦) المرجع السابق نفسه ص ٣٩٨ – ٣٩٩ .

(٧) محمد مصطفى نجيب ، المزملة كمورد للشرب ص ١٥٢ .

(٨) علي الطايش ، العمائر الجركسية ص ٣٩٩ .

أن يكون هناك ملقفين كما في مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق ، ومدرسة السلطان الغوري[1] . وقد يستغنى عن الملقف في تبريد المزملة فتزود بشباك يعلوها أو في مواجهاتها ، كما في مدرسة وجامع المؤيد شيخ ومدرسة قرقماس بالصحراء[2] .

ولا تتوفر معطيات عن وجود هذه الوحدة المعمارية في المدارس الحجازية، بيد أن طبيعة المناخ الحار في هذه البلاد قد يجعل من المرجح وجود نمط من سقاية الماء شبيه بالمزملة أو مماثل لها .

(١) محمد مصطفى نجيب ، المزملة كمورد للشرب ص ١٥٢ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ١٥٢ .

عاشراً : المطبخ :

إن توفر الاحتياجات المختلفة للطلبة والشيوخ وجميع العاملين بالمدرسة يسهم إلى حد بعيد على إيجاد الظروف المناسبة للتفرغ للعلم والعبادة .

ويعود وجود المطابخ في المدارس إلى العصر الأيوبي حيث يمكن مشاهدته في خوانق ذلك العصر[1] . وبالتالي فمن المرجح أنه كان موجوداً في مدارسه أيضاً . كذلك كانت المطابخ موجودة في المدارس الكبيرة في العصر البحري[2] .

ومن هناك انتشرت في مدارس العصر الجركسي ، فكانت معظم المدارس وعلى الأخص الكبيرة منها تحتوي على مطابخ كانت توضع بالقرب من وحدات الاسكان بالمدرسة ، كما في المدرسة الخانقاه البرقوقية[3] ، ومدرسة وخانقاه فرج بن برقوق بالصحراء[4] ، والمدرسة الباسطية بمكة المكرمة[5] . ومدرسة السلطان إينال بالصحراء[6] ، ومدرسة قرقماس بالصحراء[7] .

وكان المطبخ في المدارس الجركسية يشغل مساحة مناسبة فيكون عبارة عن قاعة ذات إيوان ودرقاعه ، كما في مدرسة الخانقاه البرقوقية[8] . أو أن

---

(١) دولت عبدالله ، معاهد تزكية النفوس ، ص ٢٤٣ .

(٢) المرجع السابق نفسه ص ٢٤٢ .

(٣) حجة وقف السلطان الظاهر برقوق ١٥١ بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٤) عن ذلك انظر ص ٩١ – ٩٢ .

(٥) عن ذلك انظر ص ١٩٨ ـ ١٩٩ .

(٦) حجة وقف السلطان إينال برقم ٦٢ تاريخ بدار الكتب المصرية .

(٧) حجة وقف الأمير قرقماس برقم ٩٠١ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٨) حجة وقف السلطان الظاهر برقوق برقم ١٥١ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

يكون عبارة عن حجرة كبيرة مسقوفة كما في مدرسة وخانقاه برسباي بالصحراء[١] والمدرسة الباسطية بمكة المكرمة[٢] . وقد تكون هذه الحجرة مكشوفة كما في مدرسة قرقماس بالصحراء[٣] .

وكان كل مطبخ يجهز بما يلزمه من احتياجات ، مثل المواقد ، بالإضافة إلى أدوات الطبخ ، ومخزن تحفظ فيه هذه الأدوات بالإضافة إلى الاحتياجات الأخرى[٤] .

وللمطبخ وظيفة أساسية ، هي إعداد الطعام لقاطني المدرسة ، وكان يطبخ به الخضر واللحم يومياً ، والحلوى مرة كل شهر ، بالإضافة إلى ما كان يتم إعداده من أطعمة مخصوصة وحلوى في الأعياد والمواسم[٥] .

---

(١) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٢) عن ذلك انظر ص ١٩٨ ـ ١٩٩ .

(٣) حجة وقف الأمير قرقماس برقم ٩٠١ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٤) حجة وقف السلطان الظاهر برقوق برقم ١٥١بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٥) دولت عبدالله ، معاهد تزكية النفوس ، ص ٢٤٣ .

الحادي عشر : الخارجـــــه :

واللفظ مشتق من خرج يخرج خروجاً[1] ، وخارج الشيء ظاهره ، ويطلق معمارياً على العناصر التي تقع خارج كتلة المبنى، سواء بأدواره السفلى أو العليا[2] . والمقصود بالخارجة هنا سواتر جدارية تعلو أسطح المباني ، وتتخللها الشابورات[3] .

وهي وحدة معمارية اقتصر شيوعها على العمارة المكية ، ويعود تاريخ وجودها إلى القرن السابع ٧ هـ /١٣ م[4] .

ومن المؤكد أنه استخدمت في المدارس منذ تلك الفترة أيضاً ، ومنها انتقلت إلى المدارس الجركسية بمكة المكرمة ، حيث يمكن مشاهدتها في مدرستي الباسطية[5] وقايتباي بمكة المكرمة[6] .

وتنقسم الخارجة إلى قسمين أساسيين :

أولهما : عبارة عن سطح مكشوف من أعلى .

وثانيهما : عبارة عن غرف تعرف بالمبيتات[7] .

---

(١) الزبيدي ، تاج العروس ج٢ / ص ٢٨ .

(٢) محمد أمين ، ليلى ابراهيم ، المصطلحات المعمارية ص ٢٨ .

(٣) والشابورة عبارة عن فتحات مخرمة نتيجة وضع قطع الأجر فيها بشكل طولي مكونه بذلك فتحات صغيرة تعطي نتيجة لتعددها شكل التخريم ، وكانت هذه الشابورات تزخر بأشكال هندسية بديعة وألوان جميلة تشمل الأحمر والأزرق والأصفر وغير ذلك . مقابلة مع الاستاذ مشرب أندجاني ١٤١٣/٩/١٥هـ . وانظر في وصف هذه الشابورات ، محمد عمر رفيع ، مكة ص ٢٢ ، سنوك ، مكة المكرمة ص ١٠٤ .

(٤) Sami, Angawi, Makka, Architecture, p. 237.

(٥) عن ذلك انظر ص ١٩٧ ـ ١٩٨ .

(٦) عن ذلك انظر ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

(٧) سنوك ، مكة المكرمة ص ١٠٤ .

كانت هذه الخارجات توضع في الأدوار العليا من المباني[1] . وتتعدد في المبنى الواحد بعدد الفئات المستغلة له ، فإذا كان منزل سكني ، فإن الخارجات تتعدد فيه بعدد الأسر التي تشغل هذا المنزل[2] .

ولقد كانت الخارجات تستخدم بصفة أساسية للنوم ، خاصة في الليالي شديدة الحرارة[3] ، بينما توضع المستلزمات المرتبطة بذلك في المبيتات[4] ، والتي قد تستخدم للنوم أيضاً[5] في حالة ما إذا كان هناك برودة نسبية[6] .

---

(١) محمد عمر رفيع ، مكة ، ص ٢٢ .

(٢) سنوك ، مكة المكرمة ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٣) ناصر الصالح ، المؤثرات والأنماط الجغرافية للعمارة التقليدية بالملكة ص ٣١ .

(٤) محمد عمر رفيع ، مكة ص ٢٢ – ٢٣ .

(٥) سنوك ، مكة المكرمة ص ١٠٥ .

(٦) مقابلة مع محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ .

الثاني عشر : المئذنة :

ويطلق اللفظ على موضع الأذان ، للإعلان بدخول وقت الصلاة[١] . وقد ارتبطت هذه الوحدة المعمارية بالمساجد وأضحت إحدى الدلالات الرئيسة عليها، وقد تفنن المسلمون في عمارتها حتى جاءت « ... كالجواهر المصاغة ... »[٢] بما فيها من رشاقة وجمال يعكس التطور المعماري الذي مرت عليه عبر العصور[٣].

ولقد استخدمت المئذنة كوحدة معمارية في المدارس بمصر منذ العصر الأيوبي كما يشير بذلك وجودها في المدرسة الصالحية والتي يعلو مدخلها مئذنة لا زالت باقية حتى الوقت الحاضر[٤] . وتتكون من طابقين سفلي مربع وعلوي مثمن ، ويتوجها قبة مضلعة على شكل المبخرة[٥] .

ولقد استمر هذا الأسلوب المعماري متبعاً في مآذن المدارس في أوائل العصر المملوكي البحري ، ولكن مع تطوير الجزء السفلي المربع بجعله مرتفعاً مقارنة مع العصر الأيوبي[٦] . ثم ما لبثت أن تطورت المئذنة في هذا العصر وأضحت تتكون من ثلاثة أدوار ، كما في مئذنة مدرسة وخانقاه سلار وسنجر

---

(١) محمد أمين ، ليلى ابراهيم ، المصطلحات المعمارية ص ٩٧ ، عبد الرحيم غالب ، موسوعة العمارة الاسلامية ص ٢٣٢ .

(٢) المرجع السابق نفسه ص ٢٤٦ .

(٣) عبدالرحيم إبراهيم ، تاريخ الفن في العصور الاسلامية ص ٢٥٢ – ٢٥٧ .

(٤) أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج٢ / ص ٦٩ .

(٥) عبدالعزيز سالم ، المآذن المصرية . نظرة عامة عن أصلها وتطورها منذ الفتح حتى العصر العثماني ، القاهرة ص ٢٤ – ٢٥ .

(٦) صالح لمعي ، التراث المعماري ص ٣١ .

الجاولي[١] ممهدة بذلك لظهور المآذن الجركسية التي تمثل قمة التطور والنضج لعمارة المآذن في مصر[٢] .

ولقد حرص المعمار في العصر الجركسي على تزويد مدارس ذلك العصر بالمآذن خاصة الكبيرة منها[٣] . بل إن بعضها زود بأكثر من مئذنة ، كما في مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق والتي أنشيء بها مئذنتان[٤] ، ومدرسة وجامع المؤيد شيخ والتي كان بها ثلاثة مآذن بقي منها إثنتان حتى الوقت الحاضر[٥] .

أما بالنسبة للمدارس الحجازية فإن المعطيات المتوفرة لا تشير إلى استخدام المآذن في عمارتها ، ولا يستثنى من ذلك سوى مدرستين أنشئتا في العصر الجركسي ، وكان لكل منهما مئذنة وهما مدرستي قايتباي بمكة المكرمة[٦] ، والمدينة المنورة[٧] .

ومن الواضح أن سبب عدم شيوع عنصر المئذنة في مدارس الحجاز ، هو عدم قيامها بوظيفة صلاة الجمع والجمعات[٨] ، ولذلك فإن مئذنة مدرسة

---

(١) عبد العزيز سالم ، المآذن المصرية ص ٢٥، صالح لمعي ، التراث المعماري ص ٣٢ ، حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية، ص ٢٦٢ – ٢٦٣ . وهذه المدرسة الخانقاه من بناء الأميرين سلار بن عبدالله الناصري وعلم الدين سنجر بن عبدالله . المقريزي ، الخطط ج ٢ / ص ٣٩٨ ، ٤٢١ ، السلوك ج٢ / ق ٣ / ص ٦٧٤ ، دولت عبدالله ، الخوانق في العصرين الأيوبي والمملوكي ص ٥٥ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ص ٢٦٣ .

(٣) لم تزود بعض المدارس الصغيرة في ذلك العصر بالمآذن ، مثل مدرسة أبناء قايتباي [قبل٨٧٢ هـ/ ١٤٦٧م] رغم أن الجماعات كانت تؤدى فيها حيث زودت بمحراب . المرجع السابق نفسه ص ٢٢ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٩٣ .

(٥) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ، ص ٣٥ .

(٦) عن ذلك انظر ص ٢٦٧ .

(٧) السمهودي ، وفاء الوفاء ج ٢ / ص ٦٤٤ .

(٨) عن ذلك انظر ما سبق .

قايتباي بمكة المكرمة كانت تعد من ضمن مآذن المسجد الحرام[1] ، ويظهر أن الأمر كان كذلك بالنسبة لمئذنة مدرسة المدينة المنورة ، فكانت تعد من ضمن مآذن المسجد النبوي الشريف .

ولقد حرص معمار العصر الجركسي ـ على إبراز المئذنة ـ كوحدة معمارية ضمن كتلة المدرسة ، ولذلك عمل على جعلها دائماً في مواقع ظاهرة من المبنى ، كأن تكون في واجهة المبنى الرئيسة ـ متخذتاً أوضاعاً مختلفة ، فتارة تكون فوق المدخل ، كما في مآذن كل من المدرسة المحمودية[2] ومدرسة قايتباي بمكة المكرمة[3] ، ومدرسة قاني باي الرماح بالناصرية[4] . وتارة تجاور المئذنة المدخل دون أن تعلوه . ومن الأمثلة على ذلك مئذنة كل من مدرسة عبدالغني الفخري[5] [لوحة ١٠٦] ومدرسة جوهر اللالا[6] [لوحة ١٢٥]، ومدرسة قايتباي بالصحراء[7] . ومدرسة أبو بكر مزهر[8] [لوحة ١٤٤] .

وقد تبتعد المئذنة عن المدخل وتشغل الطرف الآخر من الواجهة ، كما في مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق [لوحة ٩٢] ، ومدرسة فيروز

---

(١) النهروالي ، الأعلام ص ١٩٤ .

(٢) علي الطايش ، العمائر الجركسية ص ١٣٩ .

(٣) باسلامه ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٢٦٤ .

(٤) سامي أحمد عبد الحليم ، آثار الأمير قاني باي قرا الرماح بالقاهرة « دراسة أثرية معمارية ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٥ م ، ص ٢٣٤ . وهذه المدرسة من إنشاء الأمير قاني باي الرماح أمير آخور . عبدالرحمن زكي ، موسوعة مدينة القاهرة ص ٣٢٦ ، حجة وقف الأمير قاني باي برقم ١٠١٩ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٥) محمد الكحلاوي ، مدرسة الأمير عبد الغني الفخري ، ص ٥٩ .

(٦) ليلى الشافعي ، مدرسة جوهر اللالا ، ص ١٢٨ .

(٧) عن ذلك انظر ص ١٣٧ .

(٨) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ٨١ .

الساقي [لوحة ١٢٢] . أو توضع في وسط الواجهة ، كما في مئذنتي مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق بالصحراء [١] . ومدرسة الظاهر جقمق [لوحة ١٢٣] .

وهناك مدارس وضع المعمار مئذنتها على مبنى مجاور ، كما في جامع ومدرسة المؤيد شيخ والذي وضعت مئذنتان من مآذنه الثلاثة فوق برجي باب زويلة[٢] . وقد توضع المئذنة على قاعدة أرضية منفصلة عن كتلة المبنى كما في مدرسة وجامع قراقجا الحسني[٣] [لوحة ١٣١] ، ومدرسة السلطان إينال بالصحراء[٤] [لوحة ١٣٥ ، ١٣٦] .

كما شهدت بعض مدارس ذلك العصر وضع المئذنة في واجهة غير رئيسة للمبنى . مثل مئذنة المدرسة الباسطية والتي وضعت في الركن الشمالي الغربي من المدرسة ، بينما كانت واجهتها الرئيسة هي الواجهة الشرقية[٥] .

وتتكون المئذنة في العصر الجركسي من عدة عناصر هي القاعدة ، ثم الدور الأول والدور الثاني ومن بعده الجوسق ثم الخوذة .

أولاً : القاعدة :

وهي المرتكز الذي تستند عليه المئذنة ، ولذلك حرص المعمار على أن يجعلها مندمجة في كتلة المبنى ، وفي أكثر الأماكن متانة[٦] .

---

(١) عن ذلك انظر ص ٩٣ .

(٢) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ، ص ٣٥ .

(٣) حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ص ٣٨ .

(٤) سامي حسن ، السلطان إينال وآثاره المعمارية ص ٩١ .

(٥) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ص ١٤٩ ، ١٨٨ .

(٦) محمد عبد الستار عثمان ، نظرية الوظيفية ج٢ / ص ٢٤٤ – ٢٤٥ .

وللقاعدة مسقط أفقي مربع الشكل ، يبرز في كثير من الأحيان عن سمت جدار السطح، بحيث لا يتجاوز ارتفاع المدخل المؤدي إلى سلم المئذنة نفسها[1]. كما في مئذنة المدرسة الباسطية[2] ، ومدرسة جوهر اللالا[3] ، ومدرسة قايتباي بالصحراء[4] .

وقد يكون أصغر من ذلك ، بحيث لا يبدو منه سوى جزء بسيط ، مثل مئذنة مدرسة أبي بكر مزهر[5] أو أن يختفي تماماً ويندمج بشكل كامل مع جدار المبنى ، مثل مئذنة المدرسة المحمودية[6] .

وفي غالب الأحوال تكون الأركان العلوية للجزء البارز من هذه القاعدة مشطوفة ، متخذة أشكال هرمية مقلوبة ومنزلقة ، لتحقق الانتقال من الشكل المربع إلى المثمن ، والذي يمثل الشكل الغالب للدور الأول للمئذنة .

الدور الأول :

وهو الذي يعلو القاعدة مباشرة ، وكان يتخذ في مآذن ذلك العصر أشكالاً متعددة ، فمنها الشكل المثمن ، والذي يمثل أكثر النماذج شيوعاً . ومن الأمثلة على ذلك ، مئذنة مدرسة أيتمش البيجاسي [لوحة ٨٩] ومئذنتي

---

(١) مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز ، ص ١٤٨ .

(٢) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ، ص ١٨.

(٣) ليلى الشافعي ، مدرسة جوهر اللالا ص ١٦٧ .

(٤) عن ذلك انظر ص ١٦٦ .

(٥) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ص ٨١ ، عبدالباقي إبراهيم ، صالح لمعي وآخرون ، أسس التصميم المعماري ، لوحة ٤٩/٥ .

(٦) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ١٣٩ .

جامع ومدرسة المؤيد شيخ(١) [لوحة ١١٥] ومئذنتي مدرستي السلطان قايتباي بالصحراء(٢) ، ومكة المكرمة(٣) .

ومن هذه الأشكال أن يكون بدن الدور الأول سداسياً كما في مئذنة مدرسة قاني باي المحمدي(٤) [لوحة ١٠٤] أو أن يكون مربعا، كما في مئذنتي مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق(٥) ، ومئذنة مدرسة تغري بردى [لوحة ١٢٧] ومئذنة مدرسة الغوري(٦) . وقد يكون اسطوانياً أملساً ، كما في مئذنة المدرسة المحمودية(٧) .

وهناك مآذن ، يكون دورها الأول ذي ارتفاع بسيط جداً ، حتى أنه يبدو على شكل عنق قصيرة ، يتم من خلالها الانتقال من القاعدة المربعة إلى الشكل الاسطواني في الدورة الثانية ، كما في مئذنة مدرسة قايتباي بالكبش(٨) .

وينتهي هذا الدوربشرفة تقوم على صفوف من المقرنصات .

الدور الثاني :

ويصعد هذا الدور من فوق الشرفة السابقة . وفي معظم النماذج يكون البدن هنا مستديراً ، كما في مئذنتي مدرسة فرج بن برقوق

(١) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ، ص ٣٥ – ٣٦

(٢) عن ذلك انظر ص ١٦٧ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٢٦٨ .

(٤) فهمي عبد العليم ، العمارة الإسلامية في عصر السلطان المؤيد شيخ ص ١٢٩ .

(٥) عن ذلك انظر ص ٩٣ .

(٦) محمد فهيم ، مدرسة السلطان الغوري ص ٩١ ، صالح لمعي ، التراث المعماري ، لوحة ٨٩ .

(٧) علي الطايش ، العمائر الجركسية ص ١٣٩ .

(٨) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ص ٢٦٨، صالح لمعي ، التراث المعماري، لوحة ٨٧ .

بالصحراء[١] . ومئذنتي جامع ومدرسة المؤيد شيخ[٢] [لوحة ١١٥] ومئذنة مدرسة قايتباي بالصحراء[٣] .

وقد تكون هذه الاستدارة متكونة نتيجة لزيادة في عدد أضلاع الدور ، فتتخذ الشكل المستدير تبعاً لذلك ، مثل مئذنة كل من المدرسة المحمودية[٤] ومدرسة قايتباي بمكة المكرمة[٥] ، أو أن يكون البدن مستديراً أملساً كما في مئذنة مدرسة قايتباي بالروضة[٦] [لوحة ١٥٦] وهناك مآذن اتخذ دورها الثاني شكلاً مثمناً ، مثل مئذنة المدرسة الباسطية[٧] [لوحة ١٠٨] . ومئذنة مدرسة أبو بكر مزهر[٨] [لوحة ١٤٤] .

وظهرت مآذن أواخر العصر الجركسي ، كان مسقط دورها الثاني مربعاً مثل مئذنة كل من مدرستي قاني باي الرماح بالقلعة[٩] والناصرية[١٠] ، ومدرسة قانصوه الغوري[١١] .

وكان يتوج هذا الدور من الأعلى شرفة تقوم على صفوف من المقرنصات.

---

(١) عن ذلك انظر ص ٩٣ .

(٢) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ، ص ٣٦ .

(٣) عن ذلك انظر ص ١٦٧ .

(٤) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٣٤٨ .

(٥) عن ذلك انظر ص ٢٦٩ .

(٦) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ، ص ٣٧٠ .

(٧) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ص ١٨٨.

(٨) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ٨٢ .

(٩) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج ٤ / ص ٣٢٠ . صالح لمعي ، التراث المعماري، لوحة ٨٨ .

(١٠) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج ٤ / ص ٣٢٨ .

(١١) المرجع السابق نفسه ج ٤/ ص ٣٠٥ - ٣٠٦، محمد فهيم، مدرسة السلطان قانصوه الغوري، ص ٩١.

الجوســـق :

هـو عبارة عن بدن مفرغ ، يتكون في الغالب من أعمدة رخامية ، قد يصل عددها إلى ثمانية أعمدة ، كما في مئذنة مدرسة محمود الأستادار [لوحة ٩٨] وفي مئذنتي مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق بالصحراء(١) . ومئذنتي جامع ومدرسة المؤيد شيخ(٢) [لوحة ١١٥] ، ومئذنة مدرسة القاضي يحيى(٣) [لوحة ١٣٢] . وقد يصل عددها إلى ستة أعمدة كما في مئذنة مدرسة قايتباي بمكة المكرمة(٤) .

وقد يتكـون الجـوسق من وحـدات حاملة مكونة من عدد من الأعمدة المندمجة ، كما في مئذنـة مدرسة قايتباي بالكبش حيث يتكون جوسقها من أربعة وحدات كل منها به ثلاثة أعمدة مندمجـة(٥) .

وشهد أواخر العصر الجركسي بناء دور في قمم المآذن بدلاً من الجوسق، كما في مئذنتي مدرستي قاني باي الرماح بالقلعة والناصرية(٦) ، ومئذنة مدرسة الغوري(٧) .

ويعلو الجوسق شرفة منخفضة ، ومن فوقها تأتي قمة المئذنة وهي عبارة عن خوذة كمثرية الشكل ، كما في النماذج السابقة .

(١) عن ذلك انظر ص ١٠١ .

(٢) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج٤ / ص ١٠٠ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ج٤ / ص ١٥٣ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٢٧٠ .

(٥) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ص ٢٦٩ .

(٦) سامي أحمد ، آثار الأمير قاني باي الرماح بالقاهرة ص ١٥٩ .

(٧) سعاد ماهر، مساجد مصر ج ٤ / ص ٣٠٦، محمد فهيم ، مدرسة السلطان قانصوه الغوري ص ٩١ ، صالح لمعي ، التراث المعماري لوحة ٨٩ .

ولقد شهد أواخر العصر الجركسي ظهور مآذن لها أكثر من قمة ، حيث ظهرت مآذن لها خوذتان كما في مئذنتي قاني باي الرماح السابقتين[1]. وأنشئت مآذن لها أربعة خوذات كما في مئذنة مدرسة الغوري السابقة[2] .

وكانت المآذن تبنى في العصر الجركسي بالحجارة باستثناء بعضها ، والذي بني بالآجر مثل مئذنة مدرسة جاني بك الأشرفي[3] .

وكان تعدد أدوار المآذن وشرفاتها يتلاءم مع ما شاع في ذلك العصر من تعدد المؤذنين في المئذنة الواحدة ، بحيث يمكن إعلان الأذان من أكثر من مستوى ، وفي أكثر من اتجاه بهدف إيصاله لأكبر عدد من المصلين .

وهذا الأسلوب من الأذان كان يعرف « بالآذان السلطاني » لأنه ظهر في مآذن من إنشاء السلاطين[4] .

وكانت الوظيفة الأساسية للمئذنة في ذلك العصر ، الاعلان عن مواقيت الصلوات كالجمع والجماعات وغيرها[5] .

---

(١) سامي أحمد ، آثار الأمير قاني باي الرماح بالقاهرة ص ١٥٩ .

(٢) محمد فهيم ، مدرسة السلطان قانصوه الغوري ، ص ٩١ .

(٣) محمد عبد الستار عثمان ، نظرية الوظيفية ج٢ /ص ٢٥٠ .

(٤) المرجع السابق نفسه ج٢ / ص ٢٥٤ .

(٥) حجة وقف الظاهر برقوق برقم ١٥١ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

حجة وقف الأمير قجماس الاسحاقي برقم ٨٦٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

الثالث عشر : الميـضأة :

يطلق اللفظ على الأماكن التي تخصص للوضوء والتطهر في منشآت العبادة والتعليم[1] .

ولا تكاد تخلو مدرسة من المدارس في مصر من وجود الميضأة[2] .

كذلك عرفت المدارس الحجازية وجود هذه الوحدة المعمارية ، كما في مدرستي الباسطية[3] ، وقايتباي بمكة المكرمة[4] ، رغم أنها لم تكن تؤدي صلاة الجمع والجماعات فيها كمثيلاتها في مصر . وبالتالي فإن وجود الميضأة في هذه المدارس نابع من حاجة حلقات العلم إلى الوضوء والطهارة . لما يتم فيها من لمس للمصاحف وذكر لآيات القرآن الكريم ، ورواية لأحاديث الرسول ﷺ .

وتختلف أحجام وإمكانات كل ميضأة من مدرسة لأخرى ، وبحسب حجم كل منها ومدى امكانياتها ، فإذا كانت المدرسة كبيرة كان عدد المراحيض بميَضأتها كبيراً ، مثل المدرسة البرقوقية والتي كان بميَضأتها ستة عشر مرحاضاً[5] . ومدرسة برسباي بالاشرفية والتي كان بميَضأتها خمسة عشر مرحاضاً[6] . أما إذا كانت المدرسة صغيرة فإن مراحيض ميضأتها يكون صغيراً كما في مدرسة جوهر اللالا والتي بلغ عدد مراحيض ميضأتها

---

(١) محمد أمين ، ليلى ابراهيم ، المصطلحات المعمارية ص ١١٨ .

(٢) محمد عبدالستار عثمان ، نظرية الوظيفية ج٢ / ص ٣١٣ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٢٠٠ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٢٦٦ .

(٥) حجة وقف الظاهر برقوق برقم ١٥١ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٦) عن ذلك انظر ص ١٢٤ .

ثلاثـــة[١] ، والمدرسة الباسطية بمكة المكرمة والتي كان بميضأتها ما بين ثلاثة إلى أربعة مراحيض[٢] .

ويغلب على المدارس في مصر أن توضع ميضأتها جنوبي المبنى كما في مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق بالصحراء[٣] ومدرسة برسباي بالأشرفية[٤]. ومدرسة الجمالي يوسف[٥] . واتخاذ هذا الموقع مرتبط باتجاهات تيارات الهواء في مصر . حيث أنها تكون دائماً شمالية وشمالية غربية ، وبالتالي فإن الروائح الكريهة والتي تنبعث من المراحيض سوف تدفع جنوباً عن المبنى[٦] .

بيد أن وضع الميضأة جنوبي المنشأة لم يكن متبعاً في جميع العمائر ، إذ وضعت ميضأة مدرسة قايتباي بالصحراء ، شرقي مبناها[٧] ، بينما اتخذت ميضأة مدرسة قجماس الاسحاقي الجانب الشمالي منها[٨] .

وقد توضع الميضأة ضمن كتلة المبنى كما في مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق[٩] ، ومدرسة الأمير عبدالغني الفخري[١٠] ، ومدرستي الباسطية[١١] وقايتباي بمكة المكرمة[١٢] .

(١) حجة وقف الأمير جوهر اللالا برقم ١٠٢١ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٢) عن ذلك انظر ص ٢٠٠ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٩٢ .

(٤) عن ذلك انظر ص ١٢٤ .

(٥) حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ، ص ٨٣ .

(٦) عرفان سامي ، نظريات العمارة ، القاهرة ، ص ٢٣ .

(٧) عن ذلك انظر ص ١٦٦ .

(٨) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ، ص ١٩٩ .

(٩) عن ذلك انظر ص ٩٢ .

(١٠) محمد الكحلاوي ، مدرسة الأمير عبدالغني الفخري ص ٥٨ .

(١١) عن ذلك انظر ص ٢٠٠ .

(١٢) عن ذلك انظر ص ٢٦٦ .

وقـد تفصل الميضأة عـن كتلة المبـنى فيكـون بينهـما شـارع ، كما في مدرسة سودون من زاده[1] ، ومدرسة قايتباي بالصحراء[2] .

وهناك مدارس فصلت الميضأة عن مبناها ولكن وصل فيما بينهما بممر « ساباط » يعلو الشارع ، كما في مدرسة جمال الدين يوسف الاستدار[3] ومدرسة قجماس الاسحاقي[4] .

وتنقسم كتلة الميضأة إلى قسمين رئيسيين :

الأول : وهـو الفسقية ، وهي عبارة عـن حـوض مـاء[5] . بـه صنابير « بزابيز » وحوله كراسي لجلوس المتوضئين[6] ، وكانت توضع في باديء الأمر في صحـن المدرسة حيث ورد فـي حجة وقف مدرسة سودون من زاده أن بصحنها « .. فسقية كبرى مثمنة .. »[7] وورد في حجة وقف جامع ومدرسة المؤيد شيخ أن بصحنه « ...فسقية برسم الماء ... »[8] .

وقد يكون للمدرسة فسقية في صحنها وأخرى بجوار المراحيض كما في مدرسة جمال الدين يوسف الاستدار[9] . ثم جرى بعد ذلك نقل الفسقية بجوار المراحيض ، فوضعت في وسط رحبتها . إذ تذكر حجة وقف مدرسة الأمير

---

(١) حسني نويصر ، مدرسة جركسية على نمط المساجد الجامعة ص ٣٦ .

(٢) عن ذلك انظر ص ١٦٦ .

(٣) محمد عبدالستار عثمان ، وثيقة جمال الدين الاستدار ص ٩٩ .

(٤) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ، ص ١٩٨ ـ ١٩٩ .

(٥) محمد أمين ، ليلى ابراهيم ، المصطلحات المعمارية ص ٨٥ .

(٦) محمد عبد الستار عثمان ، نظرية الوظيفية ج ٢ / ص ٣١٧ .

(٧) حجة وقف الأمير سودون من زاده برقم ٥٨ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٨) حجة وقف السلطان المؤيد شيخ برقم ٩٣٨ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٩) حجة وقف الأمير جمال الدين يوسف الاستادار برقم ١٠٦ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

قرقماس أنه يوجد «...بوسط الميضأة المذكورة فسقية ... »[1] . وقد توضع بجوار المراحيض . كما في المدرسة الباسطية بمكة المكرمة[2] .

ومن الواضح أن نقل الفسقية من الصحن إلى جوار المراحيض سببه ما حدث من تصغير لمساحات الصحون بالمدارس ، فأضحت غير قادرة على استيعابها ، مما دفع المعمار نحو وضعها في موضع آخر ، فكان بجوار المراحيض .

واتخذت الفسقية أشكالاً مختلفة مثل المربع والمستطيل والمثمن والدائري ، وكان يجري تغطيتها بأسقف خشبية في معظم الحالات[3] .

أما القسم الثاني من أقسام الميضأة فهو المراحيض وواحدها عبارة عن خلوة صغيرة لها باب خشبي من مصراع واحد . وبداخلها الكرسي ، وحوض حجري لحفظ الماء[4] وكانت بعض هذه الخلاوي تزود بأحواض ماء كبيرة وتستخدم للاستحمام وتعرف « بالمستحم » أو « الطهر »[5] .

وللميضأة في مدارس ذلك العصر وظائف أساسية متعددة ، فهي موضع للطهارة والوضوء ، ومكان قضاء الحاجات وإزالة الضرورات[6] .

---

(١) حجة وقف الأمير قرقماس برقم ٩٠١ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٢) عن ذلك انظر ص ٢٠٠ .

(٣) محمد عبدالستار عثمان ، نظرية الوظيفية ج٢ / ص ٣١٨ .

(٤) حجة وقف الظاهر برقوق برقم ١٥١ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة . حجة وقف الأمير زين الدين يحيى برقم ١١٠ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٥) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٦) حجة وقف الأمير سودون من زاده برقم ٥٨ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

سحجة وقف الأمير كافور الزمام برقم ٧٦ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

الرابع عشر : الحواصـــــل :

ويقصد بالحاصل ، في عمارة المماليك ، المكان الذي تحفظ فيه الأشياء ، ولقد استخدمت المدارس الجركسية هذا النوع من الوحدات المعمارية لتحفظ فيها أدوات المدرسة ومقتنياتها ، وعادة ما توضع الحواصل أسفل المدرسة . فكانت توضع في بعض المدارس الحجازية تحت مستوى الأرض ، كما في المدرسة العطيفية بمكة المكرمة ، والتي كان حاصلها يقع أسفل قاعتها مما يلي المسجد الحرام[(١)] ، وفي مدرسة قايتباي بمكة المكرمة والتي كانت حواصلها تقع تحت المستوى الأرضي أسفل المدرسة[(٢)] .

أما في المدارس في مصر فإنها تكون أسفل المدرسة فوق مستوى الأرض ، لأن الكثير من مدارس الجركسية هناك ، يكون مستوى أرضيتها مرتفعاً عن المستوى الأرضي « معلقة » بما يكفي لبناء حوانيت في الجزء السفلي من واجهاتها ، بالإضافة إلى الحواصل أسفل منها ، كما في مدرسة قجماس الاسحاقي[(٣)] أو يكتفي ببناء الحواصل دون الحوانيت كما في مدرسة قايتباي بالصحراء .

وقد توضع هذه الحواصل في الطابق الأرضي من المبنى ففي مدرسة الظاهر برقوق كان بطابقها الأرضي سبعة حواصل « ... أحدها بدهليز المدرسة والثاني بالنقل المتوصل منه إلى الميضأة والخمسة الباقية تحت بيوت

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى ج ٤/ ص ٣٧٢ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٢٦٥ .

(٣) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ، ص ٩٢ ، ٩٤ .

الطلبة ... »[١] . وكان حاصل المدرسة الباسطية بمكة المكرمة ، يقع في الجانب الشمالي والشرقي من طابقها الأرضي[٢] .

وهذه الحواصل إما أن تكون عبارة عن خلاوي صغيرة كما في مدرستي قايتباي بالصحراء[٣] ومكة المكرمة[٤] . أو أن تكون عبارة عن بناء كبير المساحة كما في مدرستي الباسطية[٥] والعطيفية بمكة المكرمة[٦] .

---

(١) حجة وقف السلطان الظاهر برقوق برقم ١٥١ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) عن ذلك انظر ص ٢٠٠ .

(٣) عن ذلك انظر ص ١٦٦ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٢٦٥ .

(٥) عن ذلك انظر ص ٢٠٠ .

(٦) ابن فهد ، اتحاف الورى ، ج ٤ / ص ٣٧٢ .

الفصل الثالث

العناصر المعمارية والزخرفية

أولاً : العناصر المعمارية .

ثانياً : العناصر الزخرفية .

اشتملت عمائر المسلمين على عناصر معمارية وزخرفية متعددة ، ولقد بلغت هذه العناصر في العصر الجركسي مرحلة متقدمة من النضج والتطور ، لتدل على المقدرة الرفيعة التي بلغها المعمار والصانع في ذلك العصر . ففيها ترى روح الإبداّع ، والرغبة الصادقة في الدقة والاتقان .

أولاً : العناصر المعمارية :

تعددت عناصر العمارة في منشآت العصر الجركسي ، كما تنوعت استخداماتها ما بين الوظيفية الانشائية ، أو الجمالية الزخرفة ، أو كلاهما معاً . ومن أبرز العناصر المعمارية التي تعود لذلك العصر العناصر التالية :

أولاً : المداميك الملونة :

وهي عبارة عن حجارة مهذبة وملونة وتتناوب فيها الألوان بشكل خاص[١] .

وللبناء بالمداميك الملونة وظيفة انشائية[٢] ، لأن استخدام خامتين ـ كنوعين من الحجارة ـ في البناء يزيده قوة ومتانة[٣] ، علاوة على أن استخدامها يضفي جمالاً على البناء « ... تلفت النظر إليها ، وتشد الانتباه بسبب أحجاره المشهرة المتباينة اللون ... »[٤] فتعطي الناظر راحة نفسية ، وتكسب واجهة المبنى إتجاهاً عرضياً أمام امتدادها الرأسي[٥] .

(١) محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ٣٣ ، عبد الرحيم غالب ، موسوعة العمارة ص ٢١ ، ثروت عكاشة ، القيم الجمالية في العمارة الاسلامية ، ص ١٢٩ .

(٢) المرجع السابق نفسه ص ١٣٠ ، سامي عبد الحليم ، الحجر المشهر « حلية معمارية » بمنشآت المماليك فى القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ص ٢٠ .

(٣) مختار الكسياني ، جامع الأمير تمراز ، ص ٢١١ .

(٤) سامي عبد الحليم ، الحجر المشهر ص ١٨٠ .

(٥) جمال عبد الرحيم ، الحليات المعمارية ص ٣٧ .

ولقد عُرِف استخدام المداميك الملونة في البناء منذ ما قبل الإسلام[١] ، ودخل إلى العمارة الإسلامية منذ العصر الأموي[٢] ، ثم أخذ بالانتشار فشاع استعماله في عصر المماليك ، وأضحى في عمائر الجراكسة من واجبات البناء التي لا غنى عنها[٣] . فيمكن مشاهدتها على أجزاء كثيرة منها . حيث أنشئت بها واجهات المباني ، كما في واجهة خانقاه ومدرسة الظاهر برقوق [لوحة ٩٢] وواجهة المدرسة الباسطية بالمدينة المنورة[٤] ، وواجهة مدرسة قايتباي بالصحراء[٥] .

واستخدمت المداميك الملونة أيضًا في عمارة المداخل كما في مدخلي مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق بالصحراء[٦] ومدخل جامع المؤيد شيخ[٧] ومدخل مدرسة تغري بردى [لوحة ١٢٨] ومدخل مدرسة قايتباي بمكة المكرمة[٨] .

وقد تكسى هذه المداميك بالرخام الملون لكي تكتسب الألوان مظهراً أشد بريقاً وجمالاً ، وهو أسلوب اتبع على مدخل مدرسة قايتباي بالصحراء[٩]، وعلى

(١) عرفت المداميك الملونة في العمارة في باديء الأمر في شمال الجزيرة العربية ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى بلاد الشام ومصر ، سامي عبد الحليم ، الحجر المشهر ، ص ٢٠ – ٢٣ ، عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الإسلامية ، ص ٢١ – ٢٢ ، فريد شافعي ، العمارة العربية بمصر ، ج ١/ ص٢١١ ، ثروت عكاشة ، القيم الجمالية في العمارة الاسلامية ص ١٣٠ .

(٢) سامي عبد الحليم ، الحجر المشهر ص ٢٦ .

(٣) ثروت عكاشة ، القيم الجمالية في العمارة الاسلامية ص ١٣٠ ، جمال عبد الرحيم ، الحليات المعمارية ص ٤١ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٢١٥ .

(٥) عن ذلك انظر ص ١٤٣ .

(٦) عن ذلك انظر ص ٧٩ .

(٧) فتحي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ، ص ٢٧ .

(٨) عن ذلك انظر ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ .

(٩) عن ذلك انظر ص ١٤٦ .

باب السلام في عمارة قايتباي للحرم النبوي الشريف[1] ، وعلى المدخل الرئيسي لمسجد الخيف[2] .

ولم يقتصر استخدام المداميك الملونة على الواجهات الخارجية وإنما ظهرت أيضاً داخل العمائر الدينية ، فيشاهد هذا الأسلوب على واجهات الدخلات الأربع التي بها فتحات الأبواب المطلة على صحن مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق بالصحراء[3] .

وفي الواجهة المطلة على الصحن في جامع ومدرسة المؤيد شيخ [لوحة ١١٨] وفي الواجهات الداخلية المطلة على الصحن في مدرسة قجماس الاسحاقي[4] [لوحة ١٥٢] ، وشغلت المداميك الملونة الجدران الداخلية للأروقة والأواوين ، كما في المدرسة الباسطية[5] ، وفي مدرسة أبي بكر مزهر[6] .

وكانت صنج العقود تبنى من مداميك ملونة أيضاً كما في صنج عقود بائكتي الرواق الجنوبي الشرقي « القبلي » لمدرسة وخانقاه الظاهر برقوق[7]، وفي العقود المكونة لبوائك الأروقة في مدرسة وخانقاه الناصر فرج بالصحراء[8] .

---

(١) السمهودي ، وفاء الوفاء ج ٢ / ص ٦٤١، محمد الشهري، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي ، ص ٣٦٧ .

(٢) ابن فهد ، اتحاف الورى ج ٤ ص ٥١١ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٨٥ ـ ٨٦ .

(٤) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ص ١٢٨ .

(٥) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ص ١٤٧ ـ ١٤٨ .

(٦) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ٩٠ .

(٧) سامي عبد الحليم ، الحجر المشهر ، ص ٤٥ .

(٨) عن ذلك انظر ص ٨٤ .

وأنشئت بعض الأسقف الحجرية وفق هذا الأسلوب المعماري ، حيث استخدمت الداميك الملونة في عمارة سقفي الايوانين الجنوبي الشرقي « القبلي » ، والشمالي الغربي « البحري » لمدرسة قاني باي الرماح بالقلعة . فكان يعلو الأول قبة ضحلة بينما يعلو الثاني قبو متقاطع(١) . ومن هذه المداميك الملونة أنشئت مئذنة هذه المدرسة أيضاً(٢) .

ومن المواضع البارزة في العمائر ويظهر فيها عنصر المداميك الملونة ، محاريب بعض المدارس ، مثل محرابي مدرسة قايتباي بالصحراء والمنيل حيث نصت حجة وقفهما على أن لمحراب الأولى واجهة ذات مداميك ملونة وللثانية محراب « ... معقود بالحجر الأبيض والأحمر ... »(٣) .

وكانت المداميك توضع في شكل صفوف أفقية بالتناوب ، كما في الواجهات الجدارية سابقة الذكر ، أو توضع بالتبادل بجوار بعضها البعض . ويرى ذلك في العقود المذكورة آنفاً ، بيد أنها في نماذج قليلة توضع في توزيع يماثل رقعة الشطرنج ، مثل الجدران الداخلية لأواوين المدرسة الباسطية(٤) وفي واجهات الطابق العلوي لمئذنة مدرسة قانصوه الغوري(٥) .

وتنقسم المداميك الملونة في عمائر العصر الجركسي إلى نوعين هما :

---

(١) سامي عبد الحليم ، آثار الأمير قاني باي الرماح بالقاهرة ، ص ١٢٨ ، ١٣٤ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ١٧٠ .

(٣) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٤) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ص ١٤٨ ، هامش «١» .

(٥) محمد فهيم ، مدرسة السلطان قانصوه الغوري ص ٩١ .

أ ـ الأبلــــق : والمقصود به في اللغة[١] والوثائق[٢] ، البناء بالسواد والبياض ، ومن أبرز الأمثلة على ذلك ، مدخل مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق [لوحة ٩٣] ومدخل مسجد فرج بن برقوق « زاوية الدهيشة » بالإضافة إلى أجزاء من واجهته الشرقية [لوحة ١٠٠] . وعلى باب السلام في المسجد النبوي في عمارة قايتباي[٣] . وفي عقود الايوانات الداخلية لمدرسة قرقماس بالصحراء[٤] .

وكان في معظم الأحوال يتم استعمال الأبلق عن طريق القطـع الرخامية الملبسة ، وبخاصة على المداخل والعقود بأنواعـــها[٥] .

ب ـ المشهر : وهو في اللغة وضوح الشيء وإظهاره[٦] . ويطلق في الوثائق على المداميك التي تبنى بثلاثة ألوان أو بلونين ، مثل الأصفر والأحمر

---

(١) الزبيدي ، تاج العروس ج ٦ / ص ٣٩٨ .

(٢) حجة وقف السلطان فرج بن برقوق برقم ٦٦ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

حجة وقف الأمير كافور الزمام ٧٦ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

حجة وقف القاضي زين الدين يحيى برقم ١١٠ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٣) السمهودي ، وفاء الوفاء ج٢ / ص ٦٤١ ، محمد الشهري ، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي ص ٣٦٧ .

(٤) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ .

(٥) جمال عبد الرحيم ، الحليات المعمارية ص ٣٧ .

(٦) الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٣ / ص ٣٢٠ ـ ٣٢١ ، محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ٣٣ .

والأسود أو الأبيض والأحمر[١] ، أو الأبيض والأصفر[٢] ، وقد يطلق في حالات قليلة على الأبيض والأسود[٣] . مما يشير إلى أن مصطلح المشهر أكثر شمولية من الأبلق[٤] . لأنه يطلق على المداميك ذات اللونين والأكثر من ذلك .

ومن الأمثلة على استخدام المشهر بأكثر من لونين في عمائر ذلك العصر، مدرسة فيروز الساقي والتي أنشئت واجهتها وحليات مدخلها بالألوان الأصفر والأحمر والأسود[٣] [لوحة ١٢٣] . ومدخل مدرسة قايتباي بمكة المكرمة والذي بنيت طاقيته بأربعة ألوان ، وهي الأصفر والأحمر والأسود والرمادي[٤] .

أما المشهرة بلونين ، فيشاهد باللونين الأبيض والأحمر على مدخل مدرسة إينال اليوسفي[٥] [لوحة ٩٦] وعلى الواجهة الرئيسة لمدرستي عبدالغني الفخري[٦] [لوحة ١٠٥] وجوهــر اللالا [لوحة ١٢٥] بالإضافــة إلى عقود إيواني الأخيرة وسدلتيها[٧] . أما بالنسبة للونين الأبيض والأصفر ، فيظهر على واجهة مدخل مسجد الخيف ، حيث ذكر ابن فهد أن هذا المدخل له واجهة « ... معقودة بالرخام الأصفر المشهر بالرخام الأبيض .. »[٨] .

---

(١) حجة وقف السلطان المؤيد شيخ برقم ٩٣٨ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .
حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .
حجة وقف الأمير قاني باي الرماح برقم ١٠١٩ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) ابن فهد ، إتحاف الورى ج ٤ / ص ٥١١ .

(٣) جمال عبد الرحيم ، الحليات المعمارية ص ٢٤ .

(٤) ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ .

(٥) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٥٠ ، وانظر هامش « ١ » من نفس الصفحة .

(٦) محمد الكحلاوي ، مدرسة الأمير عبدالرحمن الفخري ص ١١١ .

(٧) ليلى الشافعي ، مدرسة جوهر اللالا ص ١٠٥ – ١٢٨ .

(٨) ابن فهد ، اتحاف الورى ج ٤ / ص ٥١١ .

ومن الأمثلة على المشهر بالأصفر والأحمر صنجات عقدي مدرسة إينال اليوسفي[١] [لوحة ٩٧] ، وواجهة مدخلي مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق بالصحراء ، وبدخلات فتحات الأبواب الأربعة المطلة على صحنها[٢] . وعلى واجهتي مدرسة قايتباي بالكبش[٣] ، وبصنجات العقود الداخلية لمدرسة قانصوه الغوري[٤] .

ويعد اللونان الأحمر والأسود أقل الأنواع استخداماً ويمكن رؤيتهما في صنجات عقود إيواني وسدلتي السلطان إينال بالصحراء [لوحة ١٣٧] . وعلى الرغم من أن المداميك المشهرة ، كانت تبنى من الحجر الفص النحيت[٥] إلا أنه قد يستعمل فيها التكسيات الرخامية ، كما مر معنا في عمارة عقد مدخل مسجد الخيف بمنى .

ثانياً - الدخلات :

وهي عبارة عن ارتدادات في سمت جدران العمائر الهدف منها تقليل سماكتها[٦] . لأن الجدران إذا امتدت لمسافات طويلة يتزايد ثقلها بطريقة تؤدي إلى سقوطها ما لم يخفف هذا الثقل عن طريق إيجاد هذه الدخلات[٧] .

---

(١) علي الطايش ، العمائر الجركسية ص ٦٧ ، ٧٦ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٨٥ ـ ٨٦ .

(٣) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ص ١١٦ .

(٤) محمد فهيم ، مدرسة السلطان قانصوه الغوري ، ص ١٠٧ ، وزارة الأوقاف ، مساجد مصر ، ج ٢ لوحة ١٤٦ .

(٥) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ص ٤٤ .

(٦) المرجع السابق نفسه ص ١٣ .

(٧) محمد عبدالستار عثمان ، أضواء على أهمية الانشاء في تاريخ العمارة الاسلامية ، ص ٢٤٠ .

وقد تمكن المعمار من الاستفادة منها أيضاً في إيجاد نوافذ للإضاءة والتهوية[١] ، وجعل من الداخلية منها خزانات وكتبيات تحفظ بها أدوات المدرسة ومقتنياتها المختلفة[٢] .

وعرفت الدخلات في العمارة منذ ما قبل الإسلام[٣] ، وبدأ استخدامها على العمائر عند المسلمين منذ العصر العباسي[٤] ، ومن ثم شاعت في عصر المماليك[٥] ، وبخاصة في العصر الجركسي حيث أضحت الدخلات متوافرة فى وحدات المدرسة المختلفة ، أبرزها الواجهات ؛ فأضحى من الشائع استخدام الدخلات على واجهات المباني الدينية بمصر .

ومن الأمثلة على ذلك الواجهتين الجنوبية الشرقية «القبلية» والشمالية الغربية « البحرية » لمدرسة وخانقاه فرج بن برقوق بالصحراء[٦] . وعلى الواجهة الرئيسة « الجنوبية الشرقية » لجامع ومدرسة المؤيد شيخ[٧] [لوحة ١١٤] وكذلك في مدرسة برسباي بالأشرفية[٨] .

وإذا كان هذا حال واجهات المباني في مصر ، فإنها في الحجاز كانت تخلو من هذه الدخلات إذ لا يتوفر ما يشير إلى وجودها على واجهات المدارس

(١) جمال عبد الرحيم ، الحليات المعمارية ص ١٣ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ص ٩٣ .

(٣) فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر ، ج ١ / ١٦٩٣ .

(٤) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ص ١٦ .

(٥) صالح لمعي ، التراث المعماري ص ٣٧، شاهنده فهمي، جوامع ومساجد أمراء السلطان الناصر محمد ، ص ٣١٧ ، وعن استخدام الدخلات في العمارة الفاطمية ، انظر أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ج ١ / ص ٢٠٣ – ٢٠٤ .

(٦) عن ذلك انظر ص ٧١ ، ٧٦ .

(٧) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ص ٢٧ .

(٨) عن ذلك انظر ص ١١٤ .

الحجازية ، كمدرستي الباسطية بمكة المكرمة[١] . والمدينة المنورة باستثناء سبيلها[٥] . ومدرسة قايتباي بمكة المكرمة[٣] . كما أنها لا تظهر على واجهات مسجد الخيف بمنى [لوحة ١٤٠][٤] .

ومن الواضح أن المعمار استعاظ عن هذه الدخلات بإيجاد نوافذ كبيرة تتخلل الجدران ، فقد زودت جدران المسجد النبوي الشريف في عمارة قايتباي بنتوافذ علوية تشبه الأبواب في اتساعها[٥] .

وتميزت دخلات واجهات المدارس المصرية ، أنها ترتفع بارتفاع الواجهة تقريباً . وكانت النوافذ تتوزع فيها على أكثر من مستوى ، حيث تصل إلى أكثر من ثلاثة مستويات ، كما في الواجهة الرئيسة لمدرسة عبدالغني الفخري[٦] [لوحة ١٠٥] ، وقد تصل إلى مستويين كما في معظم مدارس ذلك العصر ، ويشاهد في الواجهة الرئيسة لمدرسة وخانقاه الظاهر برقوق [لوحة ٩٢] ، وفي الواجهتين القبلية والبحرية لمدرسة وخانقاه فرج بن برقوق بالصحراء[٧] ومدرسة وجامع جاني بك[٨] [لوحة ١٢٤] . وفي الواجهة الرئيسة لمدرسة قجماس الأسحاقي[٩] .

---

(١) عن ذلك انظر ص ١٨٣ ـ ١٨٧ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٢١٠ – ٢١٧ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٢٣٩ – ٢٤٩ .

(٤) ويتضح من هذه اللوحة أن المعمار قام يدعم الجدران بتزويدها بأبراج صغيرة . تضمن تماسكها وقوتها ، وتمنعها من السقوط ، نتيجة امتدادها لمسافات طويلة .

(٥) السمهودي ، وفاء الوفاء ج ٢ / ص ٦٤٢ .

(٦) محمد الكحلاوي ، مدرسة الأمير عبد الغني الفخري ، ص ٢٦-٢٩.

(٧) عن ذلك انظر ص ٧١ – ٧٢ ، ٧٦ – ٧٧ .

(٨) محمد عبدالرحمن فهمي ، جامع جاني بك ، لوحة ١ – ٣ ، شكل « ١ » .

(٩) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ص ٩٢ .

ووجدت الدخلات أيضاً على الجدران الخارجية للمدارس ، ضمن حجور بعض المداخل ، فوضعت فيها فتحات الشبابيك التي تعلو فتحات الأبواب[١] .

ووجدت الدخلات أيضاً على جدران المآذن الجركسية، سواء في مصر والحجاز. ففي الدورة الأولى زودت معظم هذه المآذن بدخلات يتخللها جميعاً نوافذ ، إذا كان بدن هذه الدورة مربعاً ، كما في مئذنتي مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق بالصحراء[٢] . ومئذنة مدرسة تغري بردى [لوحة ١٢٧] ومئذنة قايتباي بالمسجد النبوي الشريف [لوحة ١٥٤] ، ومئذنة مدرسة السلطان قانصوه الغوري[٣] .

وقد تكون بعض هذه الدخلات صماء ، وبالبعض الآخر نوافذ إذا كان البدن مثمناً كما في مئذنتي جامع ومدرسة المؤيد شيخ[٤] [لوحة ١١٥] ومئذنة مدرسة السلطان إينال بالصحراء[٥] [لوحة ١٣٦] ومئذنة مسجد الخيف بمنى[٦] [لوحة ١٤٠] ومئذنة مدرسة أبي بكر مزهر[٧] [لوحة ١٤٤] . وقد يكون في هذه الدورة مستويين من الدخلات ، والمثال الوحيد في المدارس مئذنة مدرسة قايتباي بمكة المكرمة والتي بها مستويين من الدخلات السفلية منها عبارة عن دخلات مسمطة ترتفع إلى مستوى نصف الدورة . والثانية تعلو السفلية مباشرة وهي دخلات صغيرة يتخللها قنديلات بسيطة منها المسمطة ومنها المفتوحة[٨] .

(١) عن ذلك انظر ص ٣٤٧ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٩٣ .

(٣) محمد فهيم ، مدرسة السلطان قانصوه الغوري ص ١١٣ .

(٤) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ، ص ٣١ .

(٥) سامي حسن ، السلطان إينال وآثاره المعمارية ص ٩٥ .

(٦) ويلاحظ من خلال اللوحة أن الجزء العلوي من المئذنة كامل الاستدارة ، ويشبه الطراز العثماني مما يرجح أنه من تجديدات تلك الفترة .

(٧) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ٨١ ــ ٨٢ .

(٨) عن ذلك انظر ص ٢٦٨ ــ ٢٦٩ .

أما بالنسبة لوجود الدخلات داخل العمائر الدينية وبخاصة في المدارس ، فإنها توزعت في كافة أرجائها . فمن ذلك وضعها في الجدران المطلة على الصحن وتتخللها فتحات الأبواب ـ كما في مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق بالصحراء(١) . وفي مدرسة برسباي بالأشرفية(٢) . وتوضع هذه الدخلات في جدران الأروقة وعلى الأخص تلك التي تتخللها فتحات الشبابيك وتطل على واجهات المبنى ، كما في الرواقين الجنوبي الشرقي « القبلي » ، والشمالي الغربي « البحري » لمدرسة وخانقاه فرج بن برقوق السابقة(٣) . وفي الرواق الجنوبي الشرقي « القبلي » لجامع ومدرسة المؤيد شيخ(٤) .

وفي المسجد النبوي الشريف عمارة قايتباي ـ حيث من الطبيعي أن تكون فتحات النوافذ المتسعة في جدران المسجد(٥) تقع ضمن دخلات جدارية .

ومثلما وضعت هذه الدخلات في الأروقة ، فإنها وضعت أيضاً في الأواوين كما في مدرسة قايتباي بالصحراء(٦) . ومدرسة قرقماس(٧) . وظهرت هذه الدخلات في وحدات أخرى من المنشأة ، كالأسبلة ، والدركاوات ، والدهاليز وغير ذلك(٨) .

---

(١) عن ذلك انظر ص ٨٥ .

(٢) عن ذلك انظر ص ١١٩ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٨١ ، ٨٣ .

(٤) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ص ٢٢ .

(٥) السمهودي ، وفاء الوفاء ج ٢ / ص ٦٤٢ .

(٦) عن ذلك انظر ص ١٤٩ ، ١٥٢ .

(٧) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة قرقماس أمير كبير ص ١٣٦ ، ١٥١ ، ١٦٥ ، ١٦٩ .

(٨) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ص ٩٣ ـ ٩٧ .

وكان لهذه الدخلات نهايات علوية معقودة، أو مستقيمة ، ومنها ما كان يتوج بصدور مقرنصة ذات أشكال جميلة بديعة(١) .

ثالثاً - الأعمدة :

والعمود هو كل ما يحمل به السقف غير الحائط ، ويعد من أبرز عناصر الانشاء في العمارة الاسلامية(٢) .

ويرجع أصل العمود إلى ما قبل الإسلام حيث عرف في كثير من الحضارات القديمة(٣) . وكان المسلمون في باديء الأمر لا يصنعون الأعمدة وإنما يجلبونها من عمائر قديمة(٤) ، ثم أخذوا في صناعة أعمدة خاصة بعمائرهم منذ العصر العباسي(٥) .

واستمرت استخدامات الأعمدة في العمارة وصولاً إلى العصر الجركسي ، وكان للعمد في عمائر هذا العصر وظائف متعددة من أبرزها أنها تحمل العقود التي ترتكز عليها أسقف المنشآت الرواقية مثل المدارس الرواقية الجركسية . كما أن الأعمد استخدمت في ذلك العصر لحمل واجهات الكتاتيب،

---

(١) كونل ، آرنست ، الفن الإسلامي ، ترجمة أحمد موسى ، ١٩٦٦، بيروت ص ١٠٨ ، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ١٨ - ٢١ .

(٢) محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ص ٨٢ ، عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الإسلامية ص ٢٩٣ .

(٣) محمد أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة ، القاهرة ص ٥٢ - ٥٤ ، فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر ، ج ١/ ص ٢١٢ ، عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الإسلامية ص ٢٩٣ ، زكي حسن ، فنون الإسلام ص ١٥٢- ١٥٣ .

(٤) كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية ، ص ٧٩ ، توفيق أحمد عبد الجواد ، تاريخ العمارة ، العمارة والفنون الإسلامية ، ١٩٧٠م القاهرة ج ٣ / ص ٥٨ .

(٥) كونل ، الفن الإسلامي ، ص ٣٣ - ٣٤ ، كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية ص ٧٩ ، عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الإسلامية ص٢٩٣ .

فإذا كانت واجهة الكتّاب محمولة على عقود ، فإن أرجلها تلتقي في الوسط على عمود رخامي ، إذا كان بهذه الواجهة أكثر من فتحة . مثل كتّابي مدرستي قايتباي بالصحراء[١] ، ومكة المكرمة[٢] . وقد يوضع العمود في ركن السبيل أو المكتب الذي يعلوه ، كما في سبيل مدرسة إينال اليوسفي[٣] [لوحة ٩٦] ، وفي مكتب سبيل مدرسة القاضي عبدالباسط[٤] [لوحة ١٠٨ ، ١٠٩] ، ومن هذه الأعمدة كان يتم تكوين الجوسق الذي يحمل قمة المئذنة[٥] . ودمجت الأعمدة بجدران بعض العمائر الجركسية ، سواء في الداخل أو الخارج . فترى في نواصي الواجهات وأركانها لمنع تآكلها نتيجة احتكاك المارة بها[٦] . مثل الركنين الشرقي والجنوبي لمسجد فرج بن برقوق « زاوية الدهيشة »[٧] . وفي الركن الشرقي لمدرسة جمال الدين يوسف الاستادار[٨] [لوحة١٠٣] ، وبالركن الشمالي لمدرسة قجماس الاسحاقي ، وبالركنين الشرقي والغربي لسبيل المدرسة نفسها[٩] .

---

(١) عن ذلك انظر ص ١٣٨ ـ ١٣٩ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٢٤٥ .

(٣) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٨٠ .

(٤) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ص٢٠٩-٢١٠.

(٥) عن ذلك انظر ص ٤١٥ .

(٦) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ص ٢٨٠ .

(٧) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ص ٦١ .

(٨) محمد عبدالستار عثمان ، وثيقة جمال الدين الاستادار ، ص ١١٤.

(٩) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ص ٢٠٣ .

ودُمجَ هذا النوع من الأعمدة لحمل العقود التي تعلو الدخلات ، كما في دخلات الدور الأول ، لمئذنتي جامع ومدرسة المؤيد شيخ[1] [لوحة ١١٥] ، ومئذنة مدرسة قايتباي بمكة المكرمة[2] ، ومئذنة مدرسة أبو بكر مزهر[3] [لوحة ١٤٤] ، وفي الدخلات المطلة على الصحن ، لمدرسة جاني بك[4]، ومدرسة أبو بكر مزهر[5] [لوحة ١٤٧] ومدرسة قاني باي الرماح بالقلعة[6] .

وتدمج هذه الأعمدة بواجهات المباني لتحمل عقود الشمسيات المزدوجة ، كما في واجهات كل من مدرسة أيتمش البيجاسي [لوحة ٩١] ومدرسة جمال الدين يوسف الاستادار[7] [لوحة ١٠٢] ، وجامع زين الدين يحيى بالحبانية[8] .

وكان يكتنف محاريب العمائر الدينية في ذلك العصر أعمدة رخامية مدمجة ترتكز عليها عقود الطواقي لهذه المحاريب ، بحيث يكتنف كل محراب عموداً أو عامودان من كل جانب ، كما في محراب كل من مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق [لوحة ٩٤] ومدرسة وخانقاه فرج بن برقوق[9] ، وجامع ومدرسة المؤيد شيخ[10] ، ومسجد الخيف بمنى [٨٧٤ هـ / ١٤٦٩م] ، والذي كان

---

(١) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ص ٣٦ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٢٦٨ .

(٣) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ص ٨٢ .

(٤) محمد عبدالرحمن فهمي ، أعمال جامع جاني بك ص ١٠٩.

(٥) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ص ١٧٣ ، وزارة الأوقاف ، مساجد مصر ، ج ٢ / لوحة ١٢٩ .

(٦) سامي عبد الحليم ، آثار الأمير قاني باي الرماح بالقاهرة ص ١٢١ .

(٧) محمد عبدالستار عثمان ، وثيقة جمال الدين الاستادار ، ص ١١٢ .

(٨) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحيى زين الدين ص ١٦٢ .

(٩) عن ذلك انظر ص ٨١ .

(١٠) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ص ٤٨ .

يكتنف محرابه عمودان من الرخام لأصفر[1] . والمحراب النبوي في المسجد الشريف ـ عمارة قايتباي ـ [لوحة ١٥٥] .

وإذا وضعت فتحة الشباك التي في حجر المدخل ضمن دخلة ، فإن العتب أو العقد المستقيم الذي يعلوها يرتكز على عمودين مدمجين يكتنفان هذه النافذة[2] .

وإذا كانت هذه أبرز الوظائف الانشائية للعمود، فإن المعمار في ذلك العصر ، حرص على أن يضفي على عمائره بعداً زخرفياً باستخدام هذا العنصر المعماري ، فأعمدة الجوسق بالمئذنة ، تزيداً كثيراً من جمالها . وتبعث في المشاعر الاحساس بالتوجه نحو السماء والرغبة الأكيدة في مناجاة الله عز وجل . وللأعمدة المندمجة في النواصي والأركان وعلى جانبي الدخلات بعداً زخرفياً لأنها تقضي على الانكسارات الحادة في الجدران وتضفي على أماكن وجودها ليونة وانسيابية[3] . ومن أجمل الأمثلة على ذلك وضع هذه الأعمدة في أركان القواعد المربعة للمآذن ، والذي يعد الغرض منه زخرفياً فحسب ، ويهدف في الأساس تخفيض حدة الانكسارات في أضلاع هذه القاعدة كما في قاعدة مئذنة مدرستي السلطان إينال[4] [لوحة ١٣٦] وقايتباي بالصحراء[5] .

وعلى الرغم من تمكن الصانع المسلم منذ العصر العباسي من صناعة أعمدة تتميز بجمالها وبساطتها[6] . فلقد بقي حتى العصر الجركسي يستخدم

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى ج٤ / ص ٥١١ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٣٤٧ .

(٣) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ، ص ٢٠٤ .

(٤) سامي حسن ، السلطان إينال وآثاره المعمارية ص ٩٥ .

(٥) عن ذلك انظر ص ١٦٧ .

(٦) أرنست كونل ، الفن الإسلامي ص ٣٣ ـ ٣٤ ، وعن خصائص العمود الإسلامي . انظر توفيق عبدالجواد ، تاريخ العمارة ج ٣ / ص ٥٨ .

في بعض عمائره أعمدة تعود لمنشآت سابقة ، إذ أن أعمدة رواق القبلة في مدرسة عبد الغني الفخري ، كانت مجلوبة من عمائر قديمة[١] ، وكذلك بالنسبة لأعمدة أروقة مدرسة برسباي بالصحراء وجامعه بالخانكة[٢] وأعمدة أروقة جامعي القاضي يحيى بالحبانية وبولاق[٣] .

بيد أن ذلك لم يكن ينطبق على جميع عمائر ذلك العصر لأن منها ما صنع له أعمدة خاصة ، مثلما حدث عند إعادة تعمير الرواق الغربي وبعض الشمالي للحرم المكي الشريف عام [٨٠٣ هـ/ ١٤٠٠م] ، فصنعوا له أعمدة من حجارة مهذبة[٤] اسطوانية الشكل[٥] وتماثل الأعمدة الرخامية القديمة[٦] .

وتعد الأعمدة الرخامية لرواقي مدرسة أبي بكر مزهر من عمل الصانع في ذلك العصر ، لأنها تنتمي لطراز العمود الاسلامي[٧] . وكذلك الأمر بالنسبة للأعمدة المندمجة الموجودة على عمائر العصر الجركسي[٨] .

ويتكون العمود في صورته المثلى من عدة عناصر . أولها التاج ؛ ويقع في أعلى العمود ، وإذا كان العمود مجلوباً من منشأة قديمة ، فإن التاج يكون مجلوباً معه ، ويغلب عليه هنا شكل ورقة نباتية غليظة « كورنثية » بالإضافة إلى

---

(١) محمد الكحلاوي ، مدرسة الأمير عبد الغني الفخري ، ص ٩٦ .

(٢) محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ص ٢٦٨ .

(٣) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحيى ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٤) الفاسي ، شفاء الغرام ج١ / ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

(٥) باسلامة ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٧١ .

(٦) ابن فهد ، إتحاف الورى ج٣ / ص ٤٢٣ - ٤٢٤ .

(٧) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ص ١٧٢ .

(٨) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ص ١٧٢ .

وجود التيجان ذات الشعارات المسيحية والقبطية وغيرها[1]. أما إذا كانت الأعمدة من عمل الصانع المسلم فإن التاج هنا يغلب عليه الشكل الناقوسي أو الرماني. أو المقرنص[2]، بالإضافة إلى الشبيه بالكورنثي « كورنثي إسلامي »[3].

ويلي التاج ثاني عناصر العمود وهو البدن . وكان له في عمائر العصر الجركسي شكلان أساسيان ، أولهما الاسطواني : كما في أعمدة رواق القبلة في مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق [لوحة ٩٥] ، والأعمدة التي زود بها الحرم المكي الشريف سنة [٨٠٣ هـ/١٤٠٠ م] وقد سبق الاشارة إليها ، والأعمدة المطلة على الصحن في رواق القبلة لجامع ومدرسة المؤيد شيخ [لوحة ١١٨] . أما الشكل الثاني فهو المضلع بثمانية أضلاع « مثمن القطاع » كما في مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق[4] . وفي بعض أعمدة البوائك الداخلية لجامع ومدرسة المؤيد شيخ [لوحة ١١٩] ، وفي أعمدة مسجد الخيف بمنى[5] .

وآخر أقسام العمود القاعدة ، وهي التي تنبعث من الأساس الأرضي الذي يقوم عليه العمود ، ومنها ينطلق البدن إلى الأعلى . وفي معظم عمائر

---

(١) محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ٢٦٨ ، حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ص ١٩٥ .

(٢) كمال الدين سامح ، العمارة الاسلامية في مصر ، ص ٨٠ ، دللي ، العمارة العربية ص ١٧ .

(٣) جمال عبد الرحيم ، الحليات المعمارية ص ٦٤ ، وللمزيد من التفاصيل عن تيجان العصر الجركسي ، انظر محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباي ص ٢٦٨ – ٢٧٠ ، ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحيى زين الدين ، ص ٢٥٣ – ٢٥٤ ، عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ١٧٢ ـ ١٧٣ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٨١ .

(٥) إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ج ١ / لوحة ١٢٣ .

العصر الجركسي تماثل القواعد التيجان في أنواعها ، سواءً أكانت مجلوبة من عمائر قديمة[1] ، أو من عمل الصانع المسلم[2] .

رابعاً ـ العقود :

والعقد بناء يتخذ شكل القوس[3] ، وله نقاط ارتكاز ، ويعد عنصراً انشائياً بالغ الأهمية في العمارة لطواعيته في إيجاد الفتحات مع توفر القوة لرفع ما يعلوه من أسقف[4] . فيقوم بنقل هذه الأحمال إلى أساسات المبنى[5] . ولذلك عدت العقود من ضرورات البناء في العمارة الإسلامية[6] . ويتكون العقد في الأساس من عدة أجزاء[7] هي :

ـ صنج العقد : وهي الأجزاء التي يتركب منها العقد سواء من الآجر أو الحجر .

ـ مفتاح العقد : وهو الجزء العلوي لصنجة مفتاح العقد .

(١) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ٢٦٨ ، ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ص ٢٥٣ .

(٢) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر، ص ١٧٢ -١٧٣، جمال عبد الرحيم، الحليات المعمارية ص٦١ – ٦٤.

(٣) محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ص ٨١ .

(٤) محمد سيف النصر ، مداخل العمائر المملوكية ص ٥٩ .

(٥) حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ص ١٧٧ ، سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ص ٢٢٥ .

(٦) كمال الدين سامح ، العمارة الاسلامية في مصر ، ص ٨٠ – ٨١ ، سعد زغلول ، العمارة والفنون في دولة الاسلام ص ٢١٤ .

(٧) محمد حماد ، الانشاء والعمارة ، الطبعة الأولى ١٩٦٤م ج١ / ص ١٢٦ – ١٢٧ .محمد عبدالله ، إنشاء مباني ١٩٨٧م ، القاهرة ص ٥٦ ، عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الاسلامية ص ٢٧٦ . محمد حمزة الحداد ، الطراز المصري لعمائر القاهرة الدينية خلال العصر العثماني ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار جامعة القاهرة ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ، ص ٧٢٢ .

- الجاران : وهما الصنجتان اللتان تحصران صنجة مفتاح العقد .

- خصر العقد : وهي الصنجة الأولى التي يبدأ بها تقويسة العقد .

- منحنى التنفيخ : وهو الجزء السفلي لمنحنى تقويسة العقد .

- التتويج : وهو المنحنى الخارجي لتقويسة العقد .

- السهم : وهو ارتفاع العقد .

- الوتر : وهو مدى اتساع فتحة العقد ، ويعرف أيضاً بالبحر .

- نقطتا الاتصال : وهما نقطتا البداية في استدارة العقد.

- خط الاتصال:وهوالخط الذي يصل بين نقطتي الاتصال السابقتين.

- الجنزير : وهو مدماك العقد سواء كان مستقيماً أو منحنياً .

- السمبوسكة : وهي الجزء الذي يحصر العقد من الجانبين ، وقد تقع بين عقدين وتعرف بكوشتي العقد .

وكان بناء العقد يتم بوضع الصنج على سقالة خشبية ، بحيث ترمى فوق بعضها البعض من الجانبين إلى أن تلتقي عند الصنجة العلوية ، فيجري بعد ذلك نزع السقالة الخشبية(١) .

ولقد استخدمت العقود بكثافة في العمائر الجركسية وكانت تنقسم إلى أنواع عدة أبرزها العقود التالية :

أولاً - العقد المدبب : [شكل ٦٩] وهذا النوع من العقود تتخذ انحناءته الداخلية والخارجية شكل الأقواس المشتقة من دوائر تقع مراكزها

(١) عبد الرحيم غالب ، موسوعة العمارة الاسلامية ص ٢٧٦ .

داخل العقد أو خارجه ، وهو ذو مركزين[1] . ويتميز بأنه من أفضل العقود لمستلزمات الانشاء لأنه أوسع نسبياً من الأخرى ، وأكثر قابلية للارتفاع ، فإرتفاعه ليس محدداً باتساعه[2] .

ويعود تاريخ العقد المدبب إلى ما قبل العصر الاسلامي ، وبدأ استعماله في العمارة الإسلامية منذ العصر الأموي[3] . ثم أخذ بالانتشار واشْتُق منه أنواع عدة أبرزها العقد المدبب «المخموس» والذي يتميز باتساع وتريه[4] .

ونظراً لما يتميز به هذا العقد من خصائص ، فلقد استخدم بكثرة في عمائر العصر الجركسي ، ويمكن رؤيته في مواضع عدة منها ، مثل قمم حجور الداخل كما في حجر مدخل مدرسة برسباي بالأشرفية[5] ، والمدرسة الباسطية بالمدينة المنورة[6] . وباب إبراهيم بالحرم المكي الشريف[7] [٩١٨هـ/١٥١٢م] [لوحة١٦١] .

(١) عبدالسلام نظيف ، دراسات في العمارة الاسلامية ١٩٨٩م ، القاهرة ص ٤٨ ، محمد حماد ، الانشاء والعمارة ، ص ١٣١ .

(٢) حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ص ١٨٠ .

(٣) فريد شافعي، العمارة العربية الاسلامية، ص ٢٠٠، العمارة العربية في مصر ج١ / ص ١٧٣ – ١٧٤، ٢٠٧ ، صالح لمعي ، التراث المعماري ص ٧٩ ، كريزويل ، الآثار الاسلامية الأولى ص ١٤٣ – ١٤٤ .

(٤) وهذا العقد بمركزين ، وتنقسم المسافة بين قوسيه إلى خمسة أقسام متساوية ، ويتميز باتساعه . عبدالسلام نظيف، دراسات في العمارة الاسلامية، ص ٤٨ . توفيق عبد الجواد ، تاريخ العمارة ج٣ / ص ٥٦ .

(٥) عن ذلك انظر ص ١١٠ .

(٦) عن ذلك انظر ص ٢١٨ .

(٧) هذا الباب أحد أبواب الحرم المكي الشريف ، وآخر عمارة له قبل التوسعة السعودية الأولى كانت على يد السلطان قانصوه الغوري . باسلامة ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٢٧ – ١٢٨ .

وكان العقد المدبب يتوج فتحات الأبواب ، المطلة على الدركاوات ، كما في دركاه مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق[١] . ودركاه مدرسة جوهر[٢] اللالا ، ويتوج أيضاً فتحات الأبواب الداخلية الأخرى في عمائر ذلك العصر ، مثل الأبواب الداخلية لمدرسة القاضي يحى[٣] ، ومعظم الأبواب الداخلية لمدرسة قجماس الاسحاقي[٤] ، ولمدرسة الأمير قرقماس بالصحراء[٥] . علاوة على الأبواب التي تفتح على شرفات المآذن ، كما في مئذنة المدرسة الباسطية[٦] ومئذنة مدرسة قايتباي بمكة المكرمة[٧] .

واستخدم هذا النوع من العقود في إنشاء الأواوين والسدلات مكوناً فتحاتها المعقودة مثل الأواوين الأربعة لمدرسة جمال الدين يوسف الاستادار[٨] ، وفي إيواني وسدلتي مدرسة جوهر اللالا[٩] . وفي الايوانين الجانبيين لمدرسة قراقجا الحسنى[١٠] . وفي واجهة إيوان مزملة مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق[١١] ، ومدرسة القاضي يحى زين الدين[١٢] .

---

(١) عن ذلك انظر ص ٧٩ .

(٢) ليلى الشافعي ، مدرسة جوهر اللالا ، ص ١٦٢ .

(٣) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ، ص ٢٥٥ .

(٤) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقى ، ص ٢٠٦ .

(٥) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ص ١٩٨ .

(٦) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ، ص ٢٢٨.

(٧) عن ذلك انظر ص ٢٦٨ .

(٨) محمد عبدالستار عثمان ، وثيقة جمال الدين الاستادار ص ١٢٠ .

(٩) ليلى الشافعي ، مدرسة جوهر اللالا ص ١٦٢ .

(١٠) حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ص ١٧٩ .

(١١) عن ذلك انظر ص ٨٧ .

(١٢) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ص ٢٥٥ .

كما أن هذه العقود توضع فوق الأعمدة لتحمل الأسقف ذات النظام الرواقي ، كما في الرواق القبلي لجامعة ومدرسة المؤيد شيخ[١] ، وفي رواقي مدرسة وخانقاه برسباي بالصحراء[٢] ، وفي رواق مسجد الخيف بمنى[٣] .

وكانت الدخلات الجدارية المعقودة تتوج بمثل هذا النوع من العقود ، كما في الدخلات الجدارية في الرواقين القبلي والبحري لمدرسة وخانقاه فرج بن برقوق[٤] . ودخلات الأواوين لكل من المدرسة الباسطية[٥] ومدرسة قجماس الاسحاقي[٦] .

وقد يوضع هذا النوع من العقود فوق النوافذ العلوية « الشمسيات » مثل تلك التي في واجهة مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق[٧] .

وفي واجهة مدرسة زين الدين يحى وجامعه بالحبانية[٨] .

وكانت طواقي المحاريب تتوج أيضاً بمثل هذه العقود ، كما في محراب كل من مدرسة إينال اليوسفي[٩] ومدرسة جمال الدين يوسف الاستادار[١٠] ، ومدرسة قايتباي بالصحراء[١١] ، والمحراب النبوي بمسجده الشريف ـ عمارة قايتباي ـ [لوحة ١٥٥] .

---

(١) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ص ٣٠ .

(٢) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ص١٦٩-١٧٠ .

(٣) إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ج١/ لوحة ١٢٣ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٨١ ، ٨٣ .

(٥) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ص ٢٢٨ .

(٦) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ص ٢٠٦ .

(٧) مايسه داود ، النوافذ وأساليب تغطيتها في عمائر المماليك ص ١٨٧ .

(٨) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ص ٢٥٥ .

(٩) علي الطايش ، العمائر الجركسية ص ٦٧ .

(١٠) محمد عبدالستار عثمان ، وثيقة جمال الدين يوسف الاستادار ص ١٢٤ .

(١١) عن ذلك انظر ص ١٤٨ .

ثانياً ـ العقد المنكسر : [شكل ٧١]

وهو عقد مدبب يتميز عن السابق بأن له أربعة مراكز ، ويتكون نتيجة التقاء مستقيمين مائلين بزاوية معينة عند قمة العقد[١] . وهو من مبتكرات المعمار المسلم في العصر الفاطمي[٢] ، ثم أخذ بالانتشار والتوسع بعد ذلك ، حيث استخدم بكثرة في العمارة الجركسية وبخاصة فوق الدخلات فيشاهد فوق الدخلات الصماء التي تعلو الأبواب المطلة على الصحن ، كما في صحن مدرسة تغرى بردى [لوحة ١٢٩] ومدرسة السلطان إينال بالصحراء [لوحة ١٣٧] ومدرستي قايتباي بالصحراء[٣] ، والكبش[٤] .

ويظهر هذا النوع من العقود متوجاً لدخلات الدور الأول من المآذن الجركسية ، فيرى في الدور الأول لمئذنتي جامع ومدرسة المؤيد شيخ[٥] ، وفي مئذنة مدرسة القاضي يحى زين الدين[٦] وفي مئذنة قايتباي بالمسجد النبوي الشريف [لوحة ١٥٤] .

---

(١) عبد السلام نظيف ، دراسات في العمارة الاسلامية ، ص ٥٠ ، عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الاسلامية ، ص ٢٧٩ .

(٢) أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ج٢ / ص ١٥٥ – ١٥٧ .

(٣) عن ذلك انظر ص ١٥٦ .

(٤) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ص ٢٩٥ .

(٥) مايسة داود ، النوافذ وأساليب تغطيتها في عمائر المماليك ص ١٨٧ .

(٦) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ص ٣٥٨ .

ثالثاً ـ عقد حدوة الفرس المدبب : [شكل ٧٣]

وهذا العقد عبارة عن عقد حدوي[١] ترتد قدماه عن خط امتداد الكتفين فيتخذ شكلاً قريباً من العقد المدبب[٢] . ويتميز هذا العقد بجماله ، لأن انحناءة قدماه إلى الداخل تجعل شكله بعيداً عن نمط التقويس التقليدي للعقود ، وهو من أبتكارات المعمار المسلم[٣] الذي اشتقه من عقد حدوة الفرس[٤] .

وظهر هذا العقد في مواضع عدة من عمائر الجراكسة ، فيرى على فتحات الأواوين كما في الأيوان الجنوبي الشرقي للمسجد ومدرسة قراقجا الحسني[٥] ، وفي الايوانين الجنوبي الشرقي والشمالي الغربي لكل من مدرسة قجماس الاسحاقي[٦] ومدرسة ازبك اليوسفي [لوحة ١٥٨] ومدرسة قانصوه الغوري[٧] .

ويرى في عقود البوائك المكونة للأروقة ، كما في عقود بائكتي رواق القبلة لمدرسة الظاهر برقوق [لوحة ٩٥] . ولمدرسة عبد الغني الفخري[٨] ، وفي عقود أروقة جامع القاضي يحى في بولاق[٩] ، وظهر هذا العقد متوجاً لواجهات بعض المداخل ، مثل واجهة المدخل الرئيسي لمسجد الخيف بمنى [لوحة ١٣٩] .

(١) والعقد الحدوي يشبه في شكله حدوة الفرس ، وهو عبارة عن قطاع من الدائرة أكبر من نصفها ، ويرتفع مركزه على مستوى قدميه ، توفيق عبد الجواد ، تاريخ العمارة ج٣ / ص ٥٦ .

(٢) فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر ، ج١ / ص ٢٠٧ ، دللي ، العمارة العربية ص ١ – ٢ ، عبدالسلام نظيف ، دراسات في العمارة الاسلامية ص ٤٦ .

(٣) فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر ج١ / ص ٢٠٧ .

(٤) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ، ص ٢٥٨ .

(٥) حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ص ١٨٢ . سعاد ماهر ، مساجد مصر ج٤/ لوحة ٧٧.

(٦) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ص ٢٠٧ .

(٧) محمد فهيم ، مدرسة السلطان قانصوه الغوري ، ص ١٠٨ .

(٨) محمد الكحلاوي ، مدرسة الأمير عبد الغني الفخري ، ص ٩٤ .

(٩) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ص ٢٥٧ .

أما بالنسبة للعقد الحدوي [شكل ٧٢] والذي اشتق منه العقد السابق ، فإن أصوله تعود لما قبل العصر الإسلامي[١] . وكانت بداية ظهوره في العمارة الإسلامية منذ العصر الأموي ، واستمر بعد ذلك وطور حيث انتشر في العمارة الإسلامية ، وبخاصة الأقاليم الواقعة غرب العالم الإسلامي[٢] .

ولقد استخدم هذا العقد على نطاق محدود في عمائر العصر الجركسي ، فظهر في منشآت رواقية التخطيط مثل العقد الأوسط المطل على الصحن في جامع القاضي يحى بالحبانية[٣] ، وفي عقود بائكتي رواقي مدرسة أبو بكر مزهر[٤] . وفي علو الشبابيك المعقودة « الشمسيات » لواجهات بعض العمائر مثل شمسيات الواجهة الرئيسة لجامع ومدرسة المؤيد شيخ[٥] [لوحة ١١٤] . وشمسيات واجهة إيوان المدرسة الباسطية بالمدينة المنورة[٦] . وشمسيات الواجهة الجنوبية الشرقية لمدرسة القاضي يحى[٧] .

رابعاً ـ العقد الثلاثي الفصوص « المدائني » : [شكل ٧٠]

وهذا العقد يتكون من ثلاثة فصوص أوسطها وهو أعلاها عبارة عن عقد مدبب يرتكز في غالب الأحوال على ريشتين مقوستين[٨] .

(١) فريد شافعي ، العمارة العربية بمصر ، ج١ / ص ٢٠٣، العمارة العربية الاسلامية ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣، كريزويل ، الآثار الاسلامية الأولى ص ١٠٧ .

(٢) فريد شافعي ، العمارة العربية بمصر ، ج١/ ص ٢٠٣ ، محمد حمزة الحداد ، الطراز المصري ، ص ٧٤٥ ، هامش « ١ » .

(٣) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ص ٢٥٨ .

(٤) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ص ١٦٤ . وزارة الأوقاف ، مساجد مصر ، ج٢/لوحة ١٢٨ .

(٥) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ص ٣٠ .

(٦) انظر [لوحة ٥٤ ، ٥٥٤] .

(٧) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ص ٢٥٧ .

(٨) عبد السلام نظيف ، دراسات في العمارة الإسلامية ص ٤٨ ، عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الإسلامية ص ٢٨٧ .

وهذا العقد من ابتكارات المعمار المسلم في القرن الخامس ٥ هـ/١١ م[١]، وجرى اشتقاقه من العقد المفصص، والذي يتكون من إطارات صغيرة متجاورة، وكان معروفاً منذ ما قبل الإسلام[٢] .

وظهر هذا العقد بكثرة على واجهات مداخل العمائر الدينية الجركسية ، وقد سبق ذكر أمثلة على ذلك في الفصل الثان من هذا الباب[٣] . كما أنه ظهر على بعض المآذن حيث توجت أعمدة الجوسق في مدرسة أبي بكر مزهر بعقود ثلاثية[٤] [لوحة ١٤٤] وتوجت به بعض الدخلات في داخل المباني ، فكان يعلو الدخلة التي فوق باب القبة الذي في دهليز مدرسة قجماس الاسحاقي[٥] .

خامساً ـ العقد المستقيم : [شكل ٧٤]

وهو عقد خالي من التقويس ، ويتكون من مجموعة من الصنج الحجرية المزررة [٦] . ويوضع هذا النوع من العقود فوق فتحات الأبواب والشبابيك بدلاً من الاعتاب .

ويعود تاريخ ظهور هذا العقد إلى ما قبل العصر الإسلامي[٧] ، وأخذ بالانتشار والتوسع وبخاصة في العصر الفاطمي[٨] . كما شاع استخدام هذا

---

(١) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٤٧ .

(٢) مايسة داود ، النوافذ وأساليب تغطيتها على عمائر المماليك ١٩٧ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩ .

(٤) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ١٦٦ .

(٥) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ص ٢١٠ .

(٦) فريد شافعي، العمارة العربية في مصر ج١ / ص ٢٠١، جمال عبدالرحيم، الحليات المعمارية ص ٢٢.

(٧) فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر ج١ / ص ٢٠١ ، عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الاسلامية ، ص ٢٨٢ .

(٨) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ص ٢٥٦ ، حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ، ص ١٨٣ .

العقد في العصر الجركسي ، فظهر فوق معظم فتحات الأبواب والشبابيك التي على الواجهات. ومن الأمثلة على ذلك فتحات أبواب المداخل الرئيسة لكل من مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق(١) ، والمدرسة الباسطية(٢) ، ومدرسة جوهر اللالا(٣) ، ومدرسة قرقماس بالصحراء(٤) . كما أنه ظهر على فتحات الأبواب المطلة على الصحون مثل تلك التي في مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق(٥) وفي مسجد ومدرسة قراقجا الحسني(٦) ، وفي مدرسة قجماس الاسحاقي(٧) . علاوة على أنه كان يوضع فوق الشبابيك المستطيلة ، كتلك التي في واجهة مدرسة زين الدين يحى(٨) ، ومدرسة قايتباي بالصحراء(٩) ومدرسة أبي بكر مزهر(١٠) .

سادساً ـ العقد العاتق : [شكل ٧٤]

وهو عبارة عن جزء من دائرة ، ويقوم هذا العقد بنقل الأحمال ، عما يقع دونه من فراغات وعناصر إنشاء(١١) ، ولذلك سمي بالعقد العائق لأنه يعتق ما

---

(١) عن ذلك انظر ص ٧٨ .

(٢) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ص ٢٢٩ .

(٣) ليلى الشافعي ، مدرسة جوهر اللالا ص ١٦٢ .

(٤) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ص ٢٠٥ .

(٥) عن ذلك انظر ص ٨٥ .

(٦) حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ، ص ١٨٣ .

(٧) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ص ٢١٤ .

(٨) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ص ٢٥٦ .

(٩) عن ذلك انظر ص ١٣٩ .

(١٠) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ص ١٦٧ .

(١١) صالح لمعي ، التراث المعماري ص ٨١ .

دونه من عناصر البناء[١] ، ويوضع هذا العقد فوق العقد المستقيم ، فهو يعلوه بصفة دائمة ، فحيثما يوجد العقد المستقيم يوجد العقد العاتق[٢] .

خامساً ـ المقرنصات :

وهي عبارة عن قطع صغيرة معقودة تشبه المحاريب[٣] ، توضع في مجموعات تماثل في شكلها خلايا النحل[٤] ، وتكسى بها خطوط الاتصال في الزوايا وبين الأسطح الأفقية والرأسية[٥] . وهي بذلك تقوم بوظيفتين أساسيتين ، الأولى انشائية : حيث تقوم المقرنصات بدور نقطة الارتكاز لجسم ظاهر أو بارز عن سمت الجدار[٦] ؛ وثانية هذه الوظائف ، وهي الزخرفية : حيث تقوم المقرنصات بملء فراغات الزوايا والانكسارات وتعطي إحساساً بالعمق واللاتناهي[٧] .

ويعود نشأة المقرنصات إلى ما قبل العصر الإسلامي[٨] ، بيد أنها كانت بسيطة متواضعة في تكوينها[٩] ، وعرفت في العمارة الإسلامية منذ منتصف

(١) عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الاسلامية ص ٢٨٢ .

(٢) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ص ٢١٤ ، عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ١٧٦ . حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ، ص ١٨٣ .

(٣) محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ١١٣ ، عبد الرحيم غالب ، موسوعة العمارة الإسلامية ص ٣٩٧ .

(٤) زكي حسن ، فنون الإسلام ، ص ١٥٢ ، كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية ص ٨٢ .

(٥) المرجع السابق نفسه، ص ٨٥، توفيق عبد الجواد ، تاريخ العمارة ج٣ / ص ٥٧، عبدالسلام نظيف ، دراسات في العمارة الإسلامية ص ٧٠ .

(٦) دللي ، العمارة العربية ص ١٩ ، مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز ، ص ٢١٩ .

(٧) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ص ٢٢٦ .

(٨) أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج١/ ص ٢٠٧ ، فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر ج١ / ص ١٤٣-١٤٤ ، ١٦٩ .

(٩) كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية ، ص ٨٣ .

القرن الثاني ٢ هـ / ٨ م[١] . وأخذت بعد ذلك بالشيوع والانتشار ، وطورت حتى بلغت درجة رفيعة من الدقة في الصنعة ، وتنوع في الوظيفة[٢] . وأضحت تنسب للحضارة الإسلامية دون غيرها من الحضارات[٣] .

وبلغت هذه المقرنصات ذروة تطورها في العمارة الجركسية وظهرت في مواضع عدة على عمائر ذلك العصر ، ومن ذلك أنها كانت توضع أسفل الإزار الخشبي للسقف ليرتكز عليها مثلما هو موجود في أسقف الإيوانات الأربعة لمدرسة جمال الدين يوسف الاستدار[٤] . وفي الايوانين الشرقي والغربي للمدرسة الباسطية[٥] ، ولمدرسة قايتباي بالصحراء[٦] .

وكانت شرفات المآذن ترتكز على حطات مقرنصة ، كما في مئذنتي مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق بالصحراء[٧] ، ومئذنتي جامع ومدرسة المؤيد شيخ[٨] ، ومئذنة مدرسة قايتباي بمكة المكرمة[٩] ، ومئذنة قايتباي بالمسجد النبوي الشريف [لوحة ١٥٤]، وكذلك كانت منطقة الانتقال في القباب ترتكز على حطات من المقرنصات[١٠] . علاوة على أن دخلات الواجهات كانت تتوج بصدور

(١) مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز ص ٢١٦ .

(٢) عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية ص ٢٩٨، توفيق عبدالجواد، تاريخ العمارة ج٣/ ص ٥٧.

(٣) غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، بيروت ١٩٧٩، ص ٦٣٥ .

(٤) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٣٧٦ .

(٥) سامي نوار ، الأعمال المعمارية ، للقاضي زين الدين عبد الباسط ، ص ٢٣٢ .

(٦) عن ذلك انظر ص ١٤٨ ، ١٥٢ .

(٧) عن ذلك انظر ص ٩٣ .

(٨) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ، ص ٣٣ .

(٩) عن ذلك انظر ص ٢٦٩ .

(١٠) صالح لمعي مصطفى ، القباب في العمارة الإسلامية ، بيروت ص ٢٧ ــ ٢٨ ، محمد حمزة الحداد ، القباب في العمارة الإسلامية ، ص ١١٥ .

مقرنصة . ولا تكاد تخلو منها أي واجهة من واجهات العمائر الجركسية ، مثل واجهات كل من مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق [لوحة ٩٢] ، ومدرسة قاني باي المحمدي(١) ، ومدرسة جوهر اللالا(٢) ، ومدرسة الجمالي يوسف(٣) ، ومدرستي قايتباي بالصحراء(٤) ، والكبش(٥) .

وتوجت المقرنصات أيضاً دخلات بعض النوافذ التي في جحور المداخل الجركسية ، مثل نافذة كل من مدخل مدرسة برسباي بالأشرفية(٦) ، ومدخل مدرسة القاضي يحى زين الدين(٧) ، ومدخل مدرسة السلطان إينال(٨) ، ومدخل مدرسة قرقماس(٩) .

بالإضافة إلى أن هذه الصدور المقرنصة ، قد تتوج الدخلات المطلة على الصحن ، سواء المعقودة أو ذات الاعتاب ، مثل الدخلات المطلة على الصحن في كل من مدرسة عبدالغني الفخري(١٠) ، ومدرسة القاضي عبد الباسط(١١) ومدرسة برسباي بالأشرفية(١٢) ، ومدرسة قايتباي بالصحراء(١٣) .

---

(١) فهمي عبد العليم ، العمارة الاسلامية في عصر السلطان المؤيد شيخ ، ص٣٢.

(٢) ليلى الشافعي ، مدرسة جوهر اللالا، ص ١٦٦ .

(٣) عادل شريف ، الأعمال المعمارية ليوسف بن بركة ، ١٠٤ – ١٠٥ .

(٤) عن ذلك انظر ص ١٣٩ .

(٥) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ص ١١٠ .

(٦) عن ذلك انظر ص ١١٠ .

(٧) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ص ٢٥٩ .

(٨) سامي حسن ، السلطان إينال وآثاره المعمارية ، ص ١٧٢ .

(٩) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ، ص ١٦٥ .

(١٠) محمد الكحلاوي ، مدرسة الأمير عبدالغني الفخري ، ص ١٥٥ – ١٥٦ .

(١١) سامي نوار، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ، ص ١٣٣.

(١٢) عن ذلك انظر ص ١١٩ .

(١٣) عن ذلك انظر ص ١٣٩ .

وقد تستخدم المقرنصات كتيجان للأعمدة ، فيمكن رؤيتها ، كتيجان حاملة للبوائك ، كما في مسجد الخيف بمنى ، إذ ذكر ابن فهد[1] بأن لأعمدته نهايات مقرنصة ، مما يشير إلى أنها كانت تمثل تيجاناً لها . كما أنها تظهر كتيجان لبعض الأعمدة المدمجة ، كما في العامود المدمج الواقع في الركن الغربي للواجهة الجنوبية الشرقية « القبلية » لمدرسة أبو بكر مزهر[2] . وفي العامودين المدمجين الواقعين في ركني الواجهة الشمالية الغربية « البحرية » لمدرسة قجماس الاسحاقي[3] .

وقد توضع المقرنصات عند مآخذ عقود الإيوانات كما في عقدي إيواني مدرسة جوهر اللالا[4] ، وعقود كل من إيوان القبلة ، والإيوانين الجانبيين لمسجد ومدرسة قراقجا الحسني[5] ، وعقود إيوانين وسدلتي مدرسة قايتباي بالصحراء[6] .

ويمكن تقسيم المقرنصات المستخدمة على عمائر العصر الجركسي إلى ثلاثة أنواع رئيسة هي :

أولاً : المقرنص البلدي : [شكل ٧٥]

وهو مقرنص تتكون وحدته من حنية متوجة بعقد منكسر ، على شكل مثلث[7] .

---

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى ج٤/ ص ٥١٠ .

(٢) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ص ١٦٩ .

(٣) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ، ص ٢٢٠ .

(٤) ليلى الشافعي ، مدرسة جوهر اللالا ص ١٦٦ .

(٥) حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ، ص ١٧٥ .

(٦) عن ذلك انظر ص ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٩ .

(٧) عبداللطيف ابراهيم ، الوثائق في خدمة الآثار ، ص ٤١٨ .

ومن الأمثلة عليه : المقرنصات التي تشغل زوايا الحطة العلوية لمقرنصات الشرفة التي تعلو الدور الأول لمئذنة مسجد الخيف بمنى [لوحة ١٣٩] ، والمقرنصات التي تتوج دخلات واجهتي مدرسة أبي بكر مزهر[١] ، والتي في طاقية المدخل الرئيس لمدرسة قانصوه الغوري[٢] .

ثانياً : المقرنص الشامي أو الحلبي : [شكل ٧٦]

وحنية وحدته هنا تكون معقودة بعقد مدبب[٣] ، ويخلو في صورته الأصلية من الزخارف[٤] . ويعود منشأ هذا النوع من المقرنصات إلى بلاد الشام ، ودخل إلى مصر في أوائل عصر المماليك البحرية[٥] . ثم أخذ بعد ذلك يشهد مظاهر من التحسين والتطوير عن طريق حشوه بزخارف جميلة[٦] . ويشاهد هذا النوع من المقرنصات على العديد من العمائر الجركسية ، مثل دخلات واجهة مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق[٧] ، وأسفل شرفات مئذنة مدرسة زين الدين يحى[٨]، وفي أركان سقف « شخشيخه » درقاعة مدرسة أبو بكر مزهر[٩]. وفي المقرنصات الحاملة للشرفة العلوية لمئذنة قايتباي بالمسجد النبوي الشريف [لوحة ١٥٤] .

---

(١) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ١٦٩ .

(٢) جمال عبد الرحيم ، الحليات المعمارية ص ١٩٠ .

(٣) محمد سيف النصر ، مداخل العمائر المملوكية ص ١٠٨ .

(٤) جمال عبد الرحيم ، الحليات المعمارية ص ١٩ .

(٥) محمد سيف النصر ، مداخل العمائر المملوكية ص ١٠٨ .

(٦) جمال عبد الرحيم ، الحليات المعمارية ص ١٩ .

(٧) المرجع السابق نفسه ، ص ١٩ .

(٨) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ، ص ٢٥٩ .

(٩) حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ، ص ١٧٥ .

ثالثاً : المقرنص بدلاية : [شكل ٧٧] .

وهو ذو حنية معقودة بعقد مدبب أيضاً ، بيد أنه تتدلى منها دلايات ، إما أن تنطلق من باطن الحنية ، أو من جانبها . وفي الحالة الأخيرة يعرف بالمقرنص المزنبر(١) .

ومن الأمثلة على هذا النوع من المقرنصات ، مقرنصات دخلات الواجهة والمدخل لمدرسة قاني باي المحمدي(٢) ، ومقرنصات سقف الدركاه لجامع ومدرسة المؤيد شيخ(٣) ، وفي إحدى حطات الشرفة الواقعة في نهاية الدور الأول لمئذنة مدرسة أبي بكر مزهر(٤) ، وفي إحدى الحطات لمقرنصات كل شرفة من شرفات مئذنة قايتباي بالمسجد النبوي الشريف [لوحة ١٥٤] .

وتبنى المقرنصات عادة من الحجر ، وبخاصة في المواضع التي تبنى من الحجر أيضاً ، كما أنها قد تبنى من الخشب لحمل السقوف الخشبية(٥) ، وظهرت في بعض العمائر مقرنصات رخامية(٦) .

ولإضفاء مزيد من الجمال والزينة عليها ، فكانت تغشى في بعض الأحيان بالتذهيب واللازورد(٧) .

---

(١) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٠ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٠ .

(٣) فهمي عبدالعليم ، جامع المؤيد شيخ ، ص ٣٢ .

(٤) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر هرمز ، ص ١٧٠ .

(٥) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ، ص ٢٢٢ .

(٦) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ١٦٩ .

(٧) مايسة داود ، النوافذ وأساليب تغطيتها في عمائر المماليك ص ٢١٨ ، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٥ .

سادساً : الصنج المزررة :

ويستخدم المصطلح للدلالة على حجارة البناء المتداخلة فيما بين بعضها البعض « التعشيق »[1] . والغرض من التزرير تحقيق مقاصد معمارية وزخرفية . إذا أنها من الناحية المعمارية تزيد متانة العقد وقوته فتمنع انزلاق مكوناته أو تفككها[2] ، كما يحدث في حالة هبوط كتف الباب أو النافذة[3] . فتمكن المعمار بذلك من الاستغناء عن الأعتاب ، والتي كانت تحتاج في بنائها إلى كتلة حجرية ضخمة قد يصعب الحصول عليها[4] .

أما من الناحية الزخرفية ، فإن التزرير يعطي الواجهات جمالاً زخرفياً عبر الأشكال التي تتخذها هذه الصنج[5] .

ولكي يتسنى بناء العقد من الصنج المزررة فلقد اشترط أن تكون حجارتها من الفص النحيت « مهذبة » ومتساوية في سعتها وعددها ، وموضوعة بالتماثل بالنسبة لمحورها[6] . وفي كثير من الحالات تغشى هذه بألواح من الرخام الأبلق ، أو المشهر بسمك يصل إلى ٣ سم . وتُدْخَل في حجارة العقد الأصلي بحيث يكون سطحها هو سطح العقد[7] ، وإن كان ليس من الضروري أن يكون تزريرها مماثلاً لتزرير هذه الحجارة[8] .

(١) دللي ، العمارة العربية ، ص ٧ ، فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر ، ج١ / ص ٢٠٩ ، صالح لمعي ، التراث المعماري ص ٣٨ .

(٢) فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر ج١ / ص ٢٠٩ ، سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ص ٢١٦ ، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ص ٢٢ .

(٣) صالح لمعي ، التراث المعماري ، ص ٣٨ ، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ص ٢٢ .

(٤) أحمد فكري ، المدخل ص ٣٦ ، دولت عبدالله ، معاهد تزكية النفوس ص ٢٦٨ ، سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ص ٢١٦ .

(٥) عبدالرحيم إبراهيم ، تاريخ الفن في العصور الإسلامية ص ٢٦٨ .

(٦) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ص ٢٢ .

(٧) المرجع السابق نفسه ص ٢٣ .

(٨) صالح لمعي ، التراث المعماري ص ٣٨ .

ولقد عرف التزرير منذ ما قبل العصر الإسلامي[١] ، وظهر على العمارة الإسلامية منذ العصر الأموي[٢] ، ثم أخذ بالانتشار والتطور[٣] حتى بلغ ذروة تطوره في عصر المماليك[٤] ، وبالأخص العصر الجركسي[٥] ، حيث أضحت أشكال التزرير تنقسم إلى نوعين رئيسيين ، هما :

أولاً : الصنج البسيطة :

وهى التي يكون نمط تزريرها بسيطاً ، وينقسم إلى نوعين هما :

أ ـ الصنج المسلوبة[٦] : [شكل ٧٨] وهي التي تكون مستوية الأطراف من الجانبين ، ويظهر هذا النوع من التزرير في أكثر من موضع في العمائر الدينية الجركسية ، فيرى على العقود المقوصرة والتي سبق الإشارة إليها أثناء الحديث عن المداميك الملونة . ويرى أيضاً على العقود العاتقة والمستقيمة ، كما في مدرسة وخانكاه فرج بن برقوق ، وفي العقود المستقيمة لواجهة مدرسة جوهر اللالا ، وفي العقود العاتقة التي تعلو الأبواب المطلة على الصحن لمدرسة تغرى بردى ، وفي غير ذلك من العمائر التي تعود لذلك العصر[٧] .

---

(١) أحمد فكري ، المدخل ص ٣٦ ، دولت عبدالله ، معاهد تزكية النفوس ، ص ٢٦٧ ، صالح لمعي ، التراث المعماري ص ٣٨ ، كريزويل ، الآثار الآسلامية الأولى ص ١٦٨ .

(٢) فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر ج١ / ص ٢٠٩ ، أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج١ / ص ١٥١ .

(٣) المرجع السابق نفسه ج١ / ص ١٥١ ، ج٢ / ص ٨٢ ــ ٨٣ ، دولت عبدالله ، معاهد تزكية النفوس ، ص ٢٦٨ ، محمد الكحلاوي ، مدرسة الأمير عبد الغني الفخري ، ص ١٠٨ .

(٤) فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر ، ج١ / ص ٢١١ ، عبدالرحيم إبراهيم ، تاريخ الفن في العصور الإسلامية ، ص ٢٦٨ ، شاهنده فهمي، جوامع ومساجد أمراء الناصر محمد ، ص ، ٣٨٢ .

(٥) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٨ .

(٦) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٨ .

(٧) المرجع نفسه ص ٢٨ – ٢٩ .

ب ـ الصنج المدرجة[1] : [شكل ٧٩] وهي صنج يكون بأطرافها كسرات بسيطة متتابعة تماثل الدرج في تكوينها ، ولقد ظهرت على العقود العاتقة ، كما في واجهة سبيل مسجد فرج بن برقوق ، وفي واجهة مدرسة أبي بكر مزهر ، وظهرت أيضاً على العقود المستقيمة مثل العقود المستقيمة لواجهة كل من مدرسة عبدالغني الفخري ومدرسة وخانقاه برسباي بالصحراء[2] .

ثانياً : الصنج المركبة :

وفي هذا النوع يكون التزرير معقداً في تكوينه الفني ، وهو ينقسم إلى قسمين رئيسيين هما :

أ ـ الصنج ذات التزرير الهندسي : وهي التي يتخذ تزريرها أشكالاً هندسية وتنقسم إلى طرز متعددة أبرزها الصنج ذات الأشكال النجمية [لوحة ١١٣] ويمكن رؤيتها على العقود المستقيمة لبعض العمائر ، مثل العقد المستقيم للشباك الأوسط لسبيل مسجد تمراز الأحمدي وفي شبابيك الواجهة الشمالية الغربية لمدرسة أبناء قايتباي[3] .

وهناك أيضاً الصنج ذات الأشكال المقعرة [شكل ٨٠] ويمكن مشاهدتها على العقود العاتقة لشبابيك واجهة مدرسة أيتمش البيجاسي ، وواجهة مدرسة قايتباي بالكبش ، وعلى العقود العاتقة والمستقيمة ، كما في الأبواب الأربعة المطلة على الصحن للمدرسة الباسطية ، وعلى شبابيك واجهة مدرسة قايتباي بالصحراء ، وعلى العقود المستقيمة لواجهة مدرسة أبو بكر مزهر[4] .

---

(١) نفسه ص ٢٩ .

(٢) نفسه ص ٢٩ .

(٣) نفسه ص ٣٦ .

(٤) نفسه ص ٣٠ – ٣٢ .

ومن الطرز الهندسية للصنج المزررة ، تلك التي لها أطراف متماوجة [شكل ٨١] ، ومن الأمثلة عليها : العقود العاتقة والمستقيمة لشبابيك الواجهة الجنوبية الشرقية « القبلية » والجنوبية الغربية لمدرسة قجماس الاسحاقي(١) ، وفي مصطبتي مدرسة قانصوه الغوري ، وفي العقود المستقيمة للأبواب المطلة على الصحن في مدرسة قايتباي بالكبش(٢) .

ب ـ الصنج ذات التزرير على هيئة أشكال نباتية : وهي التي تتخذ فيها الصنج أشكالاً تماثل بعض أنواع الزخارف النباتية التي كانت متبعة في ذلك العصر ، وهي أيضاً على طرز متعددة ، فمنها ما يأتي على شكل أوراق نباتية ثلاثية مقلوبة ومعدولة [شكل ٨٢] كما في العقود المستقيمة والعاتقة للأبواب الأربعة المطلة على صحن مدرسة جمال الدين يوسف الاستدار وفي مصطبتي مدخل جامع ومدرسة المؤيد شيخ وفي العقود المستقيمة لشبابيك الواجهة الرئيسة لمدرسة برسباي بالأشرفية(٣) .

ومن الصنج ذات الأشكال النباتية ما يكون منها على شكل الورقة الخماسية البتلات [شكل ٨٣] ويشاهد هذا الطراز على العقود المستقيمة ، كما في شبابيك واجهتي مدرسة جمال الدين يوسف الاستدار و جامع مدرسة المؤيد شيخ وعلى الباب الفرعي لمدرسة قايتباي بالصحراء(٤) .

---

(١) نفسه ص ٣٠ .

(٢) نفسه ص ٣٠ .

(٣) نفسه ص ٣٤ .

(٤) نفسه ص ٣٤ – ٣٥ .

سابعاً : الشُّرُفات :

ويعرف بهذا اللفظ المكان العالي ، كأعلى البناء ، ويطلق أيضاً على الحائط عندما يوضع في مستوى السقف[١] .

ويقصد بالشرفة في عمائر المماليك وحدات بارزة توضع بجوار بعضها البعض في أعلى العمائر[٢] .

ولقد كان للشرفات بالمباني الدينية وظيفتان أساسيتان ، أولهما : حماية من يتعرض لخطر السقوط من أعلى سطح المبنى وبالأخص فاقدي البصر من المؤذنين أو من يقوم بتنظيف سطح المبنى[٣] . وثانيهما : إعطاء النهايات العلوية للمباني أشكالاً زخرفية تزينها[٤] .

ويعود تاريخ الشرفات إلى ما قبل العصر الإسلامي[٥] ، وظهرت على العمائر الإسلامية منذ العصر الأموي[٦] ، ثم أخذت بعد ذلك بالتوسع والانتشار والتطور حتى بلغت الغاية من ذلك في عصر المماليك[٧] .

---

(١) الزبيدي ، تاج العروس ج٥ / ص ١٦٦ – ١٦٨ ، ج٦ / ص ١٥٤ .

(٢) محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ص ٧٠ ، دللي ، العمارة العربية ، ص ٨ .

(٣) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج١ / ص ٢٠ .

(٤) محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ص ٧٠ ، عبدالرحيم إبراهيم ، تاريخ الفن في العصور الاسلامية ص ٢٤٥ .

(٥) فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر ، ج١ / ص ١٤٦ ، صالح لمعي ، التراث المعماري ص ٥٠ ، عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الإسلامية ص ٢٣٣ .

(٦) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٧٤ .

(٧) المرجع السابق نفسه ص ٧٥ – ٨٣ .

وتميزت العمائر الدينية في مصر بأنها متوجة بالشرفات بصفة دائمة[1] ، بينما كان الأمر في الحجاز فيه شيء من الاختلاف ، إذ أنها استخدمت في عمارة المساجد ، فكانت موجودة على الحرم المكي في العصر الجركسي[2] ، وزود بها مسجد الخيف بمنى في عمارة قايتباي[3] .

كما أنها كانت معروفة في مدارس المدينة المنورة كما يشير بذلك وجودها على المدرسة الباسطية[4] . وهو ما لم يكن متوفراً لمدارس مكة المكرمة لوجود الخارجات في أعلاها حيث تشكل جدرانها التي تعلو واجهاتها حواجز وعناصر زخرفية بديلة عن الشرفات[5] . ولقد سادت الشرفات النباتية على عمائر العصر الجركسي ، ويمكن تقسيمها إلى نوعين رئيسيين هما :

أولاً : الشرفات على هيئة الورقة النباتية الثلاثية : [شكل ٨٤] ،

وهي من أكثر أنواع الشرفات شيوعاً في عمائر العصر الجركسي ، وتشاهد على واجهات كل من مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق[6] ، ومدرسة

(١) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٣١٦ – ٣١٧ .

(٢) الفاسي ، شفاء الغرام ، ج١ / ٣٧٨ – ٣٨٠ .

(٣) ابن فهد ، اتحاف الورى ج٤ / ص ٥١٠ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٢١٢ .

(٥) عن ذلك انظر ص ٤٠٦ .

(٦) عن ذلك انظر ص ٧٧ .

عبدالغني الفخري[١] ، والمدرسة الباسطية بالمدينة المنورة[٢] ، ومدرسة القاضي يحى[٣] ، ومدرسة قايتباي بالصحراء[٤] .

ثانياً : الشرفات على هيئة الورقة النباتية الخماسية : [شكل ٨٥]

ومن الأمثلة على هذا النوع من الشرفات تلك التي على مدرسة جانم البهلوان[٥] ومدرسة قايتباي بالروضة[٦] .

---

(١) محمد الكحلاوي ، مدرسة الأمير عبد الغني الفخري ، ص ٦٩ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٢١٢ .

(٣) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ، ص ٢١٣ .

(٤) عن ذلك انظر ص ١٣٨ ، ١٤٠ .

(٥) علي الطايش ، العمائر الجركسية ص ٣١٧ ـ ٣١٨ .

(٦) حسني نويصر ، منشآت قايتباي الدينية ص ٣٥١ .

ثانياً : العناصر الزخرفيـة :

رافق تطور العمارة في العصر الجركسي ، تطوراً في زخارفـها ، والتي أضحت من أبرز مجالات الابداعه في ذلك العصر .

ويمكن تقسيم العناصر الزخرفية إلى ثلاثة أقسام هي :

أولاً : الزخارف الكتابية .

ثانياً : الزخارف النباتية .

ثالثاً : الزخارف الهندسية .

* * *

أولاً : الزخارف الكتابية :

تعد الزخرفة الكتابية من أكثر الموضوعات الزخرفية تعبيراً عن قيم الحضارة الإسلامية، وذلك لارتباط الخط باللغة العربية وعلاقتها بالقرآن الكريم ، الذي تأثرت به الزخارف الكتابية إلى حد بعيد ، حيث سادت فيها الآيات القرآنية وجاءت منفردة أو متداخلة مع الموضوعات الكتابية الأخرى[1] .

ولقد استفاد الصانع المسلم كثيراً من خصائص الخط العربي ، وما يتميز به من ليونة مكنت من استخدامه في المجال الزخرفي حتى أنها اعتبرت من أرقى فروع الفنون التطبيقية التي عرفتها الحضارة الإسلامية وأخرج منها أشكالاً وعناصر تعكس رقياً في الابداع الفني[2] .

---

(١) زكي حسن ، تراث الإسلام « مترجم » ١٩٣٦م القاهرة ، ج٢/ص ١٦-١٧ . عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الإسلامية ، ص ١٧٨ .

(٢) طه عبد القادر عمارة ، الأبواب المصفحة في عهد السلطان حسن في القاهرة ، ص ١٩٧ .

ويمكن تقسيم الزخارف الكتابية على العمائر في مصر والحجاز في فترة الدراسة إلى أربعة أقسام رئيسة ، هي :

أولاً : النصوص التأسيسية : وتتضمن هذه النصوص العبارات التي تفيد ببناء المنشأة ، أو بعض ملاحقها ، فهناك نصوص تأسيسية تشير إلى بناء المنشأة بأكملها ، مثل تلك التي على عضادتي المدخل في كل من مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق بالصحراء[١] ، ومدرسة جاني بك[٢] ، ومدرستي قايتباي بالصحراء[٣] ومكة المكرمة[٤] . وهناك نصوص أخرى خاصة بالملاحق[٥] كتلك الخاصة بإنشاء المحاريب ، مثل النص التأسيسي الخاص بانشاء المحراب النبوي في مسجده الشريف بأمر من السلطان قايتباي سنة [٨٨٨ هـ / ١٤٨٣ م][٦] . وهناك نصوص خاصة بالمآذن مثل مئذنتي جامع ومدرسة المؤيد شيخ فكان على الغربية منهما نص تأسيسي يفيد بالأمر بإنشائهما[٧] . وما يشاهد على المآذن يشاهد على الأسبلة والكتاتيب ، إذ زودت أسبلة بعض العمائر بنصوص تأسيسية خاصة بها ، كما في سبيل مدرسة

---

(١) عن ذلك انظر ص ٧٨ .

(٢) عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ص ١٤٥ .

(٣) عن ذلك انظر ص ١٤٤ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٢٥٠ .

(٥) وكان لبعض الأثاث الخاص بالعمائر الدينية لوحات تأسيسية ، كالمنبر وكرسي المصحف وغير ذلك ، بيد أنها لا تعتبر ضمن النصوص الخاصة بالعمائر . انظر حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ، ص ٢٢٧ ، علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ١٨٠ .

(٦) محمد الشهري ، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي ص ٣٦٨ ، صالح لمعي ، المدينة المنورة ، ص ١٢٠ .

(٧) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ، ص ٥٩ .

برسباي بالأشرفية[١] . وسبيل مدرسة أبو بكر مزهر[٢] . وقد يزود السبيل والكتاب بنص تأسيسي لكل منهما ، كما في مكتب سبيل مدرسة قايتباي بالصحراء[٣] .

ولقد اختلف عدد النصوص التأسيسية في العمائر ، فمنها من لا يوجد به سوى نص تأسيسي واحد ، كما في مدرسة إينال اليوسفي والتي كان بها نص تأسيسي واحد يعلوا واجهة مدخلها[٤] ، ومدرسة جمال الدين يوسف الاستادار والتي بها نص تأسيسي وحيد يعلوا واجهات صحنها[٥] ، ومدرسة بيبرس الخياط والتي لها نص تأسيسي وحيد يقع في إيوانها القبلي[٦] .

ومن هذه العمائر ما زود بأكثر من نص تأسيسي ، فكان للمدرسة الباسطية نصان تأسيسيان[٧] ، بينما زودت مدرسة برسباي بالأشرفية بأربعة نصوص تأسيسية[٨] ، وبلغ عددها في مدرسة قجماس الاسحاقي إحدى عشر نصاً[٩] ، وعشرون نصاً لمدرسة السلطان الغوري[١٠] .

---

(١) عن ذلك انظر ص ١٠٤ .

(٢) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ١٥٩ – ١٦١ .

(٣) عن ذلك انظر ص ١٣٨ ، ١٦٠ .

(٤) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ١٠٣ – ١٠٤ .

(٥) محمد عبدالستار عثمان ، وثيقة جمال الدين الاستادار ص ١٢١ .

(٦) عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ص ١١٤ .

(٧) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ، ص٢٥٣–٢٥٤.

(٨) عن ذلك انظر ص ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٦ ، ١٢٠ .

(٩) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ص ٢٦٥ – ٢٦٧ .

(١٠) محمد فهيم ، مدرسة السلطان قانصوه الغوري ص ١٦٨ – ١٩٦ .

وكذلك توزعت هذه النصوص التأسيسية على مواضع مختلفة من المبنى فمن ذلك أن تكون على عضادتي المدخل ، كما سبق أن شاهدنا ، أو أن توضع في أعلى واجهة المدخل كما في مدرسة أيتمش البيجاسي(١) ، وفي باب النبي بالمسجد الحرام(٢) [٨٢٥ هـ / ١٤٢٢ م] ، وفي مدرسة القاضي يحى(٣) .

وقد توضع هذه النصوص في أعلى الواجهة الرئيسة للمبنى ، مثل مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق(٤) ، ومدرسة وخانقاه فرج بن برقوق(٥) ، ومدرسة القاضي عبد الباسط(٦) .

وظهرت هذه النصوص التأسيسية داخل الدركاوات أيضاً مثلما هو موجود في دركاه كل من جامع ومدرسة المؤيد شيخ(٧) ، ومدرسة قجماس الاسحاقي(٨) .

ووجدت النصوص التأسيسية بكثرة داخل صحون العمائر ، ومن الأمثلة على ذلك مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق(٩) ، والمدرسة الباسطية(١٠) ، وجامع

---

(١) عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ص ٨٢ .

(٢) هذا الباب من أبواب المسجد الحرام بمكة المكرمة ، وقد جددت عمارته على يد السلطان برسباي وظل كذلك حتى التوسعة السعودية ، باسلامة ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ١١٧ .

(٣) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ، ص ٢٧٦ .

(٤) عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ص ٢٢٠ .

(٥) عن ذلك انظر ص ٧٣ .

(٦) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ص ٢٥٤ .

(٧) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ، ص ٥٨ .

(٨) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ، ص ٢٦٦ .

(٩) عن ذلك انظر ص ٨٤ .

(١٠) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ، ص ٢٥٤ .

ومدرسة قراقجا الحسني[١] ، ومدرسة القاضي يحى وجامعه ببولاق[٢]، ومدرسة السلطان إينال بالصحراء[٣] .

ومن هذه النصوص ما كان يوضع داخل الأروقة والأواوين والسدلات ، كما في رواق القبلة لجامع ومدرسة المؤيد شيخ[٤] ، وفي جامعي القاضي يحى ببولاق والحبانية[٥] ، وفي ايوان القبلة لمدرسة قايتباي بالصحراء[٦] ، وفي إيواني وسدلتي مدرسة قجماس الاسحاقي[٧] . بالإضافة إلى وجود نصوص تأسيسية توجد في بعض ملاحق المنشآت ، وقد سبق الاشارة إلى ذلك .

وتختلف مضامين هذه النصوص فيما بين بعضها البعض ، فمنها ما يكون مبتدأ بالبسملة ، ثم آية قرآنية ، ومن الأمثلة على ذلك النص التأسيسي بصحن مدرسة جمال الدين يوسف الاستادار[٨] ، والنص التأسيسي الذي يعلو الواجهة الرئيسة للمدرسة الباسطية[٩] ، ونص الكتاب لمدرسة قايتباي بالصحراء[١٠] ، ونص عضادتي المدخل لمدرسة قايتباي بمكة المكرمة[١١] .

---

(١) حسني القصاص ، مساجد وأمراء الظاهر جقمق ، ص ٢١٦ .

(٢) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ص ٢٨١ – ٢٨٣ ، ٢٩٣ .

(٣) سامي حسن ، السلطان إينال وآثاره المعمارية ص ١٨٨ – ١٨٩ .

(٤) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ص ٥٩ .

(٥) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ص ٢٩٤ ، ٢٩٩ .

(٦) عن ذلك انظر ص ١٥٠ .

(٧) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ، ص ١٢١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٨) محمد عبدالستار عثمان ، وثيقة جمال الدين الاستادار ص ١٢١ .

(٩) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ص ٢٥٣.

(١٠) عن ذلك انظر ص ١٣٨ .

(١١) عن ذلك انظر ص ٢٥٠ .

ومن هذه النصوص ما يكون قاصراً على البسملة ، كما في عضادتي المدخل الغربي لمدرسة وخانقاه فرج بن برقوق[1] ، ومدرسة برسباي بالصحراء[2] . وقد يسبق البسملة استعاذة من الشيطان الرجيم ، كما في النص التأسيسي في أعلى واجهة مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق[3] ، وقد يبدأ النص التأسيسي بآية قرآنية بدون بسملة ، كما هو موجود على النص التأسيسي على محراب جامع القاضي يحى بالحبانية[4] .

وهنـــاك نصوص تأسيســية خلت من البسملة والآية القرآنية ، وإنما تبدأ بالإشارة إلى الأمر بإنشاء المبنى ، مثلما هو مشاهد في النص التأسيسي بأعلى واجهة مدرسة إينال اليوسفي[5] ، وفي النص التأسيسي الموجود على أحد أعمدة رواق القبلة لجامع ومدرسة المؤيد شيخ ، وكذا في مئذنته[6] ، وفي النص التأسيسي الواقع فـوق مستوى الشبابيك بإيوان القبلة لمدرسة قايتباي بالصحــراء[7] . وبالنص التأسيسي الخاص بسبيل مدرسة أبو بكر مزهر[8] .

وكانت هذه النصوص التأسيسية ، تتضمن الإشارة إلى المنشيء وألقابه ووظائفه . فإذا كان سلطاناً ، فإن النص التأسيسي يتضمن بالإضافة إلى ذلك ذكر ألقابه التي تعلي من شأنه وترفع من قدره ، كلقب العادل ، والملك ، وحامي

---

(١) عن ذلك انظر ص ٧٨ .

(٢) محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ص ١٦٣ .

(٣) عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ص ٢٢٠ .

(٤) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ص ٢٩٤ .

(٥) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(٦) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ص ٥٩ - ٦٠ .

(٧) عن ذلك انظر ص ١٥٠ .

(٨) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ص ١٥٩ .

حوزة الدين ، وخادم الحرمين الشريفين ، وغير ذلك من الألقاب التي تتعدد في النص الواحد حتى تصل إلى تسعة عشر لقباً ، كما هو مشاهد في النص التأسيسي الذي يعلو الواجهة الرئيسة لمدرسة وخانقاه فرج بن برقوق بالصحراء[١] . أو إلى أكثر من ذلك ، كما في النص التأسيسي بأعلى صحن مدرسة السلطان إينال بالصحراء ، حيث وصل عدد الألقاب فيه إلى خمسة وعشرين لقباً[٢] .

وقد يرد في النص التأسيسي الاشارة إلى التواضع والتذلل من قبل السلطان كما هو وارد في نص المحراب النبوي بمسجده الشريف ، إذ ورد فيه ما نصه « ... العبد الفقير المعترف بالتقصير مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي ... »[٣] .

وهذا يشير إلى أن هذا السلطان أظهر التواضع والخضوع ، لأن المكان ينسب للرسول ﷺ .

وإذا كان المنشيء أميراً أو وزيراً فيرد في النص التأسيسي لمنشآته ، ذكر لوظائفه التي تقلدها كما في النص التأسيسي بأعلى الواجهة الرئيسة للمدرسة الباسطية[٤] . والنص التأسيسي الذي يعلو واجهة المدخل بمدرسة فيروز الساقي[٥] . والنص التأسيسي لسبيل مدرسة أبو بكر مزهر[٦] .

---

(١) عن ذلك انظر ص ٧٣ .

(٢) سامي حسن ، السلطان إينال وآثاره المعمارية ص ١٨٨ – ١٨٩ .

(٣) محمد الشهري ، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي ص ٣٦٨ ، صالح لمعي ، المدينة المنورة ص ١٢٠ .

(٤) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ص٢٥٣.

(٥) عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ، ص ٢٣٧ .

(٦) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ١٥٩ – ١٦٠ .

وهناك نصوص تأسيسية تضمنت الاشارة إلى مباشر العمارة ، ويكـون من الأمراء إذا كـانت العمارة لسلطـان ، كما في النص التأسيسي بأعلى واجهة مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق[١] . والنص التأسيسي على باب النبي في المسجد الحرام بمكة المكرمة[٢] .

وتضمنت بعض النصوص التأسيسية ذكر لنوعية المنشأة ووظيفتها ، وقد يرد الإشارة هنا إلى أكثر من وظيفة للمبنى ، كما في منشأة الظاهر برقوق والتي أطلق عليها المدرسة والخانقاه[٣] . بينما أطلقت النصوص التأسيسية على منشأة فرج بن برقوق مسمى الخانقاه والتربة[٤] . وإن كان يغلب على النصوص التأسيسية التي على العمائر ذكر وظيفة واحدة للمنشأة . كأن تعرف بالمدرسة ، أو بالجامع وهكذا ...

ويلاحظ هنا أن هناك عمائر كانت تخلو نصوصها التأسيسية من أي ذكر لنوعيتها ووظيفتها ، كما في مدرسة قجماس الاسحاقي[٥] ، ومدرسة قرقماس بالصحراء[٦] .

وكانت معظم النصوص التأسيسية تتضمن الاشارة إلى إنشاء المبنى وإن كان بصيغ مختلفة « ... كأمر بانشاء المدرسة ... » « أو انشاء المدرسة ... »

---

(١) عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ص ٢٢٠ – ٢٢١ .

(٢) باسلامة ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٢٧ .

(٣) عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ص ٢٢٠ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٤ .

(٥) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ص ٢٦٢ .

(٦) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ص ٢٦٢ .

وما شابه ذلك ، كما في مدرسة إينال اليوسفي[1] ، ومدرسة وخانقاه فرج بن برقوق بالصحراء[2] ، ومدرسة القاضي عبد الباسط[3] ، ومدرستي قايتباي بالصحراء[4] ، ومكة المكرمة[5] .

أما إذا كان المبنى مسجداً أو أعيدت عمارته فيرد في النص التأسيسي ما يفيد ذلك ، كصيغة « ... أمر بعماره ... » أو « .. عمر .. » أو « .. أمر بتجديد .. » كما في النص التأسيسي على باب النبي بالمسجد الحرام بمكة المكرمة[6] . وعلى جامع نور الدين جولاق[7] [٨٧٠ هـ/ ١٤٦٦ م] ، وعلى مسجد الخيف بمكة المكرمة[8] ، والمسجد النبوي بالمدينة المنورة[9] .

ومن أبرز ما تضمنته النصوص التأسيسية ، تواريخ البناء والعمارة لهذه المنشآت . وكانت بعض هذه النصوص التأسيسية تحتوي على تاريخين في النص الواحد ، فيمثل الأول تاريخ البدء في البناء ، والثاني تاريخ الفراغ منه . ومن الأمثلة على ذلك ، النص التأسيسي بأعلى واجهة كل من المدرسة

---

(١) علي الطايش ، العمائر الجركسية ص ١٠٣ – ١٠٤ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٤ .

(٣) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ص ٢٥٣.

(٤) عن ذلك انظر ص ١٤٤ .

(٥) عن ذلك انظر ص ٢٥٠ .

(٦) باسلامة ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٢٦ .

(٧) عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ، ص ٣٠٨ ، وهذا الجامع من إنشاء القاضي نور الدين جولاق ناظر بندر جدة ، المرجع السابق نفسه ، ص ١٥٠ ، ٣٠٨ .

(٨) إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ج١ / ص ٣٢٤ .

(٩) صالح لمعي ، المدينة المنورة ص ١١٩ .

الباسطية[١] ، ومدرسة برسباي بالأشرفية[٢] ، والنص التأسيسي بأعلى الصحن في مدرسة إينال بالصحراء[٣] . بينما يغلب على النصوص التأسيسية المؤرخة أن تحتوي على تأريخ واحد . إما أن تسبقه عبارة تشير إلى تاريخ الفراغ من عمارة المبنى كما في النص التأسيسي بأعلى واجهة مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق[٤] . والنص التأسيسي على عضادتي المدخل الشمالي لمدرسة فرج بن برقوق[٥] ، وعلى النص التأسيسي الذي بأعلى واجهة مدرسة جانم البهلوان[٦] ، أو أن تسبق هذا التاريخ عبارة تشير إلى الأمر بالانشاء مثلما هو موجود في النص التأسيسي الذي يعلوا واجهة مدرسة أيتمش البيجاسي[٧] ، والنص التأسيسي الذي بأعلى الواجهة الرئيسة لمدرسة كافور الزمام[٨] ، والنص التأسيسي الذي على المدخل الرئيسي لمسجد الخيف بمنى[٩] ، والنص التأسيسي لسبيل مدرسة أبو بكر مزهر[١٠] .

---

(١) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ، ص ٢٥٣.

(٢) عن ذلك انظر ص ١٠٦ .

(٣) سامي حسن ، السلطان إينال وآثاره المعمارية ص ١٨٨ – ١٨٩ .

(٤) عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ص ٢٢١ .

(٥) عن ذلك انظر ص ٧٥ .

(٦) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٢٨٦ .

(٧) عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ، ص ٢١٧ .

(٨) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٣٢ .

(٩) إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ج١ / ص ٣٢٤ . ويرد في النص أن تاريخ العمارة كان سنة ٨٩٤هـ ويبدو أن ذلك ناتج عن خطأ مطبعي لأنه يرد في الصفحة التي بعدها من نفس الكتاب أن أعمال قايتباي بمسجد الخيف كانت سنة ٨٧٤هـ وهو التاريخ الصحيح كما مر معنا .

(١٠) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ص ١٥٩ – ١٦١ .

وهناك نصوص تأسيسية غير مؤرخة ، فالنص التأسيسي الوحيد في جامع القاضي يحى بالحبانية لم يكن مؤرخاً [1] ، وكذلك الحال مع النص التأسيسي على عضادتي مدخل كل من مدارس قايتباي بمكة المكرمة[2] ، والكبش ،والروضة[3] .

ومما يجدر ذكره أن جميع هذه النصوص كتبت بالخط النسخ باستثناء النص التأسيسي الذي على مدخل مسجد ومدرسة قراقجا الحسني ، والذي كتب بالخط الكوفي[4] .

ثانياً : الآيات القرآنية : توجت عمائر العصر الجركسي بالعديد من آيات القرآن الكريم ، والتي حرص الصانع المسلم أن ينوع تواجدها بحيث تنتشر في كافة أرجاء المنشأة . وقد تقع ضمن عبارات أخرى ، كالنصوص التأسيسية ، وقد سبق الإشارة إلى ذلك . وتنوعت الآيات القرآنية المستخدمة على عمائر العصر الجركسي ، وكثرت فشملت موضوعات عدة وردت في القرآن الكريم .

ومن أبرز الآيات المستخدمة تلك التي تدل على أن عمارة المساجد في صفات المؤمنين كما في قوله تعالى : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر .. ﴾ (سورة التوبة آية : ١٨) حيث تشاهد في أعلى واجهة مدرسة القاضي عبدالباسط[5] . وعلى مدخل كل من مدرسة

(١) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ص ٢٩٨ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٢٤٩ .

(٣) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ، ص ٣٤٦ ، ٣٨٨ .

(٤) حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ، ص ٢١٩ .

(٥) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ، ص ٢٥٣.

جـوهر اللالا[١] ، ومدرسـة قايتباي بمكة المكرمة[٢] ، وفي إيوان القبلة لمدرسة قاني باي الرماح بالقلعة[٣] . وقد ترفق بـهذه الآيـة الكريمة آية أو آيات قبلها وبعدهـا ، مثلما هـو موجـود على بـاب الحـزورة بالحـرم المكي الشريف[٤] [٨٠٤ هـ/ ١٤٠١ م] وفـي أعلى رواق القبلة لجامع ومدرسة المؤيد شيخ[٥] ، وعلى عضادتي مدخل مدرسة الأمير قرقماس[٦] .

ومن الآيات الواردة على العمائر الجركسية ، تلك الدالة على نصرة الله عز وجل لرسوله ﷺ ، كقوله تعالى : ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبينا ... ﴾ (سورة الفتح آية : ١ ومابعدها) ويشـاهـد هـذا النص في أعلى واجهة مدرسـة برسباي بالأشرفية[٧] ، وفي أعلى صحن مدرستي قايتباي بمكة المكرمة[٨] ، وبالروضة ، وفوق محراب الأخيرة أيضاً[٩] .

وفي أعلـى الـواجهة الرئيسة لكل من مدرستي أزبك اليوسـفي[١٠] ، ومدرسة قانصوه الغوري[١١] .

---

(١) ليلى الشافعي ، مدرسة جوهر اللالا ص ١٨٥ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٢٤٩ .

(٣) سامي عبد الحليم ، آثار الأمير قاني باي الرماح ، ص ٢١٦ .

(٤) باسلامة ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٢٦ .

(٥) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ، ص ٥٦ - ٥٧ .

(٦) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ص ٢٦١ .

(٧) عن ذلك انظر ص ١٠٦ .

(٨) عن ذلك انظر ص ٢٥٨ .

(٩) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ، ص ٣٩ .

(١٠) عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ص ٣١٨ .

(١١) محمد فهيم ، مدرسة السلطان قانصوه الغوري ، ص ١٦٨ .

كذلك ظهرت على كتابات بعض العمائر الآيات التي توحد الله عز وجل وتبرز صفاته ، كآية الكرسي ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ... ﴾ (البقرة آية ٢٥٥ » . وتشاهد في أعلى واجهة مدرسة مقبل الداودي[١] ، وبأعلى صحن مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق[٢] ، وبإيوان القبلة لمدرسة قجماس الاسحاقي[٣]، وبأعلى بدن الدور الثاني لمئذنة مدرسة قرقماس بالصحراء[٤] .

ووردت أيضاً الآيات التي تدل على فضل المساجد وأنها مواضع توحيد الله وعبادته كما في قوله تعالى : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا ﴾ (سورة الجن آية : ١٨) كما هو موجود على عضادتي مدخل مدرسة برسباي بالأشرفية[٥] ، ومدخل جامع تمراز الأحمدي[٦] ، ومدخل مدرسة قجماس الاسحاقي[٧] ، وفي إيوان القبلة لمدرسة أزبك اليوسفي[٨] .

ومن الآيات الواردة على العمائر ، تلك التي تحث على العبادة وفعل الخيرات ، كقوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم ... ﴾ (الحج آية : ٧٧) . وتشاهد على عضادتي المدخل لمسجد فرج بن

---

(١) عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ص ٢٢٧ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٨٤ .

(٣) سوسن سليمان ، منشآة الأمير قجماس ص ١٢١ .

(٤) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ، ص ٢٦٩ .

(٥) عن ذلك انظر ص ١٠٨ .

(٦) مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز الأحمدي ص ٣١.

(٧) سوسن سليمان ، منشآة الأمير قجماس ص ١٠٣ .

(٨) عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ص ٣٩٦ .

برقوق[1] [زاوية الدهيشة] ، وعلى حنية محراب كل من جامع القاضي يحى ببولاق[2] ، ومدرسة قايتباي بالصحراء[3] .

ومن الآيات التي وردت في الكتابات على العمائر ، تلك التي تشير إلى تحديد القبلة التي يستقبلها المسلمون في صلاتهم . كقوله تعالى : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء ... ﴾ (البقرة آية : ١٤٤) ، وتُرى هذه الآية في حنية محراب كل من مدرسة القاضي يحى[4] ، ومدرسة قايتباي بالكبش[5] ، ومحراب النبي ﷺ في مسجده الشريف[6] .

كذلك وردت الآيات التي تحث على التدبر والتفكر في خلق الله عز وجل ، كقوله تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ... ﴾ (آل عمران ١٩٠ ـ ١٩٢) ، كما هو مشاهد في كل من مئذنة جامع القاضي يحى بالحبانية[7] ، وبأعلى واجهة مدرسة جانم البهلوان[8]، وعلى مئذنة مدرسة الأمير قرقماس[9] .

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ٢٨٩ .

(٢) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ، ص ٢٩٧ .

(٣) عن ذلك انظر ص ١٤٩ .

(٤) ليلى الشافعي ، منشأة القاضي يحى زين الدين ، ص ٢٩٨ .

(٥) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ، ص ٣٨٩ .

(٦) صالح لمعي ، المدينة المنورة ص ١١٩ .

(٧) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ص ٣٠١ .

(٨) علي الطايش ، العمائر الجركسية ص ٤٤٩ .

(٩) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ص ٢٦٦ .

ووردت أيضاً الآيات التي تتحدث عن السقاية في مزملة مدرسة برسباي بالأشرفية[١] ، وفي مزملة مدرسة قايتباي بالصحراء[٢] .

وكانت الآيات القرآنية السابقة تكتب بالخط النسخ باستثناء القليل منها ، الذي كتب بالخط الكوفي كما في مدخل مدرسة الجمالي يوسف[٣] ، ومحراب مدرسة قجماس الاسحاقي[٤] .

ثالثاً : نصوص الوقف : وردت في بعض المدارس كتابات تتضمن نصف إيقاف المدرسة ، كما في مدرسة مقبل الداودي ، والتي يعلو مدخلها نص يتضمن الإشارة إلى وقفها[٥] ، ويوجد أيضاً في الإيوانين الجانبيين لمدرسة برسباي بالأشرفية إزار كتابي يتضمن نص إيقاف المدرسة يشمل وصف المبنى وشروط الواقف ، ومصاريف الوقف والجهات الموقوفة وغير ذلك[٦] .

رابعاً : نصوص تتضمن أدعية وعبارات متفرقة : والأمثلة على ذلك كثيرة ككتابة شهادة التوحيد مثلما هو موجود على جانبي مدخل جامع ومدرسة المؤيد شيخ[٧] . وعلى جانبي مدخل مدرسة كافور الزمام[٨] .

---

(١) عن ذلك انظر ص ١٢١ .

(٢) عن ذلك انظر ص ١٦١ .

(٣) عادل شريف ، الأعمال المعمارية ليوسف بن بركة ص ١٠٣ .

(٤) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ، ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

(٥) Berchem ; Materiaux Pouruncorpus; 308 - 309 .

(٦) محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ص ٦١-٦٧.

(٧) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ، ص ٦١ .

(٨) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ص ١٠٦ .

ووردت أيضاً عبارات دعائية « كالعز والاقبال » على مدخل مدرسة السلطان إينال بالصحراء[1] ، أو « عز نصره » كتلك التي على الرنوك الكتابية التي على العمائر مثلما هو موجود على مدارس السلطان قايتباي بالقاهرة[2] .

وكغيرها من الكتابات فإن الغالب استخدام الخط النسخي في كتابة هذه العبارات ، وكان استعمال الخط الكوفي فيها قليلاً ، وكلاهما نوعان من الخطوط ظهر منذ ما قبل الإسلام[3] ، بيد أن استخدامها على العمائر كان قاصراً في البداية على الخط الكوفي ، ولم يظهر الخط النسخي على العمائر إلا في نهاية القرن الخامس ٥ هـ / ١١ م . وأوائل السادس ٦هـ/١٢م[4] ، حيث بدأ استخدام الخط الكوفي على العمائر يقل ليحل محله الخط النسخي ، والذي أضحت له السيادة في هذه الكتابات وبخاصة في العصر الجركسي[5] .

---

(١) سامي حسن ، السلطان إينال وآثاره المعمارية ص ١٨٨ .

(٢) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٠١ .

(٣) إبراهيم جمعة ، دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة ، القاهرة ص ٥٢ - ٥٣ .

(٤) أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ج١ / ص ١٩٠ - ٢٠١ ، حسن الباشا ، المدخل ، ص ٣٠٧ - ٣١٢ ، حسين عليوه ، الكتابات الأثرية العربية، دراسة في الشكل والمضمون ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٨٤م ، ص ٩ - ١٤ .

(٥) عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ، ص ٤٨ - ٤٩ .

ثانياً : الزخارف النباتية :

عرف الفن الإسلامي الزخارف النباتية كغيره من الفنون التطبيقية الأخرى[١] ، واستخدمت بكثرة على العمائر التي أنشأها المسلمون[٢] ، ولأن الشريعة الاسلامية حرمت استخدام الصور الحية من إنسان وحيوان ، فاتجه الصانع المسلم نحو البحث عن أساليب زخرفية لا تتعارض مع تعاليم الدين الإسلامي ، فكانت الزخارف النباتية عنصراً بارزاً في هذا المجال[٣] ، فتعامل معها برهافة حس وروح من الابداع مكنته من ابتكار أشكال جديدة تميز بها هذا الفن عن غيره من الفنون[٤] .

ولقد بلغت الزخارف النباتية في عصر المماليك ، مستوى رفيع من التطور والرقي بحيث ارتبطت ارتباطاً عضوياً مع الوحدات المعمارية والعناصر الزخرفية الأخرى ، فشكلا معاً لوحة متجانسة ومترابطة تظهر مدى الدقة وروح الإبداع التي وصل إليها الصانع في ذلك العصر[٥] . وكانت هذه الزخارف تنفذ على المواد المختلفة كالحجر والرخام والخشب[٦] ، كما أنها أضحت تشمل موضوعات وعناصر متعددة أبرزها التالي :

---

(١) حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ، ص ٢٠٢ .

(٢) عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الاسلامية ص ٣٢ .

(٣) زكي حسن ، فنون الاسلام ص ٢٥١ ، فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر ج١/ ص ٢٥٨ – ٢٦٦ ، حسن الباشا ، الفنون الاسلامية « أصولها ومجالها ومداها » مجلة منبر الاسلام ، العدد الخامس ، أغسطس ١٩٦٥م. ص١٨٣-١٨٤ .

(٤) نجاة شاكر زيدان ، أثر العقيدة الاسلامية في الزخرفة عند المسلمين ، مجلة الدارة ، العدد الرابع ، السنة الثالثة ١٣٩٨هـ ، ص ٧٧ .

(٥) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ص ٢٣٣ .

(٦) علي الطايش ، العمائر الجركسية ص ٤٣٤ .

أولاً : زخرفة التوريق « الأرابسك » :

تعد زخارف التوريق من أبرز الموضوعات الزخرفية التي تنسب إلى الصانع المسلم ، وأشهرها على الاطلاق[1] ، وهي عبارة عن فروع نباتية متمايلة ومتشابكة تحوي رسوماً محورة عن الطبيعة ترمز إلى الأوراق والزهور[2] .

وكانت البداية الحقيقية لظهور زخرفة التوريق في العمارة الإسلامية في العصر العباسي ، فتشاهد منذ القرن الثالث ٣ هـ / ٩ م على الزخارف الجصية بمدينة سامراء[3] . ثم أخذت بعد ذلك بالتطور والانتشار في سائر أرجاء العالم الإسلامي ، حتى أضحت من خصائص هذا الفن وإحدى أبرز معالمه التي تميزه عن الفنون الأخرى[4] .

ولقد بلغت زخرفة التوريق في العصر الجركسي مستوى رفيع من التطور والازدهار ، فتميزت مكوناتها بدقة الصنعة وثراء في العناصر ، علاوة على التناسق والتماثل مع مراعاة النسب والمسافات إلى أبعد حد ممكن[5] .

ويظهر التوريق على أجزاء كثيرة من عمائر ذلك العصر فيمكن مشاهدتها على المآذن كما في الدورة الثانية لمئذنة تمراز الأحمدي[6] [لوحة ١٤٢] ،

---

(١) عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الاسلامية ص ٣٣ .

(٢) حسن الباشا ، المدخل ، ص ٢٤٢ .

(٣) زكي حسن ، فنون الاسلام ص ٢٥٠ .

(٤) فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر ج١ / ص ٢٥٩ ، عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الاسلامية ، ص ٣٣ .

(٥) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ص ٢٣٨ ، علي الطايش ، العمائر الجركسية ص ٢٣٤ ، حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ، ص ٢٠٤ .

(٦) مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز الأحمدي ، ص ٣٧ .

ولمئذنة مدرسة قايتباي بالكبش[1] ، كذلك استخدمت هذه الزخارف على واجهات المداخل ، مثل الحشوات المضلعة في واجهات حجر المدخل الفرعي للمدرسة الباسطية[2] [لوحة ١١١] وفي حجر مدخل مدرسة قايتباي بمكة المكرمة[3] .

واستخدمت زخرفة التوريق بكثرة على التكسيات الجصية والرخامية والحشوات الحجرية بالعمائر الدينية الجركسية بحيث تشمل واجهات العقود والوزرات الرخامية كما في جامع ومدرسة المؤيد شيخ[4] [لوحة ١١٩] ، وفي مدرسة جوهر اللالا[5] علاوة على استخدامها في زخرفة الأعمدة الرخامية المدمجة بحيث تغطي هذه الزخارف مجمل بدن العمود . ومن الأمثلة على ذلك العامودين المدمجين بركني الإيوان الشمالي الغربي « البحري » في مدرسة قجماس الاسحاقي [لوحة ١٥١] بالإضافة إلى استخدامها في زخرفة أجزاء من واجهة المدرسة نفسها[6] .

وتظهر زخرفة التوريق أيضاً على أسقف العمائر الدينية الجركسية فيمكن مشاهدتها في أسقف الأروقة والأواوين ، كما في المدرسة الباسطية[7] ، وفي مدرسة برسباي بالأشرفية ، وجامع ومدرسة برسباي بالخانكة[8] .

---

(١) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٣٢٠ .

(٢) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبدالباسط ، ص ٢٤٧ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٢٥١ .

(٤) فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ، ص ٣٩ – ٤٠ .

(٥) ليلى الشافعي ، مدرسة جوهر اللالا ص ١٧٣ . سعاد ماهر ، مساجد مصر، ج٤/لوحة ٥٠ .

(٦) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ص ٢٣٤ .

(٧) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ص٢٤٧.

(٨) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ص ٢٩٢ .

ومن الواضح أن وجود زخرفة التوريق على واجهة حجر مدرسة قايتباي بمكة المكرمة ، كما سبق أن ذكرنا ، وفي كوشتي وطاقية محراب النبي في مسجده الشريف [لوحة ١٥٥](١) ، يعد مؤشراً على إمكانية استخدام مثل هذه الزخارف على أجزاء أخرى من هذين المبنيين ، كالأسقف وغير ذلك .

ثانياً : الأوراق النباتيــة :

ويعود تاريخ هذا العنصر الزخرفي إلى ما قبل الاسلام ، وظهر على العمارة الإسلامية منذ العصر الأموي(٢) . وأخذت بعد ذلك بالانتشار والتطور حتى أضحى له أشكالاً متعددة وبخاصة في العصر الجركسي(٣) ، فكان منها ما هو متعدد الفصوص ـ فصين إلى خمسة فصوص ـ ومنها ما كان له فص واحد فقط(٤) .

ولقد استخدمت الأوراق النباتية بكثرة في عمائر ذلك العصر فنجدها على سبيل المثال ضمن زخرفة المآذن ، كما في مئذنـة مدرسة القاضي يحى(٥) [لوحـة ١٣٢] ، ومئذنة جامع تمراز الأحمدي(٦) [لوحة ١٤٢] . كذلك تظهر هذه الزخرفة على الوزرات داخل الأواوين والأروقة ، كما في مدرسة برسباي

---

(١) ويذكر صالح لمعي أن طاقية هذا المحراب مشغولة بزخارف هندسية ، صالح لمعي ، المدينة المنورة ص ٨٧ ، بينما يتضح من اللوحة أعلاه أنها مشغولة بزخارف التوريق .

(٢) فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر ج١/ص ٣٢١ .

(٣) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ص ٢٤٤ ، حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ص ٢٠٥ .

(٤) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحي زين الدين ص ٢٦٤ ، عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ص ١٣٦ ، حسني القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ص ٢٠٥ .

(٥) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحي زين الدين ص ٢٦٤ .

(٦) مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز الأحمدي ، ص ٣٧-٣٨.

بالأشرفية، وفي جامعه بالخانكه[١]. علاوة على وجودها على الأسقف الخشبية ، كما في الأسقف الخشبية لمدرسة القاضي يحى[٢] .

ثالثاً : الوريدات والأزهار :

ويعود استخدام هذه العناصر الزخرفية إلى ما قبل الإسلام ، ويدأ استخدامها بكثرة على المنتجات الصناعية منذ العصر الفاطمي والأيوبي[٣] . ثم انتقلت إلى الصناعة والعمارة المملوكية، حيث شاع استخدامها[٤] ، وظهر منها ما هو متعدد البتلات[٥] .

ويمكن مشاهدة هذا العنصر في أكثر من موضع في عمائز ذلك العصر، إذ استخدمت بكثرة على أسقفها ، وبخاصة الخشبية ، كما في أسقف مدرسة الأمير عبدالغني الفخري[٦]، ومدرسة جوهر اللالا[٧]، ومدرسة القاضي يحى[٨] ، ومدرسة قجماس الاسحاقي[٩] .

وتظهر هذه الزخارف أيضاً على أبدان المآذن ، كما في مئذنتي جامعي القاضي يحى ببولاق والحبانية علاوة على استخدامها على مدخليهما[١٠] ،

(١) محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ص ٢٩٢.

(٢) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ص ٢٦٤ .

(٣) حسين عليوة ، كراسي العشاء المعدنية في عصر المماليك ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٥م ، ص ١٤٢ .

(٤) المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٢ .

(٥) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ١٣٨ .

(٦) محمد الكحلاوي ، مدرسة الأمير عبد الغني الفخري ، ص ١٢٣ .

(٧) ليلى الشافعي ، مدرسة جوهر اللالا ، ص ١٧٤ . سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج٤/لوحة ٥٣ .

(٨) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ، ص ٢٦٦ .

(٩) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ، ص ٢٤٧ .

(١٠) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ص ٢٦٧ .

وعلى مدخل مدرسة الأمير قرقماس[1] . وتظهر أيضاً على المحاريب كما في محراب مدرسة قجماس الاسحاقي[2] . [لوحة ١٥٣] .

الزخارف الهندسية :

استخدم الصانع في العصر الجركسي الزخارف الهندسية بكثرة على العمائر فجعلها همزة الوصل بين العناصر الزخرفية الأخرى ، بحيث كونت سوياً جماليات الزخارف على عمائر ذلك العصر .

وتميزت هذه الأشكال بليونتها مما مكن صانع ذلك العصر من استخدامها على المواد المختلفة وفق طرز متعددة .

وتنقسم الأشكال الهندسية في العصر الجركسي إلى أنواع عدة أبرزها الأنواع التالية :

أولاً : الخطوط الهندسية :

وتتضمن هذه الزخارف الخطوط المستقيمة والمائلة والمتكسرة . وقد تستخدم هذه الخطوط كموضوع زخرفي ، أو كإطار يحيط بعناصر معمارية أو موضوعات زخرفية أخرى ، ويمكن تقسيم زخرفة الخطوط الهندسية إلى الأنواع التالية :

أ ـ الخطوط المستقيمة : وهي الأصل لكل شكل هندسي ، ولذلك عرفت في جميع الحضارات القديمة ، ومنها انتقلت إلى العمارة الإسلامية ، حيث أخذت بالانتشار والتطور بعد ذلك[3] .

---

(١) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ص ٢٢٤ .

(٢) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ص ٢٤٥ ، ٢٤٧ .

(٣) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ .

ومن أبرز المجالات الزخرفية التي استخدم فيها هذا النوع من الخطوط ، هو وضعها كأطر ملونة تحيط بعناصر أخرى معمارية أو زخرفية ، فنجدها تحيط بالتكوينات الزخرفية والمعمارية لواجهات الداخل . كما في مدخل مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق(١) . ومدخلي مدرستي قايتباي بالصحراء(٢) . ومكة المكرمة(٣) ، ومدخل مدرسة قجماس الاسحاقي(٤) .

وتشكلت من هذه الخطوط أيضاً بعض التكسيات الرخامية التي توجد في داخل المنشآت ، فنجدها على جدران الأواوين ، كما في مدرسة جوهر اللالا(٥)، ومدرسة القاضي يحى(٦) ، ومدرسة قجماس الاسحاقي(٧) [لوحة ١٥٢] ونجدها أيضاً على الأرضيات كما في مدرسة برسباي بالأشرفية، وجامعه بالخانكه(٨) ، وفي مدرسة أبو بكر مزهر(٩) .

وتظهر هذه الخطوط في شكل أشرطة أفقية أو رأسية متجاورة ، كما في التكسيات الرخامية الرأسية بجامع ومدرسة المؤيد شيخ وبمحراب النبي عليه الصلاة والسلام بمسجده الشريف بالمدينة المنورة [لوحة ١٥٥] وبمحراب مدرسة الغوري(١٠) .

---

(١) عن ذلك انظر ص ٧٩ .

(٢) عن ذلك انظر ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٢٥٣ .

(٤) سوسن سليمان ، منشآة الأمير قجماس ص ٢٥١ .

(٥) ليلى الشافعي، مدرسة جوهر اللالا، ص ١٧٧ . سعاد ماهر، مساجد مصر، ج ٤ / لوحة ٥٠، ٥٤، ٥٥ .

(٦) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ص ٢٧٠ .

(٧) سوسن سليمان ، منشآة الأمير قجماس الاسحاقي ص ٢٥١ .

(٨) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ص ٢٨٢ ـ ٢٨٤ ، ٢٨٧ - ٢٨٨ . سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج ٤/ لوحة ٦٧ .

(٩) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ١٤٣ .

(١٠) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج ٤/ لوحة ١٦٢ .

ب ـ الأشكال الدالية : وتعرف بزخرفة « الزجاج » ، وهي عبارة عن خطوط متكسرة ومعقوفة تنفذ بأسلوب متكرر[١] . وهي من ابداعات الصانع المسلم وثمرة لمحاولاته تطوير الخطوط المستقيمة . وكانت بداية ظهور هذه الأشكال على العمائر في العصر الفاطمي[٢] . ثم استمرت بعد ذلك في العصر الأيوبي[٣] ، وبدأت بالتوسع والانتشار في العصر المملوكي البحري[٤] . حيث بلغت مرحلة الاستقرار في أشكالها وأوضاعها الزخرفية في أواخر هذا العصر وأوائل عصر الجراكسة[٥] . وأضحت من أكثر الزخارف الهندسية انتشاراً وشيوعاً[٦] . وكانت تنفذ في غالب الأحوال على الحجارة والرخام[٧] .

وتظهر هذه الزخارف على أجزاء كثيرة من عمائر ذلك العصر ، حيث يمكن رؤيتها على المآذن ، كما في مئذنة مدرسة قاني باي المحمدي[٨] [لوحة ١٠٤] ، ومئذنتي جامع ومدرسة المؤيد شيخ[٩] [لوحة ١١٥] ، ومئذنة المدرسة

---

(١) حسين عليوة ، كراسي العشاء المعدنية في عصر المماليك ، ص ١٥٤ .

(٢) أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ج١ / ص ٢٧ لوحة « ٦ » .

(٣) علي الطايش ، العمائر الجركسية ص ٤١٨ .

(٤) حسين مصطفى رمضان ، المحاريب الرخامية في القاهرة في عصر المماليك البحرية ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص٨٨ ، ١١١ ، جمال عبدالرحيم ، الزخارف الجصية في عمائر القاهرة الدينية الباقية في العصر المملوكي البحري ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٩٨٦م ص ٥٠ .

(٥) حسين عليوة ، كراسي العشاء المعدنية في عصر المماليك ، ص ١٥٤ .

(٦) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ص ٢٥٢ – ٢٥٣ .

(٧) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٤١٩ .

(٨) فهمي عبدالعليم ، العمارة الإسلامية في عصر المؤيد شيخ ، ص ١٢٩ .

(٩) فهمي عبدالعليم ، جامع المؤيد شيخ ، ص ٣٦ .

الباسطية[1] ، ومئذنة قايتباي بالمسجد النبوي الشريف [لوحة ١٥٤] . ومئذنة مدرسة قرقماس بالصحراء[2] .

كما تشاهد على أجزاء من بعض الواجهات مثل واجهة مدرسة تغري بردى[3] وواجهة مسجد لاجين السيفي[4] . كما زخرفت بها بعض قباب ذلك العصر[5] ، وبعض الأعمدة المدمجة ، كما في العامود المدمج الواقع في ركن واجهتي مدرسة جمال الدين يوسف الاستادار[6] [لوحة ١٠٣] .

وتشاهد الزخارف الدالية أيضاً على الأرضيات الرخامية لبعض العمائر ، كما في المدرسة الباسطية[7] ومدرسة أبي بكر مزهر[8] ، ومدرسة قجماس الاسحاقي[9] .

جـ ـ الجفوت والميمات : والجفت عبارة عن إطار بارز ممتد يتكون من خطين يماثلان طوقين صغيرين يتقاطعان في منطقة معينة ، وعادة ما يكونان منحوتان من الحجر أو الرخام[10] . ولإظهار جمال الجفت فلقد تخللت

---

(١) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ، ص ٢٣٧.

(٢) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ص ٢٣٣ .

(٣) وزارة الأوقاف ، مساجد مصر ، ج٢ / لوحة ١١٨ .

(٤) حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ، ص ٢١٢ .

(٥) محمد حمزة ، القباب في العمارة ، ص ١٦٦ – ١٦٨ .

(٦) محمد عبدالستار عثمان ، وثيقة جمال الدين الاستادار ص ١١٤ .

(٧) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ، ص ٢٣٧.

(٨) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ١٤٣ .

(٩) سوسن سليمان ، منشأ الأمير قجماس الأسحاقي ص ٢٥١ .

(١٠) عبداللطيف ابراهيم ، الوثائق في خدمة الآثار ص ٤٣٧ ، محمد أمين ، ليلى ابراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ٢٩ .

أطواقه أشكال مستديرة سميت بالميمات[١] ، وعرف الجفت بذلك بجفت الميمة أو الجفت اللاعب[٢] .

ويعود تاريخ الجفت إلى ما قبل العصر الإسلامي ، وإن كان من الملاحظ أن استخدامه وتكوينه كان بسيطاً جداً[٣] . وكانت بداية ظهوره على العمارة الإسلامية في العصر الأموي[٤] . ثم أخذ بالتوسع والانتشار في العمارة الإسلامية في مصر والعراق وبلاد المغرب العربي وبلغ ذروة تطوره وانتشاره في العصر الجركسي[٥] ، فيوضع كإطار يحيط بوحدات معمارية أو زخرفية أخرى ، فنجده يحيط بواجهات المداخل كما هو موجود في مداخل كل من مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق بالصحراء[٦] ، ومدرسة جقمق [لوحة ١٣٤] . وفي مدارس قايتباي بالصحراء[٧] ، والكبش[٨] ، ومكة المكرمة[٩] .

ويظهر الجفت أيضاً كإطار يحيط بواجهات العقود ، كما في عقود أواوين مدرسة جمال الدين الاستادار[١٠] ، ومدرسة برسباي بالأشرفية[١١] ،

---

(١) دللي ، العمارة العربية ، ص ٦ .

(٢) حسن القصاص، مساجد أمراء الظاهر جقمق ، ص ١٩٧، علي الطايش، العمائر الجركسية ص ٤٢٢.

(٣) أحمد فخري ، مصر الفرعونية ١٩٧١م ، القاهرة ص ٩٢ .

(٤) جمال عبد الرحيم ، الحليات المعمارية ص ٨٥ .

(٥) المرجع السابق نفسه ص ٨٥ – ٨٧ .

(٦) عن ذلك انظر ص ٧٨ .

(٧) عن ذلك انظر ص ١٤٦ .

(٨) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ، ص ١١٢ .

(٩) عن ذلك انظر ص ٢٥٤ .

(١٠) جمال عبد الرحيم ، الحليات المعمارية ص ٨٨ .

(١١) عن ذلك انظر ص ١١٨ .

ومدرسة قجماس الاسحاقي[١] ، علاوة على استخدامه على المآذن كإطار ، أو كموضوع زخرفي .

ومن الأمثلة على ذلك مئذنتي مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق بالصحراء[٢]، ومئذنة مسجد ومدرسة قراقجا الحسني[٣] ، ومئذنة قايتباي بالمسجد النبوي الشريف [لوحة ١٥٤] .

ويمكن تقسيم الجفت إلى نوعين رئيسيين هما : الجفت البسيط ، والذي يكون خالياً من الميمات[٤] [شكل ٨٦] أو ينتهي بميمة في أعلاه[٥] [شكل ٨٧] ، والجفت ذو الميمات [شكل ٨٨] وهو الذي يتكون من ميمات تتخلل إطاره ، وقد تكون هذه الميمات جوفاء أو ناتئة ، وقد يكون مظفوراً في بعض الأحيان[٦] .

ثانياً : الأشكال النجمية :

وتقوم فكرة هذه الأشكال على أساس تحويل الخطوط الهندسية والزوايا إلى أشكال أكثر تعقيداً وصولاً إلى الطبق النجمي[٧] . وهي من إبداعات الصانع المسلم . وكانت بداية ظهورها منذ عصر الدولة الطولونية[٨] ،

(١) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ، ص ٢٣٠ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٩٣ .

(٣) حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ، ص ١٩٧ .

(٤) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ، ص ٢٣١ ، علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٤٢٢ .

(٥) جمال عبد الرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٨٩ .

(٦) المرجع السابق نفسه ص ٩٠ – ٩٢ .

(٧) زكي حسن ، فنون الاسلام ، ص ٢٤٨ – ٢٤٩ .

(٨) أحمد فكري ، المدخل ص ١٢٤ ــ ١٢٥ ، أشكال ٥٩ ، ٦١ ، كريزويل : الآثار الإسلامية الأولى ص ٤١٠ ، ٤١١ ، شكل ٦٢ .

ثم أخذت بالتطور حتى بلغت مستوى رفيع في عصر المماليك الجراكسة[1] ، فأضحت من الأساليب الزخرفية المحببة ، واستعملت بكثرة في الفنون التطبيقية وبخاصة الخشبية منها[2] .

ولقد استخدمت الزخارف النجمية على أجزاء كثيرة من عمائر ذلك العصر، ومن أبرز المواضع التي ظهرت فيها على العمائر الجركسية المداخل مثل : مدخل مدرسة القاضي يحى[3] ، ومدخل مدرسة قايتباي بمكة المكرمة[4]، ومدخل مدرسة أبي بكر مزهر[5] [لوحة ١٤٦] ، ومدخل مدرسة أزبك اليوسفي [لوحة ١٥٧] .

وظهرت الزخارف النجمية على المآذن مثل مئذنة مدرسة تغري بردى [لوحة ١٢٧] ، ومئذنة جامع القاضي يحى ببولاق[6] ، ومئذنة مدرسة قايتباي بالصحراء[7] . علاوة على ظهورها على بعض القباب[8] .

(١) محمد حمزة ، قرافة القاهرة ص ٤١١ – ٤١٤ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ص ٢٧٣ ، علي الطايش ، العمائر الجركسية ص ٣٢٨ – ٣٣١ .

(٣) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ص ٢٧٠ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٣٥١ .

(٥) عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر ، ص ١٤٥ .

(٦) ليلى الشافعي ، منشآت القاضي يحى زين الدين ، ص ٢٧١ .

(٧) عن ذلك انظر ص ١٦٧ .

(٨) محمد حمزة ، القباب في العمارة ، ١٦٩ .

ثالثاً : الأشكال المضلعة والدوائر والمثلثات :

وهـي عبارة عن أشكال هندسية متنوعة تشمل المربعات والمعينات ، والمستطيلات بالإضافة إلى الدوائر والمثلثات ، وهو أسلوب من الزخرفة عرفه الصانع المسلم منذ العصر الأموي(١) ، وأخذ بعد ذلك بالتطور حتى بلغ مستوى رفيع في عمائر الجراكسة(٢) .

وتظهر هذه الأشياء بكثرة على أرضيات العمائر الجركسية ، كما في مدرسة عبدالغني الفخرى(٣) [لوحة ١٠٧] ، ومدرسة جوهر اللالا(٤) ، ومدرسة برسباي بالأشرفية(٥) ، ومدرسة قايتباي بالصحراء(٦). ومدرسة أزبك اليوسفي ، ومدرسة الغوري(٧) .

---

(١) سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الاسحاقي ، ص ٢٥٤ – ٢٥٥ .

(٢) المرجع السابق نفسه ص ٢٧٧ – ٢٧٨ .

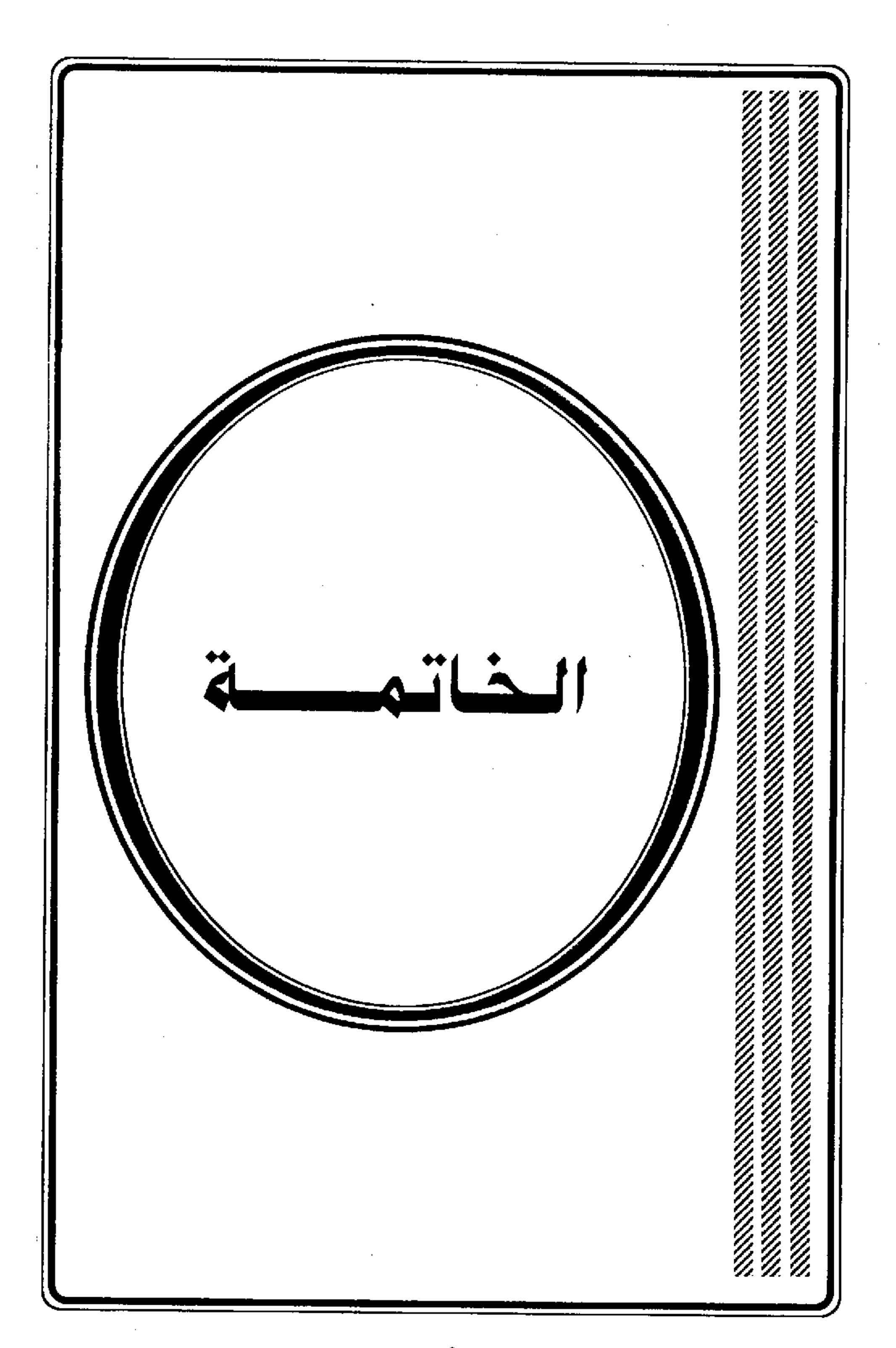
(٣) محمد الكحلاوي ، مدرسة الأمير عبد الغني الفخري ، ص ١٢٠ .

(٤) ليلى الشافعي ، مدرسة جوهر اللالا ، ص ١٧٨ .

(٥) عن ذلك انظر ص ١١٢ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١١٩ .

(٦) عن ذلك انظر ص ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٨ .

(٧) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ج ٤/ لوحة ١٤٢ ، ١٥٩ .



الخاتمــــة

تمخض عن هذه الدراسة عدداً من النتائج يمكن حصرها في النقاط التالية:

أولاً : تبين من خلال الدراسة أن هناك ثلاثة أنواع من أنظمة التخطيط المدرسي في مصر والحجاز ، وهي :

١ ـ المدارس ذات التخطيط الرواقي .

٢ ـ المدارس ذات التخطيط الإيواني .

٣ ـ المدارس ذات نظام الحجرة .

وبذلك تنتفي القاعدة الشائعة ، بأن تخطيط المدارس وبخاصة في مصر ، ارتبط دوماً بالتخطيط الإيواني .

كما تبين أن كل نوع من أنواع التخطيط هذه يتبعه عدة طرز ، وذلك بناءاً على تعدد قاعات الدرس فيها مابين الواحدة وأكثر من ذلك ، وبناءاً على تغطية الصحن أو تركه مكشوفاً ، مع ملاحظة أن تعدد القاعات في المدرسة الواحدة في مصر كان أكثر منه في الحجاز ، والذي لم تعرف مدارسه طراز الصحن المسقوف إلا في أضيق الحدود .

ثانياً : أوضحت الدراسة أن جميع أنظمة التخطيط السابقة ظهرت في مصر والحجاز باستثناء نظام الحجرة والذي اقتصر استخدامه على المدارس الحجازية ، حيث كان شائعاً فيها ، في حين أن السائد في مصر كان استخدام الأواوين في تخطيط مدارسها .

ثالثاً : كشفت الدراسة على أن استخدام الأروقة في تخطيط المدارس ، كان معروفاً في مصر منذ أوائل العصر الأيوبي ، كما هو الحال بالنسبة

للأواوين ، والتي عرفتها عمارة المدارس الحجازية منذ ذلك العصر أيضاً. وساد في عمارتها أيضاً منذ ذلك العصر إستخدام الحجرة كنظام للتخطيط المدرسي .

رابعـاً : أثبتت الدراسة أن نظام القاعة المطور ، والمكون من صحن مسقوف يتوسط إيوانين متقابلين وسدلتين جانبيتين ، قد استمد عناصره من أصول موجودة في العمارة المملوكية البحرية ، وأنه جاء نتيجة لدمج هذه العناصر مع بعضها البعض ، وذلك بعكس ما ذهبت إليه نظريات سابقة ، من أنه جاء نتيجة لقيام المعمار بتطوير عمارة وتخطيط النظام المتعامد ، أو لأن عمارة المدرسة تأثرت بعمارة المسكن ، والتي عرفت بدورها أسلوباً قريباً من هذا النمط من التخطيط منذ القرن السادس الهجري .

خامساً : اتضح من خلال دراسة عناصر التخطيط ، أن المدرسة سواء في مصر أو الحجاز ، تتكون من كتل عدة تشمل قاعات الدرس ، والصحن ، ومكتب السبيل ، والمكتبة والمساكن وغير ذلك ، وإن كان يلاحظ أن بعض هذه العناصر كان موجوداً في إقليم منها دون الآخر ، مثل الخارجات والتي كانت معروفة في المدارس الحجازية ، دون نظيرتها المصرية ، بينما هناك عناصر استخدمت بكثافة في مدارس إقليم دون الآخر ، كالمئذنة والتي كان استخدامها شائعاً في المدارس المصرية ، بعكس ما هو موجود في الحجازية حيث كان استخدامها محدوداً .

سادساً : تأكد من خلال دراسة الرواق في العصر المملوكي ، عن ظهور نمط جديد من الأروقة في مصر ، استخدم في عدد من المدارس الجركسية يتميز بأن بوائكه تتعامد على جدار القبلة وقد قامت الدراسة بتبيان الأسباب الفنية التي أدت لظهور هذا النوع من التخطيط .

سابعاً : أدى ظهور النظام المطور في عمارة المدارس إلى تصغير إيواناتها ، فلجأ المعمار لتوسيعهما باستخدام السدلات الجانبية ، فقامت الدراسة بتوضيح كيفية استخدام هذه السدلات ومجالاتها الوظيفية الأخرى .

ثامناً : تسنى في هذه الدراسة معرفة مكونات مداخل المدارس في مصر والحجاز في العصر الجركسي ، وما قام به المعمار من إبداعات في مجال عمارتها سواء من حيث التخطيط ، أو من حيث المكونات المعمارية .

تاسعاً : قدمت الدراسة وصفاً تفصيلياً لمكتبات مدارس ذلك العصر ، وبالأخص من حيث موقعها ضمن مكونات هذه المنشآت .

عاشراً : تطرقت الدراسة إلى مكتب السبيل ، من حيث موقعه ، وطرزه ، ومكوناته المعمارية .

إحدى عشر : أجرت الدراسة وصفاً موسعاً لمساكن المدارس ، مبينة أنواع هذه المساكن ومكوناتها . وكيفية توزيعها ضمن كتلة البناء ، حيث تبين أن المعمار حرص على الاستفادة من كل الفراغات الموجودة في البناء لصالح وحدات الإسكان .

ثاني عشر : بينت الدراسة أهمية المئذنة للمدارس وبخاصة في مصر . وقدمت دراسة مقارنة لموقعها وتكوينها المعماري .

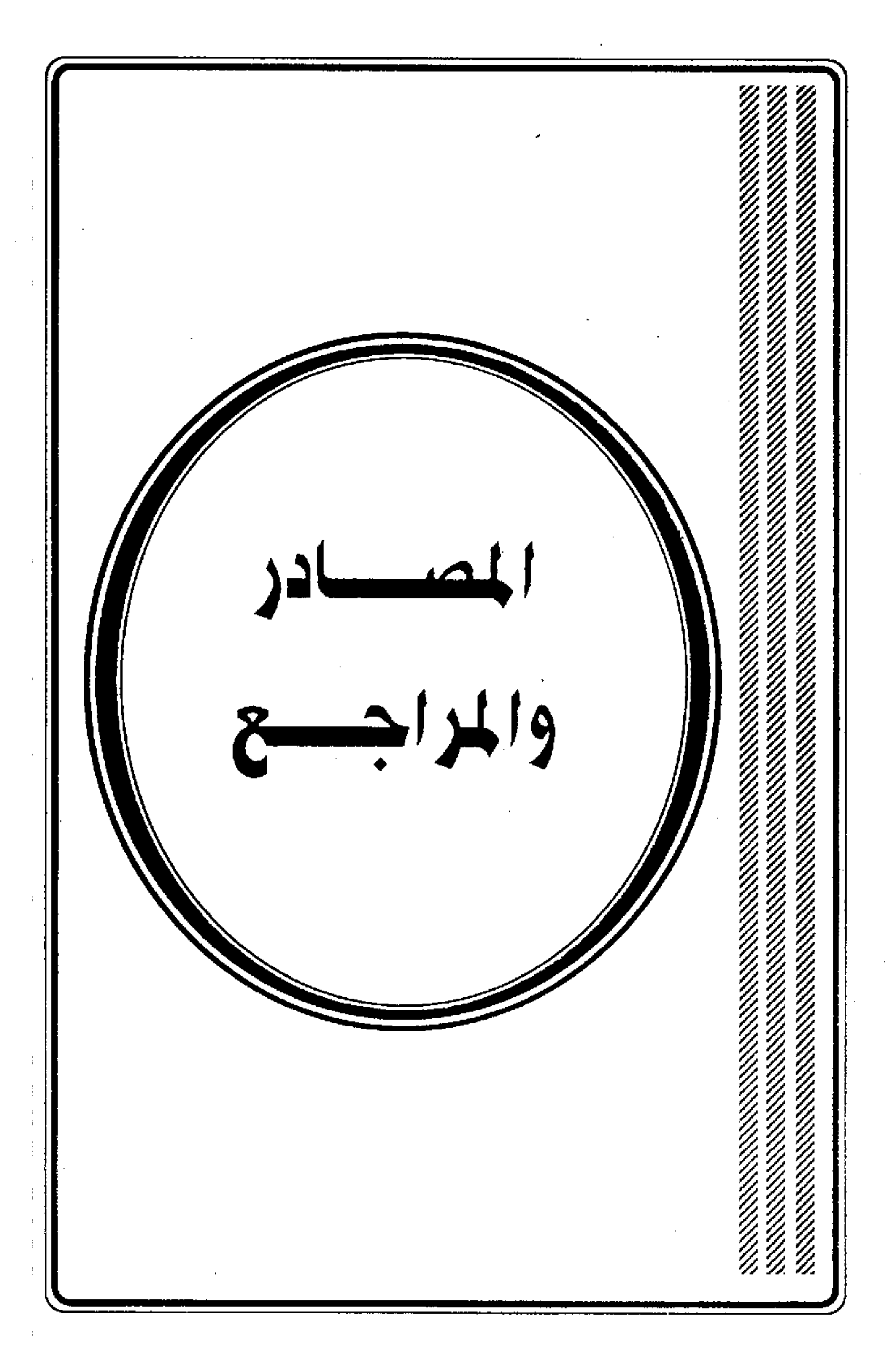
ثالث عشر : قدمت الدراسة أيضاً وصفاً تفصيلياً لمكونات بعض عناصر التخطيط الأخرى ، كالمزملة ، وقاعة الخطابة ، وغير ذلك . ووضحت مواقعها بالنسبة لكتلة البناء ، وعلاقة ذلك بوظائفها .

رابع عشر : بينت الدراسة وظيفة كل عنصر من عناصر التخطيط السابقة ، معتمدة في ذلك على ما ورد في هذا الشأن من نصوص في حجج الوقف الشرعي ، والمصادر التاريخية .

خامس عشر : تطرقت الدراسة إلى أبرز العناصر المعمارية والزخرفية في مدارس مصر والحجاز ، موضحة الفروق بينها إذا وجدت ، وقد تم في هذا الصدد توضيح أبرز استخدامات هذه العناصر ، ومواضعها .

سادس عشر : من خلال كل ذلك ، استطاعت الدراسة أن تكشف عن جوانب مهمة من العمارة الحجازية في ذلك العصر ، سواء من حيث أنظمة التخطيط وعناصره ، أو من حيث العناصر المعمارية والزخرفية بعدما كان يكتنف ذلك الكثير من الغموض .

سابع عشر : تبعاً للنقطة السابقة فقد تبين أن هناك تأثيراً للعمارة المصرية على العمارة الحجازية ، حيث يمكن مشاهدة هذا التأثير في عناصر عدة في التخطيط والعمارة والزخرفة . بيد أن ذلك لم يمنع من وجود مدرسة أقليمية حجازية في العمارة تتميز ببساطتها وتناسبها مع الإمكانات المتاحة في هذا الإقليم .


المصادر
والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً : الوثائــــق :

- حجة وقف المنصور قلاوون ، برقم ٧٠٦ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة.
- حجة وقف الناصر محمد بن قلاوون ، برقم ٤/٢٥ بدارالوثائق القومية بالقاهرة.
- حجة وقف الأمير صرغتمش ، برقم ٣١٩٥ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .
- حجة وقف السلطان حسن برقم ٨٨١ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة.
- حجة وقف الأمير أيتمش البيجاسي برقم ١١٤٣ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .
- حجة وقف الأمير إينال اليوسفي ، برقم ٥٥ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .
- حجة وقف الظاهر برقوق ، برقم ١٥١ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .
- حجة وقف الأمير سودون من زاده ، برقم ٥٨ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .
- حجة وقف الأمير جمال الدين الأستدار برقم ١٠٦ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

- حجة وقف السلطان فرج بن برقوق ، برقم ٦٦ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة.
- حجة وقف الأمير عبدالغني الفخري ، برقم ٧٢ ، بدار الوقائق القومية بالقاهرة .
- حجة وقف السلطان المؤيد شيخ برقم ٩٣٨ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .
- حجة وقف القاضي عبدالباسط برقم ٨٤ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .
- حجة وقف السلطان الأشرف برسباي ، برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .
- حجة وقف الأمير كافور الزمام ، برقم ٧٦ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .
- حجة وقف الأمير جوهر اللالا ، برقم ١٠٢١ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .
- حجة وقف الأمير تغري بردى المؤذي ، برقم ٩٨ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة.
- حجة وقف الأمير قراقجا الحسني ، برقم ٩٢ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .
- حجة وقف القاضي يحى زين الدين ، برقم ١١٠ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .
- حجة وقف الأمير الجمالي يوسف ، برقم ١٠٥ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

- حجة وقف السلطان إينال ، برقم ٦٢ ، تاريخ بدار الكتب المصرية .
- حجة وقف السلطان قايتباي ، برقم ٨٨٦ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .
- حجة وقف السلطان قايتباي ، برقم ٢١٠/٣٣ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .
- حجة وقف الأمير قجماس الأسحاقي برقم ٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .
- حجة وقف الأمير أزبك اليوسفي، برقم ١٩٨، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .
- حجة وقف الأمير قاني باي الرماح ، برقم ١٠١٩ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .
- حجة وقف الأمير آزدمر من على باي برقم ٢٤١ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .
- وثيقة رقم ٢٠ بتاريخ ١٣ ربيع الأول ١٢٣٧هـ محفظة ٨ / بحر برا .
- وثيقة رقم ٥٠ ، في ٢٥ ربيع الأول ١٢٤١هـ في محفظة ١٠ بحر برا ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .
- وثيقـة حكم إزالة الأوقاف المحيطة بالحرم المكي الشريف ، المسجلة في محكمة مكة المكرمة برقم ١٣١٠٥ ، تاريخ ٢٢/١٢/ ١٣٧٧ هـ .

ثانياً : المصادر المخطوطة :

- ابن الصباغ ، محمد بن أحمد المكي « ت ١٣٢١هـ/١٩٠٣م »، تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام و مكة والحرم وولاتها الفخام ، مخطوط ، نسخة مصورة بمركز البحث العلمي، بجامعة أم القرى ، برقم ٢١٨٠.
- ابن فهد ، النجم عمر بن فهد الهاشمي « ٨٨٥هـ/١٤٨٠م»، الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، مخطوط مصور بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم ٣٠٣٢ .
- السنجاري ، علي بن تاج الدين الحنفي المكي «١١٢٥هـ/١٧١٣م»، منائح الكرم في أخبار البيت وولاة الحرم ، مخطوط ، نسخة مصورة بمركز البحث العلمي، بجامعة أم القرى، برقم ٥٢٠ .
- عبدالعزيز بن عمر بن فهد «٩٢٢هـ/١٥١٧م» ، بلوغ القرى في الذيل على إتحاف الورى ، مخطوط ، نسخة مصورة بمركز البخث العلمي بجامعة أم القرى ، برقم ٢٧٤٧٧.
- عبدالله غازي المكي «ت١٣٦٥هـ/١٩٤٥م»، إفادة الأنام بأخبار بلد الله الحرام ، مخطوط ، نسخة مصورة لدى الدكتور سعد الدين أونال ، الباحث بمركز أبحاث الحج ، جامعة أم القرى ،مكة المكرمة .
- القليوبي ، شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة ، فضائل مكة والمدينة وبيت المقدس وشيء من تاريخها ، المعروف بكتاب : النبذة اللطيفة في بيان مقاصد الحجاز ومعالمه الشريفة ، مخطوط مكتبة مكة المكرمة برقم ٢٨ .
- مؤلف مجهول ، الجامع الظريف في حجة المقام الشريف ، مخطوط ، بدار الكتب المصرية برقم ٨٤٥ - جغرافية .

ثالثاً : المصادر المطبوعة :

- إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية .

- الأبشيهي ، شهاب الدين محمد بن أحمد « ت ٨٥٠هـ/١٤٤٦م» ، المستطرف في كل فن مستظرف ١٤١٢هـ /١٩٩٢م . بيروت .

- ابن إياس ، محمد بن أحمد الحنفي « ٩٢٨هـ/١٥٢٢م » ، بدائع الزهور في وقائع الدهور . تحقيق محمد مصطفى زيادة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م ، القاهرة .

- ابن تغري بردى ، أبو المحاسن جمال الدين يوسف «ت٨٧٤هـ/ ١٤٤٣م» ، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، تم تحقيق الأجزاء الأول والثاني والثالث والسادس من قبل محمد محمي أمين ، وحقق الجزآن الرابع والخامس من قبل نبيل محمد عبد العزيز ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م القاهرة .

- ═══ ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق محمد رمزي ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م ، القاهرة .

- ═══ ، الدليل الشافي على المنهل الصافي ، تحقيق فهيم شلتوت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، مكة المكرمة .

- ابن حبيب ، حسن بن عمر بن حسن « ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م» ، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، تحقيق محمد محمد أمين ، ١٩٨٦ م ، القاهرة .

- ابن حجر ، الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني « ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٩ م » ، إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ ، تحقيق محمد عبد المعيد خان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م . بيروت .

- ═══ ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م ، القاهرة .

- ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي « ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م » ، مقدمة إبن خلدون ، بيروت.

- ابن دقماق ، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي «٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م » ، الجوهر الثمين في سيرالخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشورة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م ، مكة المكرمة .

- ═══ ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار قي تاريخ مصر وجغرافيتها ، بيروت .

- ابن سيده ، الحسن بن علي « ت ٤٢٨هـ / ١٠٦٥م » ، المخصص ، تحقيق لجنة إحياء التراث ، بدار الآفاق ، بيروت .

- ابن الصيرفي ، علي بن داود « ت ٩٠٠ هـ / ١٤٥٩ م » ، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ أهل الزمان ، تحقيق حسن حبشي ، ١٩٧٠م ، القاهرة .

- ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحي إبن العماد الحنبلي « ت ١٠٨٩ هـ/ ١٦٧٨ م » ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت .

ـ ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم « ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥م » ، تاريخ الدول والملوك ، بيروت ١٩٣٨م .

ـ ابن فهد ، النجم عمر بن فهد الهاشمي « ت ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠م » ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق الأجزاء الثلاثة الأولى من قبل محمد فهيم شلتوت ، والجزء الرابع من قبل عبدالكريم باز ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، مكة المكرمة .

ـ ═══ ، معجم الشيوخ ، تحقيق محمد الزاهي ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، الرياض .

ـ ابن كثير ، عماد الدين إسماعيل بن عمر«ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م » ، البداية والنهاية ، ١٩٣٢م ، القاهرة .

ـ البنداري ، الفتح بن علي « ت ٦٤٣ هـ / ١٣٢٤٥ م »، سنا البرق الشامي ، تحقيق فتحية النبراوي ١٩٧٩م ، القاهرة .

ـ بيبرس المنصوري « ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م » ، التحفة الملوكية في الدولة التركية، تحقيق عبدالحميد صالح، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م . القاهرة .

ـ ═══ ، تاريخ دولة آل سلجوق ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

ـ الجبرتي ، عبدالرحمن بن حسن « ت ١٢٣٧هـ/١٨٢١م » ، عجائب الآثار المعروف بتاريخ الجبرتي ، القاهرة .

ـ الجزيري، عبدالقاد بن محمد الأنصاري « كان حياً سنة ٩٧٧هـ/١٥٧٥م »، درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، القاهرة .

- الحموي ، محمد بن علي بن نظيف « كان حياً في النصف الأول من القرن ٧هـ/١٣ م » ، التاريخ المنصوري ، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان ، تحقيق أبو العين دودو ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، دمشق .

- الخزرجي ، علي بن حسن « ت ٨١٢هـ/١٤٠٩هـ » ، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، صنعاء .

- الأزرقي ، محمد بن عبدالله « ت ٢٤٤هـ/٨٥٨م » ، أخبار مكة ما جاء بها من الآثار ، تحقيق رشدي الصالح ، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م . مكة المكرمة .

- الزبيدي ، محمد بن مرتضى « ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م » ، تاج العروس من جواهر القاموس ، الطبعة الأولى ١٣٠٦هـ . القاهرة .

- الزركلي ، خير الدين « ت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م » ، الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين ، الطبعة السادسة ١٩٨٤م .

- السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب « ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م » ، معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق محمد علي النجار ، أبو زيد شلبي ، محمد أبو العيون ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م . القاهرة .

- السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن « ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م » ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، بيروت .

- ═══ ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م ، القاهرة .

- ═══ ، التبر المسبوك في الذيل على السلوك . القاهرة .

- السخاوي ، نور الدين علي بن أحمد بن عمر الحنفي ، تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات ، تحقيق محمود ربيع وحسن قاسم ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م ، القاهرة .

- السمهودي ، نور الدين أحمد بن علي « ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥م » ، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م . بيروت .

- الشوكاني ، محمد بن علي « ت ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م » ، البدر الطالع بمحاسن من بعد السابع ، بيروت.

- الصريفيني ، إبراهيم بن محمد بن الأزهر « ت ٥٢٩ هـ/ ١١٣٤م» ، المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ، تحقيق محمد أحمد عبدالعزيز ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م . بيروت .

- الصوفي ، محمد بن أبي الفتح « ت ٩٥٠هـ / ١٥٤٣م » ، الصفوة في وصف الديار المصرية ونظام الممالك الاسلامية ، تحقيق طلال جميل رفاعي ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، مكة المكرمة .

- الطبري ، محي الدين علي بن عبدالقادر «ت ١٠٧٠هـ / ١٦٦٠م » ، الأرج المسكي في التاريخ المكي ، تحقيق ودراسة محمد بن صالح بن عبدالله الطاساني ، جزء من رسالة دكتوراه ، جامعة أدنبرة بريطانيا ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩ م .

- العباسي ، أحمد بن عبد الحميد « ت في القرن ١٠هـ/١٦م » ، عمدة الأخبار في مدينة المختار ، تحقيق محمد الطيب الأنصاري ، الطبعة الخامسة .

- عبدالعزيز بن عمر بن فهد الهاشمي « ت ٩٢٢هـ/١٥١٦م » ، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، تحقيق فهيم شلتوت ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، مكة المكرمة .

- العزى ، نجم الدين محمد بن محمد بن بدر الدين محمد العامري القرشي « ت ١٠٦١هـ / ١٦٥٠م » ، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، تحقيق جبرائيل جبور ، بيروت.

- العصامي ، عبدالملك بن حسين بن عبد الملك المكي « ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م »، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، القاهرة .

- العيني ، بدر الدين محمود بن أحمد « ت ٨٥٥ هـ /١٤٥١ م » ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد أمين، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م ، القاهرة . كما قام عبدالرزاق القرموط ، بتحقيق القسم الخاص بحوادث سنة ٨٢٤ هـ ـ ٨٥٠ هـ ونشر سنة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، القاهرة .

- ═══ ، السيف المهند في أخبار الملك المؤيد ١٩٦٦ م . القاهرة .

- العيدروسي ، محي الدين عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله « ت ١٠٣٨ هـ/ ١٦٢٨ م » ، تاريخ النور السافر عن أعيان القرن العاشر .

- الفاسي ، تقي الدين محمد بن أحمد « ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م » ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تحقيق عبدالسلام التدمري ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، بيروت .

- ═══ ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين قام بالتعليق عليه مجموعة من الباحثين ١٣٨٨هـ ، القاهرة .

- الفاكهي ، محمد بن إسحاق « كان حياً سنة ٢٧٢هـ/٨٨٥م » ، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تحقيق عبدالملك بن دهيش ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، مكة المكرمة.

- القطبي ، عبدالكريم بن محي الدين النهروالي « ت ١٠١٤ هـ/ ١٦٠٥ م » ، إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام ، تحقيق أحمد محمد جمال وعبدالعزيز الرفاعي وعبدالله الجبوري ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، الرياض .

- القلقشندي ، أبي العباس أحمد بن علي « ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م» ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م ، القاهرة .

- الكتاني ، عبدالحي بن عبدالكبير الإدريسي الفاسي « ت ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م » ، التراتيب الإدارية ، بيروت .

- الكردي ، محمد طاهر ، التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ، مكة المكرمة .

- المقريزي ، أحمد بن علي « ٨٤٥هـ/١٤٤١م» ، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيارة وسعيد عاشور ، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ / ١٩٧٩م ، القاهرة .

- ═══ ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، بيروت .

- ═══ ، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، بيروت .

- الملطي ، عبدالباسط بن خليل « ت ٩٢٠هـ/١٥١٤م » ، نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين ، تحقيق محمد كمال الدين ، ط الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م . القاهرة .

- النابلسي ، عبدالغني بن إسماعيل « ت ١١٤٣هـ / ١٦٣٣م » ، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز ، تحقيق أحمد هريدي ، ١٩٨٦م. القاهرة .

- النهروالي ، قطب الدين محمد بن أحمد القطبي الحنفي« ت ٩٩٠ هـ/ ١٥٨٢ م »، البرق اليماني في الفتح العثماني، الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ، الرياض .

- ـــــــ ، الأعلام بأعلام بلد الله الحرام .

المراجع

- إبراهيم جمعة ، دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة . القاهرة .

- أبو الحمد فرغلي ، الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية في القاهرة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م . القاهرة .

- أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، مكة المكرمة .

- أحمد شلبي ، التربية الاسلامية - نظمها - فلسفتها - تاريخها ، الطبعة السادسة ، ١٩٧٨م ، القاهرة .

- أحمد عيسى ، تاريخ البيمارستانات ، ١٩٨١م ، بيروت .

- أحمد فخري ، مصر الفرعونية ، ١٩٧١م . القاهرة .

- أحمد فكري ، المدخل لمساجد القاهرة ومدارسها ، القاهرة .

- ═══ ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ١٩٦٩م . القاهرة .

- أحمد فؤاد باشا ، فلسفة العلوم بنظرة اسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م . القاهرة .

- أوقطاي أصلانابا ، فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة أحمد عيسى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، استانبول .

- باسلامة ، حسين بن عبدالله ، تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم والمنبر وغير ذلك ، الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ /١٩٨٠ م جدة .

- بدر الحاج ، صور من الماضي ، المملكة العربية السعودية ، لندن .
- توفيق أحمد عبدالجواد ، تاريخ العمارة ـ العمارة والفنون الإسلامية ، ١٩٧٠م . القاهرة .
- ثروت عكاشة ، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية . القاهرة .
- ـــــ ، مصر في أعين الغرباء من الرحالة والفنانين والأدباء ، القرن التاسع عشر ، ١٩٨٤م . القاهرة .
- جميل عبدالقادر أكبر ، عمارة الأرض في الإسلام ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ، جدة .
- حسام الدين السامرائي ، المدرسة مع التركيز على النظاميات بحث مقدم للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م ، عمان .
- حسن الباشا ، مدخل إلى الآثار الإسلامية ، القاهرة .
- ـــــ ، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، ١٩٦٥م ، القاهرة .
- حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية . القاهرة .
- ـــــ ، خانقاه فرج بن برقوق بصحراء المماليك ، بحث أُلقي ضمن المؤتمر الدولي الثالث للآثار العربية في فاس ، ١٩٦١م القاهرة .
- حسني نويصر ، مدرسة جركسية على نمط المساجد الجامعة ، مدرسة سودون من زاده بسوق السلاح ، القاهرة .
- دللي ، ولفرد جوزف ، العمارة العربية بمصر ، مع شرح المميزات البنائية الرئيسة للطراز العربي ، ترجمة محمود أحمد ، الطبعة الأولى ، ١٣٤١ هـ / ١٩٧٣ م .

- دولت عبدالله ، معاهد تزكية النفوس في مصر ، ١٩٨٠م ، القاهرة .
- ريشتارد مورتيل ، الأحوال الاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م . الرياض .
- زكي محمد حسن ، فنون الإسلام . القاهرة .
- ═══ ، الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي . القاهرة .
- زيغريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون، كمال دسوقي ، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م ، بيروت .
- سامي عبدالحليم ، الحجر المشهر ، حلية معمارية بمنشآت المماليك في القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- سعاد ماهر ، مساجد مصر وأوليائها الصالحون ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١ م ، القاهرة .
- ═══ ، العمارة الإسلامية على مر العصور ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ،جده .
- سعد الدين أونال ، سليمان مالكي ، دراسة لتوفير المياه في المشاعر المقدسة من وجهة نظر الحجاج لحج عام ١٤٠٨هـ ، بحث ميداني تاريخي ١٤١٣هـ ، مكة المكرمة .
- سعد زغلول ،العمارة والفنون في دولة الإسلام ١٩٨٦م ، الإسكندرية .
- سعيد عاشور ، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م ، القاهرة .
- ═══ ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ١٩٧٢م . بيروت .

- سليمان الخطيب ، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م . القاهرة .
- سنوك هور خورنيه ، صفحات من تاريخ مكة في نهاية القرن الثالث عشر ، ترجمة محمد السرياني ، ومعراج مرزا ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ، مكة المكرمة .
- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، الطبعة السابعة ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م . بيروت .
- صالح لمعي مصطفى ، التراث المعماري الإسلامي في مصر ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / بيروت .
- ═══ ، المدينة المنورة – تطورها العمراني وتراثها المعماري ١٩٨١م . بيروت .
- ═══ ، القباب في العمارة الإسلامية . بيروت .
- ═══ ، الوثائق والعمارة ، دراسات في العمارة الإسلامية من العصرالجركسي ، الجامع الأبيض بالحوش السلطاني بقلعة القاهرة . بيروت .
- ═══ ، جامع ومدرسة المؤيد شيخ ، القاهرة .
- ═══ ، العمارة الإسلامية في العصر المملوكي الجركسي ، خانقاه فرج بن برقوق، القاهرة .
- عائشة عبدالله باقاسي ، بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، مكة المكرمة .

ـ عبدالباقي إبراهيم ، صالح لمعي ، وآخرون ، أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة ، دراسات تحليلية على العاصمة القاهرة ١٤١١هـ /١٩٩٠م . القاهرة .

ـ عبدالرحمن زكي، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م. القاهرة .

ـ عبدالرحمن صالح عبدالله ، تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م .

ـ عبدالرحيم إبراهيم أحمد ، تاريخ الفن في العصور الإسلامية ،العمارة وزخارفها ، الطبعة الأولى ١٩٨٩م . القاهرة .

ـ عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الإسلامية ،الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م . بيروت .

ـ عبدالسلام نظيف ، دراسات في العمارة الإسلامية ، ١٩٨٩م . القاهرة .

ـ عبدالعزيز سالم ، المآذن المصرية ، نظرة عامة عن أصلها وتطورها منذ الفتح حتى العصر العثماني .القاهرة .

ـ عبدالقادر الرحاوي ، العمارة في الحضارة الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م . جده .

ـ عبداللطيف إبراهيم ، الوثائق في خدمة الآثار ، دراسات في الآثار الإسلامية ، القاهرة ١٩٧٩م .

ـ ═══ ، دراسات في الكتب والمكتبات الإسلامية ، المكتبة المملوكية ، ١٩٦٢م ، القاهرة .

- عبداللطيف حمزة ، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والملوكي الأول ، الطبعة الثامنة ، ١٩٦٨م ، القاهرة .
- عبداللطيف عبدالله بن دهيش ، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، مكة المكرمة .
- عبدالمنعم ماجد ، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩م ، القاهرة .
- علي باشا مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ، ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩م ، القاهرة .
- علي بن حسين السليمان ، العلاقات الحجازية المصرية من سلاطين المماليك، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، القاهرة .
- عمر سليمان الأشقر ، تاريخ الفقه الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- عيسى سليمان وآخرون ، العمارات العربية الإسلامية في العراق، ١٩٨٢ م ، بغداد .
- فالتر هنس ، المكاييل والأوزان وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمةكامل العيسى ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ، عمان .
- فريال مصطفى ، البيت العربي في العراق في العصر العباسي ، ١٩٨٢م ، بغداد .
- فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الإسلامية ، ١٩٧٠م ، القاهرة .
- ـــــ ، العمارة العربية الإسلامية ـ ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، الرياض .

ـ فؤاد سزكين ، محاضرات في تاريخ العلوم العربية والإسلامية، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م فرانكفورت .

ـ كريزيويل ، كيبل أرشيبلد تشارلس ، الآثار الإسلامية الأولى ترجمة عبدالهادي عبله ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، دمشق .

ـ كلوت ، أ . ب ، لمحة عامة إلى مصر ، ترجمة محمد مسعود ، ١٩٢٤م ، القاهرة .

ـ كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية في مصر ، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م ، القاهرة .

ـ كونل ، آرنست ، الفن الإسلامي ، ترجمة أحمد موسى ، ١٩٦٦م ، بيروت .

ـ مجدي حريري ، الخارجة ،حل لمشكلة إختفاء الحيز الخارجي في الاسكان الرأسي المعاصر ، بحث قيد النشر .

ـ محمدالحبيب الهيلة ، التاريخ والمؤرخون بمكة ، من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر ، جمع وعرض وتعريف ، الطبعة الأولى ١٩٩٤ ، مكة المكرمة .

ـ محمدالوكيل ، المسجدالنبوي عبر التاريخ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م ، جـده .

ـ محمد أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة ، القاهرة .

ـ محمد حماد ، الإنشاء والعمارة ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٤م .

ـ محمد حمزة الحداد ، القباب في العمارة المصرية الإسلامية، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، القاهرة .

- ــــــ ، العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط المعماري للمدرسة في العصر المملوكي ، بحث منشور في كتاب تاريخ المدارس في مصر الاسلامية ١٩٩٢م القاهرة .
- محمد رياض ، الإنسان دراسة في النوع والحضارة ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٤ م . بيروت .
- محمد عبدالله ، إنشاء مباني ، ١٩٨٧م ، القاهرة .
- محمد عبدالله عنان ، مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م ، القاهرة .
- ــــــ ، مؤرخوا مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري ، القاهرة.
- محمد عبدالستار عثمان ، وثيقةجمال الدين الاستدار ، دراسة تاريخية أثرية وثائقية ، ١٩٨٣م ، القاهرة .
- ــــــ ، المدينة الإسلامية ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، الكويت .
- محمد عبداللطيف هريدي ، شئون الحرمين الشريفين في العهدالعثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩م ، القاهرة .
- محمد عمر رفيع ، مكة في القرن الرابع عشر الهجري ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، مكة المكرمة.
- محمدلبيب البتنوني ، الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا خديوي مصر ، القاهرة .
- محمد محمد أمين ، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ، دراسة تاريخية وثائقية ، ٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٢٠ ـ ١٥١٧م ، الطبعة الأولى١٩٨٠م ، القاهرة .

- محمد محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية ، الطبعة الأولى ١٩٩٠ م ، القاهرة .

- محمد ناصر الدين الألباني ، صحيح الجامع الصغير وزيادته، الفتح الكبير ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، بيروت .

- محمود أحمد ، دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة ، ١٩٣٨م ، القاهرة .

- مصطفى الشكعة ، مناهج التأليف عند العلماء العرب « قسم الأدب » ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٢م ، بيروت .

- ناجي معروف ، مدارس مكة ، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ /١٩٦٦م ، بغداد .

- ناصر بن سعد الرشيد ، بنو فهد مؤرخوا مكة المكرمة،والتعريف بمخطوط النجم بني فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، بحث ضمن كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م،الرياض .

- ناصر عبدالله البركاتي ، محمد نيسان ، دراسة تاريخية لمساجد المشاعرالمقدسة ،مسجد الخيف مسجد البيعة بمنى ،جده .

- ناصر عبدالله الصالح ، المؤتمرات والأنماط الجغرافية للعمارة التقليدية بالمملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

الرسائل الجامعية :

- أحمد عبدالمعطي الجلالي ، الأعمال المعمارية للسلطان قايتباي ، رسالة ماجستير ، كلية الهندسة ،جامعة عين شمس ١٩٥٨م .
- آمنة حسن جلال ، طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي ، ٦٤٨ ـ ٩٢٣ ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- بندر محمد رشيد الهمزاني ، علاقات مكة المكرمة الخارجية في عهد أسرة الهواشم ، رسالة ماجستير ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
- جمال عبدالرحيم ، الزخارف الجصية في عمائر القاهرة الدينية الباقية في العصرالمملوكي البحري ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٦م .
- ═══ ، الحليات المعمارية الزخرفية على عمائر القاهرة في العصر المملوكي الجركسي، دراسة فنية أثرية ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار جامعة القاهرة ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١ م .
- حسن القصاص ، المدرسة الصرغتمشية ، دراسة أثرية معمارية ، رسالة ماجستير ،كلية الآثار ،جامعة القاهرة ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .
- ═══ ، مساجد أمراء السلطان الظاهر جقمق ، دراسة أثرية معمارية ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار جامعة القاهرة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .
- حسني نويصر ، مجموعة سبل السلطان قايتباي بالقاهرة ، رسالة ماجستير ١٩٧٠م ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة .

- ═══ ، منشآت السلطان قايتباي الدينية بمدينة القاهرة ، دراسة معمارية وأثرية ، رسالة دكتوراه ، كليةالآثار ، جامعة القاهرة ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، القاهرة.
- حسين عليوه ، كراسي العشاء المعدنية في عصر المماليك، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٩٧٥م .
- حسين مصطفى رمضان ، المحاريب الرخامية في القاهرة في عصرالمماليك البحرية ، رسالة ماجستير ١٩٨٢م ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة .
- حنان حسين أنور ، دراسة تحليلية للمباني المجمعة للعمارة المملوكية ، للاستفادة منها في العمارةالمعاصرة، رسالة ماجستير ، كلية الهندسة، جامعة القاهرة ، ١٩٨٧م.
- خليل سعيد ،الربط الإسلامية ، رسالة ماجستير ، كليةالآداب ،جامعة بغداد ، ١٩٧٢م .
- دولت عبدالله ، الخوانق في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي ، رسالةدكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٣م .
- سامي أحمد حسن ، السلطان إينال وآثاره المعمارية في القاهرة ، دراسة أثرية معمارية ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٧٦م .
- سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبدالباسط ، دراسة أثرية معمارية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب بسوهاج ، جامعة أسيوط ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

- سعاد محمد حسنين ، أعمال الأمير شيخو العمري الناصر ، المعمارية بالقاهرة ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ١٩٧٥م ، جامعة القاهرة .

- سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الإسحاقي ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار جامعة القاهرة ، ١٩٨٤م .

- سيد حسن صدر الدين، جامع أصفهان في العصر السلجوقي حتى نهايةالقرن السادس الهجري ، رسالة ماجستير ، كليةالشريعة والدراسات الإسلامية بمكة ، جامعة الملك عبدالعزيز ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م .

- شاهنده فهمي كريم ، جوامع ومساجد أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، رسالة دكتوراه ، كليةالآثار ، جامعة القاهرة ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

- طه عبدالقادر عمارة، الأبواب المصفحة في عهد السلطان حسن في القاهرة، دراسة أثرية فنية ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

- ــــــ ، العناصر الزخرفية المستخدمة في عمارة مساجد القاهرة في العصر العثماني ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

- عادل شريف علام ، الأعمال المعمارية ليوسف بن عبد الكريم بن بركة الشهير بالجمالي يوسف ، رسالة ماجستير ، كلية آداب سوهاج ، جامعة أسيوط .

- ـــــــ ، اللوحات التأسيسية على العمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة ، دراسة مقارنة في ضوء التخطيط وما جاء بالوثائق والمراجع، رسالة دكتوراه ، كلية آداب سوهاج ، جامعة أسيوط .
- عاصم رزق ، مسجد أبو بكر مزهر بالقاهرة ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار جامعة القاهرة ، ١٩٧١م .
- عباس حلمي ، تطور المسكن المصري الإسلامي من الفتح العربي حتى الفتح العثماني ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٨م .
- عبدالغني محمد عبدالعاطي ، التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، رسالة ماجستير ، كليةالآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٥م .
- عبداللطيف إبراهيم ، دراسات تاريخية وأثرية في وثائق عصر الغوري ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٥٦م .
- عدنان محمد الحارثي ، أثر صلاح الدين الأيوبي على التطور الحضاري والعمراني لمدينة القاهرة ، رسالة ماجستير ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- علي أحمد إبراهيم الطايش ، العمائر الجركسية الباقية بشارعي الخيامية والسروجية ، دراسة أثرية معمارية ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .
- علي زغلول ، مدرسة السلطان حسن ، دراسة معمارية أثرية ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .
- فهمي عبد العليم رمضان ، جامع المؤيد شيخ ، بحث أثري معماري ، رسالة ماجستير ، كليةالآداب ، جامعة القاهرة ١٩٧٥م ، القاهرة .

- ــــــ ، العمارة الإسلامية من عصر المؤيد شيخ ، رسالةدكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٩٧٩م .
- فوزية حسين مطر ، تاريخ عمارة المسجد الحرام من العصر العباسي الثاني حتى العصرالعثماني ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ليلى الشافعي ، مدرسةجوهر اللالا ، رسالة ماجستير ،كلية الآثار ، جامعة القاهرة، ١٩٧٧م.
- ــــــ ، منشآت القاضي زين الدين يحى بالقاهرة ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ١٩٨٢م ، جامعة القاهرة .
- مايسة داود ، النوافذ وأساليب تغطيتها في عمائر المماليك بمدينة القاهرة ، رسالة دكتوراه ، كليةالآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٥م .
- محمد حسام الدين إسماعيل ، منطقةالدرب الأحمر ، دراسة للقسم الثالث من ظاهر القاهرة القبلي ، دراسة أثرية تسجيلية ، رسالة ماجستير ، جامعة أسيوط ، كلية آداب سوهاج ١٩٨٦م .
- محمد حمزة الحداد ، قرافة القاهرة في عصر سلاطين المماليك ، دراسة حضارية أثرية ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .
- ــــــ ، الطراز المصري لعمائر القاهرة الدينية خلال العصر العثماني ، رسالة دكتوراه ، كليةالآثار ، جامعة القاهرة ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠ م .
- محمد سيف النصر ، مداخل العمائر المملوكية بالقاهرة، الدينية والمدنية من سنة ٦٤٨ - ٧٨٤ هـ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٧٥م .

- وزارة الأوقاف ، مساجد مصر ، ١٩٤٨ م ، القاهرة .
- ـــــ ، منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية عصر المماليك ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب بسوهاج ١٩٨٠م ، جامعة أسيوط .
- محمد عبدالرحمن فهمي ، أعمال جاني بك المعمارية ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار جامعة القاهرة ، ١٩٨٨م .
- محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباي بمدينة القاهرة ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧م .
- ـــــ ، نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه ، كلية آداب سوهاج ، جامعة أسيوط ، ١٩٧٩م .
- محمد فهيم ، مدرسة السلطان قانصوه الغوري ، دراسة أثرية معمارية ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م .
- محمد محمدالكحلاوي ، مدرسة الأمير عبدالغني الفخري، رسالة ماجستير ، كليةالآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨١م .
- محمد مصطفى نجيب ، مدرسة خاير بك بباب الوزير « دراسة أثرية معمارية »، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٨م.
- ـــــ ، مدرسة الأمير كبير قرقماس وملحقاتها ، دراسة أثرية معمارية ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٥م .
- محمد هزاع الشهري ، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي ، ٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ ،رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز الأحمدي ، دراسة أثرية معمارية ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

الـدوريـــات :

- أحمد عبدالرزاق ، الرنوك فى عصر سلاطين المماليك ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد ٢١ ، ١٩٧٤م .
- أمال العمري ، مدرسة قطلو بغا الذهبي ، مجلة دراسات آثارية اسلامية ، القاهرة ١٩٨٨م ، الجزء ٣ .
- إسماعيل أحمد إسماعيل ، مدرسة قايتباي ، مجلة العرب ، المجلد ١ ، عدد رجب ـ شعبان ، سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، الرياض .
- حسن الباشا ، الفنون الإسلامية ـ أصولها ومجالها ومداها ، مجلة منبر الإسلام ، العدد الخامس ، أغسطس ١٩٦٥م .
- ـــــ ، دراسة جديدة في نشأة الطراز المعماري للمدرسة المصرية ذات التخطيط المتعامد ، مجلة كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، العدد الثالث ، ١٩٨٩م. القاهرة .
- حسني محمد نويصر ، عوامل مؤثرة في تخطيط المدارس المملوكية ، مجلة التاريخ والمستقبل ، العدد الأول ، المجلد الأول ١٩٩١م ، القاهرة .
- حسين عليوه ، الكتابات الأثرية العربية ، دراسة في الشكل والمضمون ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٨٤م .
- ضيف الله الزهراني، دار السكة ، نشأتها ـ أعمالها ـ إدارتها ، بحث منشور في مجلة الداره ، العدد الثاني ١٤١٥هـ ، الرياض .
- عباس حلمي كامل ، المدارس الإسلامية ، ودور العلم وعمارتها الأثرية ، نشأتها وتاريخها وتخطيط عمائرها ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الملك عبدالعزيز ، العدد الثالث، ١٣٩٧/١٣٩٨ هـ ، مكة المكرمة .

- عبدالرحمن زكي ، الأسبلة الأثرية في مدينة القاهرة ، مجلة كلية الآثار ، العدد الثاني ، ١٩٧٧ م ،
- عبدالرحمن عبدالتواب ، قايتباي المحمودي ، مجلة الأعلام ، العدد ٢٠ ، ١٩٧٨م ، القاهرة .
- عبداللطيف إبراهيم ، وثيقة قراقجا الحسني ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد ١٨ ، العدد ٢ ، ١٩٥٦م .
- محمد سيف النصر أبو الفتوح ، مدرسة السلطان ، المنصور قلاوون ، دراسة أثرية في ضوء وثيقة جديدة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، العدد الأول ١٩٨٤م .
- محمد عبدالستار عثمان ، الرأي والإفادة في منشأة سودون من زاده ، مجلة العصور ، المجلد الثاني ، الجزء الأول ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- ═══ ، أضواء على أهمية الانشاء في تاريخ العمارة الإسلامية ، مجلة العصور ، المجلد الخامس ، الجزء الثاني ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
- محمد محمد الكحلاوي ، المدارس المغربية ، دراسة أثرية معمارية ، بحث منشور في مجلة العصور، المجلدالسادس، جمادى الثانية، ١٤١١ هـ ، الجزء الأول .
- محمد مصطفى نجيب ، نظرة جديدة على النظام المعماري للمدارس المتعامدة وتطوره خلال العصر المملوكي الجركسي ٧٨٤ ـ ٩٢٢ هـ / ١٣٨٢ ـ ١٥١٧م ، مجلة كلية الآثار ،ج ٢ / عدد خاص ١٩٧٨م . القاهرة .

ـ ═══ ، المزملة كمورد لمياه الشرب بمنشآت القاهرة في العصر المملوكي ، مجلة كلية الآثار ،جامعة القاهرة العددالثاني، ١٩٧٧م .

ـ ناصر النقشبندي ، المدرسة المرجانية ، مجلة سومر ، المجلد الثاني . الجزء الثاني ١٩٤٦م .

ـ نجاة شاكر زيدان ، أثر العقيدة الإسلامية في الزخرفة عند المسلمين ، مجلة الدارة ، العدد الرابع ، السنة الثالثة ١٣٩٨هـ

ـ كراسات لجنة حفظ الآثار العربية ، تقارير سنوات ١٨٨٤م ، ١٨٩٠م ، ١٩٠٧م ، ١٩٩٠م ، ١٩١٠ .

ـ مركز أبحاث الحج ، نماذج من مباني مكة التقليدية ، مكة المكرمة .

المراجع الأجنبية :

- Bope "Artha ohnam", Argitcture in the early periods according to contemporary documents of Persian Art. Oxford, 1938 - 39.
- Creswell, K.A.C; The Muslim Architecture of Egypt, New York, 1978.
- Dies "Ernst", The Principles and Types of Asuracy of Persian Art.
- G. Makdisi, The Rise of Colleges, Institutions of Learning in Islam and the West Edinburgh, 1981.
- Goderd "Andre"; L'orgine de Lomedrasan, dela Mosquee etdu Carauans erail, guatree Iwans, in Arsislamica, Vol, XV-XVI, 1951.
- Herzfeld, Studies in Architecture in Ars Islamica, 11, Vol, X, 1993.
- Hers "Max", Bulletin ducomite deconoser votion demanunents Arabes, Le Caire, 1904.
- Mostafa, S. L; Klosterund; Mausolem, des, Afarag, Ibn Bargugin Kairo, 1968.
- Reuthe, Sasanian, Architecture, In Survey of Persian Art.
- Rgomine "J" Lamosgee Lamadrasa CCM, XIII, Annee, No, Z, 1970.

- Sami, M. Ancawi, Makkah, Architecture, Submitted, gor the degree of Ph. O, University of London, 1988.
- Von Berchem "Max", Corpus Inscriptionum Arabic orum, Lever Porutie, Egypte, Memoires Parles Members de-lamision, Archeologique Francaise au Caire, Paris, 1884 .
- Wiet "Gaston", et; Hautecocy louis, les Mosquees de Caire, Paris, 1932.

الفهـــارس

أولاً : الأشـــكال

ثانياً : اللوحـات

ثالثاً : الموضوعات

فهارس الأشـــكال

أولاً : الخرائـــط :

ثانياً : المساقط :

[شكل١١] المدرسة الخانقاه البندقدارية ٦٨٣هـ/١٢٨٤م عن سعاد ماهر ، مساجد مصر .

[شكل١٢] مجموعة قلاوون ، المدرسة والمارستان ٦٨٣ ـ ٦٨٤هـ / ١٢٨٤ ـ ١٢٨٥م ، عن عبدالباقي إبراهيم ، وصالح لمعي ، أسس التصميم المعماري .

[شكل١٣] مدرسة محمد بن قلاوون ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م عن هيئة الآثار المصرية.

[شكل١٤] مدرسة وخانقاه ببيبرس الجاشنكير ٧٠٩هـ/١٣١٠م عن هيئة الآثار المصرية .

[شكل١٥] المدرسةالطيبرسية٧٠٩هـ/ ١٣١٠م عن هيئةالآثار المصرية.

[شكل١٦] المدرسة الملكية٧١٩هـ/ ١٣١٩م عن هيئة الآثار المصرية.

[شكل١٧] المدرسة الأقبغاوية٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م عن هيئة الآثار المصرية

[شكل١٨] مدرسة قطلوبغاالذهبي٧٤٢هـ/ ١٣٤١م عن هيئة الآثار المصرية .

[شكل١٩] المدرسة البقرية ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م عن هيئة الآثار المصرية .

[شكل٢٠] جامع ومدرسة أصلح السلحدار ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م عن هيئة الآثار المصرية .

[شكل٢١] المدرسة الخانقاه الشيخونية ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م عن هيئة الآثار المصرية .

[شكل٢٢]المدرسة الصرغتمشية٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م عن هيئة الآثار المصرية .

[شكل٢٣] مدرسة تتر الحجازية٧٦١هـ/ ١٣٦٠م عن هيئة الآثار المصرية .

[شكل٢٤] مدرسة السلطان حسن ٧٦٤هـ/ ١٣٦٤م عن عبدالباقي إبراهيم وصالح لمعي ، أسس التصميم المعماري .

[شكل٢٥] المدرسة المثقالية ٧٨٣هـ/١٣٨١م عن سعاد ماهر ، مساجد مصر .

[شكل٢٦] مدرسة أيتمش البيجاسي ٧٨٥هـ/١٣٨٣م عن عبد الباقي إبراهيم وصالح لمعي ، أسس التصميم المعماري .

[شكل٢٧] مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق ٧٨٨هـ/١٣٨٦م عن عبد الباقي إبراهيم وصالح لمعي ، أسس التصميم المعماري .

[شكل٢٨] مدرسة إينال اليوسفي ٧٩٥هـ/١٣٩٢م عن علي الطايش ، العمائر الجركسية الباقية .

[شكل ٢٩] مدرسة محمود الكردي الأستادار ٧٩٧هـ/١٣٩٥م ، عن علي الطايش ، العمائر الجركسية الباقية .

[شكل٣٠] مدرسة سودون من زاده ٨٠٤هـ/١٤٠١م ، عن حسني نويصر ، مدرسة جركسية على نمط المساجد .

[شكل٣١] الجامع الأبيض بالقلعة ٨١١هـ/١٤٠٨م عن صالح لمعي ، الوثائق والعمارة .

[شكل٣٢] مسجد فرج بن برقوق ، زاوية الدهيشة ، ٨١١هـ/١٤٠٨م عن عبدالباقي إبراهيم وصالح لمعي ، أسس التصميم المعماري .

[شكل٣٣] مدرسة جمال الدين يوسف الأستادار ٨١١هـ/١٤٠٨م عن هيئة الآثار المصرية .

[شكل٣٤] مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق ٨١٣هـ/١٤١١م عن عبدالباقي إبراهيم وصالح لمعي ، أسس التصميم المعماري .

[شكل٣٥] مدرسة قاني باي المحمدي ٨١٦هـ/١٤١٣م عن هيئة الآثار المصرية.

[شكل ٣٦] مدرسة عبدالغني الفخري ٨٢١هـ/١٤١٨م عن محمد الكحلاوي ، مدرسة الأمير عبدالغني الفخري .

[شكل٣٧] مدرسة القاضي عبدالباسط ٨٢٣هـ/١٤٢٠م عن هيئة الآثار المصرية .

[شكل٣٨] جامع ومدرسة المؤيد شيخ ٨٢٣هـ/١٤٢٠م ، عن كراسات لجنة حفظ الآثار .

[شكل٣٩] مدرسة برسباي بالأشرفية ٨٢٨هـ/١٤٢٥م عن محمد عبدالستار عثمان،الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباي .

[شكل٤٠] مدرسة كافور الزمام ٨٢٩هـ/١٤٢٦م ، عن هيئة الآثار المصرية .

[شكل٤١] مدرسة فيروز الساقي ٨٣٠هـ/١٤٢٧م ، عن هيئة الآثار المصرية .

[شكل٤٢] جامع ومدرسة جاني بك ٨٣٠هـ/١٤٢٧م عن هيئةالآثار المصرية .

[شكل٤٣] مدرسة جوهر اللالا ٨٣٣هـ/١٤٣٠م عن كراسات لجنة حفظ الآثار.

[شكل٤٤] مدرسة وخانقاه برسباي بالصحراء ٨٣٥هـ/١٤٣٢م ، عن هيئة الآثار المصرية .

[شكل٤٥] مدرسة القاضي عبدالباسط بمكة المكرمة ٨٣٦هـ/١٤٣٢م من عمل الباحث .

[شكل٤٦] مدرسة القاضي عبد الباسط بالمدينةالمنورة٨٤٢هـ/١٤٣٨م من عمل الباحث .

[شكل٤٧] مدرسة تغري بردى ٨٤٤هـ/١٤٤١م عن هيئة الآثارالمصرية

[شكل٤٨] جامع ومدرسة برسباي بالخانكه ٨٤٥هـ/١٤٤٢م عن كراسات لجنة حفظ الآثار .

[شكل٤٩] مدرسة قراقجا الحسني٨٤٥هـ/١٤٤٢م عن حسن القصاص، مساجد أمراء السلطان الظاهر جقمق .

[شكل٥٠] مدرسة القاضي يحى ٨٤٨هـ/١٤٤٤م عن ليلى الشافعي ، منشآت القاضي زين الدين يحى .

[شكل٥١] مدرسة الجمالي يوسف ٨٥٠هـ/١٤٤٦م عن حسن القصاص، مساجد أمراء السلطان الظاهر جقمق .

[شكل٥٢] جامع ومدرسة لاجين السيفي ٨٥٣هـ/١٤٤٩م عن حسن القصاص ، مساجد أمراء السلطان الظاهر جقمق .

[شكل٥٣] مدرسة وخانقاه السلطان إينال بالصحراء ٨٦٠هـ/١٤٥٦م عن سامي حسن ، السلطان إينال وآثاره المعمارية .

[شكل٥٤] مدرسة أبناء قايتباي قبل ٨٧٢هـ/١٤٦٧م عن حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية بالقاهرة .

[شكل٥٥] مدرسة قايتباي بالصحراء ٨٧٩هـ/١٤٧٤م عن حسني نويصر، منشآت السلطان قايتباي الدينية بالقاهرة .

[شكل٥٦] مدرسة قايتباي بالكبش ٨٨٠هـ/١٤٧٥م عن حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية بالقاهرة.

[شكل٥٧] مدرسة جانم البهلوان ٨٨٣هـ/١٤٧٨م عن علي الطايش ، العمائر الجركسية الباقية .

[شكل٥٨] مدرسة أبو بكر مزهر ٨٨٤هـ/١٤٧٩م ، عن كراسات لجنة حفظ الآثار .

[شكل٥٩] مدرسة قايتباي بمكة المكرمة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م ، من عمل الباحث .

[شكل٦٠] مدرسة قجماس الاسحاقي ٨٨٦هـ/١٤٨١م ، عن كراسات لجنة حفظ الآثار .

[شكل٦١] عمارة قايتباي للمسجد النبوي الشريف ٨٨٦هـ/١٤٨١م عن محمد الشهري ، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي .

[شكل٦٢] مدرسة قايتباي بالروضة ٨٩٦هـ/١٤٩٢م عن حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية بالقاهرة .

[شكل٦٣] مدرسة أزبك اليوسفي ٩٠٠هـ / ١٤٩٥م ، عن هيئة الآثار المصرية

[شكل٦٤] مدرسة خاير بك ٩٠٨هـ/١٥٠٣م ، عن هيئة الآثار المصرية.

[شكل٦٥] مدرسة قانصوه الغوري ٩١٠هـ/١٥٠٥م عن عبدالباقي إبراهيم وصالح لمعي ، أسس التصميم المعماري .

[شكل٦٦] مدرسة قاني باي الرماح بالقلعة ٩١٠هـ/١٥٠٥م ، عن هيئة الآثار المصرية .

[شكل٦٧] مدرسة قرقماس أمير كبير ٩١٣هـ/١٥٠٧م عن عبدالباقي إبراهيم وصالح لمعي ، أسس التصميم المعماري .

[شكل٦٨] الكنيسة السورية البيزنطية عن أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها .

ثالثاً : التفريغات :

أ ـ العقود :

[شكل٦٩] العقد المدبب . عن عبدالسلام نظيف ، دراسات في العمارة الإسلامية .

[شكل٧٠] العقد المدائني . عن جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية.

[شكل٧١] العقد المنكسر . عن دللي ، العمارة العربية .

[شكل٧٢] العقد الحدوي . عن عبدالسلام نظيف ، دراسات في العمارة الإسلامية .

[شكل٧٣] العقد الحدوي المدبب . عن عبدالسلام نظيف ، دراسات في العمارة الإسلامية .

[شكل٧٤] العقد المستقيم ويعلوه العقد العاتق عن جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية .

ب ـ المقرنصات :

[شكل٧٥] المقرنص البلدي ، عن دللي ، العمارة العربية .

[شكل٧٦] المقرنص الحلبي أو الشامي ، عن دللي ، العمارة العربية .

[شكل٧٧] المقرنص بدلاية . عن دللي ، العمارة العربية .

جـ ـ الصنج المزررة :

[شكل٧٨] الصنج المزررة المسلوبة، عن دللي ، العمارة العربية .

[شكل٧٩] الصنج المزررة المدرجة ، عن دللي ، العمارة العربية .

[شكل٨٠] الصنج المركبة ذات الأشكال المقعرة ، عن دللي ، العمارة العربية .

[شكل٨١] الصنج المزررة المركبة ذات الأطراف المتماوجه . عن جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية .

[شكل٨٢] الصنج المزررة المركبة ذات الورقة النباتية الثلاثية مقلوبة ومعدولة ، عن دللي ، العمارة العربية .

[شكل٨٣] الصنج المزررة المركبة ذات الورقة النباتية خمس بتلات عن دللي ، العمارة العربية .

د ـ الشـرفات :

[شكل٨٤] الشرفات على هيئة ورقة نباتية ثلاثية ، عن دللي ، العمارة العربية .

[شكل٨٥] الشرفات على هيئة ورقة نباتية خماسية ، عن جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية .

هـ ـ الجفـوت :

[شكل٨٦] الجفت البسيط ، عن دللي ، العمارة العربية .

[شكل٨٧] الجفت البسيط وينتهي بميمة من أعلاه ، عن جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية .

[شكل٨٨] الجفت ذو الميمات، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية .

فهارس اللوحات

« الدراسة الوصفية »

مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق ٨١٣ هـ / ١٤١١ م :

[لوحة ١٥] المنبر وجانب من الجدار القبلي للرواق السابق .

[لوحة ١٦] القبة التي تعلو المحراب .

[لوحة ١٧] مدخل القبة الشمالية الشرقية .

[لوحة ١٨] دكة المبلغ في الرواق السابق .

[لوحة ١٩] الرواق الشمالي الغربي للمنشأة أثناء الترميم ، محفوظات هيئة الآثار المصرية .

[لوحة ٢٠] الرواق الشمالي الغربي للمنشأة .

[لوحة ٢١] الرواق الشمالي الشرقي أثناء الترميم ، محفوظات هيئة الآثار المصرية .

[لوحة ٢٢] الرواق الشمالي الشرقي .

[لوحة ٢٣] الرواق الجنوبي الغربي .

[لوحة ٢٤] حليات العقود المطلة على الصحن .

[لوحة ٢٥] منظر الصحن ويظهر منه الأجزاء الوسطى والشمالية الشرقية .

[لوحة ٢٦] أحد الأبواب المطلة على الصحن غربي الرواق الشمالي الشرقي .

[لوحة ٢٧] بابين مطلين على الصحن في شمال اللوحة الباب الواقع غربي الرواق الجنوبي الشرقي ويجاوره الباب الواقع جنوبي الرواق الشمالي الغربي .

[لوحة ٢٨] خلاوي الضلع الشمالي الشرقي .

[لوحة ٢٩] الجزء العلوي من الخلاوي السابقة أثناء الترميم ، محفوظات هيئة الآثار المصرية .

[لوحة ٣٠] خلاوي الضلع الجنوبي .

[لوحة ٣١] إحدى مئذنتي المنشأة وتماثلها الأخرى في التكوين المعماري والزخرفي .

[لوحة ٣٢] معالم دورة المياه ويتوسطها فسقية .

[لوحة ٣٣] موضع ساقية المدرسة وبها في الوقت الحاضر دورة مياه حديثة .

مدرسة الأشرف برسباي ٨٢٨ هـ / ١٤٢٥ م :

[لوحة ٣٤] الواجهة الجنوبية الشرقية « القبلية » للمنشأة .

[لوحة ٣٥] جانب من واجهة الإيوان الجنوبي الشرقي والقبة .

[لوحة ٣٦] واجهة مكتب السبيل .

[لوحة ٣٧] الواجهة الشمالية الشرقية للمنشأة أثناء الترميم ، محفوظات هيئة الآثار المصرية .

[لوحة ٣٨] الواجهة الشمالية الشرقية .

[لوحة ٣٩] واجهة المدخل الرئيسي .

[لوحة ٤٠] الإيوان الجنوبي الشرقي « القبلي » أثناء الترميم ، محفوظات هيئة الآثار المصرية .

[لوحة ٤١] الإيوان الجنوبي الشرقي « القبلي » .

[لوحة ٤٢] الإيوان الشمالي الغربي « البحري » .

[لوحة ٤٣] الإيوان الشمالي الشرقي .

[لوحة ٤٤] الإيوان الجنوبي الشرقي أثناء الترميم ، محفوظات هيئة الآثار المصرية .

[لوحة ٤٥] صحن المدرسة أثناء الترميم ، محفوظات هيئة الآثار المصرية .

[لوحة ٤٦] المئذنة أثناء الترميم، محفوظات هيئة الآثار المصرية.

المدرسة الباسطية بمكة المكرمة ٨٣٦ هـ / ١٤٣٢ م :

[لوحة ٤٧] رسماً تخيلياً لما كانت عليه الواجهة الغربية للمدرسة وقت إنشائها .

[لوحة ٤٨] الواجهة الجنوبية للمنشأة ، مجموعة اللواء محمد صادق باشا ، انظر السهم .

[لوحة ٤٩] الواجهة الجنوبية للمنشأة ، أرشيف مكتبة السلطان عبدالحميد الثاني ، انظر السهم .

[لوحة ٥٠] الواجهة الجنوبية للمنشأة ، من مجموعة علي بهجت ، انظر السهم .

[لوحة ٥١] الواجهة الجنوبية للمنشأة ، أرشيف مؤسسة بن لادن السعودية ، انظر السهم .

[لوحة ٥٢] الجانب الغربي من الواجهة الجنوبية للمنشأة ، مجموعة عبدالرحمن دفتردار وصالح حجار ، انظر السهم .

المدرسة الباسطية بالمدينة المنورة ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨ م :

[لوحة ٥٣] رسماً تخيلياً لما كانت عليه الواجهة الشمالية للمدرسة وقت إنشائها.

[لوحة ٥٤] الجانب الشرقي للواجهة الشمالية للمنشأة ، مجموعة عبدالرحمن دفتردار وصالح حجار .

[لوحة ٥٥] الجانب الشرقي للواجهة الشمالية للمنشأة ، مجموعة عبدالرحمن دفتردار وصالح حجار .

[لوحة ٥٦] أقصى الجانب الشرقي للواجهة الشمالية للمنشأة ، ويظهر فيها القبة التي تعلو حجرة الكتاب . مجموعة عبدالرحمن دفتردار وصالح حجار .

مدرسة قايتباي بالصحراء ٨٧٩ هـ ـ ١٤٧٤ م :

[لوحة ٥٧] الواجهة الشمالية الشرقية للمنشأة أثناء الترميم ، محفوظات هيئة الآثار المصرية .

[لوحة ٥٨] الواجهة الشمالية الشرقية للمدرسة .

[لوحة ٥٩] الواجهة الجنوبية الشرقية « القبلية » .

[لوحة ٦٠] منظر عام للمنشأة أثناء الترميم ويظهر فيه المئذنة والقبة ، محفوظات هيئة الآثار المصرية .

[لوحة ٦١] الجانب الجنوبي من القبة .

[لوحة ٦٢] الواجهة الشمالية الغربية « البحرية » للمنشأة .

[لوحة ٦٣] واجهة المدخل الرئيسي .

[لوحة ٦٤] واجهة المدخل الفرعي .

[لوحة ٦٥] سقف الدهليز .

[لوحة ٦٦] الإيوان الجنوبي الشرقي « القبلي » .

[لوحة ٦٧] الإيوان الشمالي الغربي « البحري » وصحن المنشأة أثناء الترميم ، محفوظات هيئة الآثار المصرية .

[لوحة ٦٨] الإيوان الشمالي الغربي « البحري » .

[لوحة ٦٩] إحدى السدلتين « الجنوبية » المطلة على الإيوان السابق .

[لوحة ٧٠] السدلة الشمالية الشرقية ، ويكتنفها بابان مطلان على الصحن أثناء الترميم ، محفوظات هيئة الآثار المصرية .

[لوحة ٧١] السدلة الجنوبية الغربية ، ويكتنفها بابان مطلان على الصحن .

[لوحة ٧٢] إحدى الدخلات التي تعلو الأبواب المطلة على الصحن.

[لوحة ٧٣] منظر عام للمدرسة والوحدات السكنية القريبة منها من عمل بسكال كوست ١٣هـ/١٩م ، أرشيف قسم التصوير بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة .

[لوحة ٧٤] منظر عام للمدرسة والوحدات السكنية القريبة منها من عمل بريس دافن ١٣هـ/١٩م ، أرشيف قسم التصوير بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة .

[لوحة ٧٥] معالم الطباق الملاصق لجدار المنشأة الشمالي .

[لوحة ٧٦] واجهة ربع قايتباي أثناء الترميم ، محفوظات هيئة الآثار المصرية .

[لوحة ٧٧] واجهة ربع قايتباي .

[لوحة ٧٨] واجهة مدخل الربع أثناء الترميم ، محفوظات هيئة الآثار المصرية .

[لوحة ٧٩] مئذنة المدرسة أثناء الترميم ، محفوظات هيئة الآثار المصرية .

مدرسة قايتباي بمكة المكرمة ٨٨٤ هـ / ١٤٤١ م :

[لوحة ٨٠] رسماً تخيلياً للواجهة الشرقية وقت إنشاء المدرسة .

[لوحة ٨١] الجانب العلوي من المبنى يعلوه المئذنة ، أرشيف مكتبة السلطان عبد الحميد ، انظر السهم .

[لوحة ٨٢] الجزء العلوي للمدخل ، كتاب التاريخ القويم .

[لوحة ٨٣] الواجهة الغربية للمنشأة ، أرشيف مكتبة السلطان عبد الحميد .

[لوحة ٨٤] الواجهة الغربية، مجموعة الجمعية الجغرافيةالأمريكية .

[لوحة ٨٥] رسم يمثل نسك الحج ويظهر فيه الحرم ما يحيط به من مباني ١٢٠٢هـ/١٧٨٧م ، ضمن مجموعة الشريف مساعد بن منصور .

[لوحة ٨٦] مجسم يضم الحرم وبعض المباني المحيطة به ويظهر فيها تحديد للمدرسة ويجاورها الربع، انظر السهم ، مسجد يادكتا باستانبول.

[لوحة ٨٧] رسم للحرم المكي وبعض المباني المحيطة به على بلاطة خزفية بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة ١١٣٩هـ/١٧٢٧م .

[لوحة ٨٨] رسم للحرم المكي وبعض المباني المحيطة به مخطوط دلائل الخيرات، بمتحف قصر المنيل بالقاهرة ١١٨٩هـ / ١٧٧٥ م .

« الدراسة التحليلية »

مدرسة آيتمش البيجاسي ٧٨٥هـ / ١٣٨٣م :

[لوحة ٨٩] واجهة المدرسة .

[لوحة ٩٠] واجهة المدخل والشباك الغربي للسبيل .

[لوحة ٩١] النوافذ العلوية للواجهة .

مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م :

[لوحة ٩٢] واجهة المدرسة الخانقاه .

[لوحة ٩٣] الحليات المعمارية على المدخل .

[لوحة ٩٤] محراب المدرسة الخانقاه .

[لوحة ٩٥] جانب مع أعمدة وعقود رواق القبلة .

مدرسة إينال اليوسفي ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م :

[لوحة ٩٦] واجهة المدرسة .

[لوحة ٩٧] عقد إيوان القبلة .

مدرسة محمود الكردي الأستادار ٧٩٧ هـ / ١٣٩٥م :

[لوحة ٩٨] مئذنة المدرسة .

مدرسة مقبل الداودي ٧٩٨ هـ / ١٣٩٥م :

[لوحة ٩٩] طاقية المدخل .

مسجد فرج بن برقوق « زاوية الدهيشة » ٨١١هـ / ١٤٠٨م :

[لوحة ١٠٠] واجهتي المسجد .

مدرسة جمال الدين يوسف الأستادار ٨١١هـ/١٤٠٨م:

[لوحة ١٠١] مدخل المدرسة .

[لوحة ١٠٢] إحدى النوافذ العلوية في واجهتي المبنى .

[لوحة ١٠٣] العامود المدمج في ركن واجهتي المبنى .

مدرسة قاني باي المحمدي ٨١٦هـ/١٤١٣م :

[لوحة ١٠٤] مئذنة المدرسة .

مدرسة عبد الغني الفخري ٨٢١هـ / ١٤١٨م :

[لوحة ١٠٥] واجهة المدرسة .

[لوحة ١٠٦] واجهة المدرسة « منظر جانبي » .

[لوحة ١٠٧] زخارف أرضية الصحن .

مدرسة القاضي عبد الباسط ٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ م :

[لوحة ١٠٨] جانب من الواجهة الشمالية للمدرسة ومكتب السبيل.

[لوحة ١٠٩] المدخل ومكتب السبيل وجانب من الواجهة الشرقية .

[لوحة ١١٠] المدخل الرئيسي للمدرسة .

[لوحة ١١١] المدخل الفرعي .

[لوحة ١١٢] إحدى النوافذ العلوية في واجهات المبنى .

[لوحة ١١٣] الصنج المزررة المركبة ذات الأشكال النجمية على المدخل الثاني .

جامع و مدرسة المؤيد شيخ ٨٢٣ هـ / ١٤٢٥ م :

[لوحة ١١٤] واجهة الجامع المدرسة .

[لوحة ١١٥] مئذنتي الجامع المدرسة .

[لوحة ١١٦] مدخل الجامع المدرسة .

[لوحة ١١٧] جلستي المدخل .

[لوحة ١١٨] الواجهة المطلة على الصحن من رواق القبلة ، محفوظات هيئة الآثار .

[لوحة ١١٩] جانب من رواق القبلة من الداخل ، محفوظات هيئة الآثار .

مارستان المؤيد شيخ ٨٢٣هـ/١٤٢٥ م :

[لوحة ١٢٠] إحدى واجهات مكتب السبيل .

مدرسة كافور الزمام ٨٢٩هـ/١٤٢٩م :

[لوحة ١٢١] مكتب السبيل .

مدرسة فيروز الساقي ٨٣٠ هـ / ١٤٢٧ م :

[لوحة ١٢٢] واجهة المدرسة .

[لوحة ١٢٣] مدخل المدرسة .

جامع ومدرسة جاني بك ٨٣٠ هـ / ١٤٢٧ م :

[لوحة ١٢٤] واجهة الجامع المدرسة .

مدرسة جوهر اللالا ٨٣٣ هـ/ ١٤٣٠ م :

[لوحة ١٢٥] واجهة المدرسة .

[لوحة ١٢٦] مكتب السبيل .

مدرسة تغري بردى ٨٤٤هـ/ ١٤٤١م :

[لوحة ١٢٧] واجهة المدرسة .

[لوحة ١٢٨] مكتب السبيل .

[لوحة ١٢٩] جانب من المدرسة من الداخل .

مدرسة قراقجا الحسني ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م :

[لوحة ١٣٠] واجهة المدرسة .

[لوحة ١٣١] المئذنة وموقعها في مواجهة المدرسة .

مدرسة القاضي يحى ٨٤٨ هـ / ١٤٤٤ م :

[لوحة ١٣٢] مئذنة المدرسة .

مدرسة جقمق ٨٥٥ هـ/ ١٤٥١م :

[لوحة ١٣٣] واجهة المدرسة .

[لوحة ١٣٤] مدخل المدرسة .

مدرسة وخانقاه السلطان إينال ٨٦٠ هـ / ١٤٥٦ م :

[لوحة ١٣٥] واجهة المدرسة الخانقاه .

[لوحة ١٣٦] الجزء السفلي للمئذنة .

[لوحة ١٣٧] جانب من المدرسة من الداخل .

مدرسة أبناء قايتباي قبل ٨٧٢ هـ/ ١٤٦٧ م :

[لوحة ١٣٨] واجهة المدرسة .

مسجد الخيف بمنى ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩م :

[لوحة ١٣٩] واجهة المدخل تعلوه المئذنة . أرشيف مكتبة السلطان عبدالحميد .

[لوحة ١٤٠] جانب من جدار المبنى الخارجي . أرشيف مكتبة السلطان عبدالحميد .

مسجد تمراز الأحمدي ٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م :

[لوحة ١٤١] واجهة المسجد .

[لوحة ١٤٢] جانب من واجهة المبنى والمئذنة .

مدرسة قايتباي بالكبش ٨٨٠ هـ / ١٤٧٥ م :

[لوحة ١٤٣] مدخل المدرسة الغربي .

مسجد أبو بكر مزهر ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م :

[لوحة ١٤٤] واجهة المدرسة ويظهر فيها موقع المئذنة .

[لوحة ١٤٥] مكتب السبيل .

[لوحة ١٤٦] المدخل الرئيسي للمدرسة .

[لوحة ١٤٧] جانب من المدرسة من الداخل .

مدرسة قجماس الإسحاقي ٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م :

[لوحة ١٤٨] واجهة المدرسة .

[لوحة ١٤٩] مدخل المدرسة .

[لوحة ١٥٠] مكتب السبيل .

[لوحة ١٥١] عمود مدمج في أحد أركان المبنى .

[لوحة ١٥٢] جانب من المدرسة من الداخل .

[اوحة ١٥٣] محراب المدرسة .

المسجد النبوي عمارة قايتباي ٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م :

[لوحة ١٥٤] مئذنة قايتباي بالمسجد النبوي .

[لوحة ١٥٥] المحراب النبوي الشريف عمارة قايتباي .

مدرسة قايتباي بالروضة ٨٩٦ هـ/ ١٤٩٢ م :

[لوحة ١٥٦] مئذنةالمدرسة .

مدرسة أزبك اليوسفي ٩٠٠هـ/١٤٩٥م :

[لوحة ١٥٧] مدخل المدرسة .

[لوحة ١٥٨] عقد إيوان القبلة .

مدرسة قانصوه الغوري ٩١٠ هـ / ١٥٠٥ م :

[لوحة ١٥٩] مكتب السبيل .

[لوحة ١٦٠] مدخل المدرسة .

الحرم المكي الشريف :

[لوحة ١٦١] عقد باب إبراهيم ٩١٨هـ /١٥١٢م . أرشيف مؤسسة بن لادن .

(لوحة ١٦٢] الشرفات العثمانية على الواجهة الخارجية . مجموعة على بهجت.

فهارس الموضوعات

مطابع جامعة أم القرى